سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٤٣٧)

تعلق القلب

بالله وبغير الله من خلال مصنفات العقيدة والفرق

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

-"أنَّ المؤمن في تَعَلُّقِهِ بربه في عبادته سبحانه بأنواع العبادة القلبية والعملية يرى أنّ الإنعام عليه بأن يكون من أهل الجنة هذا أعظم الإنعام؛ لأنَّ من دخل الجنة قد رضي الله عنه ومَتَّعَهُ بملاذِّها وحبورها وسرورها وأفاض عليه الزيادة وهي رؤية وجه الله الكريم.

ومن أحب تَعَلَّقَ بالمحبوب، وإذا **تَعَلَّقَ القلب** بالمحبوب لم يهدأ له بال ولا يقر له قرار حتى يلقى محبوبه راضياً عنه متمتعاً بلذة النظر إليه ومحادثته وتحيته، كما قال سبحانه هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا(٤٣)تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا[الأحزاب:٤٣-٤٤]، فهذا أعلى أنواع التمتع.

والقلب إذا خشع لله وتلذذ بتلاوة القرآن وبالصلاة، وعلم أنَّ هذه من اللذات الحاضرة التي هي التلاوة والصلاة، فكيف بأعظم اللذات وهو رؤية الرب وهي الغاية كما ذكر العلماء التي شَمَّرَ إليها المُشَمِّرُون، الذين تعلقت قلوبهم بالرب .

(المسألة الثانية:

أنَّ أهل السنة والجماعة جعلوا الرؤية حق، والرؤية بالعينين.

وهذه الرؤية جاءت فيها آيات كثيرة وأحاديث متواترة عنه ، وأجمع أهل التفسير من الصحابة والتابعين على القول بالرؤية، ولم ينكرها أحد من السلف الصالح رضوان الله عليهم.

ومن الأدلة على أنَّ الرؤية حق:". [١]

٢-"فيها توحيد الإلهية أيضاً في أنَّهُ إذا كان لا حول ولا قوة إلا بالله وأنَّ المرء والمخلوق لا يمكنُ له أن يفعل إلا بالله وحده دون ما سواه، فلماذا يتعلق قلبه إذاً بغير الله من الآلهة والأنداد والأموات والأولياء والقوى المختلفة في حال البشرية، القوة المادية أو غيرها؟ لماذا يتعلق قلبه بهذه الأشياء؟

فإنما يكون إذاً **تعلق القلب** بمن يملك الانتقال والنُّقْلَةْ من حالٍ إلى حال ومن يملك القوة.

فإذاً تتوجه القلوب في الدعاء ويتوجه المرء في عباداته إلى الله وحده، ويعلم أنَّ من توجَّهَ إليه الخلق بالعبادة وأَلَّهُوهُ من دون الله هم كما وصفهم الله بقوله أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ[الأعراف:١٩١-١٩٢]، وقال في وصفهم يعني في وصف الآلهة وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء[الأحقاف:٥-٦]، وفي قوله قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً(٥٦)أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا[الإسراء:٥٦]، فالآلهة المختلفة مُحْتَاجَةْ ذليلة إلى الرب ، لا تملك لأنفسها شيئاً من الضر ولا النفع، فإذاً وجب التوجه إلى الله .

(ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات:". [٢]

---

(١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل ١٠/١١

(٢) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل ٤٠/٨

٣-"من جهة ثانية الاجتماع والائتلاف يكون بالاجتماع على من ولَّاهُ الله أمر المسلمين، فهذا الاجتماع مقصود في الشريعة أمَرَ به الله و أمَرَ به النبي وحض عليه وأبدى فيه وأعاد كما يقول إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب في مسائل الجاهلية حتى غدا عند كثيرين هذا الأصل كأنه لم يكن فيه شيء من حديث النبي .

فالإجتماع نوعان إجتماع في الدين وإجتماع على ولي الأمر وعدم مخالفته ولزوم طاعته في المعروف، فإذا أمر بالمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

س٥/ يوجد على كثير من السيارات تعليقات وخِرَقْ في مقدمتها ومؤخرتها، وأكثر هذه السيارات تَخُصُّ باكستانيين وأفغان، وتوضع هذه الخرق لدفع العين ولدفع الحوادث. فما توجيهكم للعمل على إزالتها وبالأخص أنَّهَا في بلد التوحيد؟

ج/ هذه الأشياء التي تُعَلَّقْ ربما تكون من التمائم، وربما لا تكون.

ولهذا ينبغي أن يُتَثَبَتْ من ذلك فإذا ثبت أنها تميمة عُلِّقَتْ مثل خيوط حمر أو أرنب على الزجاجة أو على خلف المقعد الخلفي يوضع رأس حيوان، أو وضع مصحف في الخلف خلف الناس قد أكلته الشمس من كُثُرْ ما أصابه منها وأشباه ذلك هذا ظاهر أنها من التمائم.

فإذا كانت من التمائم وجب مناصحة من هي معه، وإزالتها إن أمكن إزالتها بدون مفسدة.

ووجب أيضاً أن يقوم أهل الحسبة الأمر بالمعروف والنهي في هذه المسائل؛ لأنَّ الشرك هو أخبث ما يكون، هو التعلق بغير الله واعتقاد النفع والضر في هذه الخرق والأشرطة والحيوانات، وأنها تدفع العين أو تجلب الخير أو نحو ذلك، هذه من الاعتقادات الفاسدة، والنبي صَحَّ عنه أنَّهُ قال "إن الرقى والتمائم والتولة شرك"١٧ وقال أيضا "من تعلق تميمة فقد أشرك"١٨ و(تَعَلَّقْ) تشمل شيئين:

تشمل التعليق بنفسه **وتَعَلُّقْ القلب**.

فمن عَلَّقَ شيئاً وتَعَلَّقَ قلبه به فقد أشرك.". (١)

٤-"فأقرب شيء تنضبط به ما كان في أمرين:

الأول: أن يكون استعمال لولا في تحصيل نعمة أو اندفاع نقمة بسبب من الأسباس، فيعزوه للسبب ولا يذكر الله.

الثاني: أن يكون في ذكره **تَعَلَّقَ القلب** بهذا السبب، إذا حصل تعلق بالسبب حصل الشرك قلباً ولفظاً.

س١٠/ بالنسبة للصلاة خلف الكاهن أو العَرَّاف إذا كان هو إمام مسجد، فهل تصلِّي في بيتك أو تُصَلِّي في المسجد معه؟

لا تصلي في بيتك، تصلي في جماعة أخرى إلَّا إذا اضطررت يعني للصلاة وتخشى من التفريط لأنَّه قصارى الأمر الصلاة خلفه باطلة، ظاهر؟، وفي الصلاة خلفه تقوية له أو تزكية له.

فإذا اضطررت في هذا، لو صليت معه تعيد الصلاة لأنَّهُ كافر.

(١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل ١٧/٤٥

يعني ممكن تصلي معاه في المسجد وترجع في البيت تصلِّي، بس ما هو بدايم، يعني إذا اضطررت.

طيِّب إذا لم يكن هناك إلا هذا المسجد في الحي، فماذا تفعل؟

تصلي في بيتك، ولا تصلي خلفه، أو تشوف لك مسجد آخر وجماعة ولو بعيد، أمَّا الكهان والعرافين فلا يُصَلَّى وراءهم.

وفقكم الله وأعاننا وإياكم على الحق والهدى.

(

الحمد لله حق حمده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أمَّا بعد:

الأسئلة

س١ هل عبارة (الله ما شفناه لكن بالعقل عرفناه) في قول العامة صحيح؟

ج/ هذا القول في غالب معناه صحيح وهو مأخوذ في الأصل من كلام علي (في خطبه، وهو موجود في نهج البلاغة – نسيت العبارة– لكن حاصلها يقول (والله إن لم تُدْرِكْهُ الأبصار بالشهود لكن عَرَفَتْهُ وعَنْعَنَتْ له العقول بالدليل)أو نحو ذلك.

هي موجودة، يعني أصلها من كلام علي (.٩

١ سبق ذكره (٦)

٢ سبق ذكره مع ما قبله (٦٣٠)

٣ سبق ذكره (٤٦٢)

٤ سبق ذكره (٦١٩)

٥ نهاية الوجه الأول من الشريط الخمسين

٦ سبق ذكره (٤٤٨)

٧ مسلم (٦٧٨١)/ أبو داود (٤٦٥٩)

٨ مسلم (٤١٧٣)/ النسائي (٤٥٨١)/ ابن ماجه (٢٢٥٧)

٩ نهاية الشريط الخمسون

٨٩٧". [1]

(١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل ٢٢/٥٠

٥-"الثّاني : الاستدلال بتوحيد الصّفات على توحيد العبادة ؛ فإنّ التفرّد بصفات الكمال المطلق يستلزم **تعلّق القلب** بالموصوف بها محبّة وخوفًا ورجاءً وتألّهًا في الظّاهر والباطن ، وهذا البرهان ينتظم جميع ما ورد من صفات الكمال ؛ فكلّها أدلّة على توحيد العبادة سواء أصرّح بذكر لازمها ، أو ذكرت مجرّدة ؛ فمما ذكر مجرّدًا قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾ [الأنعام : ٦١] ، وقوله : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] ، وقوله : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] ، وقوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [الحديد : ٤] ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذّاريات : ٥٨] ؛ فهذه النّصوص ونظائرها لم تذكر لمجرّد تقرير الكمال وإنّما ذكرت لبيان أنّ الموصوف بها هو المستحقّ للعبادة وحده ، يقول ابن تَيْمِيَّة : ((الله سبحانه لم يذكر هذه النّصوص لمجرّد تقرير الكمال له ، بل ذكرها لبيان أنّه المستحقّ للعبادة دون ما سواه ، فأفاد الأصلين اللذين بهما يتمّ التّوحيد ؛ وهما : إثبات الكمال ؛ ردًّا على أهل التّعطيل ، وبيان أنّه المستحقّ للعبادة لا إله إلاّ هو ردًّا على المشركين)) (٤٢) ." [١]

٦-"ومنعا ونفعا وضرا وعفوا وانتقاما ، وأما أن يثنى عليه بمجرد المنع والانتقام والإضرار فلا يسوغ فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع فصل بعض حروفه عن بعض فهي وإن تعددت جارية مجرى الاسم الواحد ولذلك لم تجيء مفردة ولم تطلق عليه إلا مقترنة فاعلمه فلو قلت يا مذل يا ضار يا مانع وأخبرت بذلك لم تكن مثنيا عليه ولا حامدا له حتى تذكر مقابلها) ، وهذا الكلام فيه نظر فقد يصح لو ثبتت هذه الأسماء ، ولكن لم يثبت مما ذكر في كلامه غير المعطي والعفو ، فليس من أسمائه الضار ولا النافع ولا المنتقم ولا المانع ولا المعز ولا المذل ، فالقاعدة التي ذكرها مبينة على أسماء لا دليل عليها .
أما دعاء العبادة فهو **تعلق القلب** بالمتوحد في عطائه والتعفف عن سؤال غيره أو دعائه ، قال تعالى : (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٧٣) ، وقد ورد عند البخاري من حديث الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ رضي الله عنه أن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : (لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ) ." [٢]

٧-"أما دعاء العبادة فهو **تعلق القلب** بالمتوحد في عطائه ، والتعفف عن سؤال غيره أو دعائه ، قال (: لِلْفُقَرَاءِ الذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ [البقرة:٢٧٣]، وقد ورد عند البخاري من حديث الزبير بن العوام (أن النبي s قَالَ : (لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ

---

(١) آثار المثل الأعلى ص/٣٠

(٢) أسماء الله الحسنى ٦/٢٧

يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ) (٣٩٣) ." [(١)]

٨-"حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ أُمْنِيَّتُهُ، قَالَ اللهُ – عز وجل –: تَمَنَّ كَذَا وَكَذَا، أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ) (١)، وعند البخاري من حديث أنس – رضي الله عنه – قال: (قَالَتْ أمي يَا رَسُولَ اللهِ خَادِمُكَ أَنَسٌ ادْعُ اللهَ لَهُ، قَالَ: اللهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتَهُ) (٢)، وعند أحمد من حديث عبد الله الزرقي – رضي الله عنه – قال: (لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَفَأَ الْمُشْرِكُونَ قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – : اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي، فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفاً، فَقَالَ: اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ، اللهُمَّ لاَ قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلاَ بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلاَ هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ وَلاَ مُضِلَ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلاَ مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلاَ مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ .. الحديث) (٣) .

الدعاء باسم الله المعطي دعاء عبادة .

أما دعاء العبادة فهو **تعلق القلب** بالمتوحد في عطائه، والتعفف عن سؤال غيره أو دعائه، قال – عز وجل –: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٧٣] .

---

(١) البخاري في الأذان، باب فضل السجود١/٢٧٨ (٧٧٣) .

(٢) البخاري في الدعوات، باب الدعاء بكثرة المال والولد مع البركة٥/٢٣٤٤ (٦٠١٧) .

(٣) أحمد في المسند ٣/٤٢٤، وصححه الألباني في الأدب المفرد (٦٩٩) ." [(٢)]

٩-"التي أمر الله بها، مثل: الإسلام والإيمان والإحسان،.....................

ومنه الدعاء (١)، ....

---

(١) فائدة: الدعاء لغة: هو النداء والطلب، وشرعاً: سؤال العبد ربه – عن رغبة ورهبة – جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره في العاجل والآجل أو هو سؤال الحاجة من أمر الدنيا والآخرة، والدعاء نوعان:

الأول: دعاء ثناء وهو أن يثني العبد على الله تعالى بصفات كماله ونعوت عظمته وجلاله كأن يقول: لا إله إلا الله أكبر كبيراً، الحمد لله كثيراً، سبحان الله العظيم فيثني على الله تعالى بهذه الكلمات ونحوها مثل يا رب العالمين يا أرحم الراحمين تعبداً لله تعالى أي طلباً لثوابه أو توسلاً إلى الله تعالى في التماس حاجته.

---

(١) أسماء الله الحسنى ٣٥/٢١٥

(٢) أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة ٣/٣٧

الثاني: دعاء مسألة وهو طلب العبد الحاجات من الله تعالى وبهذا صار دعاء عبادة لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى، كأن يقول: ربي اغفر لي، وارحمني، وارزقني، وعافني، وهكذا واللجوء إليه واعتقاد أنه يقضي الحاجة لإحاطة سمعه وبصره وعظم غناه وسعة جوده وفضله وكمال قدرته.

وقد ذكر الشيخ – رحمه الله – الدعاء (أولاً)، لأن أكثر الشرك الواقع من الناس فيه فهو أكثر وأعظم ما يقع من أنواع الشرك، ودعاء الله وحده هو أعظم وأهم أنواع العبادة، وهو من العبادات القلبية لتوجه القلب إلى الله تعالى وثقته به، ومن العبادات اللسانية لذكر الله تعالى والضراعة إليه بطلب الحاجة، فإن كانت الحاجة مما لا يقدر عليها إلا الله فطلبها من الله توحيد، لاعتقاد الطالب بأن الله هو الذي يتصرف ويعطي، وطلبها من غير الله شرك أكبر يجتمع فيه الشرك في الربوبية والشرك في العبادة، أما إن طلب من المخلوق شيئاً يقدر عليه فلا شيء في ذلك لكن يجب أن **يتعلق القلب** بالله تعالى ويعتقد أنه وحده هو الميسر لذلك الأمر وإنما المخلوق سبب ووسيلة، فإن التفت القلب إلى المخلوق بشيء من الاعتماد والثقة فقد أشرك شركاً أصغر.". (١)

١٠–"٢ – لا يستحق العبادة إلا الله الذي له ملك السماوات والأرض ، لأن الإنسان يتقرب إلى الإله الذي يجلب له النفع ويدفع عنه الضر ، ويصرف عنه الشر والفتن ، وهذه الأمور لا يستطيعها إلا من ملك السماوات والأرض وما بينهما ، ولو كان معه آلهة كما يقول المشركون لاتخذ العباد السبل الموصلة إلى عبادة الله الملك الحق ، لأن جميع هؤلاء المعبودين من دون الله إنما كانوا يعبدون الله ويتقربون إليه ، فحري بمن أراد أن يتقرب إلى من بيده النفع والضر أن يعبد الإله الحق الذي يعبده من في السماوات والأرض بما فيهم هؤلاء الآلهة المعبودون من دون الله ، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ (١) ، وليقرأ مريد الحق قوله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ٢٢ ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾﴿ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ ﴾ (٢) ، فإن هذه الآيات تقطع **تعلق القلب** بغير الله بأربعة أمور هي :

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٤٢ .

(٢) سورة سبأ ، الآيتان : ٢٣ ، ٢٤ .". (٢)

١١–"(تم): المقصود من هذا الحديث ذكر لفظ التعلق، وتعلق يعني: أنه علق وتعلق قلبه بما علق، ولفظ (تعلق) يشمل التعليق **وتعلق القلب** بما علق فهو نوع لبس. والمعنى: أنه تعلق قلبه بما لبس، سواء كان المعلق في صدره أو يده أو في أي موضع آخر، فالمقصود أن يكون قلبه معلقاً بما تعلقه. والتميمة لها معنى سيأتي شرحه لاحقاً –إن شاء الله تعالى–

---

(١) إفادة المسئول عن ثلاثة الأصول للشيخ عبدالله القصير ص/٢٧

(٢) الإسلام أصوله ومبادئه ص/٢٨

لكن هي نوع خرزات وأشياء توضع على صدور الصغار غالباً، وقد يضعها الكبار لأجل دفع العين أو دفع الضرر أو الحسد أو أثر الشياطين ونحو ذلك.

وقوله: (فلا أتم الله له) دعاء منه – صلى الله عليه وسلم – على معلقها بألا يتم الله له مراده؛ لأن التميمة أخذت من تمام الأمر وسميت تميمة؛ لاعتقاده فيها أنه بها يتم له الأمر الذي أراد فدعا عليه الرسول–عليه الصلاة والسلام– بألا يتم الله – جل وعلا– له ما أراد.

وقوله: (ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له) الودعة نوع من الصدف أو الخرز يوضع على صدور الناس أو يعلق على العضد ونحو ذلك، لأجل دفع أو رفع العين ونحوها من الآفات ومعنى قوله: (فلا ودع الله له) دعاء عليه – أيضاً– ومعناه: فلا تركه ذلك ولا جعله في دعة وسكون وراحة، وإنما دعا –عليه الصلاة والسلام– عليه بذلك؛ لأن ذاك المعلق أشرك بالله –جل وعلا–.

(ق): وقيل: لا ترك الله له خيراً، فعومل بنقيض قصده.

وفي رواية: (من تعلق تميمة فقد أشرك)

(تم): قال: وفي رواية: (من تعلق تميمة فقد أشرك)؛ لأن تعليق التمائم والتعلق بها شرك أصغر، وقد يكون أكبر بحسب حال المعلق.

(ف): قال أبو السعادات: إنما جعلها شركاً لأنهم أرادوا دفع المقادير المكتوبة عليهم، وطلبوا دفع الأذى من غير الله الذي هو دافعه.

ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه، وتلا قوله:". (١)

١٢–"(تم): والنسك في قوله ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي ﴾ (الأنعام: من الآية١٦٢)هو الذبح، أو النحر يعني: التقرب بالدم، والتقرب بالدم لله –جل وعلا– عبادة عظيمة؛ لأن الذبائح أو المنحورات، من الإبل، أو البقر، أو الغنم أو الضأن، مما تعظم في نفوس أهلها، ونحرها تقربا إلى الله –جل وعلا–، والصدقة بها عبادة عظيمة فيها إراقة الدم لله، وفيها **تعلق القلب** بحسن الثواب من الله –جل وعلا–، وفيها حسن الظن بالله –تبارك وتعالى–، وفيها التخلص من الشح، والرغب فيما عند الله –سبحانه– بإزهاق نفس عزيزة عند أهلها، ولهذا كان النحر والذبح عبادة من العبادات العظيمة التي يحبها الله –جل وعلا–.

وقد دلت هذه الآية على أن النحر والصلاة عبادتان؛ لأنه جعل النسيكة لله، والله –جل وعلا– له من أعمال خلقه

---

(١) الترتيب الفريد من شروحات كتاب التوحيد ١٧/١١

العبادات؛ فدل قوله: "ونسكي" على أن النسك عبادة من العبادات، وأنه مستحق لله -جل علا-.

(ق): وقيل: تحمل على المعنى اللغوي، لأنه أعم، فالنسك العبادة، كأنه يقول: أنا لا أدعو إلا الله ، ولا أعبد إلا الله ، وهذا عام للدعاء والتعبد. وإذا حملت على المعنى الشرعي، صارت خاصة في نوع من العبادات، وهي: الصلاة، والنسك، ويكون هذا كمثال، فإن الصلاة أعلى العبادات البدنية، والذبح أعلى العبادات المالية، لأنه على سبيل التعظيم لا يقع إلى قربة، هكذا قرر شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة. ويحتاج إلى مناقشة في مسألة أن القربان أعلى أنواع العبادات المالية، فإن الزكاة لا شك أنها أعظم، وهي عبادة مالية. وهناك رأي ثالث يقول: إن الصلاة هي الصلاة المعروفة شرعاً، والنسك: العبادة مطلقاً، ويكون ذلك من عطف العام على الخاص.". [١]

١٣-"ورواه ابن ماجه وابن حبان. ولفظ أبي داود الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك. ثلاثاً وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله تعالى.

قال ابن حمدان: تكره الطيرة، وكذا قال غيره من أصحاب أحمد.

قال ابن مفلح: والأولى القطع بتحريمها لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروهاً الكراهية الإصطلاحية؟

قال في شرح السنن: وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضراً إذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوا مع الله تعالى.

(ق): قوله: (الطيرة شرك، الطيرة شرك). هاتان الجملتان يؤكد بعضهما بعضا من باب التوكيد اللفظي.

وقوله: (شرك). أي: إنها من أنواع الشرك، وليست الشرك كله، وإلا؛ لقال: الطيرة شرك.

وهل المراد بالشرك هنا الشرك الأكبر المخرج من الملة، أو أنها نوع من أنواع الشرك؟

نقول: هي نوع من أنواع الشرك؛ كقوله - صلى الله عليه وسلم -: (اثنتان في الناس هما بهم كفر)(١)؛ أي: ليس الكفر المخرج عن الملة، وإلا، لقال: (هما بهم الكفر)، بل هما نوع من الكفر.

لكن في ترك الصلاة قال: (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)(٢)، فقال: (الكفر)؛ فيجب أن نعرف الفرق بين (أل) المعرفة أو الدالة على الاستغراق، وبين خلو اللفظ منها، فإذا قيل: هذا كفر؛ فالمراد أنه نوع من الكفر لا يخرج من الملة، وإذا قيل: هذا الكفر؛ فهو المخرج من الملة.

---

(١) مسلم: كتاب الإيمان / باب إطلاق اسم الكفر على الطعن في النسب والنياحة، حديث (٦٧).

(٢) مسلم: كتاب الإيمان / باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة، حديث (٨٢).". [٢]

---

(١) الترتيب الفريد من شروحات كتاب التوحيد ٦/١٤

(٢) الترتيب الفريد من شروحات كتاب التوحيد ٢٠/٣٢

١٤-"(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين). أخرجاه (١)

قوله في حديث أنس: (لا يؤمن). هذا نفي للإيمان، ونفي الإيمان تارة يراد به نفي الكمال الواجب، وتارة يراد به نفي الوجود، أي: نفي الأصل.

والمنفي في هذا الحديث هو كمال الإيمان الواجب، إلا إذا خلا القلب من محبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إطلاقا، فلا شك أن هذا نفي لأصل الإيمان.

(ف): فمن قال: إن المنفي هو الكمال، فإن أراد الكمال الواجب الذي يذم تاركه ويعرض للعقوبة فقد صدق، وإن أراد أن المنفي الكمال المستحب، فهذا لم يقع قط في كلام الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -. قاله شيخ الإسلام رحمه الله

.

فمن ادعى محبة النبي - صلى الله عليه وسلم - بدون متابعته وتقديم قوله على قول غيره فقد كذب كما قال تعالى: ' ٢٤: ٤٧ ' ﴿ ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ﴾ فنفى الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، لكن كل مسلم يكون محباً بقدر ما معه من الإسلام وكل مسلم لا بد أن يكون مؤمناً وإن لم يكن مؤمناً الإيمان المطلق. لأن ذلك لا يحصل إلا لخواص المؤمنين.

(ق): قوله: (من ولده). يشمل الذكر والأنثى، وبدأ بمحبة الولد، لأن **تعلق القلب** به أشد من تعلقه بأبيه غالبا.

قوله: (ووالده) يشمل أباه، وجده وإن علا، وأمه، وجدته وإن علت.

قوله: (والناس أجمعين). يشمل اخوته وأعمامه وأبناءهم وأصحابه ونفسه، لأنه من الناس، فلا يتم الإيمان حتى يكون الرسول أحب إليه من جميع المخلوقين.

---

(١) البخاري: كتاب الإيمان / باب حب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإيمان، حديث (١٥)، ومسلم: كتاب الإيمان / باب وجوب محبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - أكثر من الأهل حديث (٤٤).". (١)

١٥-"ثم قال : « ولا يكتوون » : والكي مكروه في أصله ؛ لأن فيه تعذيبا بالنار ، مع أنه مأذون به شرعا ، لكن فيه كراهة . والعرب تعتقد أن الكي يحدث المقصود دائما ؛ فلهذا تتعلق قلوبهم بالكي . فصار **تعلق القلب** بهذا الكي من جهة أنه سبب يؤثر دائما ، ومعلوم أن الكي يؤثر - بإذن الله جل وعلا - : إذا اجتمعت الأسباب ، وانتفت الموانع . فالنفي لأجل أن في الكي بخصوصه ما يتعلق الناس به من أجله .

ثم قال : « ولا يتطيرون » : والطيرة شيء يعرض على القلب من جراء شيء يحدث أمامه ؛ فيجعله يقدم على أمر ، أو

---

(١) الترتيب الفريد من شروحات كتاب التوحيد ١١/٣٥

يحجم عنه ، وهذه صفة من لم يكن التوكل في قلبه عظيما .". [١]

١٦-"ثم قال بعدها : « وعلى ربهم يتوكلون » : وهي جامعة للصفات السابقة . وهذه الصفات ليس المقصود منها أن الذين حققوا التوحيد لا يباشرون الأسباب ، كما فهمه بعضهم ، وأن الكمال ألا يباشر سببا البتة ، أو ألا يتداوى البتة ! وهذا غلط ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم رُقي : (١) ولأنه – عليه الصلاة والسلام – تداوى وأمر بالتداوي (٢) وأمر أيضا بعض الصحابة بأن يكتوي (٣) ونحو ذلك فليس في الحديث أن أولئك لا يباشرون الأسباب مطلقا ، أو لا يباشرون أسباب الدواء ، وإنما فيه ذكر لهذه الثلاث بخصوصها ، لأنه يكثر **تعلق القلب** والتفاته إلى الراقي ، أو إلى الكي ، أو الكاوي ، أو إلى التطير ، ففيها إنقاص من مقام التوكل . أما التداوي : فهو مشروع ، وهو : إما واجب ، أو مستحب ، وقد يكون في بعض الأحوال مباحا ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام » (٤) فالمقصود من هذا : أن التداوي ليس خارما لتحقيق التوحيد ولكن الذي هو من صفة أهل تحقيق التوحيد أنهم لا يسترقون بخصوص الرقية ، ولا يكتوون بخصوص الكي ، ولا يتطيرون ، وأما ما عدا ذلك مما أذن به ، فلا يدخل فيما يختص به أهل تحقيق التوحيد .

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٦) والترمذي (٩٧٢) .
(٢) أخرجه أحمد (٤ / ٢٧٨) والترمذي (٢٠٣٩) .
(٣) أخرجه البخاري (٥٦٨٠) ، (٥٦٨١) .
(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤) والترمذي (٢٠٤٥) .". [٢]

١٧-"هذه القاعدة صحيحة – في الجملة – لكن قد يُشْكِل دخول بعض الأمثلة فيها ، لكن المقصود من هذا الباب : إثبات أن الأسباب لا بد أن تكون إما من جهة الشرع، وإما من جهة التجربة الظاهرة ، مثل : دواء الطبيب بالنار ، ومثل : الانتفاع ببعض الأسباب التي فيها الانتفاع ظاهر ، كأن تتدفأ بالنار أو تتبرد بالماء أو نحو ذلك ، فهذه أسباب ظاهرة بَيِّنَةُ الأثر ، فتحصَّل من هذا : أن **تعلّق القلب** بشيء لرفع البلاء ، أو دفعه لم يجعله الشارع سببا ، ولم يأذن به ، يكون نوع شرك ، وهذا مراد الشيخ بهذا الباب ؛ فإن لبس الخيط والحلقة من الشرك الأصغر .". [٣]

١٨-"وهنا تنبيه : وهو أن كل أصناف الشرك الأصغر قد تكون شركا أكبر بحسب حال من فعلها : فالأصل : أن لبس الحلقة أو الخيط . وتعليق التمائم ، والحلف بغير الله ، وقول : ما شاء الله وشئت ، ونحو ذلك من الأعمال ، أو

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ٣٤/١
(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ٣٥/١
(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ١١٨/١

الاعتقادات ، أو الأقوال الأصل فيها : أنها من الشرك الأصغر ، لكن قد تكون شركا أكبر بحسب حال صاحبها ، يعني : إن اعتقد في الحلقة والخيط مثلا أنها تؤثر بنفسها : فهذا شرك أكبر ، وإذا اعتقد أنها ليست سببا لكن تؤثر بنفسها وتدفع الضرر بنفسها ، فتدفع المرض بنفسها ، وتدفع العين بنفسها ، أو ترفع المرض بنفسها ، أو ترفع العين بنفسها . فإذا اعتقد أنها ليست أسبابا بل هي مؤثرة بنفسها : فقد وقع في الشرك الأكبر ؛ لأنه جعل التصرف في هذا الكون لأشياء مع الله – جل وعلا – ، ومعلوم أن هذا من أفراد الربوبية ، فيكون ذلك شركا في الربوبية فعماد هذا الباب على **تعلّق القلب** بهذه الأشياء : كالحلقة ، والخيط ، ونحوهما ؛ لدفع ما يسوؤه ، أو لرفع ما حل به من مصائب .". (١)

١٩–"وإذًا فيكون الشرك الأكبر : ما ضم هذه الثلاثة . وإذا تأملت ما يصنعه عباد القبور والخرافيون في الأزمنة المتأخرة وفي زماننا هذا : وجدت أنهم يصنعون مثل ما كان المشركون الأولون يصنعون عند اللات ، وعند العزى ، وعند ذات أنواط ، ويعتقدون في القبر ، بل يعتقدون في الحديد الذي يُسيَّج به القبر ، فترى الناس في البلاد التي يفشو فيها الشرك يعتقدون في الحائط الذي على القبر ، أو في الشباك الحديدي الذي يحيط بالقبر ، فإذا تمسحوا به فكأنهم تمسحوا بالمقبور ، واتصلت روحهم به ، واعتقدوا أنه سيتوسط لهم ؛ لأنهم عظموه ، فهذا شرك أكبر بالله – جل وعلا – ؛ لأن فعلهم هذا : راجع إلى **تعلق القلب** في جلب النفع ، وفي دفع الضر بغير الله – جل وعلا – وجعْله وسيلة إلى الله – جل وعلا – كفعل الأولين الذين قال الله فيهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ .". (٢)

٢٠–"والنسك في قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ هو : الذبح أو النحر ، يعني : التقرب بالدم ، والتقرب بالدم لله – جل وعلا – : عبادة عظيمة ؛ لأن الذبائح ، أو المنحورات من الإبل أو البقر ، أو الغنم ، أو الضأن ، مما تعظم في نفوس أهلها ، ونحرها تقربا إلى الله – جل وعلا – والصدقة بها عبادة عظيمة ، فيها إراقة الدم لله ، وفيها **تعلق القلب** بحسن الثواب من الله – جل وعلا – ، وفيها حسن الظن بالله تبارك وتعالى ، وفيها التخلص من الشح ، والرغب فيما عند الله سبحانه ، بإزهاق نفس عزيزة عند أهلها ؛ ولهذا كان النحر ، والذبح عبادة من العبادات العظيمة التي يحبها الله – جل وعلا – .

وقد دلت هذه الآية على أن النحر والصلاة عبادتان ؛ لأنه جعل النسيكة لله ، والله – جل وعلا – له من أعمال خلقه العبادات فدل قوله (وَنُسُكِي) على أن النسك عبادة من العبادات ، وأنه مُستحَق لله – جل وعلا – .". (٣)

٢١–"وقد سبق بيان أن خبر (لا) النافية للجنس يحذف كثيرا في لغة العرب إذا كان معلوما ، كما قال ابن مالك في آخر باب (لا) النافية للجنس في الألفية :

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ١/١١٩

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ١/١٧٧

(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ١/١٩٠

وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر ... إذا المراد مع سقوطه ظهر

" ولهما عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا عدوى » . يعني لا عدوى مؤثرة بنفسها ، بل بإذن الله – جل وعلا– .

" ولا طيرة " : مؤثرة أصلا ، وإنما ذلك راجع إلى قضاء الله وقدره .

قوله : « ويعجبني الفأل " قالوا : وما الفأل؟ قال : " الكلمة الطيبة » (١) : كان –عليه الصلاة والسلام– يحب الفأل وفسره بأنه الكلمة الطيبة ؛ لأن الكلمة الطيبة إذا سمعها فتفاءل بها ، وأنه سيحصل له كذا وكذا من الخيرات ، يكون من باب حسن الظن بالله– جل وعلا– ، فالفأل حسن ظن بالله ، والتشاؤم سوء ظن بالله– جل وعلا– ؛ ولهذا كان الفأل ممدوحا ومحمودا ، والشؤم مذموما .

ومعلوم أن العبد مأمور بأن يحسن الظن بالرب– جل وعلا– ولهذا كان –عليه الصلاة والسلام– يتفاءل ، وكل ذلك من تعظيم الله – جل وعلا– وحسن الظن به **وتعلق القلب** به ، وأنه لا يفعل للعبد إلا ما هو أصلح له .

---

(١) أخرجه البخاري في (٥٧٧٦) ومسلم (٢٢٢٤) ." [1]

٢٢–"الجواب : إن قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب أنهم : « هم الذين لا يسترقون » (١) معناه : لا يطلبون الرقية ، وفهم جواب السؤال يتبع فهم التعليل ، ذلك أن أولئك كانوا لا يسترقون ، يعني لا يطلبون الرقية ، لأجل ما قام في قلوبهم من الاستغناء بالله ، وعدم الحاجة إلى الخلق ، ولم تتعلق قلوبهم بالخلق في رفع ما حل بهم ، وكما ذكرت لك فإن مدار العلة على **تعلق القلب** بالراقي ، أو بالرقية في رفع ما بالمرقي من أذى ، أو في دفع ما قد يتوقع من السوء ، وعليه فيكون الحالان سواء ، يعني : إن كان طلب بنفسه ، أو طلب بغيره فإنه طالب ، والقلب متعلق بمن طلب منه الرقية إما بالأصالة أو بالواسطة .

سؤال : ما حكم من يقول له أهله : اذبح ذبيحة ووزعها على المساكين دفعا لبلاء ما ، فهل تجوز تلك النية ؟

الجواب : هذا فيه تفصيل ، ذلك أن ذبح الذبائح إذا كان من جهة الصدقة ، ولم يكن لدفع شيء متوقع ، أو لرفع شيء حاصل ، ولكن من جهة الصدقة ، وإطعام الفقراء ، فهذا لا بأس به وهو داخل في عموم الأدلة التي فيها الحض على الإطعام ، وفضيلة إطعام المساكين .

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ٤٧٨/١

(١) تقدم .". [(١)]

٢٣-"وأما الحديث الذي في الصحيح من « أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سئل : هل نفعت عمك أبا طالب بشيء؟ قال : " هو في ضحضاح من النار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » (١) ، فقوله عليه الصلاة والسلام : " لولا أنا " هذا فيه ذكر لعمله – عليه الصلاة والسلام – وافترق عن قول القائل : لولا فلان لحصل كذا ، من جهتين : الجهة الأولى : أن ذلك القائل هو الذي حصلت له النعمة ، أو اندفعت عنه النقمة ، والنبي – صلى الله عليه وسلم – هنا – يخبر عن صنيعه بعمه ، وأن عمه اندفعت عنه بعض النقمة ، فذلك النهي في المتحدث الذي تعلق قلبه بالذي نفعه أو دفع عنه الضر ، وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لولا أنا " فهو إخبار عن نفعه لغيره ، فليس فيه **تعلق القلب** ، في اندفاع النقمة ، أو حصول النعمة بغير الله – جل وعلا – ، هذا وجه ، فتكون العلة التي من أجلها نهي عن قول : لولا كذا ، لما فيها من نسبة النعمة إلى غير الله ، من جهة **تعلق القلب** بذلك الذي حصل له النعمة ، وهذا غير وارد في قول النبي عليه الصلاة والسلام : « لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » ؛ لأنه – عليه الصلاة والسلام – ليس هو الذي حصلت له النعمة ، وإنما

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٥) و (٦٥٦٤) ومسلم (٣٦٠) .". [(٢)]

٢٤-"وبين رحمه الله أن تعليق التمائم والودع والحروز من الشرك فمن تعلق شيئاً وُكل إليه وقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. إن الرقى والتمائم والتولة شرك رواه احمد وأبو داود)وحذر من التبرك بشجر أو حجر أو نحوهما وحذر من الذبح لغير الله . كما حذر رحمه الله من وسائل الشرك ومن ذلك الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله وحذر من النذر لغير الله أو الاستعاذة بغيره أو الاستعانة بغير الله فيما لايقدر عليه إلا الله .

وبين أنه لابد من تعظيم الله سبحانه وأنه يجب الحذر من الشرك والبعد عن طرقه وعدم **تعلق القلب** بغير الله بأي وسيلة من الوسائل التي تؤدي إلى زعزعة التوحيد أو اجتثاثه من أصله كما يفعله المشركون من دعائهم للملائكة والأنبياء وتبريرهم شركهم بأن هذا إنما هو من باب الشفاعة وبقولهم ومانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى .

فذكر رحمه الله باب الشفاعة وأن المشرك ليس له في الشفاعة حظ ولانصيب وإنما الشفاعة المثبة هي التي تقع بإذن الله تعالى ورضاه عن الشافع والمشفوع له .

وبين المؤلف رحمه الله أن الهداية كلها بيد الله تعالى فهوالذي تفرد بهداية القلوب . فقال باب قوله تعالى (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) .

كما حذر من الغلو في الصالحين وبين أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هوالغلو في الصالحين وحذر من التعلق بقبور

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ٣٤٥/٢

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد ٣٩٢/٢

الصالحين والعبادة عندها فكيف إذا زاد الأمر بعبادتها فقال(باب ماجاء من التغليظ فيمن عَبِدَ الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده)."[1]

٢٥-"فإن رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثواب حجة القبر بحجة إلى البيت الحرام ، فيأبى ويقول : ولا بعشر حجج إلى البيت الحرام)) .

إن معالجة انحرافات القبوريين تكمن في ثلاثة مسالك (١) :

الأول : المسلك العلمي : وهذا يقوم به العلماء ، وطلبة العلم ، فإن القبوريين يعولون في تلقيهم واستدلالاتهم على المنامات والأحاديث المكذوبة والحكايات المزعومة فيتعين عليكم طلبة العلم فساد وكشف عوار مسلك أولئك القبوريين ، وبيان تهافته ، وفساد التعويل على تلك المنامات والأحلام والأحاديث الموضوعة ، والحكايات المزعومة ، مع تقرير المنهج الصحيح في التلقي والاستدلال كالاعتماد على الكتاب والسنة الصحيحة ، واعتبار فهم السلف الصالح ونحو ذلك .

ثانياً : معالجة إنحراف القبوريين في المسلك الدعوي : وذلك أن يعنى العلماء والدعاة بتقرير التوحيد في تلك المجتمعات المولعة بتعظيم القبور والغلو فيها ، وأن يجتهدوا في تجلية مفهوم التوحيد ، وضرورة **تعلق القلب** بالله سبحانه وتعالى .

وأيضاً أن تربى الأمة عموماً على أهمية التسليم لنصوص الكتاب والسنة ، والتحاكم إليهما ؛ ليس هذا وحسب ؛ بل وانشراح الصدر لذلك ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ .

ثالثاً : دعوتهم إلى التفكير والتأمل ومخاطبة عقولهم ، فإن الغلو في الأضرحة وتقديس القبور لا يظهر إلا عند أقوام الغوا عقولهم ، وعطلوا تفكيرهم .

أما المسلك الثالث : فهو المسلك الاحتسابي :

---

(١) دمعة على التوحيد ."[2]

---

(١) التوحيد الذي هو حق الله على العبيد – العياف ص/٧٥

(٢) التوحيد بين الواقع والمأمول ص/١٤

٢٦-"ص -٥٩- ... وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا: " من تعلق شيئا وكل إليه "١ رواه أحمد والترمذي.

التمائم: شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

الرقى: هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم من العين والحمى.

والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

....

ابن مسعود أن عبد الله رأى في عنقي خيطا فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رقي لي فيه، قالت: فأخذه فقطعه ثم قال: أنتم آل عبد الله الأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: " إن الرقى والتمائم والتولة شرك "، قال المصنف - رحمه الله تعالى -: "لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود - رضي الله عنه - ". والمقصود بيان أن هذه الأمور الشركية وإن خفيت فقد نهى عنها رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصحابه لكمال علمهم بما دلت عليه لا إله إلا الله من نفي الشرك قليله وكثيره؛ **لتعلق القلب** بغير الله في دفع ضر أو جلب نفع، وقد عمت البلوى بما هو أعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة، فمن عرف هذه الأمور الشركية المذكورة في هذين البابين عرف ما وقع مما هو أعظم من ذلك كما تقدم بيانه، وفيه ما كان عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم من التحذير من الشرك والتغليظ في إنكاره، وإن كان من الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر، وقد تقدم دليله في الباب قبل هذا.

وقوله: "وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا " من تعلق شيئا وكل إليه "رواه أحمد والترمذي " وعبد الله بن عكيم بضم المهملة مصغرا ويكنى أبا معبد الجهني الكوفي. قال". (١)

٢٧-"قوله: " اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك "أي لا تأتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع المكروهات بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات. والحسنات هنا: النعم، والسيئات: المصائب، ففيه نفي **تعلق القلب**

---

١ رواه البخاري رقم (٥٧٥٦) في الطب: باب الفأل ورقم (٥٧٧٦): باب لا عدوى ، ومسلم رقم (٢٢٢٤) في السلام: باب الطيرة والفأل ، وأبو داود رقم (٣٩١٦) في الطب: باب في الطيرة، والترمذي رقم (١٦١٥) في السير: باب ما جاء في الطيرة ، وابن ماجه رقم (٣٥٣٧) في الطب: باب من كان يعجبه الفأل... إلخ ، وأحمد في"المسند" ٣ / ١١٨ و ١٣٠ و ١٥٤ و١٧٣ و١٧٨ و ٢٧٦.

---

(١) التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ص/١١٣

٢ رواه أبو داود رقم (٣٧١٩) في الطب: باب في الطيرة ، وإسناده ضعيف، وعروة بن عامر قال الحافظ: مختلف في صحبته. وانظر جامع الأصول (٥٨٠١).". [1]

٢٨-"ص -١٥١- ... وعن ابن مسعود مرفوعا: " الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل "١ رواه أبو داود، والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود.

....

....

بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا، ويعد من اعتقدها سفيها مشركا.

قوله: "ولا حول ولا قوة إلا بك "، والحول التحول والانتقال من حال إلى حال والقوة على ذلك بالله وحده، ففيه التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته، وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليل على توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة وهو توحيد القصد والإرادة وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله.

قوله: "وعن ابن مسعود مرفوعا: "الطيرة شرك. الطيرة شرك وما منا إلا... ولكن الله يذهبه بالتوكل "، رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود " ولفظ أبي داود: "الطيرة شرك " ثلاثا، وهذا صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك لما فيها من **تعلق القلب** بغير الله، قال ابن مفلح: الأولى القطع بتحريمها؛ لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروها الكراهة الاصطلاحية. قوله: "وما منا إلا " قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري: في الحديث إضمار التقدير: وما منا إلا وقد وقع في شيء من ذلك. انتهى.

________". [2]

٢٩-"ص -٦٦- ... فيه مسائل:

الأولى "تفسير الرقى والتمائم" أي الرقى هي التي تسمى العزائم، والتمائم شيء يعلقونه يزعمون أنه يدفع العين.

الثانية "تفسير التولة" أي ما يصنعون يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته وهو ضرب من السحر.

الثالثة "أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء" أي كما دل عليه حديث ابن مسعود لما فيه من **تعلق القلب** على غير الله إلا ما دل الدليل على جوازه ولم يعلق العبد قلبه عليه كما رخص في الرقى ما لم تكن شركا.

الرابعة "أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك" أي ليس مما نهي عنه إذا اجتمعت شروطه وهي أن يكون بأسماء الله وصفاته وأن يكون باللسان العربي وما يعرف معناه وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بنفسها بل بتقدير الله كما ذكره الشارح عن السيوطي.

---

(١) التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ص/٢٨٠

(٢) التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين ص/٢٨١

الخامسة "أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا" أي هل هي مما نهي عنه أم لا والراجح أنها داخلة في المنهي عنه لأمور ثلاثة: عموم النهي ولا مخصص، وكون المعلق لها يمتهنها بدخول الخلاء وهي عليه، وكون ذلك وسيلة إلى تعليق ما ليس من القرآن كما أشار إلى ذلك في الشرح.

السادسة "أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك" أي مما نهي عنه لكونه أمر بقطعه وتوعد من تقلده.

السابعة "الوعيد الشديد على من تعلق وترا" أي لقوله: "أو تقلد وترا" إلى أن قال: "فإن محمدا بريء منه".". (١)

٣٠-"ج: المقصود بالطب هنا السحر. ومعنى يؤخذ عن امرأته يحبس عنها فلا يصل إلى جماعها. والمراد بقوله أيحل عنه أي ينقض عنه السحر. أو ينشر أي يكشف ويزال عنه.

فقال: لا باس به يعني النشرة أن لا بأس بها لأنهم يريدون بها الإصلاح وهو إزالة السحر ولم ينه عما يراد به الإصلاح وهذا محمول على النشرة الخالية من السحر كما تقدم والله أعلم.

#***

٢٨- «باب ما جاء في التطير»

أي من النهي عنه والوعيد فيه

س: اذكر مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن الطيرة من الشرك المنافي للتوحيد أو لكماله الواجب لما فيها من **تعلق القلب** بغير الله.

س: عرف التطير واذكر حكمه؟

ج: التطير هو التشاؤم بمرئي أو مسموع من الطيور ونحوها وحكمه التحريم لأنه من الشرك.

قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ (٢) .

س: اشرح هاتين الآيتين وبين مناسبتها للباب؟

ج: أخبر الله تعالى في الآية الأولى أن آل فرعون كانوا إذا أصابتهم الحسنة وهي الخصب والسعة والرخاء ﴿ قَالُوا لَنَا هَذِهِ ﴾ أي نحن الحقيقيون والجديرون ونحن أهلها ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ أي بلاء وقحط تطيروا بموسى ومن معه فيقولون هذا بسبب موسى وأصحابه فقال تعالى ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ ﴾ أي ما قضى عليهم وقدر لهم ﴿ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي بحكمه وقضائه بسبب كفرهم وتكذيبهم لآيات الله ورسله ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لا يفهمون ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عليه السلام إلا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبعه.#

قوله تعالى: ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ المعنى والله أعلم حظكم وما نالكم من شر معكم بسبب أفعالكم وكفركم ليس من

---

(١) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد ص/٥٨

أجلنا ولا بسببنا.

---

(١) سورة الأعراف آية (١٣١).

(٢) سورة يس آية (١٩).". [١]

٣١-"س: كم أنواع الطيرة وما هي؟ وما الفأل وما الفرق بينه وبين الطيرة؟

ج: الطيرة نوعان:

أحدهما: الفأل وهو الكلمة الطيبة أي الكلام الحسن يسمعه الإنسان فيسره ويقوى رجاؤه وثقته بالله تعالى وهو محمود لأنه حسن ظن بالله.

ومثاله: أن يكون الإنسان مريضًا فيسمع رجلاً يقول يا سالم أو يكون فاقدًا ضالة فيسمع آخر يقول يا واجد فيقع في قلبه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته.

النوع الثاني: الطيرة المحرمة وهي ما يحمل الإنسان على المضي فيما أراده أو يمنعه من المضي فيه وهي مذمومة لأن فيها اعتمادًا على غير الله وسوء ظن به.

والفرق بين الفأل والطيرة: أن الفأل يستعمل فيما يسر ويسوء والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء.#

س: ما معنى قوله – صلى الله عليه وسلم – : «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك» وما المراد بالحسنات والسيئات هنا؟ وما الذي يستفاد من هذا الدعاء؟

ج: المعنى لا تأتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع المكروهات بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات. والمراد بالحسنات هنا النعم والسيئات المصائب.

ومعنى لا حول ولا قوة إلا بك: الحول التحول والانتقال أي لا تحول من حال إلى حال ولا قوة على ذلك إلا بالله وحده لا شريك له.

ويستفاد من هذا الدعاء:

١ – التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته.

٢– نفي **تعلق القلب** بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر.

عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا «الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل» رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود.

س: ما الذي يؤخذ من هذا الحديث ولماذا صارت الطيرة من الشرك وما نوع هذا الشرك وما معنى قول ابن مسعود وما منا

---

(١) الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة على كتاب التوحيد ص/٧١

إلا ولكن الله يذهبه

بالتوكل؟

ج: يؤخذ منه تحريم الطيرة وأنها من الشرك، لما فيها من التعلق على غير الله. والمراد بالشرك هنا الشرك الخفي.". [1]

٣٢-"ومعنى قول ابن مسعود: وما منا إلا؛ أي إلا وقد وقع في قلبه شيء من الطيرة، ولكن لما توكلنا على الله واعتمدنا عليه أذهبه الله عنا بتوكلنا واعتمادنا#

عليه وحده.

ولأحمد من حديث ابن عمر «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك قالوا فما كفارة ذلك قال أن تقول اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك» وله من حديث الفضل بن عباس رضي الله عنه إنما الطيرة ما أمضاك أوردك.

س: ما معنى هذا الحديث وما الذي يتضمن؟

ج: معناه لا يجلب الخير ولا يدفع الشر غيرك ولا معبود سواك ويتضمن الاعتماد على الله وحده والإعراض عما سواه وأن الطيرة لا تضر من كرهها ومضى في طريقه.

وقوله: «إنما الطيرة ما أمضاك أوردك» هذا بيان الطيرة المنهي عنها أنها ما يحمل الإنسان على المضي فيما أراد أو يمنعه من المضي فيه كما تقدم.

والله سبحانه وتعالى أعلم.

***#

٢٩- باب ما جاء في التنجيم

س: ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟

ج: هي أن بعض أنواع التنجيم من الشرك المنافي للتوحيد.

س: اذكر أنواع التنجيم مع التعريف لكل نوع وبيان حكمه؟

ج: التنجيم نوعان:

الأول: يسمى علم التأثير وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية وهذا النوع محرم لأنه من الشرك المنافي للتوحيد لما فيه من ادعاء علم الغيب **وتعلق القلب** بغير الله تعالى.

والنوع الثاني: علم التسيير وهو الاستدلال بالشمس والقمر والنجوم على القبلة والأوقات والجهات وهذا النوع جائز كما تقدم.

س: ما الحكمة في خلق النجوم مع ذكر الدليل وما حكم من زعم فيها غير ما خلقت له؟

---

(١) الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة على كتاب التوحيد ص/٧٣

ج: خلق الله النجوم لثلاث خصال:

١- زينة للسماء كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ (١) .

٢- ورجومًا للشياطين قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة الملك آية (٥).

(٢) سورة الملك آية (٥).". [١]

٣٣-"ص -٣٠٥- ... من تتمة المتن:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما- قال: " حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. قالها إبراهيم -عليه السلام- حين ألقي في النار. وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ".

رواه البخاري والنسائي١.

ملاحظة: التوكل: هو اعتماد القلب على الله إيمانا بكفايته سبحانه لعبده، وللتوكل على غير الله ثلاثة أقسام:

أحدها: أن يتوكل على مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق: وهذا شرك أكبر.

وثانيها: أن يتوكل على المخلوق فيما يقدر عليه مع **تعلق القلب** به في جلب المنفعة ودفع المضرة: وهذا شرك أصغر.

وثالثها: أن يعتمد على المخلوق فيما يقدر عليه بدون أن **يتعلق القلب** به في جلب المنفعة ودفع المضرة: فهذا جائز كالاعتماد على شخص في بيع أو غيره. و التوكل نصف الدين ونصفه الآخر الإنابة، والتوكل لا ينافيه فعل الأسباب، بل فعل الأسباب علامة على صحة الإيمان.

١ رواه البخاري (الفتح ٨/ ٤٥٦٣) في التفسير، باب ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾. والنسائي في الكبرى (٦/ ٣١٦).". [٢]

٣٤-"قال: ذُكرتِ الطِّيَرةُ عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «أحسَنها الفألُ، ولا تَرُدُّ مُسلماً(١)، فإذا رأى أحدُكم ما يكره فليقل: اللهمّ لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفعُ السيئاتِ إلا أنت(٢)، ولا حول ولا قوةَ إلا بك(٣)

---

(١) قوله: «ذُكرت الطيرة عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «أحسنها الفألُ، ولا تردُّ مسلماً»* قال ابن القيم رحمه الله تعالى [مفتاح دار السعادة (٥٩٣)]: «أخبر - صلى الله عليه وسلم - أن الفأل من الطيرة وهو خيرها، فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها، ففصّل بين الطيرة والفأل لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر».

---

(١) الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة على كتاب التوحيد ص/٧٤

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد ص/٣٠٢

انتهى.

وقوله – صلى الله عليه وسلم –: «أحسنها الفأل» وفي رواية: «خيرها الفأل» مع أن الطيرة كلها لا خير فيها؛ لأن أفعل التفضيل في ذلك إنما هو في القدر المشترك بين الشيئين، والقدر المشترك بين الطيرة والفأل تأثير كل منهما فيما هو فيه، والفأل في ذلك أبلغ. قاله الحافظ ابن حجر. وفيه: أن الفأل ليس من الطيرة بل مستحب، وتفسير الفأل. قاله المصنف رحمه الله تعالى.

قوله: «ولا ترد مسلماً» وهذا تعريض بأن الكافر بخلافه.

(٢) قوله: «فإذا رأى أحدُكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت،

....

* أخرجه أبوداود (٣٩١٩)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٩٤). قال الألباني: ضعيف، انظر: ضعيف سنن أبي داود (ص/٣٨٧) رقم (٨٤٣).

(٣) ولا يدفع السيئات إلا أنت» أي لا تأتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع السيئات بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات، والحسنات هنا النعم، والسيئات: المصائب. ففيه: نفي **تعلق القلب** بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة.

( ) قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بك» والحول التحول والانتقال من حال إلى حال، أي: لا تحول من حال إلى حال ولا قوة على ذلك إلا بالله وحده، ففيه: التبرئ من الحول والقوة إلا بالله سبحانه، وهذا هو توحيد الربوبية وهو دليل على توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة. وفيه: ذكر ما يقوله من وجد شيئاً من ذلك. قاله المصنف رحمه الله.". (١)

٣٥-"«.

وله من حديث ابن مسعود مرفوعاً(١): «الطيرةُ شرك، الطيرة شرك،

وما منا إلاّ(٢)

---

(١) قوله: «وله» أي أبي داود عن «ابن مسعود – رضي الله عنه – مرفوعاً: «الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا.. ولكن الله يذهبه بالتوكّل». ورواه الترمذي وصححه وجعل آخره من كلام ابن مسعود»*. ورواه ابن ماجه وابن حبان ولفظ أبي داود «الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك» ثلاثاً. وهذا صريح في تحريمها وأنها من الشرك لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله تعالى، قال ابن حمدان: تكره الطيرة، وكذا قال غير واحد من أصحاب أحمد، وقال ابن مفلح [الآداب الشرعية ٣٦٢/٣]: «الأوْلَى القطع بتحريمها؛ لأنها من الشرك، وكيف يكون الشرك مكروهاً الكراهة الاصطلاحية؟». قال: «ولعلّ

---

(١) الدر النضيد ص/١٩٣

مرادهم – يعني الأصحاب – بالكراهة التحريم».

قلت: وما قاله هو موجب النصوص والقواعد تقتضيه؛ لأن الأحكام الخمسة لا

....

* أخرجه أبوداود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد (١/٣٨٩، ٤٣٨، ٤٤٠). قال الألباني: صحيح. انظر: غاية المرام (٣٠٣).

(٢) ؤخذ إلا عن الله ورسوله، وقد قام الدليل الموجب للتحريم، فتعيّن القول به وحمل كلام من أطلق الكراهة عليه بلا تردد.

( ) قوله: «وما منا إلا..» قال أبوالقاسم الأصبهاني والمنذري: «في الحديث إضمار، والتقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك. قال بعضهم حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا من أدب الكلام. ومنه الحديث «ثلاث لا يسلم أحدٌ منهن: الطيرة، والحسد، والظن» قيل فما نصنع؟ قال: «إذا تطيّرت فامضِ، وإذا حسدت فلا تبغِ، وإذا ظننت فلا تحقق»*.". [1]

٣٦–"صح من حديث معاوية – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (من يردِ الله به خيرًا يفقهه في الدينِ، والله المعْطِي وأنا القاسِم) (١) .

والمعطي سبحانه هو الذي أعطى كل شيء خلقه وتولى أمره ورزقه في الدنيا والآخرة، وعطاء الله قد يكون عاما أو خاصا، فالعطاء العام يكون للخلائق أجمعين، والعطاء الخاص يكون للأنبياء والمرسلين وصالح المؤمنين، والعطاء العام هو تمكين العبد من الفعل ومنحه القدرة والاستطاعة، كل على حسب رزقه أو قضاء الله وقدره، ومن العطاء الخاص استجابة الدعاء ونصرة الأنبياء والصالحين الأولياء .

ومن الدعاء بما يناسب اسم الله المعطي ما صح من حديث أبي سعيد – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان إذا رفع رأسه من الركوع قال: (رَبنا لك الحمدُ ملءَ السَّماواتِ والأرضِ، وملءَ ما شِئْت من شيءٍ بَعدُ، أهل الثناءِ والمجدِ، أحق ما قال العَبدُ وكُلنا لك عَبدٌ، اللهم لا مانِعَ لما أعطَيت ولاَ معطِي لما منعت ولاَ ينفعُ ذا الجَد منك الجَد) (٢) .

وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا فرغ من طعامه قال: (اللهم أطعَمت وأسْقَيْت، وأغنيت وأقنيت، وهدَيت واجتبَيْت، فلك الحمدُ عَلى ما أعطَيت) (٣) .

ومن آثار توحيد المسلم لله في اسمه المعطي تعلق القلب بالمتوحد في عطائه، والتعفف عن سؤال غيره أو دعائه، كما أن المسلم ينبغي أن يكون معطاء ولا يخشى الفقر، وقد صح من حديث مالك بن نضلة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (الأيدِي ثلاَثة: فيدُ الله العُليا، ويدُ المعطِي التي تليها، ويدُ السَّائِل السُّفلى؛ فأعطِ الفضْل ولاَ تعجز عَن نفسِك) (٤) .

---

(١) الدر النضيد ص/١٩٤

٨٥ – المقيتُ – جل جلاله –

---

(١) ٢٤١ ... صحيح البخاري (٢٩٤٨) .

(٢) ٢٤٢ ... صحيح مسلم (٤٧١) .

(٣) ٢٤٣ ... صحيح الجامع (٤٧٦٨) .

(٤) ٢٤٤ ... السابق (٢٧٩٤) ." (١)

٣٧–"وهذا في القرآن كثير يقيم تعالى الحجة على المشركين بما يبطل شركهم بالله وتسويتهم غيره به في العبادة، بضرب الأمثال وغير ذلك مما يعلمون به أن ذلك لله وحده، ويقرون به، على ما يجحدونه من عبادته وحده هذا وهمٌ إنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٣] لا على أنهم يكشفون الضر ويجيبون دعاء المضطر كما قال تعالى: ﴿ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] قال مقاتل: سألهم النبي – صلى الله عليه وسلم – فسكتوا؛ لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها، وإذا كان ذلك كذلك بطلت عبادتهم الآلهة مع الله، وإذا بطلت فلبس الحلقة والخيط ونحوهما كذلك.

وهذه الآية وأمثالها تبطل **تعلق القلب** بغير الله في جلب نفع، أو دفع ضر، وأن ذلك لا يكون إلا بالله وحده، وأن جميع أنواع العبادة لا يصلح، منها شيء لغير الله، كما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وكذلك لا يصلح شيء من أنواع التعلقات بغير الله عز وجل.

والناس يتخذون أسبابًا للشفاء من الأسقام والأمراض، وهذه الأسباب تنقسم إلى قسمين:

الأول منها: أسباب مباحة وهي ما ثبت بطريق مشروع أو مباح؛ كالرقية والعسل، والحبة السوداء، أو الأدوية المباحة؛ مع وجوب **تعلق القلب** بالله سبحانه وعدم الاعتماد عليها.

الثاني: أسباب محرمة، وهي تلك الأسباب التي يتعلق بها بعض الناس؛ كلبس الحلقة والخيط وغيرهما، وهي تضر ولا تنفع، وحكمها إن اعتقد أنها تنفع بذاتها فهذا شرك أكبر ينافي التوحيد بالكلية، وإن اعتقد أنها سبب من الأسباب فهذا شرك أصغر ينافي كمال التوحيد الواجب.

وفي الحديث عن عمران بن حصين أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رأى رجلاً في يده حلقة من صفر، فقال: "ما هذه ؟" قال: من الواهنة، قال: "انزعها؛ فإنها لا تزيدك إلا وهنا فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا" رواه أحمد بسند لا بأس به.". (٢)

---

(١) الدعاء بالأسماء الحسنى ص/١٣١

(٢) الشرح الميسر لكتاب التوحيد ص/٤٩

٣٨-"التميمة: خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم، يزعمون أنها تقي من العين، وتعليق التمائم شرك لما في ذلك من **تعلق القلب**، واعتقاده على غير الله في طلب النفع، أو دفع الضر، فدعا - صلى الله عليه وسلم - على من علق تميمة عليه أو على غيره من طفل أو دابة أو غير ذلك، متعلقا بها قلبه في طلب

خير أو دفع شر أن يعامله الله بنقيض قصده، أن لا يتم له مقصوده من تعليقها؛ وهو السلامة من العين؛ بل دعا عليه أن تتسلط عليه العين معاملة له بنقيض قصده؛ ودعاؤه - صلى الله عليه وسلم - على متعلقها يفيد أنه محرم، وتحريمه يفيد أنه من المحرمات الشركية، وإنما كان شركًا لما يقوم بقلبه من التعلق على غير الله، في جلب نفع أو دفع ضر، وكمال التوحيد لا يحصل إلا بترك ذلك.

وقوله - صلى الله عليه وسلم -: "ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له".

الودعة: شيء أبيض يجلب من البحر، يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم، وقيل يشبه الصدف، يتقون به العين، وكانوا يتلمحون من اسمها الدعة والسكون؛ فدعا - صلى الله عليه وسلم - على من تعلق ودعة أن لا يجعله في دعة وراحة وسكون؛ بل يحرك عليه كل مؤذٍ معاملة له بنقيض قصده.

وفيه وعيد شديد لمن فعل ذلك، يفيد أنه محرم وإذا تقرر أنه محرم، فالرواية الثانية: "من تعلق تميمة فقد أشرك" بينت أنه من المحرمات الشركية.

فقد أقبل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رهطٌ فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وأمسكت عن هذا؟! فقال: "إن عليه تميمة" فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال: رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر، وإنما جعلها صلى الله عليه سلم شركًا؛ لأنه أراد رفع القدر المكتوب، وطلب دفع الأذى من غير الله تعالى الذي هو النافع الضار، والتعلق يكون بالفعل كمن يلبس تميمة على صدره أو يده، أو بالقلب كمن يضع التميمة تحت الوسادة أو في مكان آخر معلقًا قلبه بها، أو بالفعل والقلب معًا؛ كمن يلبس التميمة معلقًا قلبه بها.". (١)

٣٩-"بعض أسفاره فأرسل رسولا أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة، إلا قطعت.

القلادة: هي ما يعلق في رقبة البعير وغيره، ومن وتر ونحوه، وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره، وقلدوه الدواب، اعتقادا منهم أنه يدفع عن الدابة العين، ويدفع عنهم المكاره.

هذا أمر من الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو الحريص على أمته بقطع الأوتار التي كان أهل الجاهلية يعلقونها على دوابهم اعتقادا منهم أنها تعصمهم من الآفات لأن هذا شرك يجب إزالته لما فيه من التعلق بغير الله سبحانه.

وفي الحديث دلالة على حرص الرسول - صلى الله عليه وسلم - على محاربة الشرك وأن الأوتار والتمائم في الحكم شيء واحد.

ومن أمثلة التعاليق الشركية، ما يعلق على الإنسان اعتقادا أنه يدفع العين: كالتعاليق الجلدية الصغيرة التي توضع فيها التميمة،

---

(١) الشرح الميسر لكتاب التوحيد ص/٥١

أو خرزات أو عظام بعض الدواب، أو لبس أساور من نحاس، أو خواتم لها فصوص، أو عين زرقاء وهي رسم لعين إنسان باللون الأزرق، يزعم أهل الشرك أنها ترد العين.

ومن أمثلة التعاليق الشركية التي انتشرت اليوم: ما يعلق على الدابة أو السيارة اعتقادًا أنه يدفع البلاء، أو يجلب الرزق، كالقلادة من وتر، أو الخرق السوداء، أو القرب البالية، وما كان على شكل حذاء صغير أو تمثال حيوان يوضع في مقدمة أو مؤخرة السيارة.

ومنها ما يعلق على الدار، أو المتجر، أو يوضع فيهما، اعتقادا أنه يدفع البلاء أو يحل البركة في المكان، كالدراهم الفضية القديمة، أو حذوة فرس، أو رأس ذئب، أو رأس غزال، وقد تكون من أشياء عديدة على حسب ما يعتقده واضعوها، وهذا الفعل من **تعلق القلب** بغير الله، والله سبحانه هو النافع الضار الرازق المعطي لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

أما من علق شيئا يشبه هذه التعاليق الشركية بقصد الزينة من غير اعتقاد لنفعها فحرام؛ لعلة المشابهة لأهل الشرك.". [١]

٤٠-"في الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن العيافة والطرقة والطيرة من الجبت"[رواه أحمد] قال عوف: العيافة، زجر الطير، والطرق، الخط يخط بالأرض، والجبت قال الحسن: رنة الشيطان.

بين - صلى الله عليه وسلم - في الحديث ثلاثة أمور، كلها داخلة في مسمى السحر:

وأولها: العيافة، وهي زجر الطير، أي تهييجه والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وقد كانت العرب تفعل ذلك من باب التشاؤم والتفاؤل.

إذا أرادوا فعل أمر كسفر أو تجارة أتوا إلى الغربان أو الحمام أو غيرها فينفروهما أو يزجروهما فإذا طارت باتجاه اليمين تفاءلوا وأقدموا على هذا الأمر، وإذا اتجهت نحو الشمال تشاءموا وأحجموا عن هذا الأمر.

وقد أبطل - صلى الله عليه وسلم - هذه العادة الجاهلية، وعلمنا صلاة الاستخارة وتفويض الأمور لله سبحانه وتعالى:

وثانيها: الطرق، وهو ما يخطه الرمالون الكذابون ويدعون به علم الغيب، ويدخل في ذلك قراءة الكف والفنجان، وتحديد المستقبل من الأبراج ونحوها، وإن كان ذلك من باب التسلية، وعلى المسلم ألا يصدق هؤلاء الكذابين، فعلم الغيب مما اختص الله سبحانه بعلمه، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥].

وثالثها: الطيرة وهي التشاؤم بالطيور وغيرها، كاعتقاد أن البومة إذا مرت على دار ونعقت فسيموت أحد من أهل هذه الدار، وكذلك التشاؤم ببعض أيام الشهر أو بعض شهور السنة، وقد حذر - صلى الله عليه وسلم - منها فقال: "الطيرة شرك" [رواه الترمذي] لما فيها من **تعلق القلب** بغير الله.

وبهذا يظهر لنا أن العيافة والطرق والطيرة من السحر، وذلك أن السحر اسم لما خفى ولطف سببه، والاعتماد في هذه

---

(١) الشرح الميسر لكتاب التوحيد ص/٥٤

الأمور الثلاثة على أمر خفي.". [1]

٤١-"ولقد جهل بعض الناس الحكمة التي من أجلها خلقوا، فتقاذفتهم الأهواء واستولت عليهم الفتن والأدواء، فافتتن بعضهم بالسحرة والمشعوذين والأفاكين، بدعوى مكاشفة الغيب والتطلع إلى المستقبل، ولم يجنوا من وراء ذلك إلا التضليل، وبعثرة الأموال في الباطل، وقد أبان الله الحق في ذلك بقوله: ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥].

ويقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "من أتى عرافًا أو كاهنًا فسأله عن شيء فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد" [رواه مسلم].

وافتتن بعض الناس بما يسمونه الطالع والأبراج، والحظ وتحضير الأرواح وقراءة الكف، فأصيبوا بسيل الأوهام وعدم الرضا بالقدر، قال عز وجل: ﴿ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الطور: ٤١].

ومن هذا الباب: ما يعرف في بعض المجلات بما يسمى الأبراج أو حظك هذا الأسبوع، يزعم فيه المنجمون أن من ولد في برج كذا فإنه هذا الأسبوع سوف يخسر، أو من ولد في برج كذا فسوف يربح، إلى غير ذلك من الافتراءات كل ذلك من الشرك الأكبر؛ لما فيه من ادعاء علم الغيب، وهو نوع من أنواع السحر والكهانة.

فالواجب على المسلم ألا يقرأها ولو من باب التسلية، وأن يقاطع هذه المجلات الهدامة للعقيدة، وأن يناصح القائمين على هذه المجلات إنكارًا

للشرك ونصرة للتوحيد.

وعلم التنجيم ينقسم إلى قسمين:

الأول: علم التأثير: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية كالتنبؤ بأن من ولد في نجم كذا فسيكون سعيدًا في حياته، ومن ولد في نجم كذا فسيكون تعيسًا.

وحكمه: شرك أكبر ينافي التوحيد؛ لما فيه من ادعاء علم الغيب، **وتعلق القلب** بالنجوم، واعتقاد أن لها تصرفا في الكون.

وبعض الناس يصدق بعلم التنجيم مع التفاوت الظاهر، والدجل الواضح؛ والعجب أن تجد رجلاً غنيًّا وولد في نفس يوم مولد رجل آخر فقير الحال، لا يجد قوت يومه، فلله الأمر من قبل ومن بعد.". [2]

٤٢-"وينقسم التوكل إلى قسمين:

القسم الأول: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كمن يتوكل على الأموات، أو الغائبين في جلب المنافع ودفع المضار، كشفاء المريض وطلب النصر، فهذا شرك أكبر.

القسم الثاني: التوكل على المخلوق فيما أقدره الله عليه من رزق، أو دفع أذى ونحو ذلك من الاعتماد على الأسباب فهذا

---

(١) الشرح الميسر لكتاب التوحيد ص/١٤٦

(٢) الشرح الميسر لكتاب التوحيد ص/١٦٧

شرك أصغر.

ومن أمثلة هذا النوع: الاعتماد على الطبيب الماهر في حصول الشفاء، والاعتماد على كثرة الجيش وقوته لحصول النصر، واعتماد الطالب على المذاكرة في النجاح، وغير ذلك من الأمثلة التي يكون فيها تعلق القلب على الأسباب تعلقًا تامًا، مع الغفلة عن المسبب وهو الله سبحانه وتعالى.

إن الأخذ بالأسباب مع اعتقاد أن المسبب هو الله تعالى لا ينافي التوكل فإمام المتوكلين محمد – صلى الله عليه وسلم – كان يأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله سبحانه فكان يأخذ الزاد في السفر، وفي غزوة أحد لبس درعين اثنين، ولما خرج مهاجرا أخذ من يدله الطريق ولم ينقص ذلك من توكله.

ويجوز أن يوكل شخص غيره بالنيابة عنه في التصرف في أمور دنياه من بيع أو شراء، لكن لا يقول: توكلت عليك، بل وكلتك فإنه لو وكله في البيع والشراء، فلا بد أن يتوكل في ذلك على الله وحده.

ويحرم قوله: توكلت على الله ثم عليك، لأن المخلوق ليس له نصيب من التوكل؛ فإن التوكل تفويض الأمر والالتجاء بالقلب، والمخلوق لا يستحق شيئا من ذلك.". (١)

٤٣-"وإن النفوس قد تهفوا إلى مقارفة الفواحش والذنوب، فتذكر أن الله يراها ويبصرها، وتذكر وقوفها بين يدي الله، عز وجل، فترعوي وتجانب المعصية وقد يقع الإنسان في الذنب والمعصية، ثم يذكر سعة رحمة الله فلا يتمادى في الخطيئة ولا يوغل في طريق الهاوية، بل يعود إلى التواب الرحيم قارعا بابه، فيجده توابًا رحيمًا ودودًا.

قال ابن القيم: فالإيمان بالصفات ومعرفتها وإثبات حقائقها وتعلق القلب بها وشهوده لها: هو مبدأ الطريق ووسطه وغايته، وهو روح السالكين وحاديهم إلى الوصول، ومحرك عزماتهم إذا فتروا، ومثير هممهم إذا قصروا فإن سيرهم إنما هو على الشواهد، فمن كان لا شاهد له فلا سير له، ولا طلب ولا سلوك له، وأعظم الشواهد، صفات محبوبهم ونهاية مطلوبهم، وذلك هو العلم الذي رفع لهم في السير فشمروا إليه، كما قالت عائشة رضي الله عنها: من رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقد رآه غاديا رائحا، لم يضع لبنة على لبنة، ولكن رفع له علم فشمر إليه.

باب قول الله تعالى:

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣]

ما من نعمة في الوجود إلا وربنا مسديها، وما من إحسان في الدنيا والآخرة إلا ومولانا قد أولاه، وهو الذي يرفع البأساء ويكشف الضراء، ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣] هو أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين، يعطي قبل أن يسأل، ويعطي فوق المؤمل، يشكر القليل من العمل وينميه، ويغفر الكثير من الزلل ويمحوه، يحب الملحين إليه، ومن لم يسأله يغضب عليه، يستر على عبده، والعبد لا يستر نفسه، ويرحمه حيث لا يرحم العبد نفسه، أرسل لهدايته الرسل، وأنزل من أجله الكتب، بل ينزل سبحانه كل ليلة وينادي: "هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر

---

(١) الشرح الميسر لكتاب التوحيد ص/١٩٠

فأغفر له؟ هل من داع فأستجيب له"؟ وذلك كل ليلة.". [١]

٤٤-"ويجب الحذر من الوقوع في الشرك؛ لأنه أعظم الذنوب، فكل ما عدا الشرك داخل تحت المشيئة، أما الشرك فهو أقبح الذنوب وأظلم الظلم، لذا ينبغي على المسلم أن يخافه ويحذره ويتقيه ويدرأه عن نفسه بكل وسيلة مخافة أن يقع فيه وهو لا يعلم، فلا بد من معرفة أسبابه وأنواعه وخطورته فرضي الله عن حذيفة بن اليمان حين قال: كان الناس يسألون رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني [أخرجه البخاري].

ورضي الله عن الفاروق حين قال: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية.

نسألك اللهم حياة على التوحيد وموتا على شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

من تأمل نصوص الكتاب والسنة، رأى نصوصا كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوي التوحيد؛ وينميه ويغذيه من الحث على الإنابة إلى الله وانحصاره في **تعلق القلب** بالله رغبة ورهبة وقوة الطمع في فضله وإحسانه، والسعي لتحصيل ذلك وإلى التحرر من رق المخلوقين، وعدم التعلق بهم بوجه من الوجوه، أو الغلو في أحد منهم، والقيام التام بالأعمال الظاهرة والباطنة، وتكميلها، وخصوصا حث النصوص على روح العبودية وهو الإخلاص التام لله وحده.

ثم في مقابلة ذلك نهي عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين، ونهي عن التشبه بالمشركين؛ لأنه يدعو إلى الميل إليهم، ونهي عن أقوال وأفعال يخشى أن يتوصل بها إلى الشرك، كل ذلك حماية للتوحيد، ونهي عن كل سبب يوصل إلى الشرك، وذلك رحمة بالمؤمنين، ليتحققوا بالقيام بما خلقوا له من عبودية الله الظاهرة والباطنة وتكميلها، لتكمل لهم السعادة والفلاح.". [٢]

٤٥-"وكلام الحافظ ابن القيم غني عن التعليق لوضوحه في بيان العلاقة أو النسبة بين الربوبية والإلهية. وقال رحمه الله في موضع آخر في كتابه مدارج السالكين: "إن توحيد الربوبية باب لتوحيد الإلهية، فإن أول ما **يتعلق القلب** بتوحيد الربوبية ثم يرتقي إلى توحيد الإلهية كما يدعو الله عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر، ويحتج به عليهم، ويقررهم به ثم يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية، وفي هذا المشهد يتحقق مقام: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، يقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾" .

هذا، وإن توحيد الربوبية محل إجماع البشر، ولا فرق بين مؤمنهم وكافرهم، بل كلهم يؤمنون بربوبيته، وإن أشرك من أشرك في عبادته.

وأما الصراخ المنكر والقول الهجين الذي سمعته الدنيا لأول مرة في الآونة الأخيرة ، والذي ينادي بكل وقاحة، بإنكار وجود الله تعالى مكابرة، وأنه ليس هو الذي خلق هذا الكون، وأن الدين إنما يقصد به تخدير الشعوب إلى آخر تلك المغالطة، فإنها تهدف إلى تضليل متعمد إذ لا مستند له من العقل والفطرة السلمية بله الشرع، ولا أرى مناقشته هنا.

---

(١) الشرح الميسر لكتاب التوحيد ص/٢٢٨

(٢) الشرح الميسر لكتاب التوحيد ص/٢٣٦

وهل يناقش من ينكر وجود الشمس وهي طالعة؟!! وكيف ينكر وجود الخالق من هو مخلوق له وآية من آياته؟!!

وفي كل شيء له آية

تدل على أنه واحد

الفصل الثاني: معنى الصفة والنعت لغة واصطلاحاً

المعنى اللغوي:

يقال: وصف الشيء يصفه وصفاً أي نعته، وهذا صريح في أن الوصف والنعت مترادفان، وقد أكثر الناس القول في الفرق بينهما ولا سيما علماء الكلام، وهو مشهور، ولا داعي للإطالة فيه. وفي اللسان: وصف الشيء له وعليه إذا حلاه، وقيل: الوصف مصدر، والصفة الحلية. وقال الليث: الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته، والوصّاف العارف بالوصف اهـ.". (١)

٤٦-"قوله : « لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل » ، قالوا : وما الفأل ؟ قال : « الكلمة الطيبة » قال أبو السعادات : الفأل فيما يَسرُّ ويسوء ، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء ، وربما استعملت فيما يسر .

قوله : (ذكرت الطيرة عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : « أحسنها الفأل ، ولا ترد مسلمًا فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك » قال النووي : الفأل يستعمل فيما يسوء وما يسر ، وأكثره في السرور . والطيرة لا تكون إلا في الشؤم ، وقد تستعمل مجازًا في السرور .

قال الحافظ : وكأن ذلك بحسب الواقع ، وأما الشرع فخص الطيرة بما يسوء والفأل بما يسر ، ومن شرطه أن لا يقصد إليه فيصير من الطيرة .

قال ابن بطال : جعل الله في فطر الناس محبة الكلمة الطيبة والأنس بها كما جعل فيهم الارتياح بالمنظر الأنيق ، والماء الصافي ، وإن كان لا يملكه ولا يشربه .

وأخرج الترمذي وصححه من حديث أنس أن النبي – صلى الله عليه وسلم – : (كان إذا خرج لحاجته يعجبه أن يسمع يا نجيح يا راشد) .

وأخرج أبو داود بسند حسن عن بريدة : (أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث عاملاً يسأل عن اسمه ، فإذا أعجبه فرح به ، وإن كره اسمه رئي كراهية ذلك في وجهه) .

قال الحليمي : وإنما كان – صلى الله عليه وسلم – يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق ، والتفاؤل حسن ظن به ، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال .

قوله : (وعن ابن مسعود مرفوعًا : « الطيرة شرك الطيرة شرك » أي : لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله .

قال في (شرح السنن) : وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أنها تجلب لهم نفعًا أو تدفع عنهم ضرًا إذا عملوا

---

(١) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية ص/٥٩

بموجبه .". (١)

٤٧-"... الثاني : أنه نهى عن النذر لسد ذريعة **تعلق القلب** بغيره - جل وعلا - فإن الناذر قد يظن أنه بهذا النذر يقدم لله شيئًا ليعطيه بدله ، فكأن الأمر فيه نوع منه ، أي أن الناذر للصدقة أو الصلاة أو الصوم مثلاً لسان حاله يقول : إن أعطيتني هذا الشيء تصدقت وصليت وصمت ، فبالله عليك ماذا تفهم لو أن الله لم يعط العبد ذلك ، فإنه لن يأتي بهذه الصلاة ولا الصوم ولا الصدقة ، وهذا هو عين البخل فإن النفس المؤمنة تقوم بذلك اختيارًا وطواعية من غير إلزام ولذلك قال : ((إنه لا يأتي بخير)) أي لا يظن الناذر أنه بهذا النذر سيحصل له ما يريده من الخير ، وإنما يستخرج به من البخيل الذي تأبى نفسه فعل الخير ابتداءً وهذا الناذر قد تعلق قلبه بنذره ، ولذلك نهتنا الشريعة عن إنشائه ، فالمنهي عنه في حديث ابن عمر إنما هو إنشاؤه فقط ، لكن لو عقده فإنه مأمور ألا يعقده إلا بالله تعالى ، وإذا عقده بالله تعالى فإنه يجب عليه الوفاء به إن كان من قبيل نذر التبرر ، لقوله : ﴿ يوفون بالنذر ﴾ ، وقوله : ﴿ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه ﴾ . وقوله - صلى الله عليه وسلم - : ((من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه)) إذًا النذر باعتبار إنشائه وابتدائه منهي عنه ، وباعتبار عقده لله والوفاء به عبادة ، والعبادة قد تكون منهي عنها باعتبار ومأمور بها باعتبار ، ألا ترى أن القرآن منهي عنه حال الركوع والسجود ؟ ولكنه مأمور به في حال القيام في غير الرفع من الركوع ، وأن الصلاة تطوعًا منهي عنها حال وقت النهي ومأمور بها في غيره . إذًا جهة النهي ليست هي جهة الأمر وكذلك كثرة الحلف منهي عنه ، لكن لو حلف فإنه يلزمه الوفاء بيمينه ، إذًا لا يتعبد لله بإنشاء النذر وإنما يتعبد لله بالوفاء به بعد عقده ، وحيث ثبت أن الله امتدح المؤمنين فيه ، فهذا دليل على أنه عبادة ، وحيث كان عبادة فلا يصرف إلا لله تعالى .". (٢)

٤٨-"الثالثة : ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته .

الرابعة : نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص ، ومع أن زيارته من أفضل الأعمال .

الخامسة : نهيه عن الإكثار من الزيارة .

السادسة : حثه على النافلة في البيت .

السابعة : لأنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة .

الثامنة : تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد ، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب .

التاسعة : كونه صلى الله عليه وسلم البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه .

باب

---

(١) القصد السديد على كتاب التوحيد ص/٨١

(٢) القول الرشيدفي سرد فوائد التوحيد١ ص/٨

ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك
من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب رأى نصوصا كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوي التوحيد وينميه ويغذيه ، من الحث على الإنابة إلى الله وانحصاره في **تعلق القلب** بالله رغبة ورهبة ، وقوة الطمع في فضله وإحسانه والسعي لتحصيل ذلك ، وإلى التحرر من رق المخلوقين وعدم التعلق بهم بوجه من الوجوه ، أو الغلو في أحد منهم ، والقيام التام بالأعمال الظاهرة والباطنة وتكميلها وخصوصا حث النصوص على روح العبودية وهو الإخلاص التام لله وحده .". (١)

٤٩-"نوع يسمى علم التأثير : وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية ، فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفرد به ، أو تصديق لمن ادعى ذلك ، وهذا ينافي التوحيد لما فيه من هذه الدعوى الباطلة ، ولما فيه من **تعلق القلب** بغير الله ، ولما فيه من فساد العقل ، لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان .

النوع الثاني : علم التسيير : وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات ، فهذا النوع لا بأس به ، بل كثير منه نافع قد حث عليه الشارع ، إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات ، أو إلى الاهتداء به في الجهات .
فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه ، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني .". (٢)

٥٠-"ص -٨٦- ... فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه على النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلي في المقبرة.

الثامنة: تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه صلى الله عليه وسلم في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

[التعليق:]

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص/٩١

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد ص/١١٠

باب: ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك
من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب، رأى نصوصا كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوي التوحيد وينميه ويغذيه، من الحث على الإنابة إلى الله وانحصار **تعلق القلب** بالله رغبة ورهبة، وقوة الطمع في فضله وإحسانه والسعي لتحصيل ذلك، وإلى التحرر من رق المخلوقين وعدم التعلق بهم بوجه من الوجوه، أو الغلو في أحد منهم، والقيام التام بالأعمال الظاهرة والباطنة، وتكميلها وخصوصا حث النصوص على روح العبودية وهو الإخلاص التام لله وحده.
ثم في مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين، ونهى عن التشبه بالمشركين؛ لأنه يدعو إلى الميل إليهم.". (١)

٥١-"ص -١٠٨- ... [التعليق:]
باب: ما جاء في التنجيم
التنجيم نوعان:
نوع يسمى علم التأثير: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية، فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفرد به، أو تصديق لمن ادعى ذلك، وهذا ينافي التوحيد لما فيه من هذه الدعوى الباطلة، ولما فيه من **تعلق القلب** بغير الله، ولما فيه من فساد العقل لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان.
النوع الثاني: علم التسيير: وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات، فهذا النوع لا بأس به، بل كثير منه نافع قد حث عليه الشارع، إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات، أو إلى الاهتداء به في الجهات.
فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه، وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني.". (٢)

٥٢-"وقد جعلته في ثلاثة فصول:
الفصل الأول: تعريف التوحيد وبيان أقسامه.
الفصل الثاني: لماذا يجب علينا أن نهتم بالتوحيد.
الفصل الثالث: كيف نهتم بالتوحيد.
هذا: ((وأسأل الله المبتدئ لنا بنعمه قبل استحقاقها، المديمها علينا مع تقصيرنا في الإتيان على ما أوجب من شكره بها الجاعلنا في خير أمة أخرجت للناس: أن يرزقنا فهمًا في كتابه ثم سنة نبيه، وقولاً وعملاً يؤدي به عنا حقه، ويوجب لنا نافلة مزيده))١
وكتبه

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ص/٩٤
(٢) القول السديد في مقاصد التوحيد ص/١٢٠

إسلام بن محمود دربالة

عفا الله عنه

الفصل الأول

مدخل لفهم التوحيد

تعريف التوحيد :

التوحيد لغة : الإفراد .

ولا يكون الشيء مفرداً إلا بأمرين :

أ – الإثبات التام .

ب – النفي العام .

فلو قلت : زيد قائم . لم تفرده لاحتمال أن يكون غيره قائماً أيضاً .

لكن إن قلت : ما قائم إلا زيد ، فقد أفردته ، بإثباتك القيام التام له ، ونفيك العام للقيام عن غيره .

وكلمة التوحيد ، لا إله إلا الله اشتملت على نفي وإثبات ، فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى ، فكل ما سواه من الملائكة والأنبياء فضلاً عن غيرهم ليس بإله ، ولا له من العبادة شيء ، وأثبتت الإلهية لله وحده بمعنى أن العبد لا يأله غيره ، أي لا يقصد بشيء من التأله وهو **تعلق القلب** الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة .

والتوحيد شرعاً : إفراد الله بحقوقه .

ولله سبحانه وتعالى ثلاثة حقوق

١– حقوق عبادة .

٢– حقوق أسماء وصفات .

ويمكن أن يقال : التوحيد : هو إفراد الله عز وجل بالخلق والرزق والتدبير وعدم صرف شيء من أنواع العبادة إلا له، والإيمان بما وصف وسمى به نفسه ، ووصفه وسماه به رسوله صلى الله عليه وسلم .

أقسام التوحيد :

ذكر أهل العلم – رحمهم الله تعالى – بعد استقراء نصوص الكتاب والسنة أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١– توحيد الربوبية .

٢– توحيد الألوهية .

٣– توحيد الأسماء والصفات .". [١]

(١) القول السديد في وجوب الاهتمام بالتوحيد ص/٢

٥٣-"١- الحنابلة يجيزونها، وذكروها في باب دخول الخلاء، فهم يجيزون مثل هذه الأحراز.

٢- الذي عليه أئمة الدعوة أنها لا تجوز وهذا هو الراجح، واستدلوا:

أ- عموم حديث ابن عباس.

ب- سدًا للذريعة.

حديث عبد الله بن عكيم:

من: شرطية وهي عامة في **تعلق القلب** ولو علقه تقليدًا.

شيئًا: يشمل كل شيء من القراءة.

قول المصنف: (من العين) من: سببية.

(على الأولاد): هذا على الغالب.

لكن إن كان المعلق من القرآن فقد رخص فيه بعض السلف: يقال إنه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وبعضهم لم يرخص فيها مثل ابن مسعود رضي الله عنه.

التولة: من باب العطف لا الصرف، وهو من أنواع السحر.

حديث رويفع: سنده صحيح.

لعل: حرف ترجي له اسم وخبر.

الناس: أي الذين يحضرونك.

من عقد لحيته: له ثلاث معان:

١) تكبرًا........٢) تشبهًا بالكفار........٣) اعتقادًا.

والذي يهمنا من عقد لحيته لدفع العين.

هل يجوز التشويه من أجل العين؟

لا يجوز؛ لحديث رويفع.

أو تقلد وترا: هذه هي التمائم، وهي لا تجوز.

أو استنجى برجيع دابة أو عظم: هذا كله لا يجوز.

فإن محمدًا بريء منه: هذا الحديث من أحاديث الوعيد، ومذهب السلف فيه إمرارها كما جاءت، ولا يتعرضون لها لا بتفسير ولا بتوضيح إلا وقت الحاجة، كخوفهم أن يُرى مذهب الخوارج فيكفر أصحاب المعاصي.

أثر سعيد بن جبير «من قطع تميمة من إنسان كان كعدل رقبة»:

كان: الكاف للتشبيه: كأنه أعتق رقبة بالنسبة للأجر لا للإجزاء.

رواه وكيع وله عن إبراهيم: «كانوا يكرهون التمائم كلها من القرآن وغير القرآن».

كراهية السلف تدل على التحريم وهذا قول ابن القيم، والراجح حسب السياق.

إذا قرأ على إنسان فطرفت عينه بسرعة، أو تثاءب بكثرة، أو ارتعش جسمه أو بكى، أو لم يفتح عينيه، فهذا فيه مس من الجن.

أما إن كان يرتاح فالغالب أن فيه العين.

المسألة الثامنة: تعليق القرآن من باب الزينة وكونه منظرًا". [(١)]

٥٤-"اقتبس: أي تعلم.

شعبة: قطعة أو طائفة.

من النجوم: يقصد به علم النجوم أي من علمه، ويقصد به أيضًا ما يسمى بـ"علم التأثير" وهو: الاستدلال بالنجوم وسيرها على الحوادث الأرضية من قحط وزلازل ونصر وهزيمة.

وأما تعلم النجوم لمعرفة القبلة والزمان وأوقات الزرع ونحو ذلك، فهذا يسمى علم التسيير، وهذا أجازه أحمد وإسحاق، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦].

فقد اقتبس: هذا جواب الشرط.

زاد ما زاد: أي كلما زاد في التعلم زاد في السحر.

وهنا ذكر المصنف النوع الرابع من أنواع السحر وهو التنجيم.

ووجه كونه من السحر: لأنه من التمويه والدجل، وكذلك السحر.

رواه أبو داود بإسناد صحيح: وقد صححه النووي والذهبي.

ولأن التنجيم استدلال بأشياء خفية، والسحر كذلك.

وللنسائي من حديث أبي هريرة «من عقد عقدة، ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئًا وُكل إليه».

هذا الحديث وقع الخلاف في تصحيحه، فذكر بعض أهل العلم أنه ضعيف، وجاء عن المنذري أن الحديث فيه انقطاع، وحسن الحديث ابن مفلح في الآداب.

عقد: بمعنى لفَّ.

عقدة ثم: ثم للترتيب.

والحديث صوّرَ صورة من صور السحر.

وطريقته: أن يعقد عقُدة ثم ينفث، ثم يعقد عقدة أخرى ثم ينفث، وهكذا فيجعلون النفث بعد العقد، ومع النفث يستغيث ويدعو الجني ويذكر ما يريده من الضرر بالمسحور.

فقد سحر: جواب الشرط.

---

(١) المعتصر شرح كتاب التوحيد ص/٤٧

أشرك: أي شركًا أكبر؛ لأن سحر النفث والرقى والتعاويذ من الشرك الأكبر.

وهنا ذكر المصنف النوع الخامس من أنواع السحر وهو: سحر العقد والتعاويذ.

ومن تعلق شيئًا: التعلق إما أن يكون **تعلق القلب** أو تعلق العمل.

وشيئًا: نكرة في سياق الشرط، فتعم أي تعلق.

وُكِل إليه: فإن تعلق قلبه بالله فقد فاز، وأما إن تعلق قلبه بغير الله فإن مآله ومصيره الخسران.". (١)

٥٥-"وقال في وصف الملائكة بذلك : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ . لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٦. ٢٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا . تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا . أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا . وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا . إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [مريم : ٨٨ . ٩٥] .

وقال تعالى عن المسيح ـ الذي أدعيت فيه الألوهية والنبوة : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الزخرف : ٥٩] ؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى / ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله) .

وقد نعته الله بالعبودية في أكمل أحواله فقال في الإسراء : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [الإسراء : ١] ، وقال في الإيحاء : ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ [النجم : ١٠] ، وقال في الدعوة : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن : ١٩] ، وقال في التحدي : ﴿ وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ [البقرة : ٢٣] ، فالدين كله داخل في العبادة .

وقد ثبت في الصحيح : أن جبريل لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام قال : (أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) . قال : فما الإيمان ؟ قال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدرخيره وشره) . قال : فما الإحسان ؟ قال (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك (. ثم قال : في آخر الحديث :) هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم) فجعل هذا كله من الدين .

والدين يتضمن معنى الخضوع والذل . يقال : دنته فدان، أي : ذللته فذل، ويقال : يدين الله، ويدين لله أي : يعبد الله ويطيعه ويخضع له، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له .

/والعبادة أصل معناها : الذل ـ أيضًا ـ يقال : طريق معبد إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام .

لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له، فإن آخر مراتب الحب

---

(١) المعتصر شرح كتاب التوحيد ص/١٣٢

هو التتيم، وأوله العلاقة لتعلق القلب بالمحبوب، ثم الصبابة لانصباب القلب إليه، ثم الغرام وهو الحب اللازم للقلب، ثم العشق وآخرها التتيم يقال : تيم الله، أي : عبد الله، فالمتيم المعبد لمحبوبه .

ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئًا ولم يخضع له لم يكن عابداً له، كما قد يحب ولده وصديقه؛ ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله ـ تعالى ـ بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله .

وكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة، وما عظم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلاً، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [التوبة : ٢٤] ، فجنس المحبة تكون لله ورسوله، كالطاعة، فإن الطاعة لله ورسوله / والإرضاء لله ورسوله : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾ [التوبة : ٦٢] ، والإيتاء لله ورسوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة : ٥٩] .

وأما العبادة وما يناسبها من التوكل، والخوف، ونحو ذلك فلا يكون إلا لله وحده، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران : ٦٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴾ [التوبة : ٥٩] ، فالإيتاء لله والرسول كقوله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] ، وأما الحسب وهو الكافي فهو الله وحده، كما قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] ، وقال تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٤] ، أي : حسبك وحسب من اتبعك الله .". (١)

٥٦-"وأحب أن أنبه في هذا المقام على أنني لم ألزم نفسي بتتبع الحكم الشرعي في كل صورة من هذه الصور، وذلك لصعوبة القطع بالحكم في كل قضية، لأنه – كما يقول أهل العلم – قد يكون القول أو الفعل كفراً ولكن هناك ما يصرفه عن ظاهره فيما بين العبد وبين ربه، ولكن على العموم فهذه الصور تتفاوت من كون فاعلها خارجاً من الملة كمن يحب الكفار لأجل كفرهم إلى الكبيرة من الكبائر كتعظيمهم والثناء عليهم (١) . وذلك أن (مسمى الموالاة يقع على شعب متفاوتة منها ما يوجب الردة كذهاب الإسلام بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات)(٢). وقد حرص الدين الإسلامي على إخلاص العبادة (وهي الطاعة والانقياد) لله وحده والبراءة من كل متبوع أو مرغوب، أو مرهوب، وتعلق القلب بربه في الخشية والخوف والرجاء والعون والنصرة، لأن (كل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه أو يهدوه: خضع قلبه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك.. ومعلوم أن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد

---

(١) المفصل في شرح آية الولاء والبراء ص/١٦٤

القلب أعظم من استعباد البدن فإن من استعبد بدنه واسترق وأسر لا

ص٢٣٤

يبالي إذا كان قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً، بل يمكنه الاحتيال في الخلاص. أما إذا كان القلب متيماً لغير الله فهذا هو الذل والأسر المحض)(٣).

---

(١) ٢٠٢) الدرر السنية (٢٠١/٧) والهدية الثمينة للشيخ عبد الله السليمان بن حميد (ص١٧) .

(٢) ٢٠٣) الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ (ص٤٣) .

(٣) ٢٠٤) رسالة العبودية لابن تيمية (٩٥ – ٩٦) .". (١)

٥٧-"ص -٥٦- ... قضاء حوائجنا؟! فيقال لهم: نعم وهذا الترك والإخلاص هو الحق، كما قال تعالى:﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾١. ف: " لا إله إلا الله " اشتملت على نفي وإثبات، فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى، فكل ما سواه من الملائكة والأنبياء فضلاً عن غيرهم، فليس بإله، ولا له من العبادة شيء، وأثبتت الإلهية لله وحده، بمعنى أن العبد لا يأله غيره، أي: لا يقصده بشيء من التأله وهو **تعلق القلب** الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة، كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك

وبالجملة فلا يأله إلا الله، أي: لا يعبد إلا هو، فمن قال هذه الكلمة عارفًا لمعناها، عاملاً بمقتضاها، من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به، فهذا هو المسلم حقًا، فإن عمل به ظاهرًا من غير اعتقاد، فهو المنافق، وإن عمل بخلافها من الشرك، فهو الكافر ولو قالها، ألا ترى أن المنافقين يعملون بها ظاهرًا وهم ﴿فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾، [النّساء، من الآية: ١٤٥]، واليهود يقولونها وهم على ما هم عليه من الشرك والكفر، فلم تنفعهم، وكذلك من ارتد عن الإسلام بإنكار شيء من لوازمها وحقوقها، فإنها لا تنفعه، ولو قالها مائة ألف، فكذلك من يقولها ممن يصرف أنواع العبادة لغير الله، كعباد القبور والأصنام، فلا تنفعهم ولا يدخلون في الحديث الذي جاء في فضلها، وما أشبهه من الأحاديث.". (٢)

٥٨-"ص -٣٧٥- ... المؤمنين بل كثير من المشركين يعلمون ذلك، والعمل هو ثقة القلب بالله وفراغه من كل ما سواه، وهذا عزيز ويختص به خواص المؤمنين، وهو داخل في هذه الكلمة، لأن فيها التبرؤ من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته والإقرار بقدرته على كل شيء، وبعجز العبد عن كل شيء إلا ما أقدره عليه ربه، وهذا نهاية توحيد الربوبية الذي يثمر التوكل وتوحيد العبادة.

[الطيرة شرك]

---

(١) الولاء والبراء ص/١٩٦

(٢) تيسير العزيز الحميد. ط المكتب الإسلامي ٩٢/١

قال: وعن ابن مسعود مرفوعًا: "الطيرة شرك الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل"١. رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ش: هذا الحديث رواه أيضًا ابن ماجة وابن حبان ولفظ أبي داود: "الطيرة شرك الطيرة شرك ثلاثًا"٢.

قوله: "الطيرة شرك"، صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله. وقال ابن حمدان في "الرعاية": تكره الطيرة، وكذا قال غير واحد من أصحاب أحمد. قال ابن مفلح: والأولى القطع بتحريمها. ولعل مرادهم بالكراهة التحريم.

قلت: بل الصواب القطع بتحريمها، لأنها شرك وكيف يكون الشرك مكروهًا الكراهة الاصطلاحية؟! فإن كان القائل بكراهتها أراد ذلك فلا ريب في بطلانه. قال في "شرح السنن": وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعًا، أو يدفع عنهم ضرًّا إذا عملوا بموجبه فكأنهم شركوه مع الله تعالى.

قوله: "وما منا إلا...". قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري: في الحديث إضمار والتقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك انتهى. وحاصله: وما منا إلا من يعتريه التطير، ويسبق إلى قلبه الكراهة فيه. فحذف ذلك اعتمادًا على فهم السامع. وقال الخلخالي: حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة وهذا نوع من أدب الكلام.

______". (١)

٥٩-" لا قادر على الاختراع إلا الله فكانوا يقولون سمعنا وأطعنا قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والأبصار الآيه إلى غير ذلك من الآيات لكن القوم أهل اللسان العربي فعلموا أنها تهدم عليهم دعاء الأموات والأصنام من الأساس وتكب بناء سؤال الشفاعة من غير الله وصرف الالهية لغيره لأم الرأس فقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى هؤلاء شفعاؤنا عند الله أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب فتبا لمن كان أبو جهل ورأس الكفر من قريش وغيرهم أعلم منه لا إله إلا الله قال تعالى إنهم كانوا إذا قيل لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون فعرفوا أنها تقتضي ترك عبادة ما سوى الله وإفراد الله بالعبادة وهكذا يقول عباد القبور إذا طلبت منهم إخلاص الدعوة والعبادة لله وحده أنترك سادتنا وشفعاءنا في قضاء حوائجنا فقال لهم نعم وهذا الترك والإخلاص هو الحق كما قال تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين ولا إله إلا الله اشتملت على نفي وإثبات فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى فكل ما سواه من الملائكة والأنبياء فضلا عن غيرهم فليس باله ولا له من العبادة شيء وأثبتت الالهية لله وحده بمعنى أن العبد لا يأله غيره أي لا يقصده بشيء من التأله وهو **تعلق القلب** الذي يوجب قصده بشيء ". (٢)

٦٠-" آخره من قول ابن مسعود

---

(١) تيسير العزيز الحميد. ط المكتب الإسلامي ٦٢/٢

(٢) تيسير العزيز الحميد. ط مكتبة الرياض ص/٥٧

ش هذا الحديث رواه أيضا ابن ماجه وابن حبان ولفظ أبي داود الطيرة شرك الطيرة شرك ثلاثا

قوله الطيرة شرك صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله وقال ابن حمدان في الرعاية تكره الطيرة وكذا قال غير واحد من اصحاب أحمد قال ابن مفلح والأولى القطع بتحريمها ولعل مرادهم بالكراهة التحريم قلت بل الصواب القطع بتحريمها لأنها شرك وكيف يكون الشرك مكروها الكراهة الاصطلاحية فإن كان القائل بكراهتها أراد ذلك فلا ريب في بطلانه قال في شرح السنن وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعا أو يدفع عنهم ضرا إذا عملوا بموجبه فكأنهم شركوه مع الله تعالى

قوله وما منا إلا قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري في الحديث إضمار والتقدير وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك انتهى وحاصله وما منا إلا من يعتريه التطير ويسبق الى قلبه الكراهة فيه فحذف ذلك اعتمادا على فهم السامع وقال الخلخالي حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة وهذا نوع من أدب الكلام

قوله ولكن الله يذهبه بالتوكل أي ما منا إلا من يقع في قلبه ذلك ولكن لما توكلنا على الله وآمنا به واتبعنا ما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم واعتقدنا صدقه أذهب الله ذلك عنا وأقر قلوبنا على السنة واتباع الحق

قوله وجعل آخره من قول ابن مسعود قال الترمذي سمعت محمد بن اسماعيل يقول كان سليمان بن حرب يقول في هذا وما منا هذا عندي من ". (١)

٦١-"وسمي العالَم عالَماً لأنه علامة على خالقه وموجده ومالكه (وأنا) وأنت وجميع الخلق (واحد من) جملة (ذلك العالم) وتلك المخلوقات العظيمة ، وكلنا محتاجون إلى الله في قضاء حاجاتنا وتفريج كرباتنا ، فهو المتفرد بالخلق والرزق والتدبير ، وهو المستحق بأن يعبد وحده دون من سواه وهذا مدلول كلمة الإخلاص . *

فإذا قيل لك بم عرفت ربك ؟ فقل بآياته ومخلوقاته ، ومن آياته الليل والنهار .

(وإذا) سُئلت و (قيل لك) ما هي الأدلة التي (عرفت) بها (ربك) وخالقك الذي تعبده (فقل) له عرفته (بآياته) أي علاماته ودلائله التي نصبها دلالة على وحدانيته وتفرده بالربوبية والألوهية ، وعرفته (بمخلوقاته) الباهرة التي أوجدها بعد العدم وجعلها دالة عليه ، فكل شيء في الكون وإن دق فهو دال على وحدانيته :

تأمل سطور الكائنات فإنها ** من الملك الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيها لو تأملت خطاً ** ألا كل شيء ما خلا الله باطل (١١٤).

والتفكر في الكون يزيد الإيمان ويعلق القلب بالله ، قال ابن القيم رحمه الله : " وأحسن ما أنفقت فيه الأنفاس، التفكر في آيات الله وعجائب صنعه والانتقال منها إلى **تعلق القلب** والهمة به، دون شيء من مخلوقاته " (١١٥) .

(ومن) أعظم (آياته) المشاهدة بالأبصار الدالة على وحدانيته إقبال (الليل) وإدبار (النهار) وعدم اجتماعهما في

---

(١) تيسير العزيز الحميد. ط مكتبة الرياض ص/٣٨٤

زمن واحد، بل كل منهما يطلب الآخر، هذا يقبل وذاك يدبر، طلباً سريعاً لا يفصل بينهما شيء، وهما يتعاقبان علينا تسخيراً لنا. *

والشمس والقمر ، ومن مخلوقاته : السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهما .

-------------------------------". (١)

٦٢-"وحقيقته **تعلق القلب** بالله والأخذ بالأسباب مع عدم الاعتماد عليها،قال: ابن القيم رحمه الله : " وسر التوكل وحقيقته : هو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به، فتوكل اللسان شيء، وتوكل القلب شيء آخر " (١٦٦). والتوكل محله السبب ، وكماله بالتوكل قال ابن القيم رحمه الله : " التوكل محله الأسباب، وكماله بالتوكل على الله، وهذا كتوكل الحرَّاث الذي شق الأرض وألقى فيها البذر ، فتوكل على الله في زرعه وإنباته ، فهذا قد أعطى التوكل حقه " (١٦٧).

ويجب فعل الأسباب مع التوكل ولكن مع عدم الركون إليها ، قال ابن القيم رحمه الله : " من أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل ، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها ، فيكون حال قلبه قيامه بالله ، لا بها ، وحال بدنه قيامه بها " (١٦٨).*". (٢)

٦٣-"والتوكل على الله معناه : أن يفعل السبب الذي أُمر به ، ثم يفوض أمره إلى الله -جل وعلا- في الانتفاع بالأسباب ، وإذا كان ما لديه من الأمر لا يملك أن يفعل له سببا فإنه يفوض أمره إلى الله جل وعلا [سورة غافر : ٤٤] وهذا التفويض إلى الله -جل وعلا- عمل القلب خاصة ، يعني: أن يلتجئ بقلبه ، وأن يعتمد بقلبه على الله -جل وعلا- في تحصيل مراده ، أو دفع الشر الذي يخشاه ، والعباد إذا تعامل معهم فإنما يتعامل معهم على أنهم أسباب ، والسبب قد ينفع ، وقد لا ينفع ، فإذا **تعلق القلب** بالخلق أوتي من هذه الجهة ، ولم يكن كاملا في توكله .

فتعلق القلب بالخلق مذموم ، والذي ينبغي : أن يتوكل على الله ، وأن يعلق قلبه بالله -جل وعلا- ، وألا يتعلق بالخلق ، حتى ولو كانوا أسبابا ، فينظر إليهم على أنهم أسباب ، والنافع والذي يجعل السبب سببا ، وينفع به هو الله -جل وعلا- .

إذا قام هذا في القلب فإن العبد يكون مع ربه -جل وعلا- ، ويعلم أنه لن يكون له إلا ما قدره الله -جل وعلا- له ، ولن يمضي عليه إلا ما كتبه الله -جل وعلا- عليه)) .

س٩٨ : أذكر أنواع التوكل ؟

ج : أعلم أن التوكل أنواع:

(١) تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول ص/٤٢

(٢) تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول ص/٦٦

الأول: التوكل على الله تعالى وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به وسبق دليله.
الثاني: توكل السر بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة ، أو دفع مضرة فهذا شرك أكبر ؛ لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً في الكون ، ولا فر ق بين أن يكون نبياً ، أو ولياً ، أو طاغوتاً عدوا لله تعالى.". (١)

٦٤-"الثالث: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش ونحوه فهذا نوع من الشرك الأصغر لقوة **تعلق القلب** به والإعتماد عليه. أما لو أعتمد عليه على أنه سبب وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمتوكل بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب، والسنة ، والإجماع فقد قال يعقوب لبنيه ﴿ يا بني أذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ﴾ ﴿سورة يوسف، الآية: ٨٧﴾ ووكل النبي صلى الله عليه وسلم ،على الصدقة عمالاً وحفاظاً ، ووكل في إثبات الحدود وإقامتها ، ووكل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هديه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها ، وأن ينحر ما بقى من المئة بعد أن نحر صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثاً وستين. وأما الإجماع على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة (١) .
س٩٩ : عرف الرغبة والرهبة والخشوع ؟
ج : قال المصنف . يرحمه الله . : (ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى : ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ .
(الرغب) : هو طلب الشي مع ميل إليه وإرادة تحصليه والظفر به .
(والرهب) : ضده .
(والخشوع) : هو الطمأنينة ، يقال هذا محل خاشع ، أي مطمئن ، أي منخفض عن غيره ، وأما الخشوع في استعمالات كثيرة فيأتي بمعنى السكون .
والخشوع هي حالة تقع للإنسان في عبادته ، يتعبد الله بها ، فإذا وقعت هذه العبادة أو عبادة الرغبة والرهبة لغير الله – سبحانه وتعالى – فقد أشرك الإنسان بالله .

---

(١) ٩٢) شرح الثلاثة الأصول : ٥٥ للعلامة أبن عثيمين .". (٢)

٦٥-"هؤلاء أحياء ، يُبعث الناس ويُحَيَوْن من جديد، كانوا في حياة ثم ماتوا ثم أعيدوا إلى حياة أخرى. فهي استغاثة بمن ؟ بحي، حاضر، قادر، يسمع. بهذا ليس فيما احتجوا به من حال أولئك الأنبياء يوم القيامة حُجة على جواز الاستغاثة بغير الله جل وعلا، والاستغاثة بغير الله جل وعلا أعظم كفرا من كثير من المسائل التي صَرْفها لغير الله جل وعلا شرك، إذن

---

(١) تيسير الوصول إلى معرفة الثلاثة الأصول في سؤال وجواب ص/١١٨
(٢) تيسير الوصول إلى معرفة الثلاثة الأصول في سؤال وجواب ص/١١٩

فالشروط:

* أن يكون حياً: إذا كان ميّتا لا يجوز الاستغاثة به.

أن يكون حاضراً: إذا كان غائباً لا يجوز الاستغاثة به؛ حي قادر لكنه غائب. مثل لو استغاث بجبريل عليه السلام فليس بحاضر، حي نعم ، وقادر قد يطلب منه ما يقدر عليه، ولكنه ليس بحاضر. مثل أن يطلب من حي قادر من الناس؛ يَطلب من ملك يملك أو أمير يستغيث به أغثني يا فلان ، وهو ليس عنده ، مع أنه لو كان عنده لأمكن بقوّته ، لكنه لما لم يكن حاضرا صارت **الاستغاثة–تعلُّق القلب–** بغير حاضر هذا شرك بالله جل وعلا.

س ١١٠ : أذكر أقسام الاستغاثة ؟

ج : قال الشيخ أبن عثيمين ((في شرحه ٦٠)) : ((الإستغاثة طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك ، وهو أقسام :

الأول: الإستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم ، ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول : " اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة الإسلام لا تعبد في الأرض" وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم ألتزمه من ورائه ، وقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك وعدك فأنزل الله هذه الآية.". [(١)]

٦٦–"قال الشيخ صالح آل الشيخ في ((شرحه : ٥٦)) : ((الذبح الذي هو النحر ، والذبح يشمل النحر الخاص ويشمل الذبح الذي هو قسيم النحر لأن:

النحر: هو الطعن بسكين أو بالحَرْبَة في الوَحدة، مثل ما يُفعل بالإبل كما تعلمون هي لا تذبح ذبحاً ، لكن هي تطعن في وَحدتها وإذا طُعنت وحُرِّكت السكين واندثر الدم وماتت ، ليس ثَم ذبح. كذلك البقر قد تُنحر.

وأما الذبح: فيكون في الغنم من الظأن والماعز وكذلك في البقر.

الذبح والنحر عبادة ، المقصود منها إراقة الدم ، وإراقة الدم – من حيث هو – لا يكون إلا بتعلقٍ للقلب ، فإذا أراق الدم لله جل وعلا **تعلق القلب** بالله جل وعلا. فالذبح عبادة ظاهرة يتبعها أو يكون معها عبادة باطنة قلبية ، فمن ذبح لغير الله وقع في شرك ظاهر ؛ لأن هذه عبادة صرفها لغير الله ، وكذلك قلبه تعلق بغير الله فصار شركه من جهتين.

وجه الاستدلال من قوله تعالى (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أنه قال (وَنُسُكِي) والنسك فُسِّرت بعدة تفسيرات عن السلف منها الذبح والنحر وهذا كما قال جل وعلا في الآية الأخرى (إنا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(١)فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ [الكوثر:١–٢] ، (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) أمره بأن يوحد الله جل وعلا بالصلاة ، وكذلك أمره بالنحر

---

(١) تيسير الوصول إلى معرفة الثلاثة الأصول في سؤال وجواب ص/١٢٩

لربه جل وعلا وحده ، إذن النسك هنا الذبح.". (١)

٦٧-"وهذه كلها عبادات قلبية ، فكما أن الذبح عمل ظاهر؛ به تحريك اليد ، تحريك اللسان ببعض القول ، كذلك يقوم بالقلب حال الذبح أنواع من العبوديات ، قد ما يقوم بالقلب شيء البتة، مثل ما يُذبح لضيافة أو نحو ذلك، فهذا يجب أن يكون ظاهرا لله جل وعلا وحده ، وإذا اجتمع أن يكون في الذبيحة ، أن تكون اجتمعت فيها العبادة الظاهرة والعبادة الباطنة ؛ العبادة القلبية ، كانت أكمل في رجاء ثواب الذبح ، ولو كان في الأمور العادية من ضيافة ونحوها ، فيكون الذبح لله جل وعلا ظاهراً لم يُرد بهذا إلا الله جل وعلا ، وباسمه لم يذكر إلا اسم الله جل وعلا ، ثم يكون بالقلب ذل لله جل وعلا وخضوع وتعظيم ورجاء المثوبة منه وحده ، فتجتمع العبادات القلبية وعبادات الجوارح حال الذبح.

لهذا، الذبح من العبادات العظيمة ، لكن قد يغفل الناس عن **تعلق القلب** وفعل الجوارح حين الذبح ، وكيف تكون لله جل وعلا ، ولهذا على طالب العلم أن يتعلم هذا إن لم يحسنه ، يتعلم كيف يكون حال الذبح ؛ حال ذبحه لذبيحته للأضحية وهي آكد وآكد وآكد ، أو لغيرها ، أن يكون موحداً تماماً ، يرجو في ذبحه أن يكون على غاية من العبودية في لسانه وقلبه وجوارحه ؛ لأنه فيه حركة لسان للتسمية والتكبير ، وفيه عمل القلب بأنواع من العبوديات ذكرت بعضها ، وفيه أيضا حركة اليد ، وهذا كله مما يجب أن يكون لله جل وعلا وحده.

وقال الأسمري في ((شرحه : ٨٦)) : ((والذبح نوعان : -". (٢)

٦٨-"(١)

....

= أنهم لا يقدرون على ذلك أصلا، وتعترفون بذلك، (أو أرادني برحمة) صحة وعافية وخير: ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ ١ أي أنتم تعلمون أنهم لا يستطيعون شيئا من الأمر، وتعترفون أنهم لا يقدرون على شيء من ذلك، فإذا علمتم أنهم لا يقدرون على ذلك فلم تعلقون عليهم من دون الله، (قل) يا محمد (حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) أي الله كافي من توكل عليه، والتوكل التفويض والاعتماد، فإذا كانت آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضر أراده الله بعبده، أو إمساك رحمة أنزلها على عبده، فيلزمهم بذلك أن يكون الله سبحانه وتعالى هو معبودهم وحده المفوض إليه جميع أمورهم، لزوما لا محيد لهم عنه.

وهذا في القرآن كثير يقيم تعالى الحجة على المشركين بما يبطل شركهم بالله، وتسويتهم غيره به في العبادة، بضرب الأمثال وغير ذلك مما يعلمون به أن ذلك لله وحده، ويقرون به على ما يجحدونه من عبادته وحده، هذا وهم إنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ٢ لا على أنهم يكشفون الضر، ويجيبون دعاء المضطر، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ ٣. قال مقاتل: سألهم النبي صلى الله عليه وسلم

(١) تيسير الوصول إلى معرفة الثلاثة الأصول في سؤال وجواب ص/١٣١

(٢) تيسير الوصول إلى معرفة الثلاثة الأصول في سؤال وجواب ص/١٣٣

فسكتوا؛ لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها، وإذا كان ذلك كذلك بطلت عبادتهم الآلهة مع الله، وإذا بطلت فلبس الحلقة والخيط ونحوهما كذلك. والمصنف –رحمه الله– استدل بالآية النازلة في الأكبر على الأصغر، كما استدل بها ابن عباس وحذيفة وغيرهما، وهذه الآية وأمثالها تبطل **تعلق القلب** بغير الله في جلب نفع، أو دفع ضر وأن ذلك لا يكون إلا بالله وحده، وأن جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله، كما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وكذلك لا يصلح شيء من أنواع التعلقات بغير الله عز وجل.

(١) رضي الله". [1]

٦٩-"النهاية: ((التمائم جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم، يتقون بها العين في زعمهم، فأبطله الإسلام)) ا هـ. والتمائم أعم من ذلك، فتكون من عظام، ومن خرز، ومن كتابة، ومن غير ذلك.

....

(١) ودعة بفتح فسكون وتفتح، و "لا ودع" بتخفيف الدال أي لا ترك له ما يحب، أو لا جعله في دعة وسكون، بل حرك عليه كل مؤذ، وهذا دعاء عليه أيضا، معاملة له بنقيض قصده، وكانوا يتلمحون من اسمها الدعة والسكون. قال في النهاية: ((الودعة شيء أبيض يجلب من البحر، يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم، وقيل يشبه الصدف يتقون به العين)). وفيه وعيد شديد لمن فعل ذلك، يفيد أنه محرم، وإذا تقرر أنه محرم فالرواية الثانية بينت أنه من المحرمات الشركية، ومع كونه شركا فقد دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقيض مقصوده، ورواه أبو يعلى والحاكم وقال: صحيح الإسناد. وأقره الذهبي.

(٢) وذلك " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل عليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وأمسكت عن هذا؟ فقال: "إن عليه تميمة"، فأدخل يده فقطعها فبايعه، وقال: من تعلق تميمة فقد أشرك "٣. رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر. ورواه الحاكم بنحوه، ورواته ثقات. وإنما جعلها صلى الله عليه وسلم شركا؛ لأنه أراد رفع القدر المكتوب، وطلب دفع الأذى من غير الله تعالى الذي هو النافع الضار، والتعلق يكون بالفعل أو بالقلب أو بهما، وإنما كان شركا من جهة **تعلق القلب** على غير الله في جلب نفع أو دفع ضر، فكان شركا من هذه الحيثية. قال الشيخ: من تعلق قلبه بمخلوق فالمخلوق عاجز، وهو من الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة، وذلك أن يرجو العبد قضاء حاجته من غير ربه =

----

١ أحمد (١٥٤/٤).

٢ أحمد (١٥٦/٤).

٣ أحمد (١٥٦/٤).

---

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٢/٨

ص -٨٠- ولابن أبي حاتم عن حذيفة (١) أنه " رأي رجلا في يده خيط من الحمى فقطعه". [١]

٧٠-"ص- ٢١٢- باب ما جاء في التطير (١)

....

(١) أي من النهي عنه والوعيد فيه، مصدر تطير يتطير، والطيرة اسم مصدر من تطير طيرة، كما يقال تخير خيرة، ولم يجيء في المصادر على هذه الزنة غيرهما، والتطير التشاؤم بالشيء بما يقع من المرئيات أو المسموعات في قلوب أهل الشرك والعقائد الضعيفة، الذين لا يجعلون توكلهم على الله، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء والعطاس والنجوم وغير ذلك، فكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع أو دفع ضر، وإنما هو خواطر وحدوس وتخمينات لا أصل لها. قال المدائني: ((سألت رؤبة بن العجاج ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه، قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد)). ا هـ.

ومن العرب من يتشاءم بالبارح، ويتبرك بالسانح وبالعكس، ولم تكن قاطبة تعتقد هذا وتقول به، بل قد جاء عن بعضهم إنكاره ومنه:

وما أنا ممن يزجر الطير همه أطار غراب أم تعرض ثعلب

ولا السانحات البارحات عشية أمَرَّ سليم القرن أم مَرّ أعضب

وغير ذلك مما هو مشهور عنهم، وفي الصحيح عنه -عليه الصلاة والسلام- حين سئل عنه قال: "ذلك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه". وقال: "إذا تطيرت فلا ترجع". ولا يضر إلا من أشفق منه وخاف واعتنى به، فيكون أسرع إليه من السيل إلى منحدره، وتفتح له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه، ويفتح له الشيطان من المناسبات القريبة والبعيدة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه، ولما كان التطير من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب؛ لكونه من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ولكونه **يتعلق القلب** به خوفا وطمعا، ولكونه منافيا للتوكل على الله، واعتقاد نفع أو ضر بسبب طائر ونحوه، أفرده المصنف -رحمه الله- بالترجمة، وإن كان من الشرك الأصغر فهو من أقبح الشرك.

ص -٢١٣- وقول الله تعالى: ﴿أَلا إِنَّمَا". [٢]

٧١-"يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ ٢ إلى قوله: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ ٣، ففيه نفي تعليق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد، وفيه التصريح بأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا، فيعد من اعتقدها سفيها مشركا.

(٣) أي ولا تحول ولا انتقال من حال إلى حال، ولا قوة على ذلك إلا بالله وحده لا شريك له، وهذا استعانة به سبحانه

---

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٦/٨

(٢) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ١/٢٩

على فعل التوكل وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سببا لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها، ومعاملة له بنقيض قصده، وهذا الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات.

(٤) ولفظ أبي داود: " الطيرة شرك الطيرة شرك "٤ ثلاثا. وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله، ولو لم يكن فيها إلا سوء الظن بالله لكفى بها قبحا. قال في شرح السنن: ((وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعا أو تدفع عنهم ضرا إذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوا مع الله)).

-----------------------.

١ أبو داود : الطب (٣٩١٩).

٢ سورة النساء آية : ٧٨.

٣ سورة النساء آية : ٧٩.

٤ أحمد (٥/٢٢٥).

ص -٢٢٠- وما منا إلا.. ولكن الله يذهبه بالتوكل (١)"١. رواه أبو داود والترمذي وصححه (٢)، وجعل آخره من قول ابن مسعود (٣). ولأحمد من حديث ابن عمرو (٤):

....

(١) أي وما منا أحد إلا ويعتريه ويخطر له ويقع في قلبه من الطيرة شيء، فحذف اعتمادا على فهم السامع، ولكن لما توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه، واعتمادنا عليه والاستناد عليه. وللطبراني وغيره من حديث حارثة: " ثلاث لازمة أمتي: الطيرة والحسد وسوء الظن، قيل: وما يذهبهن؟ قال: إذا حسدت فاستغفر الله، وإذا". (١)

٧٢-"النوع الأول : التوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من جلب المنافع ودفع المضار، وهذا شرك أكبر لأنه إذا كان التوكل على الله من تمام الإيمان، فالتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه غير الله من الشرك الأكبر، وهذا النوع هو المراد بقوله تعالى : (((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((وقال تعالى: ((((((((((((((((((((((((((((((((١)، وقال تعالى: ((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((((.(٢)

النوع الثاني : أن يتوكل على حي حاضر من ملك أو وزير أو مسؤول فيما أقدره الله عليه من رزق أو دفع أذى، وهذا شرك

(١) حاشية كتاب التوحيد لابن قاسم ٩/٢٩

أصغر، بسبب قوت **تعلق القلب** بهذا الإنسان واعتماده عليه. أما إذا اعتقد أن هذا الإنسان سبب، وأن الله تعالى هو الذي أقدره على هذا الشيء وأجراه على يديه فهذا لا بأس به إذا كان لهذا الإنسان أثر صحيح في حصول المراد. لكنَّ كثيرًا من الناس قد لا يمر على باله هذا المعنى، ويكاد يعتمد على هذا الإنسان في حصول مراده .

النوع الثالث : الاعتماد على الغير في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه فهذا جائز دل عليه الكتاب والسنة والإجماع . لكن لا يعتمد عليه في حصول ما

(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ(.".[1]

٧٣-"قال الرازي: "وإن من جرب الأمور وعرف أحوال أهل العلم علم أن **لتعلق القلب** أثراً عظيماً في تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار"(١).

المبحث الثاني: السحر له حقيقة أم لا ؟

اخُتلف في السحر هل له حقيقة أم لا حقيقة له بل مجرد تخييل؟ على قولين وإليك رأي كل من الفريقين مع بيان الرأي الصائب إن شاء الله.

القول الأول: قول أهل السنة والجماعة:

وهو أن للسحر حقيقة وأثراً ثابتاً بالكتاب والسنة.قال النووي: "والصحيح أن السحر له حقيقة وبه قطع الجمهور وعليه عامة العلماء...(٢)" وقال القرطبي رحمه الله "ذهب أهل السنة إلى أن السحر ثابت وله حقيقة..."(٣) وقال أيضاً: "وعندنا أنه حق وله حقيقة يخلق الله عندها ما يشاء"(٤) وقال الإمام المازري: "مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر وأن له حقيقة كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافاً لمن أنكر ذلك... (٥)" وقال الإمام ابن القيم: "وقد دل قوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾(٦)

وحديث عائشة رضى الله عنها على تأثير السحر وأن له حقيقة(٧).

أدلة أهل السنة:

لقد استدل أهل السنة على أن للسحر حقيقة وأثراً بأدلة كثيرة من الكتاب والسنة، ومن الواقع وإليك شيئا منها:

أولا: الأدلة من الكتاب منها ما يلي:

---

(١) تفسير الرازي ج٣ص٢١٣.

(٢) فتح الباري ج١٠ ص٢٢٢.

(٣) تفسير القرطبي ج٢ ص٤٤.

(٤) تفسير القرطبي ج٢ ص٤٦.

---

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول ص/٦٤

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي ج١٤ ص١٧٤.
(٦) آية ٤ سورة الفلق.
(٧) التفسير القيم ص ٥٧١.". [١]

٧٤-"وقد ذكر بعض أئمّة الدّعوة أَنَّ ابن حزم استثنى من عموم التّحريم اسم عبد المطّلب ؛ لأنّ أصله من عبوديّة الرقّ ، فلم يبق للأصل معنًى مقصود ؛ ولهذا قال النّبيّ (: ((أَنَا ابْنُ عَبْدِالْمُطَّلِبْ)) (١٦٢) .
والصّحيح أنّ التحريم يعمّه أيضًا ؛ لأنّ كلام النّبيّ (من باب الإخبار لا من باب الإنشاء ؛ فالنّبيّ (أخبر أنّ له جدًّا اسمه عبد المطّلب ، ولم يرد عنه (أنّه سمّى عبد المطّلب ، أو أقرّ أحدًا من صحابته على ذلك (١٦٣) .
وأمّا الشّرك الأكبر فهو صرف نوعٍ ، أو فرد من أفراد العبادة لغير الله تعالى (١٦٤) . وهو أنواع كثيرة ، أشدّها خطرًا ، وأكثرها وقوعًا أربعة أنواع : .
الأوّل : شرك الدّعاء (١٦٥) ؛ وهو أن يسأل غير الله شيئًا لا يقدر عليه إلاّ الله وحده (١٦٦) ؛ كسؤال الرّزق ، أو الهداية ، أو المغفرة . وهذا الشّرك أصل الشّرك في العالم ، وأعظم أنواع الشّرك في العبادة ، وأكثرها دلالةً على **تعلّق القلب** بغير الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ . وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴾ [الأحقاف : ٥ ، ٦] ، يقول سليمان بن عبد الله آل الشّيخ : ((دعاء الميّت ، والغائب ، والحاضر فيما لا يقدر عليه إلاّ الله ، والاستغاثة بغير الله في كشف الضرّ أو تحويله هو الشّرك الأكبر ، بل هو أكبر أنواع الشّرك . لأنّ الدّعاء مخّ العبادة ، ولأنّ من خصائص الإلهيّة إفراد الله بسؤال ذلك ؛ إذ معنى الإله هو الّذي يعبد لأجل هذه الأمور ، ولأنّ الداعي إنّما يدعو إلهه عند انقطاع أمله ممّا سواه ، وذلك هو خلاصة التوحيد)) (١٦٧) .". [٢]

٧٥-"١ــ إظهار العبودية، والفاقة، والحاجة إلى ما يرجوه العبد من ربه، ويستشرفه من إحسانه، وأنه لا يستغني عن فضله، وإحسانه طرفة عين.
٢ــ أن الرجاء محبوبٌ لله؛ فالله عز وجل يحب من عباده أن يرجوه، ويأملوه، ويسألوه من فضله؛ لأنه الملك الحق الجواد؛ فهو أجود من سئل، وأوسع من أعطى.
وأحب ما إلى الجواد أن يُرجى، ويُؤمل، ويُسأل.
٣ــ التخلص من غضب الله؛ فمن لم يسأل الله يغضب الله عليه، والسائل راجٍ، وطالبٌ.
٤ــ أن الرجاء حادٍ يحدو بالعبد في سيره إلى الله، ويطيّبُ له المسير، ويحثه عليه، ويبعثه على ملازمته؛ فلولا الرجاء لما سار أحد؛ فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب، ويزعجه الخوف، ويحدوه الرجاء.

---

(١) حقيقة السحر وحكمه في الكتاب والسنة ١٢/١
(٢) دلالة الأسماء الحسنى على التنزيه ص/٥٨

٥ــ أن الرجاء يطرحه على عتبة المحبة؛ فإنه كلما اشتدّ رجاؤه، وحصل له ما يرجوه ازداد حباً لله تعالى وشكراً له، ورضاً به، وعنه.

٦ــ أنه يبعثه على أعلى المقامات، وهو مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية؛ فإنه إذا حصل له مرجوّه كان أدعى لشكره.

٧ــ أنه يوجب له المزيد من معرفة الله، وأسمائه، ومعانيها، والتعلق بها؛ فإن الراجي متعلق بأسمائه الحسنى، متعبدٌ، وداعٍ بها.

٨ــ أن المحبة لا تنفك عن الرجاء؛ فكل واحد منهما يمد الآخر، ويقويه.

٩ــ أن الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف؛ فكل راجٍ خائفٌ، وكل خائف راجٍ.

١٠ــ أن العبد إذا تعلق قلبه برجاء ربِّه، فأعطاه ما رجاه كان ذلك ألطفَ موقعاً، وأحلى عند العبد، وأبلغ من حصول ما لم يَرْجُه.

١١ــ أن في الرجاء من الانتظار، والترقب، والتوقع لفضل الله ما يوجب **تعلق القلب** بذكره، ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه، وصفاته، وتنقُّلُ القلب في رياضها الأنيقة، وأخذه بنصيبه من كل اسم، وصفة.

اللهم إنا نسألك حبك، وخوفك، ورجاءك، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد.". [١]

٧٦-"١٢- ومما يخل بالتوحيد التعلق بالأسباب كالطبيب والعلاج والوظيفة وغيرها وعدم التوكل على الله، والمشروع هو أن نبذل الأسباب كطلب العلاج والرزق لكن مع **تعلق القلب** بالله لا بهذا السبب.

١٣- ومما يخل بالتوحيد التنجيم واستعمال النجوم في غير ما خلقت له، فلا تستخدم في معرفة المستقبل والغيب وكل هذا لا يجوز.

١٤- ومن ذلك الاستسقاء بالنجوم والأنواء والمواسم واعتقاد أن النجوم هي التي تقدم المطر أو تؤخره، بل الذي ينزل المطر ويمنعه هو الله فقل: «مطرنا بفضل الله ورحمته».

١٥- ومما ينافي التوحيد صرف شيء من أنواع العبادة القلبية لغير الله مثل صرف المحبة المطلقة أو الخوف المطلق للمخلوقات.

١٦- ومما يخل بالتوحيد الأمن من مكر الله وعذابه أو القنوط من رحمة الله، فلا تأمن من مكر الله ولا تقنط من رحمته، فكن بين الخوف والرجاء.

١٧- ومما يخل بالتوحيد عدم الصبر على أقدار الله والتجزع ومعارضة القدر بمثل قولهم: «لماذا يا الله تفعل بي كذا، أو بفلان كذا، أو لماذا كل هذا يا الله». ونحو ذلك من النياحة، وشق الجيوب ونثر الشعر.

١٨- ومن ذلك الرياء والسمعة وأن يريد الإنسان بعمله الدنيا.

١٩- ومما ينافي التوحيد طاعة العلماء والأمراء وغيرهم في تحريم الحلال أو تحليل الحرام، فإن طاعتهم نوع من الشرك.

٢٠- ومما يخل بالتوحيد قول «ما شاء الله وشئت» أو قول «لولا الله وفلان» أو «توكلت على الله وفلان» فالواجب

---

(١) رسائل في العقيدة ١٣/٨

استعمال «ثم» في جميع ما سبق لأمره – صلى الله عليه وسلم – لهم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: «ورب الكعبة»، وأن يقولوا: «ما شاء الله ثم شئت» [رواه النسائي].

٢١- ومما يخل بالتوحيد سب الدهر والزمان والأيام والشهور.

٢٢- ومما ينافي التوحيد، السخرية بالدين أو الرسل أو القرآن أو السنة، أو السخرية بأهل الصلاح والعلم، لما يحملونه من السنة وظهورها عليهم من إعفاء اللحية أو السواك أو تقصير الثوب عن الكعبين، ونحو ذلك.". (١)

٧٧-"أما الدليل ففي قوله: ((رأس الأمر الإسلام)) والأمر هنا المراد به الدين، يعني رأس الدين الإسلام والمراد به هنا شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله (الشهادتان) ولذلك جاء في روايةٍ لهذا الحديث: ((رأس الأمر شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله)) فالإسلام يراد به هنا الشهادتان، وهو الاستسلام لله عز وجل بالعبودية، يعني: إفراد الله جل وعلا بالعبادة وحده دون غيره، هذا هو المراد بالإسلام هنا، وعلى هذا يكون فيه دليل على ما تقدم ، لأن شهادة أن لا إله إلاّ الله هي الإيمان بالله تعالى والكفر بالطاغوت، فيكون فيها دليل لما ذكره رحمه الله في قوله: افترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وأما قوله (في الحديث: ((وعموده الصلاة)) فهذا فيه بيان مرتبة الصلاة في هذا الدين، وأنها من هذا الدين كالعمود للخيمة، وليس للخيمة قيام بلا عمود، بل لا قيام للفسطاط إلاّ بعمود ، فمن لا صلاة له لا إسلام له، هكذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وورد مثل ذلك عن علي بن أبي طالب: (لاحظّ في الإسلام لمن لا صلاة له) كل هذا مما ورد عن الصحابة وقال عبد الله بن شقيق رحمه الله وهو من التابعين: لم يكن شيء من العمل تركه كفر يعني عند الصحابة (أي لم يكن أصحاب النبي (يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلاّ الصلاة، فالصلاة شأنها كبير وأمرها خطير، ويكفي في الوصف فيها قول النبي (: ((وعموده الصلاة)) وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: من أراد أن يعرف قدر الإسلام في قلبه فلينظر إلى قدر الصلاة في قلبه، فبقدر ما يكون مع الإنسان من تعظيم الصلاة والاهتمام بها والعناية بها والإقبال عليها والتبكير إليها **وتعلق القلب** بها يكون معه بقدر ذلك من الإسلام، ولذلك كان أول ما يسأل عنه الناس من الأعمال بعد التوحيد مما يتعلق بحقوق الله سبحانه وتعالى الصلاة، فهي أول مسؤول عنه، ولذلك ينبغي للإنسان أن يعتني". (٢)

٧٨-"خَلْقِهِ، الَّتِي تَزِيدُ عَلَى أَلْفِ دَلِيلٍ، كَمَا يَأْتِي الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا عِنْدَ قَوْلِ الشَّيْخِ رَحِمَهُ اللَّهُ (مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ وَفَوْقَهُ)، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

قَوْلُهُ: (وَحَبِيبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ).

ش: ثَبَتَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْمَحَبَّةِ، وَهِيَ الْخُلَّةُ، كَمَا صَحَّ عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ

---

(١) سؤال وجواب في التوحيد والإيمان ص/٧

(٢) شرح الأصول الثلاثة ص/١١٧

اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا. وَقَالَ: وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّ صَاحِبَكُمْ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ». وَالْحَدِيثَانِ فِي الصَّحِيحِ وَهُمَا يُبْطِلَانِ قَوْلَ مَنْ قَالَ: الْخُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ وَالْمَحَبَّةُ لِمُحَمَّدٍ، فَإِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ حَبِيبُهُ. وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خَلِيلٍ مِنْ خُلَّتِهِ». وَالْمَحَبَّةُ قَدْ ثَبَتَتْ لِغَيْرِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (١). ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢).

فَبَطَلَ قَوْلُ مَنْ خَصَّ الْخُلَّةَ بِإِبْرَاهِيمَ وَالْمَحَبَّةَ بِمُحَمَّدٍ، بَلِ الْخُلَّةُ خَاصَّةٌ بِهِمَا، وَالْمَحَبَّةُ عَامَّةٌ. وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ الَّذِي فِيهِ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ»: لَمْ يَثْبُتْ (٣).

وَالْمَحَبَّةُ مَرَاتِبُ:

أَوَّلُهَا: الْعَلَاقَةُ، وَهِيَ **تَعَلُّقُ الْقَلْبِ** بِالْمَحْبُوبِ. وَالثَّانِيَةُ: الْإِرَادَةُ، وَهِيَ مَيْلُ الْقَلْبِ إِلَى مَحْبُوبِهِ وَطَلَبُهُ لَهُ. الثَّالِثَةُ: الصَّبَابَةُ، وَهِيَ انْصِبَابُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ بِحَيْثُ لَا يَمْلِكُهُ صَاحِبُهُ، كَانْصِبَابِ الْمَاءِ فِي الْحُدُورِ.

الرَّابِعَةُ: الْغَرَامُ، وَهِيَ الْحُبُّ اللَّازِمُ لِلْقَلْبِ، وَمِنْهُ الْغَرِيمُ، لِمُلَازَمَتِهِ، وَمِنْهُ:

---

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ الآيتان ١٣٤و٧٦.

(٢) سورة الْبَقَرَةِ آية ٢٢٢.

(٣) هذا جزء من حديث طويل، رواه الدارمي في سننه ١/ ٢٦، عن عبيد الله بن عبد المجيد، عن زمعة بن صالح، عن سلمة بن وهرام، عن عكرمة، عن ابن عباس. ورواه الترمذي ٤/ ٢٩٤ - ٢٩٥، عن علي بن نصر بن علي الجهضمي، عن عبيد الله بن عبد المجيد. بهذا الإسناد، وقال: «هذا حديث غريب». وحق للشارح رحمه الله أن يقول هنا إنه «لم يثبت» - لأن زمعة بن صالح راويه: ضعيف.". [1]

٧٩-"الْمُحْسِنِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٣٤] ، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ٧٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة الْبَقَرَة: ٢٢٢]. فَبَطَلَ قَوْلُ مَنْ خَصَّ الْخُلَّةَ بِإِبْرَاهِيمَ وَالْمَحَبَّةَ بِمُحَمَّدٍ، بَلِ الْخُلَّةُ خَاصَّةٌ بِهِمَا، وَالْمَحَبَّةُ عامة، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ الَّذِي فِيهِ: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ"١ لَمْ يَثْبُتْ.

وَالْمَحَبَّةُ مَرَاتِبُ: أَوَّلُهَا: الْعَلَاقَةُ، وَهِيَ **تَعَلُّقُ الْقَلْبِ** بِالْمَحْبُوبِ. وَالثَّانِيَةُ: الْإِرَادَةُ، وَهِيَ مَيْلُ الْقَلْبِ إِلَى مَحْبُوبِهِ وَطَلَبُهُ لَهُ. الثَّالِثَةُ: الصَّبَابَةُ، وَهِيَ انْصِبَابُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ بِحَيْثُ لَا يَمْلِكُهُ صَاحِبُهُ، كَانْصِبَابِ الْمَاءِ فِي الْحُدُورِ. الرَّابِعَةُ: الْغَرَامُ، وَهِيَ الْحُبُّ اللَّازِمُ لِلْقَلْبِ، وَمِنْهُ الْغَرِيمُ، لملازمته، ومنه: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [سورة الْفُرْقَانِ: ٦٥]. الْخَامِسَةُ: الْمَوَدَّةُ، وَالْوُدُّ، وَهِيَ صَفْوُ الْمَحَبَّةِ وَخَالِصُهَا وَلُبُّهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [سورة مَرْيَمَ: ٩٦]. السَّادِسَةُ: الشَّغَفُ، وَهِيَ وُصُولُ الْمَحَبَّةِ إِلَى شَغَافِ الْقَلْبِ. السَّابِعَةُ: الْعِشْقُ: وَهُوَ الْحُبُّ الْمُفْرِطُ الَّذِي يُخَافُ عَلَى صَاحِبِهِ مِنْهُ، وَلَكِنْ لَا يُوصَفُ بِهِ الرَّبُّ

---

(١) شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية ص/١٢٣

تَعَالَى وَلَا الْعَبْدُ فِي مَحَبَّةِ رَبِّهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَطْلَقَهُ بَعْضُهُمْ، وَاخْتُلِفَ فِي سَبَبِ الْمَنْعِ، فَقِيلَ: عَدَمُ التَّوْقِيفِ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ. وَلَعَلَّ امْتِنَاعَ إِطْلَاقِهِ أَنَّ العشق محبة مع شهوة. الثامنة: التيم، وَهُوَ بِمَعْنَى التَّعَبُّدِ. التَّاسِعَةُ: التَّعَبُّدُ. الْعَاشِرَةُ: الْخُلَّةُ، وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الَّتِي تَخَلَّلَتْ رُوحَ الْمُحِبِّ وَقَلْبَهُ. وَقِيلَ فِي تَرْتِيبِهَا غَيْرُ ذَلِكَ. وَهَذَا التَّرْتِيبُ تقريب حسن، [لا] يعرف حسنه [إلا] بِالتَّأَمُّلِ فِي مَعَانِيهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ وَصْفَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّةِ هُوَ كَمَا يَلِيقُ بِجَلَالِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَظَمَتِهِ، كَسَائِرِ صِفَاتِهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا يُوصَفُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ بِالْإِرَادَةِ وَالْوُدِّ وَالْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّةِ، حَسْبَمَا وَرَدَ النَّصُّ.

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي تَحْدِيدِ الْمَحَبَّةِ عَلَى أَقْوَالٍ، نَحْوَ ثَلَاثِينَ قَوْلًا. وَلَا تُحَدُّ الْمَحَبَّةُ بِحَدٍّ أَوْضَحَ مِنْهَا، فَالْحُدُودُ لَا تَزِيدُهَا إِلَّا خَفَاءً. وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ الْوَاضِحَةُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى تَحْدِيدٍ، كَالْمَاءِ والهواء والتراب والجوع ونحو ذلك.

---

١ ضعيف، لضعف زمعة بن صالح وسلمة بن وهرام أيضا.". (١)

٨٠-" قوله : (وحبيب رب العالمين)

ش : ثبت له صلى الله عليه و سلم أعلى مراتب المحبة وهي الخلة كما صح [عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال : إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا] [وقال : ولو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن] والحديثان في الصحيح وهما يبطلان قول من قال : الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد فإبراهيم خليل الله ومحمد حبيبه وفي الصحيح أيضا : [إني أبرأ الى كل خليل من خلته] والمحبة قد ثبتت لغيره قال تعالى : ﴿ والله يحب المحسنين ﴾ ﴿ فإن الله يحب المتقين ﴾ ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ فبطل قول من خص الخلة بإبراهيم والمحبة بمحمد بل الخلة خاصة بهما والمحبة عامة [وحديث ابن عباس رضي الله عنهم الذي رواه الترمذي الذي فيه : إن إبراهيم خليل الله ألا وأنا حبيب الله ولا فخر] - : لم يثبت

والمحبة مراتب : أولها : العلاقة وهي **تعلق القلب** بالمحبوب والثانية : الإرادة وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له الثالثة : الصبابة وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه كانصباب الماء في الحدور الرابعة : الغرام وهي الحب اللازم للقلب ومنه الغريم لملازمته ومنه : ﴿ إن عذابها كان غراما ﴾ الخامسة : المودة والود وهي صفو المحبة وخالصها ولبها قال تعالى : ﴿ سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ السادسة : الشغف وهي وصول المحبة إلى شغاف القلب السابعة : العشق : وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه ولكن لا يوصف به الرب تعالى ولا العبد في محبة ربه وإن كان قد أطلقه بعضهم واختلف في سبب المنع فقيل : عدم التوقيف وقيل غير ذلك ولعل امتناع إطلاقه : أن العشق محبة مع شهوة الثامنة : التيم وهو بمعنى التعبد التاسعة : التعبد العاشرة : الخلة وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه وقيل في ترتيبها غير ذلك وهذا الترتيب تقريب حسن [لا] يعرف حسنه [إلا] بالتأمل في معانيه

---

(١) شرح الطحاوية - ط دار السلام ص/١٦٥

واعلم أن وصف الله تعالى بالمحبة والخلة هو كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته كسائر صفاته تعالى وإنما يوصف الله تعالى من هذه الأنواع بالإرادة والود والمحبة والخلة حسبما ورد النص

وقد اختلف في تحديد المحبة على أقوال نحو ثلاثين قولا ولا تحد المحبة بحد أوضح منها فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وهذه الاشياء الواضحة لا تحتاج الى تحديد كالماء والهواء والتراب والجوع ونحو ذلك ". [1]

٨١-"مراتب المحبة وما يوصف الله تعالى به منها

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [والمحبة مراتب: أولها: العلاقة، وهي **تعلق القلب** بالمحبوب.

الثانية: الإرادة، وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له.

الثالثة: الصبابة، وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه كانصباب الماء في الحدور.

الرابعة: الغرام، وهي الحب اللازم للقلب، ومنه الغريم لملازمته، ومنه: ﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ﴾ [الفرقان:٦٥].

الخامسة: المودة والود، وهي صفو المحبة وخالصها ولبها، قال تعالى: ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمْ الرَّحْمَنُ وُدّاً ﴾ [مريم:٩٦].

السادسة: الشغف، وهي وصول المحبة إلى شغاف القلب.

السابعة: العشق، وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه، ولكن لا يوصف به الرب تعالى ولا العبد في محبة ربه، وإن كان قد أطلقه بعضهم.

واختلف في سبب المنع، فقيل: عدم التوقيف.

وقيل غير ذلك، ولعل امتناع إطلاقه أن العشق محبة مع شهوة.

الثامنة: التتيم.

وهي بمعنى (التعبد).

التاسعة: التعبد.

العاشرة: الخلة، وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه.

وقيل في ترتيبها غير ذلك، وهذا الترتيب تقريب حسن لا يعرف حسنه إلا بالتأمل في معانيه.

واعلم أن وصف الله تعالى بالمحبة والخلة هو كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته كسائر صفاته تعالى، وإنما يوصف الله تعالى من هذه الأنواع بالإرادة والود والمحبة والخلة حسبما ورد النص.

وقد اختلف في تحديد المحبة على أقوال نحو ثلاثين قولاً، ولا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء، وخفاء هذه الأشياء الواضحة لا تحتاج إلى تحديد كالماء والهواء والتراب والجوع والشبع ونحو ذلك].

هذا من جملة كلام أهل السلوك الذين يتكلمون في العبادات القلبية، وقد أشرنا إلى أن ابن القيم رحمه الله قد أشار إلى ذلك في كتبه، في (روضة المحبين)، وفي (طريق الهجرتين)، وفي (مدارج السالكين)، وذكر تعريفات للمحبة، وذكر أيضاً

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص/١٦٤

ترتيبات المحبة أو أقسامها، وهي هذه الأقسام العشرة التي أولها العلاقة، ثم الصبابة، إلى آخرها التي هي الخلة، وجعل هو وغيره هذا الترتيب تقريبياً، ومنهم من قدم بعضها على بعض، ولا شك أنها أسماء لأنواع من المحبة، أي: أن منها ما يكثر استعماله ومنها ما لا يكثر، ومنها ما لا يجوز إطلاقه على الله تعالى كالعشق، والصحيح ما علله به من أنه محبة مع شهوة.

والله تعالى يوصف بالمحبة وبالخلة وبالإرادة وبالمودة، يوصف بهذه الأربعة من العشرة، أما البقية فلم ترد، فلا يجوز أن تستعمل في حق الله تعالى، فالصبابة مثلاً والعلاقة والعشق وما أشبهها، هذه مستعملة اصطلاحياً في أنواع من المحبة.

ولا شك أن المحبة أمر قلبي يجده الإنسان من قلبه، حيث يميل إلى المحبوب بعض الميل، ويعرض محبوبه على نفسه أو يواسيه بنفسه، ويكون له من الأثر ذلك الميل، وهناك بعض الأسباب التي استدعت ذلك، وقد تكون أسباباً ظاهرة كإحسان ونحو ذلك؛ فإن القلوب تألف وتحب من أحسن إليها، والله تعالى هو الذي أحسن إلى عباده، وهو الذي خولهم وأعطاهم، فإذا أحبوه كان سبب المحبة هو الإحسان، كما أنك تحب من أحسن إليك.

وقد تكون المحبة لأسباب قاصرة غير متعدية، كأن تحب أي إنسان لصلاحه وإن لم ينلك منه نفع دنيوي، ولكن رأيته صالحاً وتقياً وزاهداً وورعاً وعابداً فأحببته لذلك، وجعلت محبتك له عبادة تؤمل الثواب عليها، حيث إنه يحب الله وأنت تحبه فتحب من يحبه.

وهكذا محبتنا لربنا لا شك أن أعظم أسبابها كونه الذي يملك العباد، وهو الذي يتصرف فيهم، فهذه من أسباب محبتهم له، وأنه هو الذي وعد من أحبه وعبده بالثواب، ومن لم يفعل ذلك توعده بالعقاب، فكان هو أهل المحبة وأهل المودة التي تحبه القلوب وتوده، ويكون لها آثار كما سبقت الإشارة إليه، وأن الذي يحب الله تعالى يطيعه ويعبده، وتظهر آثار ذلك على البدن في كثرة عبادته، وفي نضرة خلقته، وفي تأثره بذلك من كثرة العبادة ونحوها.". (١)

٨٢-"عقيدة أهل البدع في الخوف والرجاء

الرجاء: هو **تعلق القلب** برحمة الله.

والخوف: وجل القلب من عذاب الله.

وهنا طائفتان منحرفتان: طائفة المرجئة غلبوا جانب الرجاء، وقالوا: لا تضر الذنوب، ومهما كثرت المعاصي فإنها لا تضر، ما دام أن الإنسان مؤمن، لا يضر عندهم ذنب.

والطائفة الثانية غلبوا جانب الخوف، ويسمون: الوعيدية: وهم الخورج والمعتزلة الذين يخلدون أصحاب الكبائر في النار، ولا يجعلون لهم توبة، ويقولون: إنهم قد لا يوفقون للتوبة، وأنهم لا يخرجون من النار، فهؤلاء غلبوا جانب الخوف.". (٢)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين ١٣/١٥

(٢) شرح العقيدة الطحاوية - ابن جبرين ٣/٤٠

٨٣-"[المسألة الأولى]:

أنَّ المؤمن في تَعَلُّقِهِ بربه - عز وجل - في عبادته سبحانه بأنواع العبادة القلبية والعملية يرى أنّ الإنعام عليه بأن يكون من أهل الجنة هذا أعظم الإنعام؛ لأنَّ من دخل الجنة قد رضي الله عنه ومَتَّعَهُ بملاذِّها وحبورها وسرورها وأفاض عليه الزيادة وهي رؤية وجه الله الكريم.

ومن أحب تَعَلَّقَ بالمحبوب، وإذا **تَعَلَّقَ القلب** بالمحبوب لم يهدأ له بال ولا يقر له قرار حتى يلقى محبوبه راضياً عنه متمتعاً بلذة النظر إليه ومحادثته وتحيته، كما قال سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا(٤٣)تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾[الأحزاب:٤٣-٤٤]، فهذا أعلى أنواع التمتع. والقلب إذا خشع لله - عز وجل - وتلذذ بتلاوة القرآن وبالصلاة، وعلم أنَّ هذه من اللذات الحاضرة التي هي التلاوة والصلاة، فكيف بأعظم اللذات وهو رؤية الرب - عز وجل - وهي الغاية كما ذكر العلماء التي شَمَّرَ إليها المُشَمِّرُون، الذين تعلقت قلوبهم بالرب - عز وجل -". [1]

٨٤-"[المسألة الأولى]:

كلمة ("لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ") من أعظم الأذكار التي فيها الإقرار بربوبية الله - عز وجل - وبإلهيته وبأسمائه وصفاته، وفيها الإقرار بتَخَلِّي العبد عن كل حولٍ له وقوة ورؤية لما عنده من الآلات والقُدَرْ إلى ما عند الله وحده.

ففيها الفرار من الله - عز وجل - إليه وحده سبحانه وتعالى، وفيها التَّخَلِّي من رؤية النفس التي أوجبت الهلكة في الدنيا والآخرة على طائفة من الخلق.

فمعنى (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ):

(لَا): هنا نافية للجنس؛ يعني جنس الحول.

(حول): هو إمكان التَّحَوُّلْ من حالٍ إلى حال، وحتى رَفع الكأس إلى فيك، وحتى حركة ثوبك وحركة عمامتك، وحتى حركة عينيك، فإنَّ هذا التحوّل من حالٍ إلى حال في أي شيءٍ تفعله فإنك تنفي جنسه، وتنفي القدرة على هذا التحول، إلا أن يكون بالله - جل جلاله -.

وهذا فيه التبرُّؤْ من الحول والقوة، وأنَّهُ لا يمكنك أن تتخلّى عن الله - عز وجل - طرفة عين، حتى في طرف عينك وفي حركة لسانك وفي حركة أنفاسك فإنَّه لا تَغَيُّر من حالٍ إلى حال ولا قدرة لك على تحول شأنٍ من شؤونك مهما قلّ إلا بالله - عز وجل -.

(وَلَا): لَا نافية للجنس

(قُوَّةَ): يعني أنَّكَ تنفي جنس القوة التي بها تُوجَد الأشياء والتي بها تُحَصِّل الأمور، تنفي جنسها أن تكون حاصلة لك استقلالاً، أو حاصلة لك في إحداث الأشياء، وهذا منفي، إلا أن تكون بالله - عز وجل -.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - صالح آل الشيخ ص/١٣٣

وهذه الكلمة العظيمة فيها:

١- أولاً: توحيد الربوبية:

وهذا حقيقة توحيد الربوبية لله - عز وجل -، فإنَّ الإيقان بأنَّ الله - عز وجل - هو المدبر للأمر﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾[السجدة:٥] وأنَّهُ - عز وجل - ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[الأنعام:٥٩] وأنه - عز وجل - ﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾[المؤمنون:٨٨]، وأنَّهُ ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾[فاطر:٢]، وأنَّهُ ما تسقط من ورقة، وأنه ما من شجرة، ولا هبوب ريح، ولا تحرك في وليد ولا في جنين ولا في دمٍ في العروق، ولا في حركة حيوان صَغُرَ أم كَبُرْ، وأنَّ ذلك كلَّه بتدبير الله - عز وجل -، وأنَّ كلماته الكونية - عز وجل - وسعت كل شيء، كما قال - عز وجل - في آخر سورة الكهف ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[الكهف:١٠٩]، يعني الكلمات الكونية لكثرة أوامره - عز وجل - الكونية فيما يحدث في أحوال العباد.

فَتَنْظُرْ إلى توحيد الربوبية وتَعْلَمْ أنَّكَ لا فِعْلَ لك ولا حول في أي شيء ولا قوة إلا بالكريم - جل جلاله -.

ومن أعظم ذلك الذي تَتَبَرَأْ فيه من الحول والقوة الهداية وصلاح النفس وصلاح الظاهر وصلاح الباطن، فإنه لا يمكن لعبدٍ يرى نفسه أنَّهُ يفعل ويفعل وأنَّهُ يَقْدِرْ وأن يُوَفَّقَ أبداً؛ بل لا يُوَفَّقَ إلا من تبرأ من الحول والقوة في شأن التكليف وفي شأن الهداية ﴿وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾[الإسراء:٩٧]، سبحانه وتعالى.

٢- ثانياً: توحيد الألوهية:

فيها توحيد الإلهية أيضاً في أنَّهُ إذا كان لا حول ولا قوة إلا بالله وأنَّ المرء والمخلوق لا يمكنُ له أن يفعل إلا بالله وحده دون ما سواه، فلماذا يتعلق قلبه إذاً بغير الله من الآلهة والأنداد والأموات والأولياء والقوى المختلفة في حال البشرية، القوة المادية أو غيرها؟ لماذا يتعلق قلبه بهذه الأشياء؟

فإنما يكون إذاً **تعلق القلب** بمن يملك الانتقال والنُّقْلَةْ من حالٍ إلى حال ومن يملك القوة.". (١)

٨٥-"ج/ هذه مسألة كبيرة يضيق عنها المقام؛ لكن المقصود الاجتماع: الإجتماع على الدين، والدعوة تكون إلى الدين الذي أمرنا الله - عز وجل - بالاجتماع عليه، وهو ما نزل به القرآن وصَحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلف الصالح، هذا هو الدين كما قال - عز وجل - ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[الشورى:١٣] الآية، وكذلك قوله - عز وجل - في سورة آل عمران ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[آل عمران:١٠٣]، ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[آل عمران:١٠٥]، و الآيات في هذا المعنى كثيرة وأوضحت لكم

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - صالح آل الشيخ ص/٥٧٣

هذا مراراً.

فالدين الذي يجب الاجتماع عليه هو الدين الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه صحابته وكان عليه السلف الصالح، وأمَّا ما أحدثته الأمة من البدع في الاعتقاد أو البدع في العمليات والعبادات، فهذا لاشك أنه ليس الدين الأول هو شيء جديد، ولذلك صار فُرْقَةً وافتراقاً عما كانت عليه الجماعة الأولى، لهذا يجب أن يُحَافَظْ على ما كانت عليه الجماعة الأولى قبل أن تَفْسُدْ وتحدث الفِرْقَةْ والاختلاف، وهذا مما يجب الدعوة إليه بتثبيته، بتثبيت العقيدة في النفوس والدعوة إلى التوحيد والالتزام بالعمل الصالح، ونبذ الخلاف في هذه المسائل بتأصيل الأصول الشرعية في ملازمة الدليل وعدم الذهاب إلى العقليات.

من جهة ثانية الاجتماع والائتلاف يكون بالاجتماع على من ولَّاهُ الله – عز وجل – أمر المسلمين، فهذا الاجتماع مقصود في الشريعة أَمَرَ به الله – عز وجل – و أَمَرَ به النبي صلى الله عليه وسلم وحض عليه وأبدى فيه وأعاد كما يقول إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب في مسائل الجاهلية حتى غدا عند كثيرين هذا الأصل كأنه لم يكن فيه شيء من حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

فالإجتماع نوعان إجتماع في الدين وإجتماع على ولي الأمر وعدم مخالفته ولزوم طاعته في المعروف، فإذا أمر بالمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

س٥/ يوجد على كثير من السيارات تعليقات وخِرَقْ في مقدمتها ومؤخرتها، وأكثر هذه السيارات تَخُصُّ باكستانيين وأفغان، وتوضع هذه الخرق لدفع العين ولدفع الحوادث. فما توجيهكم للعمل على إزالتها وبالأخص أنَّها في بلد التوحيد؟

ج/ هذه الأشياء التي تُعَلَّقْ ربما تكون من التمائم، وربما لا تكون.

ولهذا ينبغي أن يُتَثَبَتْ من ذلك فإذا ثبت أنها تميمة عُلِّقَتْ مثل خيوط حمر أو أرنب على الزجاجة أو على خلف المقعد الخلفي يوضع رأس حيوان، أو وضع مصحف في الخلف خلف الناس قد أكلته الشمس من كُثُرْ ما أصابه منها وأشباه ذلك هذا ظاهر أنها من التمائم.

فإذا كانت من التمائم وجب مناصحة من هي معه، وإزالتها إن أمكن إزالتها بدون مفسدة.

ووجب أيضاً أن يقوم أهل الحسبة الأمر بالمعروف والنهي في هذه المسائل؛ لأنَّ الشرك هو أخبث ما يكون، هو التعلق بغير الله واعتقاد النفع والضر في هذه الخرق والأشرطة والحيوانات، وأنها تدفع العين أو تجلب الخير أو نحو ذلك، هذه من الاعتقادات الفاسدة، والنبي صلى الله عليه وسلم صَحَّ عنه أنَّهُ قال «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»(١) وقال أيضا «من تعلق تميمة فقد أشرك»(٢) و(تَعَلَّقْ) تشمل شيئين:

تشمل التعليق بنفسه **وتَعَلُّقْ القلب**.

فمن عَلَّقَ شيئاً وتَعَلَّقَ قلبه به فقد أشرك.

والقرآن على الصحيح لا يجوز أن يُسْتَخْدَمْ تميمة، لا من جهة وضعه في السيارات للحفظ أو لدفع العين، ولا أيضاً من جهة لبسه كتمثال مثل ما يباع أحيانا لبعض النساء ويُلْبَسْ، هذا كله من جهة التمائم، أو يجعل القرآن في خرقة وتُرْبَطْ أو

يُعَلِّقْ هذا كله من جهة التمائم ويجب أن ينهى عن ذلك، وأن لا يتخذ القرآن تميمة لأنه داخل في العموم وصيانَةً لهم من استعماله في غير ما شرع الله – عز وجل –.

---

(١) سبق ذكره (٤٧٣)
(٢) المسند (١٧٤٥٨)". [١]

٨٦-"[السائل] لكنه اعتد اعتماداً كليَّاً على هذا الشيء، فهل يدخل في الإعتقاد؟
[الشيخ] ليس بشرط، فقد يعتمد دون اعتقاد.
[السائل] أنَّ ..... إعتقاد بسبب الإعتماد؟
[الشيخ] لا الإعتقاد هو أنَّهُ في قلبه ليس فيه أنَّ الله نافعه ولا، إنما هذا السبب مادِّي، يعتقد في داخله أنَّ المادة هي كل شيء، هذا هو الإعتقاد.
لكن الإعتماد غفل قلبه واعتمد ظاهره.
فلا يُسَوَّى هذا بهذا.
لهذا صار الإعتماد على الأسباب –يعني بالكلية– ما هو بالإعتماد على الأسباب فقط، الإعتماد على الأسباب بالكلية يعني دون اعتماد القلب على الله – عز وجل –، هذا محرم، أو نقول يدخل في نقض التوحيد، شرك أصغر أو شرك خفي، أمَّ الإعتقاد فهذا كفر ظاهر، أن يعتقد أنَّ الأسباب كافية ولا نافع .... الله – جل جلاله –.
مثلاً الطبيب سيعمل لك عملية، يقول خلاص .... ما جاء في قلبه أنَّه يعظم الإعتماد على الله، فعله....كذا بالطبيعة، ...... هذا عمل يعني فاته الأفضل، لكن في قلبه فيه أصل الإعتماد، لكن فيه من اعتمد على السبب في هذا بالذات.
مثلاً جاء وقال: أبد، الطبيب يكفي، ما دام في قلبه أي شيء من التوكل على الله، اعتمد على السبب فقط فهذا يدخل في ...... إمَّا محرم أو شرك أصغر أو شرك خفي بحسب الحال.
لكن المسألة الثانية: اعتقد أنَّ هذا السبب كافٍ، يعني قال يكفي الطبيب، هذا كفر إذا اعتقد قلبه، ما فيه أحد يعتقد أنَّ الإعتماد على الأسباب فقط، يعتقد الأسباب فقط ويكون عنده إيمان؟، ما يمكن، المؤمن لازم يكون عنده اعتماد على الله – عز وجل – لكن يعتمد على الأسباب ظاهراً بحسب الحال.
س٦/ ذكر الشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد أنَّ الخوف الذي يحمل على ترك الواجب وفعل المحرم هذا خوفٌ محرم، والشيخ عبدالرحمن في فتح المجيد قال إنَّه شرك أصغر؟
ايه نعم، وش ظهر لك؟، أنَّه محرم، محرم ما هو بشرك أصغر، وهو توسع، الشرك الأصغر فيه نوع تشريك لأنه ما ترك الأمر

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية – صالح آل الشيخ ص/٦٥٨

والنهي خوفاً، يعني ما هو مصلحة، بس مجرد خوف، إلا أنَّه إيش؟، خاف منهمكخوف، أو قدَّمَ خوفه منهم على خوفه من الله، فيه نوع تشريك، بس الأظهر التعبير بالمحرم.

س٧/ الخوف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، هذا التعريف لخوف الشرك يصح؟

لا، لا يصح لأنه الخوف الشركي والخوف السري، يعني يُعطي شيء غيبي ما لله – عز وجل – من الخصائص، يعني يؤذي بدون سبب ظاهر.

س٨/ لو قال شخص لولا فلان ما كان كذا، بدون .... مع الله سبحانه وتعالى هل يكون فيه نوع من الشرك الأصغر؟

هذا شرك أصغر، إذا كان أنَّهُ في مقابلة نعمة أو اندفاع نقمة، يعني فيه نعمة حصلت له، قال (لولا فلان ما حصل لي كذا)، أو اندفع عنه مصيبة فقال (لولا فلان لك يأتيني كذا) هذا هو الشرك الأَصغر.

س٩/ والذي ورد في السنة (لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) وقول عمر لحفصة (لولا أنا لطلَّقكِ رسول الله صلى الله عليه وسلم)؟

ج/ هل القائل الآن هو المشفع المُتَفَضَّلْ عليه، أو المتفضِّل؟

المُتَفَضِّلْ، وصورتنا التي نتكلم فيها مُتَفَضَّلْ عليه، لأنَّ المُتَفَضَّلْ عليه يتعلَّق قلبه بمن تَفَضَّلَ عليه.

مثلاً لو أقول لك (لولا أنا ما كنت من أهل السنة والجماعة) .... لأنه من المتفضِّل، لكن القلب هنا ما فيه تعلُّق ، هنا يدخل بحث آخر كالفخر مثلاً أو يدخل في ضوابط أخرى، لكن الضابط المنهي عنه أن يكون ممن انتفع وليس من النافع، لأنَّ من انتفع تعلَّقَ قلبه بمن أحسن إليه، فالتعلق هذا هو الذي يدخل له التشريك.

أمَّا حديث (لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) هذا لم يدخل من جهتين:

الجهة الأولى: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مُتَفَضِّل، والأحاديث التي فيها النهي إنما هو في المنتفع بالنعمة أو اندفاع النِّقمة.

الجهة الثانية: أنَّ قوله (لولا أنا) يقصد به لولا شفاعتي له، وشفاعته صلى الله عليه وسلم تُقبَلْ ابتداءً أم بفضل الله؟ بفضل الله، يعني شفاعته ما تُقْبَل إلا بإذن الله، فرجع الأمر –ولو لم يذكر ظاهر– إلى الله – عز وجل –.

وكذا قول عمر (لولا أنا لطلَّقكِ رسول الله صلى الله عليه وسلم) لأنَّهُ المُتَفضِّل عليها.

ولو قال إنسان (لولا الهوى ما اختلف الناس في هذا) فهذه ما فيها شيء.

فأقرب شيء تنضبط به ما كان في أمرين:

الأول: أن يكون استعمال لولا في تحصيل نعمة أو اندفاع نقمة بسبب من الأسباس، فيعزوه للسبب ولا يذكر الله.

الثاني: أن يكون في ذكره **تَعَلَّقَ القلب** بهذا السبب، إذا حصل تعلق بالسبب حصل الشرك قلباً ولفظاً.

س١٠/ بالنسبة للصلاة خلف الكاهن أو العَرَّاف إذا كان هو إمام مسجد، فهل تصلِّي في بيتك أو تُصَلِّي في المسجد معه؟

لا تصلي في بيتك، تصلي في جماعة أخرى إلَّا إذا اضطررت يعني للصلاة وتخشى من التفريط لأنَّه قصارى الأمر الصلاة

خلفه باطلة، ظاهر؟، وفي الصلاة خلفه تقوية له أو تزكية له.". [1]

٨٧-"وحبيب رب العالمين

يعني نبينا صلى الله عليه وسلم حبيب رب العالمين، بل خليل رب العالمين، لو قال الشيخ الطحاوي: "وخليل رب العالمين" لكان أولى؛ لأن الخلة أكمل من المحبة، ثبت له -عليه الصلاة والسلام- الخلة كما ثبتت لإبراهيم.

قال -عليه الصلاة والسلام-: (إني أبرأ من الله أن يكون لي منكم خليل، إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا) وبالحديث الآخر: (لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكرا خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن) يعني نفسه.

فإذن الخلة ثابتة لنبينا صلى الله عليه وسلم والخلة أعلى مقامات المحبة، أعلى مقامات المحبة، والمحبة ثابتة لغير الخليل قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤)﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥)﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)﴾ .

هذه المحبة ثابتة لهم، لكن الخلة فوق ذلك، والخلة لم تكن إلا لاثنين: لإبراهيم ومحمد -عليهم السلام-، فهما الخليلان.

وأما ما يقوله بعض الناس ويزعمه من أن الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، ويقول: إبراهيم خليل الله، ومحمد حبيب الله. هذا باطل، بل محمد أيضا خليل الله.

ويروى في ذلك حديث رواه الترمذي: (إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر) هذا حديث ضعيف، لا يصح، رواه الترمذي: (إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر) هذا حديث ضعيف، في سنده ضعيفان: زمعة بن صالح، وسلمة بن وهران، وهما ضعيفان؛ فلا يصح الحديث.

والصواب أن محمدا خليل الله كما أن إبراهيم خليل الله، فقول الشيخ: "هو حبيب الرحمن" يوهم أنه لا يثبت الخلة لمحمد، لو قال: "وخليل الرحمن"، "وخليل رب العالمين" كان أحسن، لو قال الطحاوي بدل "وحبيب رب العالمين": "وخليل رب العالمين" لكان أحسن؛ حتى يثبت الخلة، فالخلة ثابتة لاثنين: لإبراهيم ومحمد -عليهما الصلاة والسلام-.

والخلة هي نهاية المحبة -نهايتها-؛ وذلك لأن المحبة مراتب، المحبة لها مراتب، ولها درجات ومراتب:

أول مراتب المحبة العلاقة، وهي **تعلق القلب** بالمحب، ثمة علاقة **تعلق القلب** بالمحب.

المرتبة الثانية: إرادة، وهي إدارة المحبوب وطلبه له، إرادة المحب للمحبوب وطلبه له.

المرتبة الثالثة: الصبابة، وهي انصباب القلب إلى المحب، بحيث لا يملكه كانصباب الماء إلى الحجور.

الرابع: الغرام، وهو الحب الملازم للقلب، سمي غراما لملازته له، ومنه الغريم، سمي غريما لملازمته لغريمة صاحب الدَّين إذا لقي المدين لزمه، ومنه قوله تعالى في جهنم: ﴿إِن عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥)﴾ يعني ملازما.

المرتبة الخامسة: المودة والود، وهو صفو المحبة وخالصها ولبها، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - صالح آل الشيخ ص/٧٢٥

لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦)﴾ .

المرتبة السادسة: الشغف، وهو الحب الذي وصل إلى شغاف القلب، وهو غلافه، وهي الجلدة التي دون الحجاب.

المرتبة السابعة: العشق، وهو الحب المفرط الذي يخشى على صاحبه، وهذا لا يوصف به الرب، هذه المرتبة لا يوصف بها الرب، ولا يوصف العبد بها في محبته لربه؛ لأنه لم يرد، ولعل الحكمة في ذلك أنها محبة مع شهوة.

الثامن: التتيم، وهو التعبد، ومنه تيم الله أي عبد الله، يقال: تيمة الحب. أي عبّده وذلله.

التاسع: التعبد، وهو غاية الذل مع غاية المحبة، يقال: طريق معبد إذا وطئته الأقدام، غاية الذل مع غاية المحبة، ومحبة العبودية خاصة بالله، ولا تكون إلا لله، وهي غاية الذل مع غاية الحب، فإذا صرفت لغير الله كانت شركا.

العاشر: الخلة، وهي سميت خلة لأنها لتخللها القلب والروح، تتخلل القلب والروح حتى تصل إلى سويدائك، كما قال الشاعر:

قد تخللت مسلك الروح مني *** ولذا سمي الخليل خليلا

والخلة هي نهاية المحبة وكمالها، ولا يتسع القلب لأكثر من خليل واحد، القلب يمتلئ ما يتسع لأكثر من خليل واحد؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله) يعني نفسه -عليه الصلاة والسلام-.

يعني لو كان في قلبي متسع لكان لأبي بكر، ولكن قلبي امتلأ بخلة الله، فليس فيه متسع، لو كان فيه متسع لكان لأبي بكر، لكن القلب لا يتسع لأكثر من خليل، امتلأ قلبه -عليه الصلاة والسلام- بخلة الله، فلا يتسع لأكثر من واحد.". (١)

٨٨-"[ثبت له صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلى مراتب المحبة وهي الخلة، كما صح عنه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: (إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً) وقَالَ: (ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن) والحديثان في الصحيح وهما يبطلان قول من قَالَ: الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله ومُحَمَّد حبيبه.

وفي الصحيح أيضاً: (إني أبرأ إِلَى كل خليل من خلته) والمحبة قد ثبتت لغيره، قال تعالى: وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران:١٣٤]، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ [آل عمران: ٧٦]، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة: ٢٢٢].

فبطل قول من خص الخلة بإبراهيم والمحبة بمحمد، بل الخلة خاصة بهما، والمحبة عامة، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه التِّرْمِذِيُ الذي فيه: (إن إبراهيم خليل الله ألا وأنا حبيب الله ولا فخر) لم يثبت.

والمحبة مراتب:

أولها: العَلاقَةُ، وهي **تعلق القلب** بالمحبوب.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية - عبدالعزيز الراجحي ص/٧١

والثانية الإرادةُ، وهي ميل القلب إِلَى محبوبه وطلبه له.

الثالثة: الصَبابةُ، وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه، كانصباب الماء في الحدور.

الرابعة: الغَرَامُ، وهي الحب اللازم للقلب ومنه الغريم لملازمته، ومنه: إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً [الفرقان:٦٥].

الخامسة: المَوَدَّةُ، والود، وهي صفو المحبة وخالصها ولبها، قال تعالى: سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً [مريم: ٩٦].

السادسة: الشَّغَفُ، وهي وصول المحبة إِلَى شغاف القلب.

السابعة: العِشقُ، وهو الحب المفرط الذي يخاف عَلَى صاحبه منه، ولكن لا يوصف به الرب تَعَالَى ولا العبد في محبة ربه وإن كَانَ قد أطلقه بعضهم، واختلف في سبب المنع، فقيل: عدم التوقيف، وقيل: غير ذلك، ولعل امتناع اطلاقه: أن العشق محبة مع شهوة.". (١)

٨٩-"ولذلك لما قَالَ المُصْنِّفُ هنا: [وإن كَانَ قد أطلقه بعضهم] يقصد الصوفية ، ثُمَّ يذكر أن العلماء أو الباحثين اختلفوا في سبب منع اطلاق العشق عَلَى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منه وإليه، فقيل: لأنه لم يرد وهذا كلام صحيح.

وقيل: غير ذلك، ولعل امتناع إطلاقه أن العشق محبة مع شهوة، ولا تعارض بين السببين؛ لأنه أولاً: لم يرد، وما لم يرد لا نطلقه عَلَى الراجح، والأمر الثاني أيضاً: أن العشق كما بينا لا يكون إلا مع الحب الشهواني الإباحي، فهذه اللفظة مستهجنة ومستقذرة في حق الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فلا يجوز أن تطلق عليه.

التَّتْيِم

المرتبة الثامنة: وهو بمعنى التعبد، وكأن محبة المحبوب قد استعبدت هذا المحب حتى صار متيماً وكثيراً ما ترد هذه الكلمة أيضاً في أشعار العرب، وفي أخبار العشاق، فيُقَالُ: متيم بها، أو تيمتني، ومن أشعار الصوفية في مجالسهم: تيموني هيموني، أي جعلوني متيماً **متعلق القلب** ... الخ.

وتَيَّم: معناها عَبَّد، ولذلك يُقَالَ: بنوا تيم الله، وتيم الله قبيلة من أحد أفخاذ قريش التي منها أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فتيم الله معناها: عبد الله، وفلان متيم بالحب أي: مستعبد بالحب وصلت به محبته إِلَى درجة العبودية للمحبوب.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي ص/٣٢٨

التعبد

المرتبة التاسعة التعبد: ومعناها أن يصل به الحب إِلَى أن يتعبد تعبداً ويقول إنه عبد، كما في البيت المشهور عن عنترة بن شداد :

وأنا يا عبل عبد في الهوى ملك يمناك وفي القرب ابن عم

يعني هو ابن عمها في النسب، ولكنه في الحب عبد، وكثيراً ما يذكر ذلك الشعراء.". (١)

٩٠-"إنما يوصف الله تَعَالَى من هذه الأنواع الأربعة فقط: بالإرادة، وبالود، وبالمحبة، وبالخلة فالإرادة قد جاءت في الوحي كما ذكرنا في مبحث الإرادة وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ [النساء: ٢٧] وهي بمعنى: يُحب ذلك، فهذه مرتبة من مراتب المحبة التي هي الإرادة فقد ورد النص بها في حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ووردت صفة الود إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً [مريم:٩٦] وصفة المحبة: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة:٢٢٢]، وصفة الخلة (إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً) هذه الأربع فقط هي التي يوصف بها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والسِّتُ الباقية لا يوصف بها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهي: الغرام، والصبابة، والعشق، والتتيم، والشغف، والعلاقة.

قَالَ الْمُصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[وقد اختُلفَ في تحديد المحبة عَلَى أقوال نحو ثلاثين قولاً] والتحديد معناه: التعريف للمحبة، والمتكلمون اختلفوا في ذلك، فمنهم من يقول: **تعلق القلب**، ومنهم من يقول: ميل القلب وإرادته الشيء، ومنهم من يقول غير ذلك، إِلَى أن أتوا بثلاثين تعريفاً.

وكلها لا فائدة فيها؛ لأن توضيح الواضح من المشكلات، والمحبة أوضح من أن نُعرّفها الطفل الصغير جداً، فلو قلت له: تُحب كذا، فيقول لك: نعم، فهو يعرف معنى المحبة.". (٢)

٩١-"سائق الأجرة علاهُ الخوف في وجهه، ومضى سائقا وهو يقول: أُسْتُر أُسْتُر، أُسْتُر أُسْتُر. فسأله ذاك قال: تخاطب من؟ قال: أنت أهنت البدوي، وأنا أخاطبه -أي أدعوه- بأن يستر، فإن لم...، فإننا نستحق مصيبة، وسيرسل علينا البدوي مصيبة؛ لأننا أهناه. وكان في قلبه خوف بحيث أنه مشوا أكثر من مئة كيلو ولم يتكلم إلا بأُستر، أستر. يقول فلما وصلنا سالمين معافين توجهت له فقلت: يا فلان أين ما زعمت؟ وأين ما ذكرت من أن هذا الإله الذي تألهونه أنه سيفعل ويفعل؟ فتنفس الصعداء وقال: أصل السيد البدوي حليم !!!

هذه الحالة هي حالة **تعلق القلب** بغير الله، الذي يكون عند الخرافيين، خوف من غير الله خوف السر، البدوي ميت في قبره، يخشى أن يرسل إليه أحد يقسمه، أو مصيبة في سيارته أو في نفسه، هذا هو خوف السر، وهذا هو الذي جاء في مثل قول الله جل وعلا وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي ص/٣٤٠

(٢) شرح العقيدة الطحاوية / الحوالي ص/٣٤٤

أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ[الأنعام:٨١]، قال (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ) لأنهم يخافون آلهتهم هذا النوع من الخوف، لهذا تجد قلوبهم معلقة بآلهتهم لأنهم يخافونهم خوف السر، وقال جل وعلا مخبرا عن قول قوم هود حيث قالوا لهود إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ[هود:٥٤]، فهم خافوا الآلهة، عندهم أن الآلهة تصيب بسوء، وكان الواجب على حد زعمهم أن يخاف هذا من الآلهة أن تصيبه بسوء، فقالوا له (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) يعني بمصيبة في نفسك اختل عقلك، أو اختلت جوارحك أو نحو ذلك، هذا النوع من الخوف هو الذي إذا صرف لغير الله جل وعلا فهو شرك أكبر.". (١)

٩٢-"ولكن قَول أعوذ بك، هذا أبعد في الإجازة، وأما قول أعوذ بالله ثم بك، فهذا من راع المعنى الظاهر، وإمكانَ المخلوق أن يعيذ صححه وقال لا بأس أن يقول: أعوذ بالله ثم بك، ولكن الأظهر أن العوذ عبادة قلبية، وأنها إنما تكون بالله جل وعلا، وهذا على نحو ما مرنا بقوله: توكلت على الله ثم عليك ونحو ذلك، فمن أهل العلم من يجيز مثل هذه الألفاظ مع أن أصلها عمل قلبي؛ عبادة قلبية، مراعيا الظاهر ما يراعي **تعلق القلب،** مُراعيا الحماية الظاهرة، مُراعيا التحرز الظاهر، مُراعيا الاعتصام الظاهر، ومنهم من لم يجزْها مراعيا أنها عبادة قلبية، وأنك إذا أجزتها في الظاهر فإنه قد يكون تبعا لذلك الإجازة **تعلق القلب** عند من لا يفهم المراد.

وعلى العموم هما قولان مشهوران حتى عند مشايخنا المفتين في هذا الوقت ومن قبل.

يقابل الاستعاذة التي هي طلب العوذ، لأن طلب العوذ من شيء فيه شر، لهذا قال تعالى قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ(١)مَلِكِ النَّاسِ(٢)إِلَهِ النَّاسِ(٣)مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ[الناس:١-٤]، فالاستعاذة مما فيه شر. وأما اللّياذ، واللَّوذ فإنه مما فيه خير، قال: ألوذ بك. يعني إذا كنت مؤملا خيرا، وإذا كنت خائفا من شر تقول لربك جل وعلا: أعوذ بك، وإذا كنت مؤملا خيرا تقول ألوذ بك وهكذا، ثم ذكر الاستغاثة، أولا الدليل، قال (دليل الاستعاذة قوله تعالى (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)) وجه الاستدلال أنه أمر نبيه الكريم أن يستعيذ برب الناس، ما دام أنه أمر به فهو عبادة قلبية، لأنه لا يأمر إلا بشيء يحبه ويرضاه، فذلك قوله تعالى فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ[النحل:٩٨] أمر بالاستعاذة به فدل على أنها عبادة.". (٢)

٩٣-"الصلاة والسلام ونحو ذلك، فنقول إذ كان ميتا فإنه لا يجوز الطلب منه، قالوا فما يحصل يوم القيامة من استغاثة الناس بآدم ثم استغاثتهم بنوح إلى آخر أنهم استغاثوا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، نقول هذا ليس استغاثة بأموات، يوم القيامة هؤلاء أحياء، يُبعث الناس ويُحيَوْن من جديد، كانوا في حياة ثم ماتوا ثم أعيدوا إلى حياة أخرى. فهي استغاثة بمن؟ بحي، حاضر، قادر، يسمع. بهذا ليس فيما احتجوا به من حال أولئك الأنبياء يوم القيامة حُجة على جواز الاستغاثة بغير الله جل وعلا، والاستغاثة بغير الله جل وعلا أعظم كفرا من كثير من المسائل التي صَرْفها لغير الله جل وعلا

---

(١) شرح ثلاثة الأصول - آل الشيخ ص/٦٠

(٢) شرح ثلاثة الأصول - آل الشيخ ص/٨٣

شرك، إذن فالشروط:

* أن يكون حيا: إذا كان ميّتا لا يجوز الاستغاثة به.

* أن يكون حاضرا: إذا كان غائبا لا يجوز الاستغاثة به؛ حي قادر لكنه غائب. مثل لو استغاث بجبريل عليه السلام فليس بحاضر، حي نعم، وقادر قد يطلب منه ما يقدر عليه، ولكنه ليس بحاضر. مثل أن يطلب من حي قادر من الناس؛ يَطلب من ملك يملك أو أمير يستغيث به أغثني يا فلان، وهو ليس عنده، مع أنه لو كان عنده لأمكن بقوَّته، لكنه لما لم يكن حاضرا صارت **الاستغاثة–تعلُّق القلب–** بغير حاضر هذا شرك بالله جل وعلا.

* أن يكون قادرًا: إذا لم يكن قادرا فالاستغاثة به شرك، ولو كان حيا حاضرا يسمع، مثل لو استغاث بمخلوق بما لا يقدر عليه، وهو حي حاضر يسمعه، **وتعلق القلبُ** –قلب المستغيث– على هذا النحو، تعلق قلبُه بأن هذا يستطيع ويقدر أن يغيثه، بمعنى ذلك أنه استغاث بمن لا يقدر على الإغاثة، **فتعلق القلب** بهذا المستغاث به، فصارت الاستغاثة وهي طلب الغوث شركا على هذا النحو.

* وكذلك يسمعُ: لو كان حيا قادرا، ولكنه لا يسمع، حاضر لا يسمع كالنائم ونحوه، كذلك لا تجوز الاستغاثة به.". [(١)]

٩٤–"وقد تلتبس بعض المسائل بهذه الشروط في أنها في بعض الحالات تكون شركا أكبرا، وفي بعض الحالات يكون منهي عنها من ذرائع الشرك، ونحو ذلك. مثل الذي يسأل ميت، يسأل أعمى بجنبه، أو يسأل مشلول بجنبه أن يغيثه ونحو ذلك.

المقصود أن العلماء اشترطوا لجواز الاستغاثة بغير الله جل وعلا: أن يكون المستغاث به حيا حاضرا قادرا يسمع.

قال رحمه الله تعالى (ودليل الذبح قوله تعالى قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢)لَا شَرِيكَ لَهُ[الأنعام:١٦٢–١٦٣]) الذبح الذي هو النحر، والذبح يشمل النحر الخاص ويشمل الذبح الذي هو قسيم النحر لأن: النحر: هو الطعن بسكين أو بالحَرْبَة في الوَحدة، مثل ما يُفعل بالإبل كما تعلمون هي لا تذبح ذبحا، لكن هي تطعن في وَحدتها وإذا طُعنت وحُرِّكت السكين واندثر الدم وماتت، ليس ثَم ذبح. كذلك البقر قد تُنحر.

وأما الذبح: فيكون في الغنم من الظأن والماعز وكذلك في البقر.

الذبح والنحر عبادة، المقصود منها إراقة الدم، وإراقة الدم –من حيث هو– لا يكون إلا بتعلقٍ للقلب، فإذا أراق الدم لله جل وعلا **تعلق القلب** بالله جل وعلا. فالذبح عبادة ظاهرة يتبعها أو يكون معها عبادة باطنة قلبية، فمن ذبح لغير الله وقع في شرك ظاهر؛ لأن هذه عبادة صرفها لغير الله، وكذلك قلبه تعلق بغير الله فصار شركه من جهتين.

وجه الاستدلال من قوله تعالى (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أنه قال (وَنُسُكِي) والنسك فُسِّرت بعدة تفسيرات عن السلف منها الذبح والنحر وهذا كما قال جل وعلا في الآية الأخرى إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(١)فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ[الكوثر:١–٢]، (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) أمره بأن يوحد الله جل وعلا بالصلاة، وكذلك أمره بالنحر لربه جل وعلا وحده، إذن

(١) شرح ثلاثة الأصول – آل الشيخ ص/٨٥

النسك هنا الذبح.". (١)

٩٥-"وهذه كلها عبادات قلبية، فكما أن الذبح عمل ظاهر؛ به تحريك اليد، تحريك اللسان ببعض القول، كذلك يقوم بالقلب حال الذبح أنواع من العبوديات، قد ما يقوم بالقلب شيء البتة، مثل ما يُذبح لضيافة أو نحو ذلك، فهذا يجب أن يكون ظاهرا لله جل وعلا وحده، وإذا اجتمع أن يكون في الذبيحة، أن تكون اجتمعت فيها العبادة الظاهرة والعبادة الباطنة؛ العبادة القلبية، كانت أكمل في رجاء ثواب الذبح، ولو كان في الأمور العادية من ضيافة ونحوها، فيكون الذبح لله جل وعلا ظاهرا لم يُرد بهذا إلا الله جل وعلا، وباسمه لم يذكر إلا اسم الله جل وعلا، ثم يكون بالقلب ذل لله جل وعلا وخضوع وتعظيم ورجاء المثوبة منه وحده، فتجتمع العبادات القلبية وعبادات الجوارح حال الذبح.
لهذا، الذبح من العبادات العظيمة، لكن قد يغفل الناس عن **تعلق القلب** وفعل الجوارح حين الذبح، وكيف تكون لله جل وعلا، ولهذا على طالب العلم أن يتعلم هذا إن لم يحسنه، يتعلم كيف يكون حال الذبح؛ حال ذبحه لذبيحته للأضحية وهي آكد وآكد وآكد، أو لغيرها، أن يكون موحدا تماما، يرجو في ذبحه أن يكون على غاية من العبودية في لسانه وقلبه وجوارحه؛ لأنه فيه حركة لسان للتسمية والتكبير، وفيه عمل القلب بأنواع من العبوديات ذكرت بعضها، وفيه أيضا حركة اليد، وهذا كله مما يجب أن يكون لله جل وعلا وحده.
قال (ومن السنة "لعن الله من ذبح لغير الله") وجه الاستدلال: أن من ذبح لغير الله لم يذبح لله، وإنما ذبح لغيره، أنه ملعون لعنه الله، وهذا الدعاء من النبي عليه الصلاة والسلام بقوله (لعن الله من ذبح لغير الله) يدل على أن الذبح لغير الله كبيرة من الكبائر، وإذا كانت كذلك فهي إذن يُبغضها الله جل وعلا، وإذا كان يُبغض الله جل وعلا الذبح لغيره، معنى ذلك أن الذبح له وحده محبوب له، في مقابلة، فيستقيم بذلك الاستدلال.". (٢)

٩٦-"أنذرتَ عمرا وهو في مَهَل
قبل الصباح فقد عصى عمرُو
فدل على أن الإنذار يكون بعده مدة يمكن الاستدراك بها، (ينذر عن الشرك) أيضا يخوف من النار، يخوف من عذاب الله، يخوف من سخط الله كما قال جل وعلا فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ[فصلت:١٣] فإذا الإنذار يكون عن الشرك، وعما يكون عقابا لأهل الشرك من أنواع العقوبات، في الدنيا بالهلاك والاستئصال، وفي الآخرة بالعذاب والنكال، (بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد) الإنذار والنهي عن الشرك مقدم هنا، قدمه على الدعوة إلى التوحيد، وهذا التقديم هو المفهوم من كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وهو المفهوم من قوله تعالى (قُمْ فَأَنذِرْ(٢)وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)، (قُمْ فَأَنذِرْ) يعني أنذر عن الشرك، (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)كما سيأتي معناه، أن معناه عظمه بالتوحيد، فإذن قال (بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد) هو معنى لا إله إلا الله، ذكر العلماء أن ثمَّ مناسبة ها هنا وهي أن الإنذار عن الشرك هذا

(١) شرح ثلاثة الأصول - آل الشيخ ص/٨٦
(٢) شرح ثلاثة الأصول - آل الشيخ ص/٨٨

فيه تخلية، والدعوة إلى التوحيد تحلية، ومن القواعد المقررة أن التَّخْلِيَة تسبق التَّحْلِيَة، لهذا النهي عن الشرك والإنذار عن الشرك إخراج لكل ما يتعلق به القلب؛ لأنه قال لا **يتعلق القلب** بأي أحد من هذه الآلهة، ثم إذا خلا القلب من التعلق بأحد، أمره بأن يتعلق بالله جل وعلا وحده دون ما سواه.". (١)

٩٧-"سائق الأجرة علاهُ الخوف في وجهه، ومضى سائقا وهو يقول: أُسْتُر أُسْتُر، أُسْتُر أُسْتُر. فسأله ذاك قال: تخاطب من؟ قال: أنت أهنت البدوي، وأنا أخاطبه -أي أدعوه- بأن يستر، فإن لم...، فإننا نستحق مصيبة، وسيرسل علينا البدوي مصيبة؛ لأننا أهناه. وكان في قلبه خوف بحيث أنه مشوا أكثر من مئة كيلو ولم يتكلم إلا بأُستر، أستر. يقول فلما وصلنا سالمين معافين توجهت له فقلت: يا فلان أين ما زعمت؟ وأين ما ذكرت من أن هذا الإله الذي تألهونه أنه سيفعل ويفعل؟ فتنفس الصعداء وقال: أصل السيد البدوي حليم !!!

هذه الحالة هي حالة **تعلق القلب** بغير الله، الذي يكون عند الخرافيين، خوف من غير الله خوف السر، البدوي ميت في قبره، يخشى أن يرسل إليه أحد يقسمه، أو مصيبة في سيارته أو في نفسه، هذا هو خوف السر، وهذا هو الذي جاء في مثل قول الله جل وعلا وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ[الأنعام:٨١]، قال (وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ) لأنهم يخافون آلهتهم هذا النوع من الخوف، لهذا تجد قلوبهم معلقة بآلهتهم لأنهم يخافونهم خوف السر، وقال جل وعلا مخبرا عن قول قوم هود حيث قالوا لهود إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ[هود:٥٤]، فهم خافوا الآلهة، عندهم أن الآلهة تصيب بسوء، وكان الواجب على حد زعمهم أن يخاف هذا من الآلهة أن تصيبه بسوء، فقالوا له (إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ) يعني بمصيبة في نفسك اختل عقلك، أو اختلت جوارحك أو نحو ذلك، هذا النوع من الخوف هو الذي إذا صرف لغير الله جل وعلا فهو شرك أكبر.". (٢)

٩٨-"ولكن قَول أعوذ بك، هذا أبعد في الإجازة، وأما قول أعوذ بالله ثم بك، فهذا من راع المعنى الظاهر، وإمكانَ المخلوق أن يعيذ صححه وقال لا بأس أن يقول: أعوذ بالله ثم بك، ولكن الأظهر أن العوذ عبادة قلبية، وأنها إنما تكون بالله جل وعلا، وهذا على نحو ما مرنا بقوله: توكلت على الله ثم عليك ونحو ذلك، فمن أهل العلم من يجيز مثل هذه الألفاظ مع أن أصلها عمل قلبي؛ عبادة قلبية، مراعيا الظاهر ما يراعي **تعلق القلب،** مُراعيا الحماية الظاهرة، مُراعيا التحرز الظاهر، مُراعيا الاعتصام الظاهر، ومنهم من لم يجزْها مراعيا أنها عبادة قلبية، وأنك إذا أجزتها في الظاهر فإنه قد يكون تبعا لذلك الإجازة **تعلق القلب** عند من لا يفهم المراد.

وعلى العموم هما قولان مشهوران حتى عند مشايخنا المفتين في هذا الوقت ومن قبل.

يقابل الاستعاذة التي هي طلب العوذ، لأن طلب العوذ من شيء فيه شر، لهذا قال تعالى قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ(١)مَلِكِ

---

(١) شرح ثلاثة الأصول - آل الشيخ ص/١٤٧

(٢) شرح عدة متون في العقيدة ٦٠/١

النَّاسِ(٢)إِلَهِ النَّاسِ(٣)مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ[الناس:١-٤]، فالاستعاذة مما فيه شر. وأما اللّياذ، واللَّوذ فإنه مما فيه خير، قال: ألوذ بك. يعني إذا كنت مؤملا خيرا، وإذا كنت خائفا من شر تقول لربك جل وعلا: أعوذ بك، وإذا كنت مؤملا خيرا تقول ألوذ بك وهكذا، ثم ذكر الاستغاثة، أولا الدليل، قال (دليل الاستعاذة قوله تعالى (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)) وجه الاستدلال أنه أمر نبيه الكريم أن يستعيذ برب الناس، ما دام أنه أمر به فهو عبادة قلبية، لأنه لا يأمر إلا بشيء يحبه ويرضاه، فذلك قوله تعالى فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ[النحل:٩٨] أمر بالاستعاذة به فدل على أنها عبادة.". [١]

٩٩-"الصلاة والسلام ونحو ذلك، فنقول إذ كان ميتا فإنه لا يجوز الطلب منه، قالوا فما يحصل يوم القيامة من استغاثة الناس بآدم ثم استغاثتهم بنوح إلى آخر أنهم استغاثوا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، نقول هذا ليس استغاثة بأموات، يوم القيامة هؤلاء أحياء، يُبعث الناس ويُحيَوْن من جديد، كانوا في حياة ثم ماتوا ثم أعيدوا إلى حياة أخرى. فهي استغاثة بمن؟ بحي، حاضر، قادر، يسمع. بهذا ليس فيما احتجوا به من حال أولئك الأنبياء يوم القيامة حُجة على جواز الاستغاثة بغير الله جل وعلا، والاستغاثة بغير الله جل وعلا أعظم كفرا من كثير من المسائل التي صَرْفها لغير الله جل وعلا شرك، إذن فالشروط:

أن يكون حيا: إذا كان ميّتا لا يجوز الاستغاثة به.

أن يكون حاضرا: إذا كان غائبا لا يجوز الاستغاثة به؛ حي قادر لكنه غائب. مثل لو استغاث بجبريل عليه السلام فليس بحاضر، حي نعم، وقادر قد يطلب منه ما يقدر عليه، ولكنه ليس بحاضر. مثل أن يطلب من حي قادر من الناس؛ يَطلب من ملك يملك أو أمير يستغيث به أغثني يا فلان، وهو ليس عنده، مع أنه لو كان عنده لأمكن بقوّته، لكنه لما لم يكن حاضرا صارت **الاستغاثة-تعلُّق القلب-** بغير حاضر هذا شرك بالله جل وعلا.

أن يكون قادرًا: إذا لم يكن قادرا فالاستغاثة به شرك، ولو كان حيا حاضرا يسمع، مثل لو استغاث بمخلوق بما لا يقدر عليه، وهو حي حاضر يسمعه، **وتعلق القلبُ** -قلب المستغيث- على هذا النحو، تعلق قلبُه بأن هذا يستطيع ويقدر أن يغيثه، بمعنى ذلك أنه استغاث بمن لا يقدر على الإغاثة، **فتعلق القلب** بهذا المستغاث به، فصارت الاستغاثة وهي طلب الغوث شركا على هذا النحو.

وكذلك يسمعُ: لو كان حيا قادرا، ولكنه لا يسمع، حاضر لا يسمع كالنائم ونحوه، كذلك لا تجوز الاستغاثة به.". [٢]

١٠٠-"وقد تلتبس بعض المسائل بهذه الشروط في أنها في بعض الحالات تكون شركا أكبرا، وفي بعض الحالات يكون منهي عنها من ذرائع الشرك، ونحو ذلك. مثل الذي يسأل ميت، يسأل أعمى بجنبه، أو يسأل مشلول بجنبه أن يغيثه ونحو ذلك.

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة ٨٣/١

(٢) شرح عدة متون في العقيدة ٨٥/١

المقصود أن العلماء اشترطوا لجواز الاستغاثة بغير الله جل وعلا: أن يكون المستغاث به حيا حاضرا قادرا يسمع.
قال رحمه الله تعالى (ودليل الذبح قوله تعالى قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢)لَا شَرِيكَ لَهُ[الأنعام:١٦٢-١٦٣]) الذبح الذي هو النحر، والذبح يشمل النحر الخاص ويشمل الذبح الذي هو قسيم النحر لأن: النحر: هو الطعن بسكين أو بالحَرْبَة في الوَحدة، مثل ما يُفعل بالإبل كما تعلمون هي لا تذبح ذبحا، لكن هي تطعن في وَحدتها وإذا طُعنت وحُرِّكت السكين واندثر الدم وماتت، ليس ثَم ذبح. كذلك البقر قد تُنحر.
وأما الذبح: فيكون في الغنم من الظأن والماعز وكذلك في البقر.
الذبح والنحر عبادة، المقصود منها إراقة الدم، وإراقة الدم -من حيث هو- لا يكون إلا بتعلقٍ للقلب، فإذا أراق الدم لله جل وعلا **تعلق القلب** بالله جل وعلا. فالذبح عبادة ظاهرة يتبعها أو يكون معها عبادة باطنة قلبية، فمن ذبح لغير الله وقع في شرك ظاهر؛ لأن هذه عبادة صرفها لغير الله، وكذلك قلبه تعلق بغير الله فصار شركه من جهتين.
وجه الاستدلال من قوله تعالى (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أنه قال (وَنُسُكِي) والنسك فُسِّرت بعدة تفسيرات عن السلف منها الذبح والنحر وهذا كما قال جل وعلا في الآية الأخرى إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ(١)فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ[الكوثر:١-٢]، (فَصَلِّ لِرَبِّكَ) أمره بأن يوحد الله جل وعلا بالصلاة، وكذلك أمره بالنحر لربه جل وعلا وحده، إذن النسك هنا الذبح.". (١)

١٠١-"وهذه كلها عبادات قلبية، فكما أن الذبح عمل ظاهر؛ به تحريك اليد، تحريك اللسان ببعض القول، كذلك يقوم بالقلب حال الذبح أنواع من العبوديات، قد ما يقوم بالقلب شيء البتة، مثل ما يُذبح لضيافة أو نحو ذلك، فهذا يجب أن يكون ظاهرا لله جل وعلا وحده، وإذا اجتمع أن يكون في الذبيحة، أن تكون اجتمعت فيها العبادة الظاهرة والعبادة الباطنة؛ العبادة القلبية، كانت أكمل في رجاء ثواب الذبح، ولو كان في الأمور العادية من ضيافة ونحوها، فيكون الذبح لله جل وعلا ظاهرا لم يُرد بهذا إلا الله جل وعلا، وباسمه لم يذكر إلا اسم الله جل وعلا، ثم يكون بالقلب ذل لله جل وعلا وخضوع وتعظيم ورجاء المثوبة منه وحده، فتجتمع العبادات القلبية وعبادات الجوارح حال الذبح.
لهذا، الذبح من العبادات العظيمة، لكن قد يغفل الناس عن **تعلق القلب** وفعل الجوارح حين الذبح، وكيف تكون لله جل وعلا، ولهذا على طالب العلم أن يتعلم هذا إن لم يحسنه، يتعلم كيف يكون حال الذبح؛ حال ذبحه لذبيحته للأضحية وهي آكد وآكد وآكد، أو لغيرها، أن يكون موحدا تماما، يرجو في ذبحه أن يكون على غاية من العبودية في لسانه وقلبه وجوارحه؛ لأنه فيه حركة لسان للتسمية والتكبير، وفيه عمل القلب بأنواع من العبوديات ذكرت بعضها، وفيه أيضا حركة اليد، وهذا كله مما يجب أن يكون لله جل وعلا وحده.
قال (ومن السنة «لعن الله من ذبح لغير الله») وجه الاستدلال: أن من ذبح لغير الله لم يذبح لله، وإنما ذبح لغيره، أنه ملعون لعنه الله، وهذا الدعاء من النبي عليه الصلاة والسلام بقوله (لعن الله من ذبح لغير الله) يدل على أن الذبح لغير الله كبيرة

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة ٨٦/١

من الكبائر، وإذا كانت كذلك فهي إذن يُبغضها الله جل وعلا، وإذا كان يُبغض الله جل وعلا الذبح لغيره، معنى ذلك أن الذبح له وحده محبوب له، في مقابلة، فيستقيم بذلك الاستدلال.". (١)

١٠٢-"أنذرتَ عمرا وهو في مَهَل

قبل الصباح فقد عصى عمرُو

فدل على أن الإنذار يكون بعده مدة يمكن الاستدراك بها، (ينذر عن الشرك) أيضا يخوف من النار، يخوف من عذاب الله، يخوف من سخط الله كما قال جل وعلا فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ[فصلت:١٣] فإذا الإنذار يكون عن الشرك، وعما يكون عقابا لأهل الشرك من أنواع العقوبات، في الدنيا بالهلاك والاستئصال، وفي الآخرة بالعذاب والنكال، (بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد) الإنذار والنهي عن الشرك مقدم هنا، قدمه على الدعوة إلى التوحيد، وهذا التقديم هو المفهوم من كلمة التوحيد لا إله إلا الله، وهو المفهوم من قوله تعالى (قُمْ فَأَنذِرْ(٢)وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)، (قُمْ فَأَنذِرْ) يعني أنذر عن الشرك، (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)كما سيأتي معناه، أن معناه عظمه بالتوحيد، فإذن قال (بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد) هو معنى لا إله إلا الله، ذكر العلماء أن ثمَّ مناسبة ها هنا وهي أن الإنذار عن الشرك هذا فيه تخلية، والدعوة إلى التوحيد تحلية، ومن القواعد المقررة أن التَّخْلِيَة تسبق التَّحْلِيَة، لهذا النهي عن الشرك والإنذار عن الشرك إخراج لكل ما يتعلق به القلب؛ لأنه قال لا **يتعلق القلب** بأي أحد من هذه الآلهة، ثم إذا خلا القلب من التعلق بأحد، أمره بأن يتعلق بالله جل وعلا وحده دون ما سواه.". (٢)

١٠٣-"([٥]) هذه الآيات السالفة كلها في بيان أولياء الرحمن، والولاية كما ذكرت معناها المحبة والنصرة هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ[الكهف:٤٤] يعني النصرة الكاملة والمحبة في الله ولله جل وعلا الحق سبحانه وتعالى، فمن أحب شيئا دون الله جل وعلا وتعلق قلبه به خذل من جهته، وكذلك من طلب النّصرة من غير الله جل وعلا **وتعلق القلب** بذلك خُذِل من جهته، ومن تعلق قلبه بالله وانتصر به كفاه، وهذا معنى قوله إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا[المائدة:٥٥] يعني يحبكم وناصركم الله ورسوله والذين آمنوا، هذا هو الواجب أن تكون وَلاية المؤمنين في الله جل وعلا ولله.

([٦]) هذا كله استدلال بالآيات على التسمية؛ يعني كأنه استحضر رحمه الله من يقول له: من أين أتيت بهذه التسمية أولياء الرحمن وأولياء الشيطان؟ فأتى بالآيات التي تدل أن للرحمن أولياء وعلى أن للشيطان أولياء، هذه خطبة للكتاب، يعني مقدمة، بعدها يأتي للصفات؛ ما صفات هؤلاء وما صفات هؤلاء.

([٧]) شيخ الإسلام دائما استدلاله بالأول (فقد بارزني بالمحاربة) وهذا اللفظ ليس في كتب الصحاح، إنما هو عند أبي نعيم، وعند غيره من الكتب غير المشهورة، ولعله أخذها من بعض المستخرجات على الصحيح كمستخرج أبي عوانة، أو

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة ٨٨/١

(٢) شرح عدة متون في العقيدة ١٤٧/١

مستخرج الإسماعيلي البخاري ونحو ذلك، لأنه عنده عناية بالجمع بين الصحيحين للحميدي. المقصود أن هذا اللفمظ مما يعترض به على شيخ الإسلان كثيرا لأن هذا اللفظ غير معروف (فقد بارزني بالمحاربة)، واللفظ المعروف في الصحيحين (فقد آذنته بالحرب) هذا هو المعروف في الحديث المسمى حديث الولي.". (١)

١٠٤-"ودل أيضا على أن الرقى الشرعية هي التي تكون بهذا المعنى؛ يعني فيها توحيد الله جل وعلا استعانة واستعاذة، وفيها الإقبال على الله جل جلاله دون ما سواه.

ولهذا العلماء قالوا تجوز الرقية بشروط ثلاثة:

الأول: أن تكون بأسماء الله وصفاته جل وعلا؛ يعني أن يستعين فيها بالله جل وعلا متوسلا بأسماء الله جل وعلا وبصفاته.

والثاني: أن تكون باللغة العربية، أو ما يعرف معناه إن كان بغير العربية.

والثالث: أن يعتقد الراقي والمرقى أن هذه الرقية سبب من الأسباب، ونفع الأسباب إنما هو بإذن الله جل وعلا، قد تنفع وقد لا تنفع بإذن الله جل جلاله وتقدست أسماؤه، فالذي ينفع في الحقيقة والذي يُورث النفع بالسبب وينتج المسبَّب هو الرب جل جلاله، هو الذي بيده ملكوت كل شيء، مَا يَفْتَحْ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ[فاطر:٢]، وقال سبحانه وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ[الأنعام:١٧]، والأسباب يؤمر العبد بتعاطيها لكن مع **تعلق القلب** بالله جل وعلا.

قال العلماء هذه الشروط الثلاث في جواز الانتفاع في جواز استعمال الرقية.

ما جاء في الكتاب والسنة أو القرآن بعمومه وما جاء في السنة من الرقى هي منطبقة على هذه الأمور.

فالرقية بالقرآن:

ﷺ فيها أنها بأسماء الله جل وعلا وبصفاته.

ﷺ فيها الاستعانة بالله جل وعلا والاستعاذة بالله سبحانه.و

ﷺ فيها التوكل على الله.

ﷺ وفيها تفويض الأمر إليه سبحانه وتعالى.

ﷺ وفيها التقرب إليه بأفضل ما خرج منه سبحانه وهو كلامه القرآن العظيم جل جلال ربنا وتقدست أسماؤه وتعالت صفاته.

ﷺ وفيها أنها باللسان العربي المفهوم.

ﷺ وفيها أيضا أنها أعلى ما يُتقرب، وأجمع ما يشمل المعاني، فالعدول عنها إلى غيرها عدول عن الفاضل إلى المفضول، عدول عن العالي إلى ما دونه مما يعرف معناه ويقل من الأدوية التي يختارها الناس.". (٢)

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة ١٤٣/٦

(٢) شرح عدة متون في العقيدة ٨/٧

١٠٥-"أمّا تعامل العبد مع نفسه: فإن العبد له هوى وله رغبة؛ له هوى في بعض المحرمات، لا أحد يسلم من ذلك، له هوى ورغبة في ترك بعض الفرائض؛ تتثاقل عليه، ذلك تعامله مع نفسه فيما يأتي وفيها يذر، كلّما قوي توحيد الله في القلب، وعِلْم العبد بربه، بربوبيته وأنّه سبحانه هذه الأرض جميعا، والقلوب جميعا بين أصبع من أصابعه، الأرض قبضته يوم القيامة، وأنّ هذه الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وأنه سبحانه هو الذي يدبر هذا الملكوت، وأنه هو الذي يعطي ويمنع، وينفع ويضر سبحانه وتعالى، ويخفض ويرفع، ويقبض ويبسط، ويخلق سبحانه، ويحيي ويميت، ويصح ويمرض، ويغني ويفقر، وأنَّه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فحينئذ يقوى في قلبه العلم بالله جل وعلا، يقوى في قلبه التوكل على الله جل وعلا، يقوى في قلبه محبة الله جل وعلا، كذلك العلم بأنّه هو المستحق للعبادة وحده، هو المستحق للطاعة سبحانه وتعالى طاعة العبادة وحده، هو المستحق لكذا، وكذا، وكذا من أنواع العبادات، فإنّه حينئذ يعظُم في قلبه محبة الله وتوحيده، وتضعف نوازع الشر في نفسه.

أما تعامله مع الخلق: فإنّ الموحّد لا يغيب عن باله إذا قوي توحيده، أنّ أنسه بالله فوق كل أنس، وأنّ رضا الله جل وعلا عنه فوق كل رضا، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، من التمس رضا الناس مهما كانوا؛ كبارا أو صغارا، رعاة أو رعية، ملوكا أو مملوكين، ومن كانوا، من التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس. ومن التمس رضا الله ولم ينظر إلى الناس أن يسخطون أم يرضون رضي الله عنه وأرضى عنه الناس. وهذه مجربة فيمن سار على شرع الله بالحكمة والموعظة الحسنة في هذا الأمر.

فالتعامل مع الناس إذا تعلق القلب بالله فإنه سيعاملهم والله جل وعلا بين عينه، يرجوه ويخافه ويتّقيه ويحبه، يخشى أن يتغير قلبه عليه بظلم عبد من العباد، فلهذا يصلح علمه في نفسه ومع الخلق.". [١]

١٠٦-"والقسم الثاني من التوكل هو إذا توكل على مخلوق فيما كان مقدورا له ، توكل على مخلوق فيما كان مقدورا له يعني أنه يعلم أن المخلوق سبب ولكنه توكل عليه ، فوض الأمر إليه ، يجد في قلبه ميلا لهذا المخلوق وتفويض الأمر إليه وتعلق القلب بأن هذا المخلوق سيحصل المقصود ، وإذا كان عند هذا القلب هذا التوجه وهذا الاندفاع نحو المخلوق فهذا القسم الثاني الذي هو شرك أصغر أو نوع تشريك ، لأنه يعني الضابط بينه وبين الأول أن الأول (استقلال) ، والثاني (سبب) الأول (غير مقدور) والثاني (مقدور) من هذه الجهة ، ليس من جهة أنه يجوز أو لا يجوز .

الآية التي بعدها قال وقوله تعالى وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ

......

قوله (توكلت على الله ثم عليك) يظهر ، الأظهر فيه عدم الجواز لأن التوكل عبادة قلبية بحتة ليس للمخلوق فيها نصيب .. حتى (توكلت على فلان) لأنه أعظم .

قال هنا وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ هذان اسمان من أسماء الله في هذه الآية ، قال جل وعلا وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة ١٨/١١

الْخَبِيرُ اسمان من أسماء الله (الْحَكِيمُ) و (الْخَبِيرُ)
و (الْحَكِيمُ) هذا فعيل جاء قبله الألف واللام ، و (حكيم) مبالغة ، صيغة مبالغة من اسم الفاعل الذي هو (حاكم) أو (مُحكِم) صيغة مبالغة منه ، وكل من الاسمين راجع إلى إما (الحكمة) أو (الحُكم)
فتلخص إذا أن قوله (الْحَكِيمُ) يشمل شيئين بدلالة اللغة وأيضا بدلالة النصوص الكثيرة التي جاء فيها تفصيل اسم الله الْحَكِيمُ". (١)

١٠٧-"كلمة (لولا) فيها الترتيب على شيء مثل قول القائل : لولا الطبيب صار لي كذا وكذا ، لولا السائق لحصل كذا لولا فلان لم أحصل على وظيفة ونحو ذلك ، هذه فيها **تعلق القلب** بهذا الشخص ممن حدثت له النعمة ، وقوله في الحديث : (لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) هذا ليس من هذا الباب بل هي من باب التفضل ، والأمر الثاني : أن قوله : (لولا) هذا راجع إلى الشفاعة والدعاء ، والمنهي عنه في (لولا) ليس هو باب الدعاء إنما هو باب إضافة النعم لغير الله جل وعلا .

(باب ذكر الملائكة عليهم السلام والإيمان بهم)
وقول الله تعالى : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ)(البقرة: من الآية١٧٧)، وقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) (فصلت:٣٠) ،وقوله تعالى : (لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْداً لِلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ)(النساء: من الآية١٧٢) ، وقوله تعالى : (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ) (الانبياء:١٩) (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ) (الانبياء:٢٠) ، وقوله تعالى : (جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ)(فاطر: من الآية١) وقوله تعالى : (الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا)(غافر: من الآية٧) .". (٢)

١٠٨-"الألفاظ لا تغير الحقائق فلما كان المشركون في زمن الإمام المصلح الشيخ محمد رحمه الله غيروا الأسماء إلتبس هذا على كثير من أهل العلم كيف يكون هذا هو الشرك الذي به صار أهل الجاهلية مشركين، لأجل تغير الأسماء، إذا قلت إنهم يستغيثون بغير الله قالوا هذا توسل والتوسل بالصالحين جائز، كما هو مذكور في كتب الفقه، ذاك التوسل شيء وهذه الاستغاثة التي أسميتوها توسلا اشتباها هذه حقيقتها شيء آخر، إذا قلت إن الذبح لغير الله شرك الأكبر من جنس تقرب المشركين لأولئك بالقرابين لتلك الأصنام والأوثان بالقرابين قالوا ليس هذا ذبحا للميت وإنما هو تقرب لله لكن باسم الميت حتى يشفع الميت عند الله وإلا فإن المقصود هو الله جل جلاله، فغيروا الأسماء وبقيت حقيقة الاعتقاد.

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة ١٣٩/١٢
(٢) شرح عدة متون في العقيدة ٦٨/١٦

ولهذا الشيخ سماه هنا (الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد) والاعتقاد هو **تعلّق القلب** بمن تقرب إليه ذلك المتقرب، فإذا تعلق قلب المسلم بالميت –تعلق به من جهة كشف ضرٍّ أو من جهة جلب نفع أو بالتوجه إليه بأي نوع من أنواع العبادة– صار ذلك شركا منه مخرجا له من الملة ولو كان مصليا صائما.

فإذن حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك لا بد أن تتضح كمقدمة لكشف الشبهات، بما صار المشركون مشركين؟ من جهة الاعتقاد في الأرواح، بما صار الموحدون وأتباع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام صاروا موحدين ومسلمين؟ من جهة تعلقهم واعتقادهم بالله وحده دونما سواه ونبذ التعلق بالمخلوقين وبالأموات والأوثان والأصنام الذي حقيقته التعلق بالأرواح.". [١]

١٠٩–"ثم قال : « ولا يكتوون » : والكي مكروه في أصله ؛ لأن فيه تعذيبا بالنار ، مع أنه مأذون به شرعا ، لكن فيه كراهة . والعرب تعتقد أن الكي يحدث المقصود دائما ؛ فلهذا تتعلق قلوبهم بالكي . فصار **تعلق القلب** بهذا الكي من جهة أنه سبب يؤثر دائما ، ومعلوم أن الكي يؤثر – بإذن الله جل وعلا – : إذا اجتمعت الأسباب ، وانتفت الموانع . فالنفي لأجل أن في الكي بخصوصه ما يتعلق الناس به من أجله .

ثم قال : « ولا يتطيرون » : والطيرة شيء يعرض على القلب من جراء شيء يحدث أمامه ؛ فيجعله يقدم على أمر ، أو يحجم عنه ، وهذه صفة من لم يكن التوكل في قلبه عظيما .". [٢]

١١٠–"ثم قال بعدها : « وعلى ربهم يتوكلون » : وهي جامعة للصفات السابقة . وهذه الصفات ليس المقصود منها أن الذين حققوا التوحيد لا يباشرون الأسباب ، كما فهمه بعضهم ، وأن الكمال ألا يباشر سببا البتة ، أو ألا يتداوى البتة ! وهذا غلط ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم رُقي : (١) ولأنه – عليه الصلاة والسلام – تداوى وأمر بالتداوي (٢) وأمر أيضا بعض الصحابة بأن يكتوي (٣) ونحو ذلك فليس في الحديث أن أولئك لا يباشرون الأسباب مطلقا ، أو لا يباشرون أسباب الدواء ، وإنما فيه ذكر لهذه الثلاث بخصوصها ، لأنه يكثر **تعلق القلب** والتفاته إلى الراقي ، أو إلى الكي ، أو الكاوي ، أو إلى التطير ، ففيها إنقاص من مقام التوكل . أما التداوي : فهو مشروع ، وهو : إما واجب ، أو مستحب ، وقد يكون في بعض الأحوال مباحا ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « تداووا عباد الله ولا تداووا بحرام » (٤) فالمقصود من هذا : أن التداوي ليس خارما لتحقيق التوحيد ولكن الذي هو من صفة أهل تحقيق التوحيد أنهم لا يسترقون بخصوص الرقية ، ولا يكتوون بخصوص الكي ، ولا يتطيرون ، وأما ما عدا ذلك مما أذن به ، فلا يدخل فيما يختص به أهل تحقيق التوحيد .

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٦) والترمذي (٩٧٢) .

(٢) أخرجه أحمد (٤ / ٢٧٨) والترمذي (٢٠٣٩) .

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة ٨١/١٧

(٢) شرح عدة متون في العقيدة ٣٤/٢١

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٨٠) ، (٥٦٨١) .

(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤) والترمذي (٢٠٤٥) .". [١]

١١١-"هذه القاعدة صحيحة - في الجملة - لكن قد يُشْكِل دخول بعض الأمثلة فيها ، لكن المقصود من هذا الباب : إثبات أن الأسباب لا بد أن تكون إما من جهة الشرع، وإما من جهة التجربة الظاهرة ، مثل : دواء الطبيب بالنار ، ومثل : الانتفاع ببعض الأسباب التي فيها الانتفاع ظاهر ، كأن تتدفأ بالنار أو تتبرد بالماء أو نحو ذلك ، فهذه أسباب ظاهرة بَيِّنَةُ الأثر ، فتحصَّل من هذا : أن **تعلّق القلب** بشيء لرفع البلاء ، أو دفعه لم يجعله الشارع سببا ، ولم يأذن به ، يكون نوع شرك ، وهذا مراد الشيخ بهذا الباب ؛ فإن لبس الخيط والحلقة من الشرك الأصغر .". [٢]

١١٢-"وهنا تنبيه : وهو أن كل أصناف الشرك الأصغر قد تكون شركا أكبر بحسب حال من فعلها : فالأصل : أن لبس الحلقة أو الخيط . وتعليق التمائم ، والحلف بغير الله ، وقول : ما شاء الله وشئت ، ونحو ذلك من الأعمال ، أو الاعتقادات ، أو الأقوال الأصل فيها : أنها من الشرك الأصغر ، لكن قد تكون شركا أكبر بحسب حال صاحبها ، يعني : إن اعتقد في الحلقة والخيط مثلا أنها تؤثر بنفسها : فهذا شرك أكبر ، وإذا اعتقد أنها ليست سببا لكن تؤثر بنفسها وتدفع الضرر بنفسها ، فتدفع المرض بنفسها ، وتدفع العين بنفسها ، أو ترفع المرض بنفسها ، أو ترفع العين بنفسها . فإذا اعتقد أنها ليست أسبابا بل هي مؤثرة بنفسها : فقد وقع في الشرك الأكبر ؛ لأنه جعل التصرف في هذا الكون لأشياء مع الله - جل وعلا - ، ومعلوم أن هذا من أفراد الربوبية ، فيكون ذلك شركا في الربوبية فعماد هذا الباب على **تعلّق القلب** بهذه الأشياء : كالحلقة ، والخيط ، ونحوهما ؛ لدفع ما يسوؤه ، أو لرفع ما حل به من مصائب .". [٣]

١١٣-"وإذًا فيكون الشرك الأكبر : ما ضم هذه الثلاثة . وإذا تأملت ما يصنعه عباد القبور والخرافيون في الأزمنة المتأخرة وفي زماننا هذا : وجدت أنهم يصنعون مثل ما كان المشركون الأولون يصنعون عند اللات ، وعند العزى ، وعند ذات أنواط ، ويعتقدون في القبر ، بل يعتقدون في الحديد الذي يُسيَّج به القبر ، فترى الناس في البلاد التي يفشو فيها الشرك يعتقدون في الحائط الذي على القبر ، أو في الشباك الحديدي الذي يحيط بالقبر ، فإذا تمسحوا به فكأنهم تمسحوا بالمقبور ، واتصلت روحهم به ، واعتقدوا أنه سيتوسط لهم ؛ لأنهم عظموه ، فهذا شرك أكبر بالله - جل وعلا - ؛ لأن فعلهم هذا : راجع إلى **تعلق القلب** في جلب النفع ، وفي دفع الضر بغير الله - جل وعلا - وجعْله وسيلة إلى الله - جل

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة ٣٥/٢١

(٢) شرح عدة متون في العقيدة ١١٨/٢١

(٣) شرح عدة متون في العقيدة ١١٩/٢١

وعلا – كفعل الأولين الذين قال الله فيهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ .". (١)

١١٤–"والنسك في قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي ﴾ هو : الذبح أو النحر ، يعني : التقرب بالدم ، والتقرب بالدم لله – جل وعلا – : عبادة عظيمة ؛ لأن الذبائح ، أو المنحورات من الإبل أو البقر ، أو الغنم ، أو الضأن ، مما تعظم في نفوس أهلها ، ونحرها تقربا إلى الله – جل وعلا – والصدقة بها عبادة عظيمة ، فيها إراقة الدم لله ، وفيها **تعلق القلب** بحسن الثواب من الله – جل وعلا – ، وفيها حسن الظن بالله تبارك وتعالى ، وفيها التخلص من الشح ، والرغب فيما عند الله سبحانه ، بإزهاق نفس عزيزة عند أهلها ؛ ولهذا كان النحر ، والذبح عبادة من العبادات العظيمة التي يحبها الله – جل وعلا – .

وقد دلت هذه الآية على أن النحر والصلاة عبادتان ؛ لأنه جعل النسيكة لله ، والله – جل وعلا – له من أعمال خلقه العبادات فدل قوله (وَنُسُكِي) على أن النسك عبادة من العبادات ، وأنه مُستحَق لله – جل وعلا – .". (٢)

١١٥–"وقد سبق بيان أن خبر (لا) النافية للجنس يحذف كثيرا في لغة العرب إذا كان معلوما ، كما قال ابن مالك في آخر باب (لا) النافية للجنس في الألفية :

وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر ... إذا المراد مع سقوطه ظهر

" ولهما عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا عدوى » . يعني لا عدوى مؤثرة بنفسها ، بل بإذن الله – جل وعلا– .

" ولا طيرة " : مؤثرة أصلا ، وإنما ذلك راجع إلى قضاء الله وقدره .

قوله : « ويعجبني الفأل " قالوا : وما الفأل؟ قال : " الكلمة الطيبة » (١) : كان –عليه الصلاة والسلام– يحب الفأل وفسره بأنه الكلمة الطيبة ؛ لأن الكلمة الطيبة إذا سمعها فتفاءل بها ، وأنه سيحصل له كذا وكذا من الخيرات ، يكون من باب حسن الظن بالله– جل وعلا– ، فالفأل حسن ظن بالله ، والتشاؤم سوء ظن بالله– جل وعلا– ؛ ولهذا كان الفأل ممدوحا ومحمودا ، والشؤم مذموما .

ومعلوم أن العبد مأمور بأن يحسن الظن بالرب– جل وعلا– ولهذا كان –عليه الصلاة والسلام– يتفاءل ، وكل ذلك من تعظيم الله – جل وعلا– وحسن الظن به **وتعلق القلب** به ، وأنه لا يفعل للعبد إلا ما هو أصلح له .

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة ٢١/١٧٧

(٢) شرح عدة متون في العقيدة ٢١/١٩٠

(١) أخرجه البخاري في (٥٧٧٦) ومسلم (٢٢٢٤) .". [١]

١١٦-"الجواب : إن قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب أنهم : « هم الذين لا يسترقون » (١) معناه : لا يطلبون الرقية ، وفهم جواب السؤال يتبع فهم التعليل ، ذلك أن أولئك كانوا لا يسترقون ، يعني لا يطلبون الرقية ، لأجل ما قام في قلوبهم من الاستغناء بالله ، وعدم الحاجة إلى الخلق ، ولم تتعلق قلوبهم بالخلق في رفع ما حل بهم ، وكما ذكرت لك فإن مدار العلة على **تعلق القلب** بالراقي ، أو بالرقية في رفع ما بالمرقي من أذى ، أو في دفع ما قد يتوقع من السوء ، وعليه فيكون الحالان سواء ، يعني : إن كان طلب بنفسه ، أو طلب بغيره فإنه طالب ، والقلب متعلق بمن طلب منه الرقية إما بالأصالة أو بالواسطة .

سؤال : ما حكم من يقول له أهله : اذبح ذبيحة ووزعها على المساكين دفعا لبلاء ما ، فهل تجوز تلك النية ؟

الجواب : هذا فيه تفصيل ، ذلك أن ذبح الذبائح إذا كان من جهة الصدقة ، ولم يكن لدفع شيء متوقع ، أو لرفع شيء حاصل ، ولكن من جهة الصدقة ، وإطعام الفقراء ، فهذا لا بأس به وهو داخل في عموم الأدلة التي فيها الحض على الإطعام ، وفضيلة إطعام المساكين .

---

(١) تقدم .". [٢]

١١٧-"وأما الحديث الذي في الصحيح من « أن النبي – صلى الله عليه وسلم – سئل : هل نفعت عمك أبا طالب بشيء؟ قال : " هو في ضحضاح من النار ، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » (١) ، فقوله عليه الصلاة والسلام : " لولا أنا " هذا فيه ذكر لعمله – عليه الصلاة والسلام – وافترق عن قول القائل : لولا فلان لحصل كذا ، من جهتين : الجهة الأولى : أن ذلك القائل هو الذي حصلت له النعمة ، أو اندفعت عنه النقمة ، والنبي – صلى الله عليه وسلم – هنا – يخبر عن صنيعه بعمه ، وأن عمه اندفعت عنه بعض النقمة ، فذلك النهي في المتحدث الذي تعلق قلبه بالذي نفعه أو دفع عنه الضر ، وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم : " لولا أنا " فهو إخبار عن نفعه لغيره ، فليس فيه **تعلق القلب** ، في اندفاع النقمة ، أو حصول النعمة بغير الله – جل وعلا – ، هذا وجه ، فتكون العلة التي من أجلها نهي عن قول : لولا كذا ، لما فيها من نسبة النعمة إلى غير الله ، من جهة **تعلق القلب** بذلك الذي حصل له النعمة ، وهذا غير وارد في قول النبي عليه الصلاة والسلام : « لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار » ؛ لأنه – عليه الصلاة والسلام – ليس هو الذي حصلت له النعمة ، وإنما

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة ٤٧٨/٢١

(٢) شرح عدة متون في العقيدة ٣٤٥/٢٢

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٥) و (٦٥٦٤) ومسلم (٣٦٠) .". [١]

١١٨-": أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ [الإسراء:٥٧] قال العماد ابن كثير : وهذا لا خلاف فيه بين المفسرين، وذكره عن عدة من أئمة التفسير. قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: في هذه الآية ذكر المقامات الثلاثة: الحب وهو ابتغاء التقرب إليه والتوسل إليه بالأعمال الصالحة، والرجاء والخوف، وهذا هو التوحيد وهو حقيقة دين الإسلام كما في المسند عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (والله يا رسول الله ما أتيتك إلا بعد ما حلفت عدد أصابعي هذه: أن لا آتيك، فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به؟ قال : الإسلام. قال: وما الإسلام؟ قال : أن تسلم قلبك وأن توجه وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلوات المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة) وأخرج محمد بن نصر المروزي من حديث خالد بن معدان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن للإسلام صوى ومناراً كمنار الطريق، من ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وهذا معنى قوله تعالى: وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ [لقمان:٢٢]. يجب على المسلم أن يجعل خوفه ورجاءه وتعلقه بالله وحده فقط، ويعلم أن جميع الخلق لا يملكون ضراً ولا نفعاً من دون الله جل وعلا، قال الرسول صلى الله عليه وسلم في وصيته لابن عباس : (واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)، فالأمر كله بيد الله جل وعلا، فيجب أن يكون **تعلق القلب** والتوجه إليه وحده، وأن تكون العبادة خالصة له وحده. والعبادة تكون بالقلب وتكون بالجوارح، وتكون بهما جميعاً، فمثلاً". [٢]

١١٩-"هذا الحديث بيان وشرح لقول لا إله إلا الله؛ لأنه قال: (وكفر بما يعبد من دون الله)، والكفر بما يعبد من دون الله يقتضي مجانبته وبغضه وكراهيته، ويتبرأ منه ومن عابده، فلا بد أن يكون الإنسان عاملاً بذلك حتى يصح دينه ويسلم، ويتحصل على الموعود الذي وعد به من قال: لا إله إلا الله بأن يدخل الجنة. وبهذا يتبين أن الذين يتعلقون بغير الله جل وعلا، ويزعمون أنهم لم يأتوا بمخالفٍ مغرورون، قد اغتروا بجهلهم؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّن غاية البيان، ووضح الأمر، فلا عذر لهم؛ لأنهم لم يعتنوا ببيانه الذي كلفه الله جل وعلا به، وقام به كما ينبغي صلوات الله وسلامه عليه. ولهذا تجد كثيراً من الناس يتعلق بالصالحين أو بقبورهم أو بغير ذلك، ويزعم أنه لم يأت بمخالف؛ لأنه يعد هذا توسلاً، ويقول: التوسل مشروع، وقد سبق أن التوسل الذي أمر الله به هو فعل الطاعة ابتغاء الوسيلة إلى الله، فيطيع الله جل وعلا ويتبع رسوله صلى الله عليه وسلم، أما التعلق بغير الله جل وعلا فهو تأله، والتأله يجب أن يكون لله وحده، ولا يجوز أن **يتعلق القلب** بغير الله تعالى، فإن وجد التعلق بغير الله جل وعلا فإما أن يكون ذلك منافياً للتوحيد بالكلية، أو منقصاً له وخادشاً له، ويصبح الإنسان معرضاً لعذاب الله جل وعلا. يعني: إذا كان التعلق من نوع الشرك الأكبر فهو منافياً للتوحيد،

---

(١) شرح عدة متون في العقيدة ٣٩٢/٢٢

(٢) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان ٧٧/٢

ومن مات على الشرك الأكبر فهو من أهل النار بلا تردد قطعاً؛ لأن الله جل وعلا يقول: إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا [النساء:٤٨] أما إذا كان ليس من الشرك الأكبر كتعليق التميمة، وطلب البركة من موضع أو ما أشبه ذلك، فإن هذا قد يكون أكبر وقد يكون أصغر كما سيأتي، ويكون بحسب ما يقوم بقلب الإنسان، ويترتب عليه النقص أو المنافاة بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.". (١)

١٢٠-"والواجب على العبد أن يخلص دينه لله جل وعلا، وأن يكون الدين خالصاً لله جل وعلا، **وتعلق القلب** كله بالله جل وعلا، وألا يتعلق بشيء من المخلوقات التي لا تنفع ولا تضر، فكلها مخلوقة ضعيفة، والله جل وعلا يتصرف فيها كيف يشاء، وكل مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره دفعاً ولا نفعاً، ولكن كثير من الجهال يغترون بالأوضاع التي يجدون عليها أهل زمانهم، والأوضاع ليست دليلاً على الدين، الدين هو ما جاء به رسول صلى الله عليه وسلم، فعلى الإنسان أن يتعرف على ذلك ويحرص عليه.
رواية: (من وحد الله...)". (٢)

١٢١-"فاتحاً فر من فر من المشركين ومنهم عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه، فقد كان مشركاً وكان يأبى أن يقبل الإسلام، ففر هارباً وترك مكة وأهله وزوجته، فوفق له أنه وجد أهل سفينة يريدون اليمن قرب جدة، فركب معهم فهاجت بهم الريح عند ذلك، فقال بعضهم لبعض: أخلصوا الدعاء لله، وألقوا ما معكم من الأصنام، فإنه لا ينجيكم في هذه الحالة إلا الإخلاص، ودعوة الله وحده، عند ذلك فكر في نفسه فقال: إذاً: إلى أين أهرب؟! لئن أنجاني الله جل وعلا من هذه الكربة لأذهبن إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وأضع يدي في يده فليصنع بي ما شاء، وهذا سبب إسلامه. والمقصود أن هذا أمر واضح، وقد ذكر الله جل وعلا عنهم في القرآن أنهم إذا وقعوا في الشدائد أخلصوا لله جل وعلا، وقد قال الله جل وعلا مستدلاً على وجوب توحيده وحده، وإلزامهم بذلك: أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ [النمل:٦٢]، وكلهم يقرون بأنه الله وحده، لا اللات ولا هبل، ولا مناة ولا العزى، ولا غير ذلك من الآلهة التي كانوا يدعونها، بل يعترفون أنه الله جل وعلا وحده، وهذا لا يحتاج إلى استدلال عليه؛ لأنه أمر ظاهر جلي، وإنما احتيج إلى ذلك لما جهل الذين يدعون غير الله هذا الأمر، وصاروا يعتقدون أن الشرك هو أن يدعو الإنسان من يعتقد أنه يخلق ويرزق ويحيي ويميت، فيقول: إذا دعوت المقبور وأنت لا تعتقد أنه يخلق ويرزق ويحيي ويميت فليس في هذا شرك، هذا ما قاله أحد من خلق الله، وإنما قاله هؤلاء الذين خرجوا عن المعقولات بعد خروجهم عن المشروعات التي جاءت بها الرسل، وهو أمر واضح جلي جداً. فالمقصود أن دعوة غير الله جل وعلا كلها من باب اتخاذ الوسائط والتبركات والشفاعة. قال رحمه الله: [قلت: فهذه الآية وأمثالها تبطل **تعلق القلب** بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وأن ذلك شرك بالله، وفي الآية بيان أن الله تعالى وسم

(١) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان ٢/١٤٩

(٢) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان ٢/١٥٠

أهل الشرك بدعوة غير الله، والرغبة إليه من دون الله،". [١]

١٢٢-"التعلق يقصد به **تعلق القلب**، ويقصد به تعلق الفعل، يقصد به هذا وهذا، ومن يعلق تميمة لا بد أن يكون قلبه تعلق بها، وهذا شرك. والتميمة هي كل ما يعلقه الإنسان على بدنه أو في سيارته أو في بيته، أو في متجره، أو في مصنعه، يريد بذلك أن يدفع عنه عين الإنسان أو أذى الجان أو ينفعه في شيء من المنافع، سواء كان المعلق من القرآن، ومن أسماء الله وصفاته، أو من أسماء الشياطين والجن، أو من الحروف والطلسمات التي يفعلها الكهنة والسحرة وأشباههم من الجهال. ولكن إذا كان المعلق من القرآن، ومن صفات الله جل وعلا وأسمائه فقد اختلف العلماء في ذلك كما سيأتي، منهم من جوزه وقال: إنه جائز، ومنهم من منعه، وجعله من قسم الممنوع الذي لا يجوز فعله، وسيأتي بحث ذلك في الباب الذي بعد هذا إن شاء الله. والتميمة سميت تميمة من باب التفاؤل -كعادة العرب- تفاؤلاً بأن من علقها يتم له أمره، كما أنهم يسمون اللديغ سليماً تفاؤلاً بأنه سيسلم، ويسمون الأرض المهلكة التي ليس فيها لا ماء ولا أناس ولا قرى مفازة تفاؤلاً بأن الذي يسلكها سيفوز وينجو، وهذا كثير في كلام العرب، ومنه تسميتهم التميمة تفاؤلاً بأنه سيتم مقصوده، ولهذا دعا النبي صلى الله عليه وسلم على من فعل ذلك ألا يتم الله له أمره، فقال: (من تعلق تميمة فلا أتم الله له) فهذا دعاء من النبي صلى الله عليه وسلم بأن يعامل بنقيض قصده ومراده، وفي هذا دليل على أن من ارتكب معصية أنه يستحق الدعاء، وأنه يعاقب بنقيض ما أراد؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا عليه. وأما الودع فهو شيء يستخرج من البحر، وهو معروف، ويعلقونه على أولادهم زعماً منهم أنه يقي من أذى الجن، أو يقي من عين الإنسان، وقد يعلقونه على البهائم، وقد يعلق على غير ذلك، ولكن تختلف الأحوال الآن فهناك أمور جدت، المعنى واحد والأسماء اختلفت، فقد يعلق بعضهم الآن سلسلة من صفر أو من فضة، أو خاتماً يوضع فيه فص، أو نحو ذلك، ويزعم أنه". [٢]

١٢٣-"قال المصنف رحمه الله: [فيه مسائل: المسألة الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك]. يعني: مثل ذلك في النفع أو الدفع، فإذا كان الإنسان يلبس شيئاً من ذلك فهو مشرك، وسواء كان شركاً أكبر أو أصغر حسب ما يقوم بقلبه. [المسألة الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح. فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر. المسألة الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة. المسألة الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر، لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزيدك إلا وهنا)]. قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزيدك إلا وهناً) يعني: أن هذه الحلقة تضر، وإن زعم أنها تنفع فهي لا تزيده إلا وهناً، والوهن هو الضعف، أي: يزداد مرضاً إلى مرضه، هذا في العاجل، أما في الآجل فهي شرك يعاقبه الله عليه. [المسألة الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك. المسألة السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئاً وكل إليه. المسألة السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك. المسألة الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك. المسألة التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة رضي الله عنهم يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر

(١) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان ١٨٢/٢

(٢) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان ١٩٢/٢

على الأصغر كما ذكر ابن عباس في آية البقرة]. وسبق أن التعلق يكون في القلب، ويكون بالفعل، ولكن إذا حصل بالفعل لا بد أن يكون صدر من القلب، إلا أن يكون الإنسان غبياً، أو لا يعقل، أما إذا كان عاقلاً فالعاقل إنما يبعثه على عمله ما في القلب من نية، وهذا هو **تعلق القلب**، فمن علق شيئاً من ذلك فقد وقع في الشرك، والشرك وإن كان أصغر فأمره عظيم ليس سهلاً، فلا يجوز التساهل في مثل هذه الأمور، والإنسان إذا اعتمد على الله جل وعلا وتوكل عليه فإنه يكفيه. وإذا وقع في مرض أو في أمر من الأمور التي يخشاها فعليه أن يلجأ إلى الله، وعليه أن يدعو ربه، ويتجه إليه، ويتوكل عليه، وينزل به حاجته، هذا هو الذي ينفعه في الواقع، مع". (١)

١٢٤-"قال الشارح: [وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: (من تعلق شيئاً وكل إليه) رواه أحمد و الترمذي]. سبق أن لفظة تعلق تكون بفعل القلب، وتكون بفعل الجوارح، وغالباً تطلق على فعل القلب، ولا سيما في مثل هذا الذي يرجى منه النفع الغيبي ومن الأمر الذي لا يشاهد، فإن هذا يراد به **تعلق القلب**. (من تعلق تميمة) يعني: تعلق قلبه بها، بأن رجا أنها تدفع عنه الضر أو تجلب له النفع، ومن فعل هذا فقد رجا غير الله، والتفت إلى غيره، وهذا كما سبق نوع من الشرك. قال الشارح: [وعبد الله بن عكيم هو بضم المهملة مصغرة، ويكنى أبا معبد الجهني الكوفي ، قال البخاري : أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سماع صحيح، وكذا قال أبو حاتم ، قال الخطيب : سكن الكوفة وقدم المدائن في حياة حذيفة ، وكان ثقة، وذكر ابن سعد عن غيره أنه مات في ولاية الحجاج . قوله: (من تعلق شيئاً وكل إليه)التعلق يكون بالقلب، ويكون بالفعل، ويكون بهما (وكل إليه) أي: وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه]. قوله: (شيئاً) هذا عام، (من تعلق شيئاً وكل إليه)، والمقصود أن الذي يتعلق بغير الله فإن الله يكله إلى ذلك الغير، وإذا وكل الإنسان إلى غير الله فإنه يوكل إلى عوره وإلى ضيعة، فلا يحصل له مقصوده، بخلاف الذي يتعلق بالله جل وعلا، فإنه يكون ناجحاً يحصل له مراده، ويكون مطيعاً في ذلك لله جل وعلا، ويأتيه الخير من حيث لا يحتسب. ففرق بين من تعلق بالله ومن تعلق بالمخلوقات التي لا تنفع نفسها فضلاً عن غيرها من الأمور التي يتوقع نفعها، أو الأمور التي يتوقع ضررها بأن تدفع، فإن هذا لا يكون إلا بيد الله جل وعلا كما في حديث عبد الله بن عباس : (واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا على ذلك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا على ذلك)فالأمور كلها بيد الله. ولكن إذا كان الإنسان يقينه ضعيفاً، وإيمانه ضعيفاً، فإن". (٢)

١٢٥-"يا نجيح! يا راشد!!) وروى أبو داود عن بريدة : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأله عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به، وإن كره اسمه رئي كراهية ذلك في وجهه) وإسناده حسن. وهذا فيه استعمال الفأل. قال ابن القيم : أخبر صلى الله عليه وسلم أن الفأل من الطيرة، وهو خيرها، فأبطل الطيرة، وأخبر أن الفأل منها ولكنه خير منها، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد، ونفع أحدهما، ومضرة الآخر، ونظير

---

(١) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان ٢/ ٢٠٤

(٢) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان ٢/ ٢٢٥

هذا: منعه من الرقى بالشرك، وإذنه في الرقية إذا لم يكن فيها شرك؛ لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة. قوله: (ولا ترد مسلماً)، قال الطيبي : تعريض بأن الكافر بخلافه. قوله: (اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت)، أي: لا تأتي الطيرة بالحسنات، ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات، والحسنات هنا النعم، والسيئات المصائب، كقوله سبحانه: وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ [النساء:٧٨-٧٩]، ففيه نفي **تعلق القلب** بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر وهذا هو التوحيد، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً، ويعد من اعتقدها سفيهاً مشركاً. قوله: (ولا حول ولا قوة إلا بك) استعانة بالله تعالى على فعل التوكل، وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سبباً لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها، وذلك الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل، الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات، والحول: التحول، وهو الانتقال من حال". (١)

١٢٦-"عليه، وعدم الالتفات إلى غيره، هذا هو معنى الكلام. قال الشارح رحمه الله: [وروى ابن ماجة و ابن حبان ولفظ أبي داود : (الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك) ثلاثاً. وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله تعالى، قال ابن حمدان: تكره الطيرة، وكذا قال غيره من أصحاب أحمد]. قوله: (تكره الطيرة) يجب أن تحمل كلمة (تكره) على التحريم؛ لأن الشرك ليس فيه شيء مكروه كراهة تنزيه، بل كله محرم، والعلماء في القديم إذا قالوا: يكره كان مقصودهم أنه حرام، ولكن بعضهم يتورع عن كلمة حرام للخوف؛ لأن الله جل وعلا يقول: وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ [النحل:١١٦]، يخاف أن يقول: حرام، فلا يقول على الشيء أنه حرام إلا إذا تأكد تأكداً تاماً بأن الله قد حرمه، هذا هو السبب، وكان في اصطلاحهم أيضاً أن وضع الكراهة على المحرم أمر شائع، وإنما اصطلح المتأخرون على تقسيم الكراهة إلى قسمين: قسم يكون كراهة تحريم، وقسم يكون كراهة تنزيه، وهذا اصطلاح حادث ما كان يعرفه السلف قديماً، ولا يجوز أن يحمل كلام العلماء في القديم على هذا الاصطلاح الحادث. قال الشارح رحمه الله: [قال ابن مفلح : والأولى القطع بتحريمها لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروهاً الكراهية الاصطلاحية؟! قال في شرح السنن: وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضراً إذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوا مع الله تعالى. قوله: (وما منا إلا)، قال أبو القاسم الأصبهاني و المنذري : في الحديث إضمار، والتقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك. انتهى، وقال الخلخالي: حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا من أدب الكلام. قوله: (ولكن الله يذهبه بالتوكل)، أي: لكن لما توكلنا على الله في جلب النفع أو". (٢)

---

(١) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان ٤/٩٩

(٢) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان ٤/١٠١

١٢٧-"فهو أصغر، وإن كان في الأكبر فهو أكبر، كما قال الله عنه في الدار الآخرة: تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ [الشعراء:٩٧-٩٨]، بخلاف المعطوف بثم؛ فإن المعطوف بها يكون متراخياً عن المعطوف عليه بمهلة، فلا محظور لكونه صار تابعاً]. يجب أن يعلم أن هذا القسم الذي صدر من الكفار وهم في النار تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ [الشعراء:٩٨] يخاطبون فيها من كانوا يعبدونهم، ويتوجهون إليهم ، ومعلوم أن هذه التسمية ما سموهم بها ويقصدون فيها خلق السموات والأرض، هذا لا يقوله عاقل، ولا في إيجاد الجنة والنار ولا التصرف في الكون، وإنما التسوية التي سووهم فيها إما الحكم والتعظيم، أو **التعلق القلبي** التي تعلقوا بها فقط، هذا الذي سووهم فيه، فقولهم: تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ [الشعراء:٩٨]، أي: وقت تسويتنا لكم برب العالمين وإن سووهم به في الحكم، أوالدعاء، أو **التعلق القلبي** حيث يقولون: نرجوهم أن ينفعونا ويشفعوا لنا. هذا أمر واضح وضحته الآيات الأخرى، وكذلك الواقع يوضحه. قال المصنف رحمة الله تعالى: [وجاء عن إبراهيم النخعي رحمه الله أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا يقول: لولا الله وفلان]. أي: يجوز أن يتعوذ بمخلوق إذا كان المخلوق حياً حاضراً قادراً على أن يعيذك بهذا الشيء؛ لأنه استعاذ بالله أولاً، والاستعاذة بالله من التوحيد بلا شك، ولا ينافي ذلك كون الإنسان يستعيذ بحي حاضر بشيء يمكله هو، أما إذا كان ميتاً أو غائباً أو لا يملك هذا الشيء، فالاستعاذة به تكون شركاً. قوله: (أعوذ بالله ثم بك)، ولا يقول: (أعوذ بالله وبك)؛ لأن الأمر كما مضى أن الواو تجعل المعطوف مساوياً للمعطوف عليه بالشيء الذي ذكر، فهذا من الشرك بالله. والمقصود في هذا أن الموحد المؤمن يتنزه في ألفاظه التي". (١)

١٢٨-"السؤال: من قاتل وطنية فهل هو في سبيل الله؟ الجواب: القتال في سبيل الوطن من أمور الجاهلية، فهو ليس في سبيل الله، بل في سبيل الوطنية، فإذا قاتل وطنية فهو في سبيل الوطن، والرسول صلى الله عليه وسلم سئل عن الرجل يقاتل حمية -الحمية هي الوطنية- ويقاتل شجاعة ليرى مكانه، ويقاتل لأجل قومه -يعني: يدافع عنهم- من منهم في سبيل الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) إذا كان يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله، أما ما عدا ذلك فهو في سبيل الشيء الذي يقاتل من أجله، إذا كان يقاتل لأجل الدنيا أو يقاتل لأجل الدفاع أو الانتصار أو ما يشبه ذلك، فهو في سبيل الذي يقاتل من أجله. ......

العشق تعلق بغير الله

السؤال: هل يدخل العشق في **تعلق القلب** بغير الله؟ الجواب: نعم، بلا شك أن عشق الصورة أو المرأة أو غيرها وتعلق قلبه به حتى صار عاشقاً لها تعلق بغير الله، والعشق هو حب يصل إلى حالة يخشى عليه من الموت مع الشهوة، فهذا معناه أن قلبه غالباً يكون فارغاً من معرفة الله جل وعلا أو من عبادته. ......

معنى النقود المضروبة

السؤال: ما معنى النقود المضروبة؟ الجواب: المضروبة التي قدرت بشيء معين، وفيها أسماء مكتوبة عليها ضرب، والضرب

---

(١) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان ١٥٩/٥

أن تكتب الأسماء عليها، والقدر المعين. يعني: أجزاء معينة كما هو معروف. ......
السكن في الجنة
السؤال: هل في الجنة اختلاط بين الرجال والنساء؟ الجواب: الإنسان الذي يقرأ القرآن يعرف ما معنى الجنة والسكن فيها، فالإنسان إذا كان له مسكن في الجنة يسير فيه طويلاً، ولا يحتاج إلى اختلاط، يذهبون إلى السوق ويأخذون حاجاتهم، والله جل وعلا يقول عن الجنة: حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ [الرحمن:٧٢]، فليست كأسواق الدنيا وحال الدنيا التي يتهارج الناس فيها تهارج البهائم، فينبغي الإنسان أن يعرف قدر الجنة حتى يرغب فيها. ......
إرادة الجاه في الدنيا". (١)

١٢٩-"وجوب التعلق بالله وحده

قال الشارح: [قوله: باب تفسير التوحيد وشهادة ألا إله إلا الله.

قلت: هذا من عطف الدال على المدلول.

فإن قيل: قد تقدم في أول الكتاب من الآيات ما يبين معنى (لا إله إلا الله) وما تضمنته من التوحيد، كقوله تعالى ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء:٢٣]وسابقها ولاحقها، وكذلك ما ذكره في الأبواب بعدها فما فائدة هذه الترجمة؟ قيل: هذه الآيات المذكورات في هذا الباب فيها مزيد بيان بخصوصها لمعنى كلمة الإخلاص وما دلت عليه: من توحيد العبادة، وفيها: الحجة على من تعلق على الأنبياء والصالحين يدعوهم ويسألهم لأن ذلك هو سبب نزول بعض هذه الايات كالآية الأولى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾ [الإسراء:٥٦] أكثر المفسرين على أنها نزلت فيمن يعبد المسيح وأمه وعزيراً والملائكة، وقد نهى الله عن ذلك أشد النهي كما في هذه الآية من التهديد والوعيد على ذلك، وهذا يدل على أن دعاءهم من دون الله شرك بالله ينافي التوحيد وينافي شهادة أن لا إله إلا الله؛ ومضمون هذه الكلمة نفي الشرك في العبادة والبراءة من عبادة كل ما عبد من دون الله؛ فإن التوحيد أن لا يدعى إلا الله وحده، وكلمة الإخلاص نفت هذا الشرك؛ لأن دعوة غير الله تأله وعبادة له، و (الدعاء مخ العبادة).

وفي هذه الآية: أن المدعو لا يملك لداعيه كشف ضر ولا تحويله من مكان إلى مكان، ولا من صفة إلى صفة، ولو كان المدعو نبياً أو ملكاً، وهذا يقرر بطلان دعوة كل مدعو من دون الله، كائناً من كان؛ لأن دعوته تخون داعيه أحوج ما كان إليها؛ لأنه أشرك مع الله من لا ينفعه ولا يضره، وهذه الآية تقرر التوحيد ومعنى لا إله إلا الله.

قوله: وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء:٥٧].

يبين أن هذا سبيل الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين قال قتادة : تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، وقرأ ابن زيد : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾ [الإسراء:٥٧] قال العماد ابن كثير : وهذا لا خلاف فيه بين المفسرين، وذكره عن عدة من أئمة التفسير.

---

(١) شرح فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للغنيمان ٦/٣٢٥

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: في هذه الآية ذكر المقامات الثلاثة: الحب وهو ابتغاء التقرب إليه والتوسل إليه بالأعمال الصالحة، والرجاء والخوف، وهذا هو التوحيد وهو حقيقة دين الإسلام كما في المسند عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (والله يا رسول الله ما أتيتك إلا بعد ما حلفت عدد أصابعي هذه: أن لا آتيك، فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به؟ قال : الإسلام.

قال: وما الإسلام؟ قال : أن تسلم قلبك وأن توجه وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلوات المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة) وأخرج محمد بن نصر المروزي من حديث خالد بن معدان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن للإسلام صوى ومناراً كمنار الطريق، من ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾ [لقمان:٢٢].

يجب على المسلم أن يجعل خوفه ورجاءه وتعلقه بالله وحده فقط، ويعلم أن جميع الخلق لا يملكون ضراً ولا نفعاً من دون الله جل وعلا، قال الرسول صلى الله عليه وسلم في وصيته لـ ابن عباس : (واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)، فالأمر كله بيد الله جل وعلا، فيجب أن يكون **تعلق القلب** والتوجه إليه وحده، وأن تكون العبادة خالصة له وحده.

والعبادة تكون بالقلب وتكون بالجوارح، وتكون بهما جميعاً، فمثلاً القيام تعبداً يجب أن يكون لله، والركوع يجب أن يكون لله، والسجود يجب أن يكون لله، والتوبة يجب أن تكون لله، والنذر والدعاء والرجاء والخوف وغير ذلك من أنواع العبادة الكثيرة كلها يجب أن تكون خالصة لله جل وعلا، ولا يجوز أن يتعلق العابد لله بغير الله جل وعلا في دعاء ولا في خوف ولا في رجاء، إلا أن الخوف يكون خوفاً طبيعياً ويكون خوفاً غيبيا، فالخوف الطبيعي كالذي يخاف من السبع أو من الحية أو من الظالم المقتدر على أذاه أو تعذيبه، فهذا لا يضر الإنسان شيئاً، وليس عليه في ذلك شيء.

ولكن الخوف الذي يضر إذا خاف من غائب عنه، فهو يخافه وهو ميت، أو يخافه في أمر ليس من الأسباب الظاهرة، فإن هذا لا يجوز أن يكون إلا لله وحده جل وعلا، فإن حصل للإنسان شيء من ذلك -والعياذ بالله- فقد وقع في الشرك، وهذا الشرك يكون من الشرك الأكبر.

وكذلك المحبة يجب أن تكون لله وحده، فالحب هو لب العبادة وهو التأله، وهو معنى (لا إله إلا الله)، فيجب أن يكون لله وحده، إلا أن الحب -كما سيأتي- ينقسم أيضاً إلى حب طبيعي وحب خاص، فالحب الطبيعي كحب الجائع للطعام والظمآن للشراب، وكذلك حب الألفة والأنس والمصاحبة، وكذلك حب الحنان والرحمة كحب الوالد لولده وما أشبه ذلك فهذا لا ضير فيه، ولا يلام الإنسان عليه، وإنما الحب الذي يكون لله هو الحب الخاص الذي يتضمن الذل والتعظيم، فهذا لا يجوز إلا أن يكون لله؛ إذ كان الحب في ضمنه ذل للمحبوب وتعظيم له، فهذا يكون عبادة لا يجوز أن يكون للمخلوق، وكذلك هذه الآية، حيث استثنى إبراهيم الله جل وعلا فقال: ﴿ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الزخرف:٢٧] مما يدل على أنه لا يكفي في عبادة الله جل وعلا أن يقر الإنسان بأن الله هو ربه، مع أنه يوزع عبادته بين الله جل وعلا وبين

المخلوقين، فإنه بذلك يكون مشركاً، فإذا قال الإنسان: إن الله هو ربي، وهو خالقي، وهو المتصرف في كل شيء والمالك لكل شيء، وهو المحيي والمميت، وهو الضار النافع، ومع ذلك يدعو غيره من الأموات فهذا الإقرار لا يفيده شيئاً ولا ينفعه، وذلك لأن المشرك لا يقبل منه عمل، والشرك يفسد العمل كله، فلابد في قبول العمل وصحته من الإخلاص، أن يكون الإنسان مخلصاً في عبادته ودعوته واتجاهه إلى الله جل وعلا.". (١)

١٣٠-"تفسير هذا الحديث لمعنى لا إله إلا الله

هذا الحديث بيان وشرح لقول لا إله إلا الله؛ لأنه قال: (وكفر بما يعبد من دون الله)، والكفر بما يعبد من دون الله يقتضي مجانبته وبغضه وكراهيته، ويتبرأ منه ومن عابده، فلا بد أن يكون الإنسان عاملاً بذلك حتى يصح دينه ويسلم، ويتحصل على الموعود الذي وعد به من قال: لا إله إلا الله بأن يدخل الجنة.

وبهذا يتبين أن الذين يتعلقون بغير الله جل وعلا، ويزعمون أنهم لم يأتوا بمخالفٍ مغرورون، قد اغتروا بجهلهم؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّن غاية البيان، ووضح الأمر، فلا عذر لهم؛ لأنهم لم يعتنوا ببيانه الذي كلفه الله جل وعلا به، وقام به كما ينبغي صلوات الله وسلامه عليه.

ولهذا تجد كثيراً من الناس يتعلق بالصالحين أو بقبورهم أو بغير ذلك، ويزعم أنه لم يأت بمخالف؛ لأنه يعد هذا توسلاً، ويقول: التوسل مشروع، وقد سبق أن التوسل الذي أمر الله به هو فعل الطاعة ابتغاء الوسيلة إلى الله، فيطيع الله جل وعلا ويتبع رسوله صلى الله عليه وسلم، أما التعلق بغير الله جل وعلا فهو تأله، والتأله يجب أن يكون لله وحده، ولا يجوز أن **يتعلق القلب** بغير الله تعالى، فإن وجد التعلق بغير الله جل وعلا فإما أن يكون ذلك منافياً للتوحيد بالكلية، أو منقصاً له وخادشاً له، ويصبح الإنسان معرضاً لعذاب الله جل وعلا.

يعني: إذا كان التعلق من نوع الشرك الأكبر فهو منافياً للتوحيد، ومن مات على الشرك الأكبر فهو من أهل النار بلا تردد قطعاً؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٤٨] أما إذا كان ليس من الشرك الأكبر كتعليق التميمة، وطلب البركة من موضع أو ما أشبه ذلك، فإن هذا قد يكون أكبر وقد يكون أصغر كما سيأتي، ويكون بحسب ما يقوم بقلب الإنسان، ويترتب عليه النقص أو المنافاة بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

والواجب على العبد أن يخلص دينه لله جل وعلا، وأن يكون الدين خالصاً لله جل وعلا، **وتعلق القلب** كله بالله جل وعلا، وألا يتعلق بشيء من المخلوقات التي لا تنفع ولا تضر، فكلها مخلوقة ضعيفة، والله جل وعلا يتصرف فيها كيف يشاء، وكل مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره دفعاً ولا نفعاً، ولكن كثير من الجهال يغترون بالأوضاع التي يجدون عليها أهل زمانهم، والأوضاع ليست دليلاً على الدين، الدين هو ما جاء به رسول صلى الله عليه وسلم، فعلى الإنسان أن يتعرف

(١) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان ٢٩/٤

على ذلك ويحرص عليه.". (١)

١٣١-"شبهة المشركين في عبادة غير الله أنهم اتخذوها وسائط وشفعاء عند الله

قال الشارح رحمه الله: [وإنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله، لا على أنهم يكشفون الضر ويجيبون دعاء المضطر، فهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل:٥٣-٥٤]].

((إِلَيْهِ تَجْأَرُونَ)) أي: تدعونه بتضرع ورفع صوت، وإلحاح وحاجة شديدة.

إذا مسهم الضر كان هذا شأنهم، فهم لا يلتفتون إلى آلهتهم التي يعبدونها، وهذا من الأمور التي فارق فيها المشركون الأوائل أهل الشرك المتأخرين، فإنهم إذا مسهم الضر ازداد شركهم ودعوتهم لغير الله جل وعلا، وهرعوا إلى القبور يدعونها، ويلجئون إليها، والأمر كما قلنا: لا عقل ولا دين عندهم، ذهبت عقولهم، وأديانهم، وجهلوا اللغة، وبعد ذلك جهلوا دينهم، فصار الشرك عندهم أعظم وأشد.

أما المشركون القدامى فإنهم إذا وقعوا في الشدة فإنهم يخلصون الدعاء لله وحده؛ لأنهم يعلمون يقيناً أنه لا ينجيهم من الشدائد ويكشف عنهم الضر إلا الله وحده: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [العنكبوت:٦٥] أي: إذا ركبوا البحر وهاجت بهم الرياح أخلصوا الدعوة لله وحده، وكفروا بآلهتهم، وإذا كان معهم شيء من أصنامهم ألقوها في البحر، وقالوا: إنها لا تنفع، ولا ينجيكم في مثل هذه المواطن إلا الإخلاص، ودعوة الله وحده، وهذا أمر معروف ومتقرر.

ذكر المؤرخون أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة فاتحاً فر من فر من المشركين ومنهم عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه، فقد كان مشركاً وكان يأبى أن يقبل الإسلام، ففر هارباً وترك مكة وأهله وزوجته، فوفق له أنه وجد أهل سفينة يريدون اليمن قرب جدة، فركب معهم فهاجت بهم الريح عند ذلك، فقال بعضهم لبعض: أخلصوا الدعاء لله، وألقوا ما معكم من الأصنام، فإنه لا ينجيكم في هذه الحالة إلا الإخلاص، ودعوة الله وحده، عند ذلك فكر في نفسه فقال: إذاً: إلى أين أهرب؟! لئن أنجاني الله جل وعلا من هذه الكربة لأذهبن إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وأضع يدي في يده فليصنع بي ما شاء، وهذا سبب إسلامه.

والمقصود أن هذا أمر واضح، وقد ذكر الله جل وعلا عنهم في القرآن أنهم إذا وقعوا في الشدائد أخلصوا لله جل وعلا، وقد قال الله جل وعلا مستدلاً على وجوب توحيده وحده، وإلزامهم بذلك: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ [النمل:٦٢]، وكلهم يقرون بأنه الله وحده، لا اللات ولا هبل، ولا مناة ولا العزى، ولا غير ذلك من الآلهة التي كانوا يدعونها، بل يعترفون أنه الله جل وعلا وحده، وهذا لا يحتاج إلى استدلال عليه؛ لأنه أمر ظاهر جلي، وإنما احتيج إلى ذلك لما جهل الذين يدعون غير الله هذا الأمر، وصاروا يعتقدون أن الشرك هو أن يدعو الإنسان من يعتقد أنه يخلق ويرزق ويحيي ويميت، فيقول: إذا دعوت المقبور وأنت لا تعتقد أنه يخلق ويرزق ويحيي ويميت فليس في هذا شرك، هذا

---

(١) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان ٥/٣٣

ما قاله أحد من خلق الله، وإنما قاله هؤلاء الذين خرجوا عن المعقولات بعد خروجهم عن المشروعات التي جاءت بها الرسل، وهو أمر واضح جلي جداً.

فالمقصود أن دعوة غير الله جل وعلا كلها من باب اتخاذ الوسائط والتبركات والشفاعة.

قال رحمه الله: [قلت: فهذه الآية وأمثالها تبطل **تعلق القلب** بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وأن ذلك شرك بالله، وفي الآية بيان أن الله تعالى وسم أهل الشرك بدعوة غير الله، والرغبة إليه من دون الله، والتوحيد ضد ذلك، وهو ألا يدعو إلا الله، ولا يرغب إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، وكذا جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها كما تقدم].". (١)

١٣٢-"حكم التعلق بالتمائم ومعناه

التعلق يقصد به **تعلق القلب**، ويقصد به تعلق الفعل، يقصد به هذا وهذا، ومن يعلق تميمة لا بد أن يكون قلبه تعلق بها، وهذا شرك.

والتميمة هي كل ما يعلقه الإنسان على بدنه أو في سيارته أو في بيته، أو في متجره، أو في مصنعه، يريد بذلك أن يدفع عنه عين الإنسان أو أذى الجان أو ينفعه في شيء من المنافع، سواء كان المعلق من القرآن، ومن أسماء الله وصفاته، أو من أسماء الشياطين والجن، أو من الحروف والطلسمات التي يفعلها الكهنة والسحرة وأشباههم من الجهال.

ولكن إذا كان المعلق من القرآن، ومن صفات الله جل وعلا وأسمائه فقد اختلف العلماء في ذلك كما سيأتي، منهم من جوزه وقال: إنه جائز، ومنهم من منعه، وجعله من قسم الممنوع الذي لا يجوز فعله، وسيأتي بحث ذلك في الباب الذي بعد هذا إن شاء الله.

والتميمة سميت تميمة من باب التفاؤل -كعادة العرب- تفاؤلاً بأن من علقها يتم له أمره، كما أنهم يسمون اللديغ سليماً تفاؤلاً بأنه سيسلم، ويسمون الأرض المهلكة التي ليس فيها لا ماء ولا أناس ولا قرى مفازة تفاؤلاً بأن الذي يسلكها سيفوز وينجو، وهذا كثير في كلام العرب، ومنه تسميتهم التميمة تفاؤلاً بأنه سيتم مقصوده، ولهذا دعا النبي صلى الله عليه وسلم على من فعل ذلك ألا يتم الله له أمره، فقال: (من تعلق تميمة فلا أتم الله له) فهذا دعاء من النبي صلى الله عليه وسلم بأن يعامل بنقيض قصده ومراده، وفي هذا دليل على أن من ارتكب معصية أنه يستحق الدعاء، وأنه يعاقب بنقيض ما أراد؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا عليه.

وأما الودع فهو شيء يستخرج من البحر، وهو معروف، ويعلقونه على أولادهم زعماً منهم أنه يقي من أذى الجن، أو يقي من عين الإنسان، وقد يعلقونه على البهائم، وقد يعلق على غير ذلك، ولكن تختلف الأحوال الآن فهناك أمور جدت، المعنى واحد والأسماء اختلفت، فقد يعلق بعضهم الآن سلسلة من صفر أو من فضة، أو خاتماً يوضع فيه فص، أو نحو ذلك، ويزعم أنه ينفع من أمراض معينة، ومن أذى الجن، وأذى الإنسان الذي يصيب بالعين، وقد يؤخذ مثلاً حلقة

---

(١) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان ٦/٣٥

من فضة، ويزعم أنها تمنع من البواسير، وقد يجعل في عضده حلقة من صفر، أو سلسلة من نحاس، ويزعم أنها تنفع من الروماتيزم، أو تنفع مما يسمى واهنة، وهي نوع من الروماتيزم ، ولكن فيها عقائد جاهلية، كل هذه من أمور الشرك، ومن أمور الجاهلية، ويجب على المسلم أن يطهر نفسه واعتقاده منها، وكذا من له به صلة من أهله وأولاده؛ لئلا تصيبه دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولئلا يعاقبه الله جل وعلا على الشرك.". (١)

١٣٣-"مسائل باب: من الشرك لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه

قال المصنف رحمه الله: [فيه مسائل: المسألة الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك].

يعني: مثل ذلك في النفع أو الدفع، فإذا كان الإنسان يلبس شيئاً من ذلك فهو مشرك، وسواء كان شركاً أكبر أو أصغر حسب ما يقوم بقلبه.

[المسألة الثانية: أن الصحابي لو مات وهى عليه ما أفلح.

فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

المسألة الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة.

المسألة الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر، لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزيدك إلا وهنا)].

قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزيدك إلا وهناً) يعني: أن هذه الحلقة تضر، وإن زعم أنها تنفع فهي لا تزيده إلا وهناً، والوهن هو الضعف، أي: يزداد مرضاً إلى مرضه، هذا في العاجل، أما في الآجل فهي شرك يعاقبه الله عليه.

[المسألة الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

المسألة السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئاً وكل إليه.

المسألة السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك.

المسألة الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك.

المسألة التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة رضي الله عنهم يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر كما ذكر ابن عباس في آية البقرة].

وسبق أن التعلق يكون في القلب، ويكون بالفعل، ولكن إذا حصل بالفعل لا بد أن يكون صدر من القلب، إلا أن يكون الإنسان غبياً، أو لا يعقل، أما إذا كان عاقلاً فالعاقل إنما يبعثه على عمله ما في القلب من نية، وهذا هو **تعلق القلب**، فمن علق شيئاً من ذلك فقد وقع في الشرك، والشرك وإن كان أصغر فأمره عظيم ليس سهلاً، فلا يجوز التساهل في مثل هذه الأمور، والإنسان إذا اعتمد على الله جل وعلا وتوكل عليه فإنه يكفيه.

وإذا وقع في مرض أو في أمر من الأمور التي يخشاها فعليه أن يلجأ إلى الله، وعليه أن يدعو ربه، ويتجه إليه، ويتوكل عليه، وينزل به حاجته، هذا هو الذي ينفعه في الواقع، مع أنه لا مانع من فعل الأسباب المباحة من الأدوية وغيرها، فإنه

---

(١) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان ٣/٣٦

يجوز أن يتداوى إن لم يكن ذلك مستحباً كما مضى، فإذا لم يكن الدعاء ممنوعاً محرماً فإنه يكون من الأسباب المباحة، أو الأسباب المسنونة المستحبة.". (١)

١٣٤-"حديث: (من تعلق شيئاً وكل إليه)

قال الشارح: [وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: (من تعلق شيئاً وكل إليه) رواه أحمد و الترمذي].

سبق أن لفظة تعلق تكون بفعل القلب، وتكون بفعل الجوارح، وغالباً تطلق على فعل القلب، ولا سيما في مثل هذا الذي يرجى منه النفع الغيبي ومن الأمر الذي لا يشاهد، فإن هذا يراد به **تعلق القلب**.

(من تعلق تميمة) يعني: تعلق قلبه بها، بأن رجا أنها تدفع عنه الضر أو تجلب له النفع، ومن فعل هذا فقد رجا غير الله، والتفت إلى غيره، وهذا كما سبق نوع من الشرك.

قال الشارح: [و عبد الله بن عكيم هو بضم المهملة مصغرة، ويكنى أبا معبد الجهني الكوفي ، قال البخاري : أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سماع صحيح، وكذا قال أبو حاتم ، قال الخطيب : سكن الكوفة وقدم المدائن في حياة حذيفة ، وكان ثقة، وذكر ابن سعد عن غيره أنه مات في ولاية الحجاج .

قوله: (من تعلق شيئاً وكل إليه)التعلق يكون بالقلب، ويكون بالفعل، ويكون بهما (وكل إليه) أي: وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه].

قوله: (شيئاً) هذا عام، (من تعلق شيئاً وكل إليه)، والمقصود أن الذي يتعلق بغير الله فإن الله يكله إلى ذلك الغير، وإذا وكل الإنسان إلى غير الله فإنه يوكل إلى عوره وإلى ضيعة، فلا يحصل له مقصوده، بخلاف الذي يتعلق بالله جل وعلا، فإنه يكون ناجحاً يحصل له مراده، ويكون مطيعاً في ذلك لله جل وعلا، ويأتيه الخير من حيث لا يحتسب.

ففرق بين من تعلق بالله ومن تعلق بالمخلوقات التي لا تنفع نفسها فضلاً عن غيرها من الأمور التي يتوقع نفعها، أو الأمور التي يتوقع ضررها بأن تدفع، فإن هذا لا يكون إلا بيد الله جل وعلا كما في حديث عبد الله بن عباس : (واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا على ذلك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا على ذلك)فالأمور كلها بيد الله.

ولكن إذا كان الإنسان يقينه ضعيفاً، وإيمانه ضعيفاً، فإن تعلقه بالله يصبح ضعيفاً، وتجده يتشبث بأدنى سبب يتوهمه، فإذا كان هكذا فإن الله لا يبالي في أي وادٍ هلك.

بخلاف الذي يكون إيمانه قوياً، وثقته بالله قوية، فإنه لا يضره أي توهم يمر به من الشيطان أو من غيره، فإنه يعتمد على الله بعد فعل السبب، فالأسباب مطلوب فعلها، ولكن لا يعتمد عليها، وإنما الاعتماد على الله جل وعلا، فهو إذا شاء جعل السبب مؤثراً، وإذا شاء أبطل السبب وإن كان قوياً، ويصبح لا تأثير له.

---

(١) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان ١٢/٣٦

فالمقصود أن الأمور كلها بيد الله، فما حصل لك من خير فهو من الله، وإن كان هناك أسباب فالأسباب سببها الرب جل وعلا.

فيجب على العبد أن يكون تعلقه بالله وحده، وألا يلتفت إلى المخلوقات، ولا يعلق قلبه بها، فلا يرجو نفعها أو أن تدفع عنه ضراً، وهذا لا ينافي كونك تستعيذ بمن يقدر على إعانتك ممن هو حاضر عندك، ويستطيع أن يساعدك على عمل ما، فإن هذا غير ممنوع (من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه)، والمسلمون كالجسد الواحد يشد بعضه بعضاً، فلا بد من التعاون، ولكن المقصود بالمنع الأمور الغيبية التي يتوقع نفعها كالشفاء من المرض، وكدفع الآفات، وما أشبه ذلك، فهذه يجب أن يكون التعلق فيها بالله وحده.

قال الشارح: [فمن تعلق بالله، وأنزل حوائجه به، والتجأ إليه، وفوض أمره إليه؛ كفاه، وقرب إليه كل بعيد، ويسر له كل عسير؛ ومن تعلق بغيره، أو سكن إلى رأيه وعقله ودوائه وتمائمه ونحو ذلك؛ وكله الله إلى ذلك، وخذله، وهذا معروف بالنصوص والتجارب قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [الطلاق:٣]].

معنى حسبه: يعني: كافيه، من يتوكل على الله فإن الله يكفيه كل ما خافه، ويعطيه ما أمله ورجاه.

قال الشارح: [وقال الإمام أحمد : حدثنا هشام بن القاسم قال: حدثنا أبو سعيد المؤدب قال: حدثنا من سمع عطاء الخراساني قال: لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت فقلت: حدثني حديثاً أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز، قال: (نعم، أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود: يا داود! أما وعزتي وعظمتي! لا يعتصم بي عبد من عبادي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده السماوات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن، إلا جعلت له من بينهن مخرجاً، أما وعزتي وعظمتي! لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته، إلا قطعت أسباب السماء من يده، وأسخت الأرض من تحت قدميه، ثم لا أبالى بأيّ أوديتها هلك)]". (١)

١٣٥-"الدعاء الوارد في إذهاب الطيرة والتشاؤم

[وبالجملة يحب كل كمال وخير، وما يفضي إليهما، والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن، ومحبته، وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح، والسلام والنجاح والتهنئة، والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك، فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع استبشرت بها النفوس، وانشرح لها الصدر، وقوي بها القلب، وإذا سمعت أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال، فأحزنها ذلك، وأثار لها خوفاً وطيرة وانكماشاً وانقباضاً عما قصدت له وعزمت عليه، فأورث لها ضرراً في الدنيا، ونقصاً في الإيمان، ومقارفة الشرك.

وقال الحليمي : وإنما كان صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن بالله، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.

---

(١) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان ٣٧/١٠

قال المصنف رحمه الله: ول أبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك).

] هذا معناه أنه أدخل الفأل في الطيرة فقال: (أحسنها الفأل) وأن الطيرة لا يلتفت إليها المسلم، ولا يعتمد عليها، والفأل أيضاً لا يعتمد عليه، ولا يبني عليه شيئاً، وإنما يبني عليه ظناً ورجاءً فقط، يظن الخير ويرجوه، وإلا فهي مقطوعة عن التصرف.

وكذلك فيه الإرشاد إلى اللجوء إلى الله، والهروب إليه، والتوسل إليه بدعائه أنه لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، والحسنات: كل خير، وكل ما فيه أنس ومسرة من أمور الدنيا والآخرة، والسيئات: كل مضر، وكل ما يسوءه ويضره في الدنيا والآخرة فهو سيئة، فصار هذا عاماً شاملاً في أن الأمور كلها بيد الله.

قوله: (لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك)، يعني: أنني لا أستطيع أن أتحول من حال إلى أخرى إلا إذا قويتني وأعنتني على ذلك، فمعنى ذلك أنه لجوء إلى الله، وتبرؤ من قوة النفس وتصرفها، وأنه لا قوة له ولا تصرف له إن لم يجعل الله جل وعلا له قوة وتصرفاً، فهو توحيد لله جل وعلا بالأفعال، وبالخضوع له والالتجاء إليه، والتبري من القوة أو التحول من حال إلى أخرى إلا بالله جل وعلا.

هذا من أعظم ما ينبغي للإنسان أنه يسأله ويلجأ إليه، ألا يعتمد على فأل ولا طيرة.

أما قوله: (ولا ترد مسلماً) ففيه تنبيه على أن الذي ترده الطيرة قد يكون خارجاً عن الإسلام؛ لأن المسلم لا ترده الطيرة، يعني: لو رآها -مثلاً- وقعت له فإنه يعرض عنها، ويتوكل على ربه جل وعلا، ويقول هذا الدعاء، ولا يأتيه إلا خير بإذن الله تعالى.

قال الشارح رحمه الله: [قوله: وعن عقبة بن عامر هكذا وقع في نسخ التوحيد، وصوابه: عن عروة بن عامر كذا أخرجه أحمد و أبو داود وغيرهما].

فالمؤلف رحمه الله نقله من كتاب ابن السني ، و ابن السني هكذا وقع الخطأ في كتابه عقبة بن عامر ، وليس الخطأ من الشيخ، وإنما وقع الخطأ في المصدر الذي هو كتاب عمل اليوم والليلة لـ ابن السني ، فالمؤلف رحمه الله نقله منه، وهذا الخطأ الذي فيه إما من الناسخ أو من بعض الرواة.

والله أعلم.

قال الشارح رحمه الله: [وهو مكي اختلف في نسبه، فقال أحمد : عن عروة بن عامر القرشي وقال غيره: الجهني ، واختلف في صحبته فقال البارودي : له صحبة، وذكره ابن حبان في ثقاة التابعين، وقال المزي : لا صحبة له تصح.

قوله: (فقال: أحسنها الفأل) قد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الفأل، وروى الترمذي وصححه عن أنس : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج لحاجته يحب أن يسمع يا نجيح! يا راشد!!) وروى أبو داود عن بريدة : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأله عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به، وإن كره اسمه رئي كراهية ذلك في وجهه) وإسناده حسن.

وهذا فيه استعمال الفأل.

قال ابن القيم : أخبر صلى الله عليه وسلم أن الفأل من الطيرة، وهو خيرها، فأبطل الطيرة، وأخبر أن الفأل منها ولكنه خير منها، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد، ونفع أحدهما، ومضرة الآخر، ونظير هذا: منعه من الرقى بالشرك، وإذنه في الرقية إذا لم يكن فيها شرك؛ لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة.

قوله: (ولا ترد مسلماً)، قال الطيبي : تعريض بأن الكافر بخلافه.

قوله: (اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت)، أي: لا تأتي الطيرة بالحسنات، ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات، والحسنات هنا النعم، والسيئات المصائب، كقوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴾ [النساء:٧٨-٧٩]، ففيه نفي **تعلق القلب** بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر وهذا هو التوحيد، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً، ويعد من اعتقدها سفيهاً مشركاً.

قوله: (ولا حول ولا قوة إلا بك) استعانة بالله تعالى على فعل التوكل، وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سبباً لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها، وذلك الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل، الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات، والحول: التحول، وهو الانتقال من حال إلى حال، والقوة على ذلك بالله وحده لا شريك له، ففيه: التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته، وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليل على توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، وهو توحيد القصد والإرادة، وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله]." (١)

١٣٦-"حديث: (الطيرة شرك)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وعن ابن مسعود مرفوعاً: (الطيرة شرك، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل)، رواه أبو داود و الترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود].

قوله صلى الله عليه وسلم: (الطيرة شرك! الطيرة شرك)، التكرار هنا للتأكيد والمبالغة في البلاغ، وذلك يدل على أن الطيرة كانت منتشرة في الناس في ذلك الوقت، فلهذا بالغ الرسول صلى الله عليه وسلم في النهي عنها، وأخبر أنها شرك، والشرك معلوم عند المخاطبين أنه أكبر الذنوب، وقوله: (شرك) مطلق، قد يكون شركاً أكبر، وقد يكون أصغر، وتبين فيما سبق التفصيل في هذا وهو أن الإنسان إذا كان يعتقد أن فعل الطيرة هو الذي يكون فيه الخير، أو مثلاً نعيقه، أو أن الخير معلق بظهور الحيوان، فهذا من الشرك الأكبر، أما إذا كان يعتقد أن الله جعله سبباً لذلك فهذا يكون من الشرك الأصغر.

وقوله: (ما منا إلا)، يعني: ما منا أحد إلا ويقع في نفسه شيء عندما يسمع شيئاً من ذلك (ولكن الله يذهبه بالتوكل)، يذهب هذا الشيء الذي يقع، وحذف المقدر لعلمه به، وليس هذا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

(١) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان ٥/٨٠

فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع في نفسه شيء؛ لأنه صلوات الله وسلامه عليه أعظم الناس إيماناً وتوكلاً على الله، ولكن هذا من كلام ابن مسعود رضي الله عنه، ولهذا بين الترمذي رحمه الله أن هذا مدرج، وأنه من كلام ابن مسعود ، (وما منا إلا) أي: يقع في نفسه شيء من ذلك، غير أنه لا يلتفت إليه ولا يعول عليه، وإنما يعرض عنه ويتوكل على ربه، فيذهب الله جل وعلا ذلك الذي يقع بالتوكل عليه، وعدم الالتفات إلى غيره، هذا هو معنى الكلام.

قال الشارح رحمه الله: [وروى ابن ماجة و ابن حبان ولفظ أبي داود : (الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك) ثلاثاً.

وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله تعالى، قال ابن حمدان : تكره الطيرة، وكذا قال غيره من أصحاب أحمد].

قوله: (تكره الطيرة) يجب أن تحمل كلمة (تكره) على التحريم؛ لأن الشرك ليس فيه شيء مكروه كراهة تنزيه، بل كله محرم، والعلماء في القديم إذا قالوا: يكره كان مقصودهم أنه حرام، ولكن بعضهم يتورع عن كلمة حرام للخوف؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ [النحل:١١٦]، يخاف أن يقول: حرام، فلا يقول على الشيء أنه حرام إلا إذا تأكد تأكداً تاماً بأن الله قد حرمه، هذا هو السبب، وكان في اصطلاحهم أيضاً أن وضع الكراهة على المحرم أمر شائع، وإنما اصطلح المتأخرون على تقسيم الكراهة إلى قسمين: قسم يكون كراهة تحريم، وقسم يكون كراهة تنزيه، وهذا اصطلاح حادث ما كان يعرفه السلف قديماً، ولا يجوز أن يحمل كلام العلماء في القديم على هذا الاصطلاح الحادث.

قال الشارح رحمه الله: [قال ابن مفلح : والأولى القطع بتحريمها لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروهاً الكراهية الاصطلاحية؟! قال في شرح السنن: وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضراً إذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوا مع الله تعالى.

قوله: (وما منا إلا)، قال أبو القاسم الأصبهاني و المنذري : في الحديث إضمار، والتقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك.

انتهى، وقال الخلخالي : حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا من أدب الكلام.

قوله: (ولكن الله يذهبه بالتوكل)، أي: لكن لما توكلنا على الله في جلب النفع أو دفع الضر أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده.

قوله: (وجعل آخره من قول ابن مسعود)، قال ابن القيم : وهو الصواب، فإن الطيرة نوع من الشرك]." (١)

١٣٧-"النهي عن قول: ما شاء الله وشاء فلان

---

(١) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان ٦/٨٠

قال المصنف رحمه الله تعالى: [قوله: وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء فلان)، رواه أبو داود بسند صحيح.

] هذا من حماية التوحيد؛ فإن الرسول صلى الله عليه وسلم حمى جناب التوحيد من كل جانب، وقوله: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان)، وذلك أن الواو تقتضي الجمع والتشريك بين المعطوف والمعطوف عليه، وقد يكون فيها مساواة، وقد لا يكون فيها مساواة، بخلاف (ثم) فإنها تدل على الترتيب مع التراخي، فإذا وجد الترتيب مع التراخي زال المحظور أي: لم يكن هناك تشريك، (ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء فلان)؛ فإن (ثم) هذه ليست كالواو للمعنى الذي ذكرنا.

وهذا فيما يكون فيه لله مشيئة وللعبد مشيئة، أما الأمور التي يختص بها الله جل وعلا فلا يجوز أن يقال فيها مثل هذا، حتى ما كان له سبب، فالأسباب قد يقوم بها إنسان، ومعلوم أن الأسباب لا تقتضي وجود المسبب بالسبب نفسه، فإن السبب قد يجعل الله جل وعلا له موانع تمنع من حصول المسبب، والأمور كلها بيد الله جل وعلا؛ لأنه هو المالك المتصرف في كل شيء.

المقصود بهذا أن نبين أن الله جل وعلا هو الذي يملك كل شيء ويتصرف فيه، وإذا كان هناك سبب جعله الله لمخلوق فلا يجوز أن يساوى فيه بين الخالق والمخلوق، بل لابد من التمييز بكلمة (ثم).

قال الشارح: [وذلك لأن المعطوف بالواو يكون مساوياً للمعطوف عليه، لكونها إنما وضعت لمطلق الجمع فلا تقتضي ترتيباً، ولا تعقيباً، وتسمية المخلوق بالخالق شرك إن كان في الأصغر -مثل هذا- فهو أصغر، وإن كان في الأكبر فهو أكبر، كما قال الله عنه في الدار الآخرة: ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء:٩٧-٩٨]، بخلاف المعطوف بثم؛ فإن المعطوف بها يكون متراخياً عن المعطوف عليه بمهلة، فلا محظور لكونه صار تابعاً].

يجب أن يعلم أن هذا القسم الذي صدر من الكفار وهم في النار ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء:٩٨] يخاطبون فيها من كانوا يعبدونهم، ويتوجهون إليهم ، ومعلوم أن هذه التسمية ما سموهم بها ويقصدون فيها خلق السموات والأرض، هذا لا يقوله عاقل، ولا في إيجاد الجنة والنار ولا التصرف في الكون، وإنما التسوية التي سووهم فيها إما الحكم والتعظيم، أو **التعلق القلبي** التي تعلقوا بها فقط، هذا الذي سووهم فيه، فقولهم: ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء:٩٨]، أي: وقت تسويتنا لكم برب العالمين وإن سووهم به في الحكم، أوالدعاء، أو **التعلق القلبي** حيث يقولون: نرجوهم أن ينفعونا ويشفعوا لنا.

هذا أمر واضح وضحته الآيات الأخرى، وكذلك الواقع يوضحه.

قال المصنف رحمة الله تعالى: [وجاء عن إبراهيم النخعي رحمه الله أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا يقول: لولا الله وفلان].

أي: يجوز أن يتعوذ بمخلوق إذا كان المخلوق حياً حاضراً قادراً على أن يعيذك بهذا الشيء؛ لأنه استعاذ بالله أولاً، والاستعاذة بالله من التوحيد بلا شك، ولا ينافي ذلك كون الإنسان يستعيذ بحي حاضر بشيء يمكله هو، أما إذا كان ميتاً أو غائباً أو لا يملك هذا الشيء، فالاستعاذة به تكون شركاً.

قوله: (أعوذ بالله ثم بك)، ولا يقول: (أعوذ بالله وبك)؛ لأن الأمر كما مضى أن الواو تجعل المعطوف مساوياً للمعطوف عليه بالشيء الذي ذكر، فهذا من الشرك بالله.

والمقصود في هذا أن الموحد المؤمن يتنزه في ألفاظه التي يتلفظ بها أن يقع في الشرك، والألفاظ قد تجري عادة بدون قصد، ومع ذلك لا يجوز ذلك، كما يجري على ألسنة كثير من الناس الحلف بالنبي، وهذا حلف بغير الله جل وعلا وهو من الشرك؛ فيجب أن يتنزه عن ذلك، وأن يستغفر الله من ذلك؛ لأنه لا يجوز الحلف إلا بالله جل وعلا أو بصفة من صفاته، وكذلك الاستعاذة، وكذلك اللياذ، وكل ذلك من أنواع العبادة.

وكذلك لا يجوز أن يضاف الأمر إلى سببه، كأن يقول: لولا الله وأنت ما صار كذا وكذا، فإن هذا تشريك ممنوع من جهتين: - الجهة الأولى: التشريك.

- والثانية: أنه لا يجوز أن يضاف الفعل إلى فلان الذي قد يكون هو السبب، أو جزءاً من السبب، بل يجب أن يضاف إلى الله جل وعلا.

قال الشارح: [وقد تقدم الفرق بين ما يجوز، وما لا يجوز من ذلك، وهذا إنما هو في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب في الشيء، وهو الذي يجري في حقه مثل ذلك، وأما في حق الأموات الذين لا إحساس لهم بمن يدعوهم، ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر، فلا يقال في حقهم شيء من ذلك، فلا يجوز التعلق عليه بشيء ما بوجه من الوجوه،والقرآن يبين ذلك وينادي بأنه يجعلهم آلهة إذا سئُلوا شيئاً من ذلك، أو رغب إليهم أحد بقوله، أو عمله الباطن أو الظاهر، فمن تدبر القرآن، ورزق فهمه صار على بصيرة من دينه، وبالله التوفيق].

يجب على كل مؤمن أن يتدبر القرآن؛ لأن الله أمر به؛ فإن من لم يتدبره فهو مرتكب لمحرم وسوف يحاسبه الله على ذلك، وبالنسبة للميت كالغائب فلا يجوز أن يستعاذ به، وإنما يستعاذ بالحي الحاضر القادر.

قال الشارح رحمه الله: [والعلم لا يؤخذ قسراً وإنما يؤخذ بأسباب ذكرها بعضهم في قوله: أخي لن تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن تفصيلها ببيان ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وإرشاد أستاذ وطول زمان].

هذه الأسباب كلها إذا فعلها الإنسان قد ينال العلم وقد لا يناله ، وإنما الذي سبب الأسباب هو الله جل وعلا؛ فإذا أراد بعبده خيراً فإنه ييسر له هذه الأسباب.

قال الشارح رحمه الله[وأعظم من هذه الستة: من رزقه الله تعالى الفهم والحفظ ،وأتعب نفسه في تحصيله، فهو الموفق لمن شاء من عباده، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٣].

ولقد أحسن العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى حيث قال: والجهل داء قاتل وشفاؤه أمران بالتنفيذ متفقان نص من القرآن أو من سنة وطبيب ذاك العالم الرباني والعلم أقسام ثلاث ما لها من رابع والحق ذو تبيان علم بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للرحمن والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثاني والكل في القرآن والسنن التي جاءت عن المبعوث بالقرآن والله ما قال امرؤ متحذلق بسواهما إلا من الهذيان].

يعني: أن العلم لا يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة، وهو العلم بالله بأسمائه وصفاته، والعلم بأمره وخبره، يعني: أخباره التي يخبر بها، وأمره الذي يأمر به عباده.

وهذا هو العلم النافع وما عدا ذلك لا خير فيه .". [1]

١٣٨-"العشق تعلق بغير الله

السؤال: هل يدخل العشق في **تعلق القلب** بغير الله؟ الجواب: نعم، بلا شك أن عشق الصورة أو المرأة أو غيرها وتعلق قلبه به حتى صار عاشقاً لها تعلق بغير الله، والعشق هو حب يصل إلى حالة يخشى عليه من الموت مع الشهوة، فهذا معناه أن قلبه غالباً يكون فارغاً من معرفة الله جل وعلا أو من عبادته.". [2]

١٣٩-"كما قيل : بضدها تتبين الأشياء .

فمن لا يعرف الشرك لا يعرف التوحيد وبالعكس .

م / (وقول الله تعالى : قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هنَّ كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هنّ ممسكات رحمته ، قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) . ﴿ سورة الزمر ٣٨ ﴾

أفرأيتم أخبروني

ما تدعون تعبدون وتسألون .

ضر مرض أو فقر أو بلاء .

كاشفات مزيلات .

أمر الله نبيه (أن يقول للمشركين : أرأيتم أي أخبروني عما تدعون من دون الله ، أي تعبدونهم وتسألونهم من الأنداد والأضداد والآلهة .

إن أرادني الله بضر أي بمرض أو فقر أو بلاء أو شدة .

هل هنّ كاشفات ضره أي لا يقدرون على ذلك أصلاً .

أو أرادني برحمة أي صحة وعافية وخير وكشف بلاء .

هل هنّ ممسكات رحمته قال مقاتل : فسألهم النبي (فسكتوا ، أي لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها ، وإنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله ، لا لأنهم يكشفون الضر ويجيبون دعاء المضطر ، فهم يعلمون أن ذلك لله وحده ، كما قال تعالى : ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون ، ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون وقد دخل في ذلك كل من دعي من دون الله ، من الملائكة والأنبياء والصالحين فضلاً عن غيرهم .

فلا يقدر على كشف ضر ولا إمساك رحمة ، كما قال تعالى : ما يفتح الله من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم .

---

(١) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان ١٠٧/٩

(٢) شرح كتاب التوحيد / الغنيمان ١٤٢/٥٩

مناسبة الآية للترجمة :

(حيث دلت على أن دفع الضر من خصائص الله فيكون طلبه من غير الله كالحلقة والخيط ونحوهما شركاً .

من فوائد الآية :

١- في هذه الآية وأمثالها تبطل **تعلق القلب** بغير الله ، في جلب نفع أو دفع ضُر ، وأن ذلك شركٌ بالله .

٢- التحذير من لبس الحلقة والخيط وغيرها لجلب النفع أو دفع الضر لأنه شرك .". (١)

١٤٠-"وروى أبو داود عن بريدة : (أن النبي (لا يتطير من شيء ، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه ، فإذا أعجبه مَرِح به ، وإن كره اسمه رُئيَ كراهية ذلك في وجهه) .

وهذا فيه استعمال الفأل .

٢- إبطال الطيرة وأحسنها الفأل .

ففصل بين الطيرة والفأل لما بينهما من الامتياز والتضاد ، ونفع أحدهما ومضرة الآخر ، ونظير هذا : منعه من الرقى بالشرك ، وإذنه في الرقية إذا لم يكن فيها شرك ، لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة . [قاله ابن القيم]

٣- نفي **تعلق القلب** بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر ، وهذا هو التوحيد .

٤- الاستعانة بالله على فعل التوكل وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سبباً لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها .

٥- التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته .

٦- مشروعية هذا الدعاء لمن وقع في قلبه شيء من التطير .

٧- أن الخير والشر مقدر من الله .

وعن ابن مسعود مرفوعاً : (الطيرة شرك ، وما منّا إلا ، ولكن الله يذهبه بالتوكل) . رواه ابو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود . رواه أبو داود (٣٩١٠) والترمذي (١٦١٤) وابن ماجه (٣٥٣٨)

ما يستفاد من الحديث :

١- تحريم الطيرة والتصريح بأنها شرك ، لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله تعالى .

٢- قال في شرح السنن : " وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضراً إذا عملوا بموجبه ، فكأنهم أشركوا مع الله .

٣- قوله (وما منا) قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري : " في الحديث إضمار ، والتقدير : وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك ، والمعنى : وما منا إلا ويعتريه التطير ويسبق إلى قلبه الكراهة فيه ، فحذف ذلك اعتماداً على فهم السامع

(١) شرح كتاب التوحيد / اللهيميد ص/٦٢

.". (١)

١٤١-"وقال-تعالى-: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١)، أخذ البخاري- رحمه الله- من هذه الآية وجوب العلم قبل العمل، فقال: باب العلم قبل القول والعمل؛ لقول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ (٢). فالعلم بمعنى هذه الشهادة التي لابد لكل داخل في دين الإسلام أن يشهد بها هو الإيمان المطلوب من العباد، وهو معرفة حق الله على عباده، الذي لا يجوز الإخلال بشيء منه، وإلا استحقوا عذابه.

و أما معنى شهادة أن محمداً رسول الله، فهو: العلم اليقيني بأنه رسول من الله كلفه إبلاغ العباد أوامر الله ونواهيه، وطاعته في كل ما أمر به، واجتناب ما نهاهم عنه، وأن لا يعبد الله إلا بما جاء به، وأن كل من سلك طريقاً غير سنته فمصيره إلى النار، وأنه بلغ العباد ما أرسل به، وبين لهم دينهم أتم بيان، وأنه عبد الله أكرمه بالرسالة، وليس له من العبادة شيء، بل العبادة كلها لله تعالى.

وهاتان الشهادتان متلازمتان، لا تقبل إحداهما دون الأخرى، فمن شهد أن لا إله إلا الله، ولم يشرك به شيئاً، ولم يشهد أن محمداً رسول الله، فهو كافر بالله وخالد في النار، وإن جاء بعبادة أهل الأرض.

ومن شهد أن محمداً رسول الله، وأشرك بالله شيئاً شركاً كبيراً، فهو كافر خالد في النار، فلا بد من اجتماع هاتين الشهادتين في العبد حتى يكون موحداً.

و أما مجرد النطق بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، مع عبادة غير الله، **وتعلق القلب** بمن يعتقدهم أولياء، وطلب الحاجات منهم التي لا يقدر عليها إلا الله، ومع مخالفة أوامر رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وارتكاب ما نهى عنه، فإن ذلك لا يفيد شيئاً، ولا يكون الإنسان به مسلماً.

ص٣٧

---

(١) الآية ١٩من سورة محمد.

(٢) انظر: "الفتح" (١/١٥٩).". (٢)

١٤٢-"إن النبي صلى الله عليه و سلم كما تبين حال المهاجرات بمبايعتهن بمقتضى آية البيعة السابقة. فقد كان أيضاً يتبين حال من يجهل حاله من إسلام أو عدمه بأي دلالة على الإسلام كما تبين حال الجارية التي جاء بها صاحبها ليعتقها وهو يسأل: قال من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال أعتقها فإنها مؤمنة"(١٤٩). فهذا رسول الله يحكم بإسلام الجارية بمجرد إقرارها وقد كان يجهل حالها قبل ذلك. مما يقطع بأنه يكفي في تبين من نجهل حاله مجرد تظاهره بالإسلام وهذا هو مناط النزاع في التبين بين أهل السنة وبين أصحاب فكرة الحد الأدنى للإسلام.

---

(١) شرح كتاب التوحيد / اللهيميد ص/٢١٠

(٢) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري- الغنيمان ١/٣٤

رابعاً :

إن قياس حال جماهير من يتظاهرون بالإسلام على حال المهاجرات

ص١٣٠

اللاتي لم يعلم إسلامهن بعد قياس فاسد. فاحتمال أن تكون المهاجرة مسلمة أو غير مسلمة وارد، ولذلك جاء الأمر بالامتحان. أما احتمال أن يكون من تظاهر بشعائر الإسلام ونطق بالشهادتين ليس مسلماً فهذا غير وارد أصلاً، بل هو مسلم ما لم ينقض إسلامه بناقض بين .

وبعد كل هذا يعلم أنه ليس لهم متمسك شرعي فيما ذهبوا إليه من عدم الحكم بإسلام من يظهر بعض شعائر الإسلام، والتوقف في حاله، واشتراط التبين الذي زعموه للحكم بإسلامه.

الباب الثاني

حقيقة الكفر

وفيه ثلاثة فصول :

الأول: حقيقة الشرك .

الثاني: كفر الرد .

الثالث: شرك دون شرك، وكفر دون كفر

ص١٣٣

الفصل الأول

حقيقة الشرك

توطئة :

تقدم في الكلام على توحيد الله تعالى أنه يتضمن :

- توحيده بالإرادة والقصد بحيث يكون الله هو الغاية دون سواه .
- توحيده بالاستعانة والتوكل بحيث لا **يتعلق القلب** في جلب النفع أو دفع الضر بسواه .

وعلى هذا فالشرك إما أن يكون :

- بعدم إخلاص القصد والإرادة بإرادة غير الله بالحب والتأله فلا يكون الله هو غاية العبد ومراده .
- وإما أن يكون باتخاذ وسائط في جلب النفع أو دفع الضر. سواء اتخذ تلك الوسائط بمجرد الدعاء والطلب أو بالتقرب والعبادة .". (١)

(١) ضوابط التكفيرعند أهل السنة والجماعة ص/٩٩

١٤٣-"يقول الخميني مبرراً ذلك: (إن الحكومة هي فرع من ولاية رسول الله المستقيمة، ومن أحكام الإسلام الأولية، ومقدمة على جميع الحكام الفرعية، حتى الصلاة والصوم والحج، فيجوز للحاكم أن يعطل المساجد عند اللزوم ويخرب مسجداً. ويستطيع أن يلغي أي حكم من أحكام الإسلام – سواء كان من العبادات أو من غير العبادات – إذا كان مخالفاً لمصالح الإسلام، ويعطل الحج الذي هو من فرائض الإسلام المهمة إذا اقتضت ذلك مصلحة المملكة الإسلامية، لأن هذه الحكومية هي ولاية إلهية مطلقة) (١٥٨)

ص١٤٢

٢- شرك الطلب :

وحقيقة اتخاذ واسطة بين المخلوق والخالق، سواء كانت تلك الواسطة فيما يتعلق بالتدبير والتصريف، أو فيما يتعلق بالتشفع إلى الله بتقريب طالب الشفاعة .

واتخاذ تلك الوسائط قد يكون **بتعلق القلب** بها من جهة الاستعانة وطلب جلب الخير منها ودفع الضر بها فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وقد يكون بالتقرب إليها بالعبادة رجاء خيرها ودفع الضر بها أيضاً .

وليس معنى اتخاذ وسائط من دون الله أن يعتقد فيها الاستقلالية بالتأثير، بل المشرك هو من اعتقد لغير الله من تلك الوسائط ما هو خاص بالله وحده .

فهو حين يتخذ الوسائط لا ينكر أن الله هو الخالق وهو المدبر والمصرف لجميع مخلوقاته، وهو الكامل المطلق المستحق للألوهية والعبادة. وإنما يتخذ الوسائط ظناً أنها تكون مصدر خير وعطاء لمن كان له بها علاقة .

وهذا الظن في تلك الوسائط مصدره أن لها منزلة عند الله تعطي بها من تشاء ما تشاء وتقرب إلى الله من تشاء .

وعلى هذا يستعين بها المشرك في قضاء حاجاته وطلب القرب من الله، لا أنه يعتقد فيها أنها تخلق ونحو ذلك من صفات الربوبية وخصائصها .

وهذا هو معنى ما ذكره الله تعالى عن المشركين في سبب عبادتهم

ص١٤٣

لأصنامهم وأنهم كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر /٣]." [١]

١٤٤-"ص١٥١

قدرة الإنسان واستطاعته، التي هي مناط تكليفه، كما قال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة / ٢٨٦] .

وإذا كان اعتقاد استقلالية الأسباب بإيجاد نتائجها شركاً فإن **تعلق القلب** بمخلوق والطلب منه مالا يقدر عليه إلا الله شرك أيضاً. ووجه ذلك أن ما لا يقدر عليه إلا الله لا يسأل إلا من الله وحده وسؤال ذلك من غيره فيه نسبة ما هو خاص بالله وحده لغيره من المخلوقين، كنسبة صفة من صفاته التي يخص بها لغيره من المخلوقين .

---

(١) ضوابط التكفيرعند أهل السنة والجماعة ص/١٠٦

ولهذا كانت الطيرة شركاً، وكان تعليق التمائم شركاً، وكان قول مطرنا بنوء كذا شركاً، ونحو ذلك من التعلق بما ليس أسباباً في الحقيقة. ولو أن الشرك هنا قد يكون شركاً أصغر، وقد يكون شركاً أكبر بحسب **تعلق القلب** بتلك الأسباب .

والله تعالى مع أنه يجري الأمور في الغالب حسب السنن الجارية العادية فإنه قد يجعل سنناً خارقة للعادة، فيجعل أسباباً منتجة لما ليست له في الأصل، تنبيهاً لعباده أنه القادر على كل شيء، وتأييداً لبعض خلقه بآيات من ذلك .

ومن ذلك الآيات التي يؤيد الله بها رسله، التي تكون مخالفة للسنن الجارية، بحيث لا تكون مجرد استطاعتهم كافية في فعلها .

وعلى هذا فإن تلك الآيات والمعجزات والكرامات لا تنسب إلى من فعلها من الأنبياء وغيرهم إلا على جهة أنها معجزات أو كرامات، لا على أنها أفعالهم هم .

ومقتضى ذلك ألا يسأل الأنبياء وغيرهم ممن أيدهم الله بذلك أن يفعلوا شيئاً من ذلك على جهة نسبته إليهم، وأنهم يقدرون على فعله إذا شاؤوا .

ص١٥٢

فلا يقال عن موسى عليه السلام إنه قد فرق البحر بعصاه، ولا ينسب ذلك إليه إلا على جهة بيان أن ذلك مما أيده الله به من المعجزات الخارقة ." (١)

١٤٥-"وأصل شبهتهم في ذلك كما سبق بيانه مفصلاً هو أن الشرك باتخاذ الوسائط في الطلب وفي التقرب والنسك من شرك الإرادة المتعلق بالاستعانة **وتعلق القلب** بغير الله، وتوجه الإرادة والقصد إلى غير الله .

وعلى هذا لا يكون الشرك عندهم إلا في اعتقاد شريك مع الله في ذاته بإثبات أكثر من رب، أو في صفاته باعتقاد المشابهة بينه وبين مخلوقاته فيها، أو في أفعاله باعتقاد أن لبعض خلقه استقلالاً بالخلق والايجاد .

والرد الجامع عليهم في كل ذلك هو إلزامهم بأن الشرك في الإرادة كالشرك في الاعتقاد ولا فرق، على ما سبق تفصيله .

صـ١٨١

الفصل الثاني

كفر الرد

توطئة :

لابد لتحقيق الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من تصديقه والالتزام المجمل بالشريعة باطناً وظاهراً .

وكما أنه لا يكفي لتحقيق الإيمان مجرد تحقيق الالتزام بالشريعة دون التصديق فكذلك لا يكفي مجرد التصديق دون تحقيق الالتزام الإجمالي .

وذلك أن الإقرار بأن محمداً رسول الله يستلزم قبول ما جاء به تصديقاً وانقياداً، لأن قبول ما جاء به صلى الله عليه وسلم

---

(١) ضوابط التكفيرعند أهل السنة والجماعة ص/١١٤

من الخبر يكفى فيه مجرد الاعتقاد والتصديق، وأما الطلب فلابد مع التصديق من تحقيق الالتزام كما قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ﴾ [النساء/٦٤] .

وعلى هذا فكفر الرد إما أن يكون بالتكذيب والاستحلال المناقض للتصديق، وإما أن يكون بالتولي والإعراض المناقض للالتزام، سواء الالتزام الباطن أو الالتزام الظاهر .

وكل هذا داخل في كفر العناد الذي يكون بعد تبين الحجة الرسالية وظهورها للمعين، بحيث لا يكون تكذيبه واستحلاله ولا تلبسه بما يناقض الالتزام المجمل عن تأول وشبهة يعذر بها .

لكن من قامت عليه الحجة بالرسالية فعاند واستكبر وكذب الرسول ولم يرض باتباعه قد لا يوفق إلى الهداية ومعرفة الحق بعد جحوده أولاً .

صـ١٨٢". [١]

١٤٦-"أولاً : أن يعتني العلماء والدعاة بتقرير التوحيد ونشره في تلك المجتمعات المعظمة للقبور وأن يجتهدوا في توضيح مفهوم التوحيد وذلك من خلال القصص القرآني وضرب الأمثال وضرورة **تعلق القلب** بالله وحده سبحانه وتعالى وأن الله عز وجل هو المتفرد بالنفع والضر والخلق والتدبير وهو المعبود بحق الذي تتوجه إليه القلوب بالمحبة والإجلال والخشية والرجاء وحده سبحانه وتعالى.. أقول أن يتضمن هذا التقرير بيان عجز المخلوقين وضعفهم وأنهم لا يملكون لأنفسهم فضلاً عن غيرهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً .

ثانياً : تربية الأمة عموماً وهذه المجتمعات المعظمة للقبور خصوصاً على التسليم لنصوص الكتاب والسنة.. والتحاكم إليها وانشراح الصدر لها لقوله تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ (٦٥) سورة النساء ، فإذا كان طواغيت هذا العصر يفرضون على الناس احترام الشرعية الدولية والإذعان والتسليم لقرارات الأمم المتحدة فإن على العلماء والدعاة إلى الله أن يدعوا المسلمين إلى التسليم والانقياد لشريعة محمد ابن عبدالله صلى الله عليه وسلم أطهر خلق الله.. وأكرم خلق الله.. وأشرف خلق الله.. وألا تُعَارَضَ هذه السنة العظيمة بأي نوع من المعارضات سواء كانت هذه المعارضة تقليداً أو عقلاً أو ذوقاً أو سياسة أو غيرها.. فالإيمان مبني على التسليم لله تعالى والانقياد لحبيبه ولخليله محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم.". [٢]

١٤٧-" من الشرك اتخاذ الحلقة والخيط ونحوهما

قوله : (باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه)

رفعه : إزالته بعد نزوله دفعه : منعه قبل نزوله

---

(١) ضوابط التكفيرعند أهل السنة والجماعة ص/١٣٨

(٢) عبرات تسكب على التوحيد ص/١٧

قال : (وقول الله تعالى : '٣٦ : ٣٨' ﴿ قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ﴾)

قال ابن كثير : أي لا تستطيع شيئا من الأمر (قل حسبي الله) أي الله كافي من توكل عليه (عليه يتوكل المتوكلون)كما قال هود عليه السلام حين قال قومه '١١ : ٥٤ - ٥٦' ﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ﴾ قال مقاتل في معنى الآية : فسألهم النبي صلى اله عليه وسلم فسكتوا أي لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها

وإنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله لا على أنهم يكشفون الضر ويجيبون دعاء المضطر فهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قال تعالى : '١٦ : ٥٣ ٥٤' ﴿ ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون * ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون ﴾

قلت : فهذه الآية وأمثالها تبطل **تعلق القلب** بغير الله في جلب أو دفع ضر وأن ذلك شرك بالله وفي الآية بيان أن الله تعالى وسم أهل الشرك بدعوة غير الله والرغبة إليه من دون الله والتوحيد ضد ذلك وهو أن لا يدعو إلا الله ولا يرغب إلا إليه ولا يتوكل إلا عليه وكذا جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شئ لغير الله كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها كما تقدم ". (١)

١٤٨-" أحسنها الفأل

قوله : [ولهما عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل قالوا : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الطيبة]

قوله : ويعجبني الفأل قال أبو السعادات : الفأل مهموز فيما يسر ويسوء والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر يقال : تفاءلت بكذا وتفاولت على التحقيق والقلب وقد أولع الناس بترك الهمزة تخفيفا وإنما أحب الفأل لأن الناس إذا أملوا فائدة الله ورجوا عائدته عند كل سبب ضعيف أو قوى فهم على خير وإذا قطعوا آمالهم ورجاءهم من الله تعالى كان ذلك من الشر وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقع البلاء والتفاؤل : أن يكون رجل مريض فيسمع آخر يقول : يا سالم أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول : يا واجد فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه ويجد ضالته ومنه الحديث : [قيل يا رسول الله ما الفأل ؟ قال : الكلمة الطيبة]

قوله : قالوا : وما الفأل ؟ قال : الكلمة الطيبة بين صلى الله عليه و سلم أن الفأل يعجبه فدل على أنه ليس من الطيرة المنهى عنها

---

(١) فتح المجيد ص/١١١

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شئ من الشرك بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها كما أخبرهم صلى الله عليه و سلم أنه حبب إليه من الدنيا النساء والطيب وكان يحب الحلواء والعسل ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان ويستمع إليه ويحب معالي الأخلاق ومكارم الشيم بالجملة يحب كل كمال وخير ما يفضي إليهما والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الإسم الحسن ومحبته وميل نفوسهم إليه وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع استبشرت بها النفوس وانشرح لها الصدر وقوى بها القلب وإذا سمعت أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال فأحزنها ذلك وأثار لها خوفا وطيرة وانكماشا وانقباضا عما قصدت له وعزمت عليه فأورث لها ضررا في الدنيا ونقصا في الإيمان ومقارفة الشرك

وقال الحليمي : وإنما كان صلى الله عليه و سلم يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق والتفاؤل حسن ظن به والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال

قوله : ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال : ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : [أحسنها الفأل ولا ترد مسلما فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك]

قوله : عن عقبة بن عامر هكذا وقع في نسخ التوحيد وصوابه : عن عروة ابن عامر كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما وهو مكي اختلف في نسبه فقال أحمد : عن عروة بن عامر القرشي وقال غيره : الجهني واختلف في صحبته فقال الماوردي : له صحبة وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال المزي : لا صحبة له تصح

قوله : فقال أحسنها الفأل قد تقدم أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يعجبه الفأل وروى الترمذي وصححه عن أنس رضي الله عنه [أن النبي صلى الله عليه و سلم كان إذا خرج لحاجته يحب أن يسمع : يا نجيح يا راشد] وروى أبو داود عن بريدة أن النبي صلى الله عليه و سلم كان لا يتطير من شئ وكان إذا بعث عاملا سأله عن اسمه فإذا أعجبه فرح به وإن كره اسمه رؤي كراهية ذلك في وجهه وإسناده حسن وهذا فيه استعمال الفأل

قال ابن القيم : أخبر صلى الله عليه و سلم أن الفأل من الطيرة وهو خيرها فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ولكنه خير منها ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر ونظير هذا : منعه من الرقي بالشرك وإذنه في الرقية إذا لم يكن فيها شرك لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة

قوله : ولا ترد مسلما قال الطيبي : تعريض بأن الكافر بخلافه

قوله : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت أي لا تأتي الطيرة الحسنة ولا تدفع المكروهات بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات و الحسنات هنا النعم و السيئات المصائب كقوله ' ٤ : ٧٨ ٧٩ ' ﴿ وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا * ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾ ففيه

نفي تعليق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر وهذا هو التوحيد وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شئ من الطيرة وتصريح بأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا ويعد من اعتقدها سفيها مشركا

قوله : ولا حول ولا قوة إلا بك استعانة بالله تعالى على فعل التوكل وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سببا لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها وذلك الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات

و الحول التحول والإنتقال من حال إلى حال و القوة على ذلك بالله وحده لا شريك له ففيه التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته وهذا هو التوحيد في الربوبية وهو الدليل على توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة وهو توحيد القصد والإرادة وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله

قوله : وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا : [الطيرة شرك والطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل] رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخر من قول ابن مسعود

ورواه ابن ماجه وابن حبان ولفظ أبي داود الطيرة شرك الطيرة شرك ثلاثا وهذا صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله تعالى

قال ابن حمدان : تكره الطيرة وكذا قال غيره من أصحاب أحمد

قال ابن مفلح : والأولى القطع بتحريمها لأنها شرك وكيف يكون الشرك مكروها الكراهية الإصطلاحية ؟

قال في شرح السنن : وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعا أو تدفع عنهم ضرا إذا عملوا بموجبها فكأنهم أشركوا مع الله تعالى

قوله : وما منا إلا قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري : في الحديث إضمار التقدير : وما منا إلا وقد وقع في قلبه شئ من ذلك ا هـ

وقال الخلخاني : حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة وهذا من أدب الكلام

قوله : ولكن الله يذهبه بالتوكل أي لكن لما توكلنا على الله في جلب النفع ودفع الضر أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده

قوله : وجعل آخره من قول ابن مسعود قال ابن القيم : وهو من الصواب فإن الطيرة نوع من الشرك ". (١)

١٤٩-"ص -١١٧- ... عن عمران بن حصين رضي الله عنه " أن النبي صلي الله عليه وسلم رأى رجلا في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذا؟ قال من الواهنة. فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا " ١ رواه أحمد بسند لا بأس به.

وإنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله، لا على أنهم يكشفون الضر، ويجيبون دعاء المضطر، فهم يعلمون

---

(١) فتح المجيد ص/٢٩٨

أن ذلك لله وحده. كما قال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُون ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾٢.

قلت: فهذه الآية وأمثالها تبطل **تعلق القلب** بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وأن ذلك شرك بالله. وفي الآية بيان أن الله تعالى وسم أهل الشرك بدعوة غير الله والرغبة إليه من دون الله. والتوحيد ضد ذلك. وهو أن لا يدعو إلا الله، ولا يرغب إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، وكذا جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله. كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها كما تقدم.

---

١ ابن ماجه : الطب (٣٥٣١) ، وأحمد (٤/٤٤٥).

٢ سورة النحل آية : ٥٣-٥٤.". (١)

١٥٠-"١ الرواية بذلك ضعيفة، ولا تدل على هذا ؛ لأن فيها أن ابن عمرو وكان يحفظه أولاده الكبار. ويكتبه في ألواح ويعلقه في عنق الصغار فالظاهر أنه كان يعلقه في اللوح ليحفظه الصغير لا على أنه تميمة، والتميمة تكتب في ورقة لا في لوح. وبدليل تحفيظه الكبار. وكيفما كان فهو عمل فردي من عبد الله بن عمرو لا يترك به حديث رسول الله، وعمل كبار الصحابة الذين لم يعملوا مثل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم.

٢ في قرة العيون: والمقصود بيان أن هذه الأمور الشركية وإن خفيت فقد نهى عنها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، لكمال علمهم بما دلت عليه لا إله إلا الله من نفي الشرك قليله وكثيره؛ **لتعلق القلب** بغير الله في دفع الضر أو جلب نفع، وقد عمت البلوى بما هو أعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة، فمن عرف هذه الأمور الشركية المذكورة في هذين البابين عرف ما وقع مما هو أعظم من ذلك كما تقدم بيانه، وفيه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من التحذير من الشرك والتغليظ في إنكاره، وإن كان من الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر.". (٢)

١٥١-"قوله: "وقول الله تعالى: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ الآية" ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ الآية. المعنى: أن آل فرعون كانوا إذا أصابتهم الحسنة -أي الخُصْب والسعة والعافية، كما فسره مجاهد وغيره- قالوا: لنا هذه، أي نحن الجديرون والحقيقون به، ونحن أهله. وإن تصبهم سيئة. أي بلاء وقحط تطيروا بموسى ومن معه، فيقولون: هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا بشؤمهم. فقال الله تعالى: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾. قال ابن عباس: "طائرهم: ما قضى

---

١ وذلك **بتعلق القلب** بها خوفا وطمعا، ومنافاتها للتوكل على الله الذي لا ينفع ولا يضر غيره، واعتقاد النفع والضر في

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٢١٧/١

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٢٣٦/١

طائر ونحوه لا علم عنده ولا قصد، وإنما تذهب وتجيء في ضرورة معايشها وشئونها. فاعتقاد أن لهذه الحركات ذات اليمين وذات الشمال أثرا في جلب خير أو دفع ضر من سخف العقول وفساد الفطر، وتمكن الخرافات والجهل وعمى القلوب. وهذا اعتقاد المنجمين في النجوم التي سخرها الله تعالى تجري في بروجها ومداراتها المستقر لها، اعتقدوا لها تأثيرا في الكون، وهو اعتقاد الصابئة الذين أرسل الله إليهم إبراهيم عليه السلام.

٢ سورة الأعراف آية : ١٣١.

٣ سورة يس آية : ١٩.". (١)

١٥٢-"ص -٣١٣- ... عِنْدِكَ قُل كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾١. ففيه نفي تعليق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا، ويعد من اعتقدها سفيها مشركا.

قوله: "ولا حول ولا قوة إلا بك" استعانة بالله تعالى على فعل التوكل، وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سببا لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها. وذلك الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات.

و"الحول" التحول والانتقال من حال إلى حال. و "القوة" على ذلك بالله وحده لا شريك له. ففيه التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته. وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليل على توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، وهو توحيد القصد والإرادة، وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله.

قوله: "وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: " الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل " ٢. رواه أبو داود والترمذي وصححه. وجعل آخره من قول ابن مسعود".

ورواه ابن ماجه وابن حبان. ولفظ أبي داود: " الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك ثلاثا ". وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله تعالى.

قال ابن حمدان: " تكره الطيرة". وكذا قال غيره من أصحاب أحمد.

قال ابن مفلح: " والأولى القطع بتحريمها؛ لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروها الكراهية الاصطلاحية؟"

قال في شرح السنن: " وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن يُذْهِبُه بالتوكل "٣. رواه أبو داود والترمذي وصححه. وجعل آخره من قول ابن مسعود.". (٢)

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٦٥/٢

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٨٠/٢

١٥٣-"* قال (وَلاَ يَكْتَوُون): والكيُّ مكروه في أصله؛ لأن فيه تعذيبا بالنار، مع أنَّه مأذون به شرعا؛ لكن فيه كراهة. والعرب تعتقد أن الكيَّ يُحدث المقصود دائما، فلهذا تتعلق قلوبهم بالكي، فصار **تعلق القلب** بهذا الكي من جهة أنَّه سبب يؤثر دائما، ومعلوم أن الكيَّ يؤثر بإذن الله جل وعلا إذا اجتمعت الأسباب وانتفت الموانع. فالنفي لأجل أن في الكيّ بخصوصه ما يتعلق الناس به من أجله.

* قال (وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ): والطِّيَرَة شيء يعرض على القلب من جرَّاء شيء يحدث أمامه، إما أن يجعله يُقدم على أمرٍ، أو أن يُحجم عنه، وهذه صفة من لم يكن التوكل في قلبه عظيما.

* قال بعدها (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ): وهي جامعة للصفات السابقة.

هذه الصفات لا يُعنى بذكرها أن الذين حققوا التوحيد لا يباشرون الأسباب، كما فهمه بعضهم من أن تحقيق التوحيد أو أن الكمال أن لا يباشر سببا البتة، أو أن لا يتداوى البتة، هذا غلط؛ لأن النبي (رُقِيَ عليه الصلاة والسلام، ولأنه عليه الصلاة والسلام تداوى، وأمر بالتداوي، وأمر أيضا الصحابة بأن يكتوي ونحو ذلك، فليس فيه أن أولئك لا يباشرون الأسباب مطلقا، أو لا يباشرون الدواء، إنما فيها ذكر هذه الثلاث بخصوصها؛ لأنها يكثر **تعلق القلب** والتفاته إلى الراقي أو الكي أو الكاوي أو إلى التطير، ففيها إنقاص من التوكل.

أما التداوي فهو مشروع، إمّا واجب أو مستحب، وفي بعض الأحوال يكون مباحا، وقد قال النبي ("تداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام"، المقصود من هذا أن التداوي فعلاً، يعني أن يفعل التداوي وأن يطلب الدواء، ليس خارما لتحقيق التوحيد؛ ولكن الذي هو من صفة أهل تحقيق التوحيد أنهم لا يسترقون -بخصوص الرقية-، ولا يكتوون -بخصوص الكيّ-، ولا يتطيرون، وأمّا ما عدا ذلك مما أُذِن به فلا يدخل فيما يختصّ به أهل تحقيق التوحيد.". (١)

١٥٤-"فإن قول النبي (في وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب قال (هُمُ الَّذِينَ وَلاَ يَسْتَرْقُونَ) يعني لا يطلبون الرقية، وفَهْم جواب السؤال يتبع فهم التعليل؛ ذلك أن أولئك كانوا لا يسترقون يعني لا يطلبون الرقية لأجل ما قام في قلوبهم من الإستغناء بالله وعدم الحاجة إلى الخلق، ولم تتعلق قلوبهم بالخلق في هذا الأمر الذي سيرفع ما بهم.

وكما ذكرتُ لك أنّ مدار العلة على **تعلق القلب** بالراقي أو بالرقية في رفع ما بالمرقي من أذى أو في دفع ما قد يُتوقع من السوء.

وعليه فيكون الحالان سواءً؛ يعني إن كان طلب بنفسه أو طلب بغيره فإنه طالب، والقلب متعلق بمن طَلب منه الرقية إما بالأصالة أو بواسطة.](١٣)

)

باب الخوف من الشرك

(١) كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح ٤٣/١

وقول الله عز وجل: إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ(١٤)
وقال الخليل عليه السلام: وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ[إبراهيم: ٣٥]
وفي الحديث: "أَخْوَفُ ما أخافُ عليكم الشركَ الأصغر". فسئل عنه فقال: "الرياء".
وعن ابن مسعود (، أن رسول الله (قال: "من مات وهو يدعو من دون الله نداً، دخل النار". رواه البخاري.
ولمسلم عن جابر أن رسول الله (قال: "مَنْ لَقِيَ الله لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا دَخَلَ الْجَنّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا دَخَلَ النّارَ".
[الشرح]
الباب الثالث الذي بعد (باب من حقق التوحيد) هو باب (الخوف من الشرك)، وكل من حقق التوحيد، فلا بد أن يخاف من الشرك، ولهذا سيدُ المحققين للتوحيد محمد عليه الصلاة والسلام كان يكثر من الدعاء، بأن يُبعَد عنه الشرك، وكذلك إبراهيم عليه السلام كان من الدعاء بأن لا يدركه الشرك أو عبادة الأصنام.". [1]

١٥٥-"فهذا من لبس فإنه جعل سببا ليس بمأذون به في الشرع، وكذلك من جهة التجربة لا يحصل ذلك على وجه الظهور؛ وإنما هو مجرد اعتقاد ممن لبس في هذا الشيء، فقد يوافق القدر أنه يُشفى حين لبس أو بعد لبسه أو يُدفع عنه أشياء يعتقد أنها ستأتيه فيبقى معلقا بذلك ويثبت أن تلك سببا من الأسباب، وهذا باطل.
إذن صار لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه شركا أصغر؛ لأن من لبسها تعلق قلبه بها وجعلها تدفع أو تنفع أو جعلها تؤثر في رفع الضرر عنه أو في جلب المنافع له، وهذا إنما يستقل به الله جل وعلا وحده إذْ هو النافع الضار، وهو جل وعلا الذي يفيض الرحمة ويفيض الخير أو يمسك ذلك.
وأما الأسباب التي تكون سببا لمسبباتها فهذه لابد أن يكون مأذونا بها في الشرع، ولهذا بعض العلماء يعبر عما ذكرت بقوله: من أثبت سببا -يعني يُحدث المسبَّب يُحدث النتيجة- لم يجعله الله سببا لا شرعا ولا قدرا، فقد أشرك؛ يعني الشرك الأصغر، هذه القاعدة في الجملة صحيحة، قد بعض الأمثلة قد يشكل هل تدخل أو لا تدخل، لكن هو المقصود من هذا الباب؛ أن إثبات الأسباب لابد أن يكون أتى من جهة الشرع وإمّا من جهة التجربة الظاهرة، مثل دواء الطبيب، ومثل الانتفاع ببعض الأسباب التي فيها الانتفاع ظاهرا؛ تتدفى بالنار أو تتبرد بالماء، أو نحو ذلك، هذه أسباب ظاهرة بيّن أثرها؛ لكن إذا كان السبب من جهة التعلق الذي لم يأذن به الشرع فإن **التعلق القلبي** بشيء لم يأذن به الشرع يكون نوع شرك إذا كان لدفع البلاء أو لرفعه.
وهذا مراد الشيخ بهذا الباب؛ فإن لبس الخيط والحلقة من الشرك الأصغر.". [2]

١٥٦-"كل أصناف الشرك الأصغر قد تكون شركا أكبر بحسب حال من فعلها؛ اللبس، تعليق التمائم، الحلف بغير الله، قول ما شاء الله وشئت، ونحو ذلك من الأعمال والاعتقادات والأقوال، الأصل فيها أن نقول أنها شرك أصغر،

(١) كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح ٤٥/١
(٢) كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح ٨٤/١

قد تكون تلك شركا أكبر بحسب الحال؛ يعني أن أعتقد في الحلقة و الخيط أنها تؤثر بنفسها فهذا شرك أكبر، إذا اعتقد أنها ليست سبب؛ ولكن هي تؤثر بنفسها؛ لأن هذه تدفع بنفسها، تدفع المرض بنفسها، تدفع العين بنفسها أو ترفع المرض بنفسها، أو ترفع العين بنفسها، وليست أسبابا؛ ولكن هي بنفسها مؤثرة، فهذا شرك بالله شرك أكبر؛ لأنه جعل التصرف في هذا الكون لأشياء مع الله جل وعلا، ومعلوم أن هذا من أفراد الربوبية فيكون ذلك شركا في الربوبية.

إذن عماد هذا الباب من جهة **تعلق القلب**، تعلق بهذه الأشياء بالحلقة أو الخيط لدفع ما يسوؤه أو في لرفع ما حل به من مصايب.

الشيخ رحمه الله ساق بعد ذلك (وقول الله تعالى: قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ[الزمر:٣٨].) قوله جل وعلا في هذه الآية من سورة الزمر (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ).

العلماء يقولون: إن الفاء إذا جاءت بعد همزة الاستفهام فإنها تكون عاطفة على جملة محذوفة يدل عليها السياق.

وهذه الآية أولها وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ[الزمر:٣٨]؛ يعني قل أتُقِرُّون بأن الذي خلق السماوات والأرض هو الله وحده فتدعون غيره؟ فتتوجهون لغيره؟ أتقرون بذلك فتفعلون هذه الأشياء؟ قال جل وعلا (قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ).". (١)

١٥٧-"ثم ساق رحمه الله عدة أحاديث قال (وَعَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ (أَنّ النّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَىَ رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةً مِنْ صُفْرٍ. فَقَالَ: "مَا هَذِهِ؟" قَالَ: هَذِهِ مِنَ الْوَاهِنَةِ. فَقَالَ: "انْزِعْهَا، فَإِنّهَا لاَ تَزِيدُكَ إِلاّ وَهْناً، فإنَّكَ لوْ مِتَّ وهي عليْك، ما أَفْلَحتَ أبداً") مناسبة الحديث للباب ظاهرة؛ وهي أنه عليه الصلاة والسلام رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةً مِنْ صُفْرٍ بحسب ما كان يعتقد أهل الجاهلية، فقال عليه الصلاة والسلام (مَا هَذِهِ؟) هذا السؤال:

من أهل العلم من قال: إنه استفهام إنكار؛ ولكن الرجل ما فهم أنه إنكار فهم أنه استفصال فلذلك أجاب، فقال: (مِنَ الْوَاهِنَةِ).

وقال آخرون من أهل العلم: قوله عليه الصلاة و السلام (مَا هَذِهِ؟) يحتمل أن يكون استفهام استفصال أو استفهام إنكار، فلهذا أجاب الرجل فقال: (مِنَ الْوَاهِنَةِ).

والاستفهام الأول يعني في القول الأول للإنكار الشديد، وهو الأظهر من حيث دلالة السياق عليه؛ لأن النبي (في السياق ما ذكر الحالة الأخرى.

والحالة الأخرى التي يمكن أن يكون لبسها من أجله أن تكون للتحلي، والتحلي بالصفر غير أن يلبسه لدفع البلاء أو رفعه.

المقصود أن الاستفصال هنا في قوله (مَا هَذِهِ؟) هذا السؤال لا يعني أنه يحتمل أن يكون اللُّبس شركا ويحتمل أن يكون اللبس غير شرك؛ ولكن هذا للإنكار وإذا كان استفهام استفصال فإنه لأجل أنه يكون قد يلبس لأجل التحلي، لا لأجل التعلق؛ **تعلق القلب** لذلك، فلما أجاب (مِنَ الْوَاهِنَةِ) تعيَّن على كلا القولين أنه لبسها لأجل تعلقه بها لرفع المرض أو

(١) كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح ٨٥/١

لدفعه.

والواهنة نوع مرض من الأمراض يَهَن الجسم ويطرحه ويُضعف قواه.". (١)

١٥٨-"قال رحمه الله (وله عن عقبة بن عامر مرفوعاً: "من تعلَّق تميمةً، فلا أتمَّ الله له، ومن تعلَّق ودعة، فلا ودَع الله له") المقصود من هذا الحديث ذِكر لفظ التعلق، و(تعلَّق) يعني أنه علَّق وتعلَّق قلبُه بما علَّق، لفظ (تعلَّق) يشمل التعليق وتعلُّق القلب بما عُلِّق، فهو لبِس وتعلَّق قلبه بما لبس، علق في صدره وتعلق قلبه بما علق.

قال عليه الصلاة والسلام (من تعلَّق تميمةً، فلا أتمَّ الله له) والتميمة لها باب يأتي إن شاء الله تعالى؛ لكن هي نوع خرزات وأشياء توضع على صدور الصغار، أو يضعها الكبار لأجل دفع العين أو دفع الضرر أو الحسد أو أثر الشياطين ونحو ذلك.

قال (من تعلَّق تميمةً، فلا أتمَّ الله له) وهنا دعا عليه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ألاَّ يُتم الله له؛ لأن التميمة أُخذت من تمام الأمر، سُميت تميمة لأنه يُعتقد فيها أنها تتم الأمر، فدعا عليه عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ بأن لا يتم الله جلّ وعلا له المراد.

قال(ومن تعلَّق ودعة، فلا ودَع الله له) والودع نوع من الصدفة والخرز يوضع على صدور الناس، أو يعلق على العضد ونحو ذلك؛ لأجل أيضا دفع العين ونحوها من الآفات أو رفع العين ونحوها من الآفات.

قال (ومن تعلَّق ودعة، فلا ودَع الله له) يعني فلا تركه وذلك، ولا جعله دَعَةٍ وسكون وراحة، ودعاؤه عليه الصلاة والسلام عليه ذلك لأنه أشرك بالله جل وعلا.

قال (وفي رواية: "من تعلَّق تميمةً، فقد أشْرَك") لأن تعليق التمائم والتعلق بها شرك أصغر بالله جل وعلا وقد يكون أكبر بحسب الحال كما سيأتي.". (٢)

١٥٩-"* والثاني أنهم عكفوا عندها ولازموا، والعكوف والملازمة نوع عبادة، فإذا عكف ولازم تقربا ورجاء ورغبة ورهبة ومحبة هذا نوع من العبادة.

* والثالث التبرك.

فإذن يكون الشرك الأكبر ما ضمّ هذه الثلاث.

وإذا تأملت ما يصنعه عباد القبور والخرافيون في الأزمنة المتأخرة وفي زماننا هذا، وجدت أنهم يصنعون كما كان المشركون الأولون يصنعوا عند اللات وعند العزى وعند مناة وعند ذات أنواط، فإنهم يعتقدون في القبر؛ بل يعتقدون في الحديد الذي يُسيَّج به القبر، فالمشاهد المختلفة في البلاد التي يفشو فيها الشرك أو يظهر فيها الشرك، تجد أنّ الناس يعتقدون في الحائط الذي على القبر، أو في الشُّباك الحديدي الذي يحيط بالقبر، فإذا مسحوا به كأنهم تمسحوا بالمقبور، واتصلت روحهم بأنه سيتوسط لهم لأنهم عظموه، هذا شرك أكبر بالله جل وعلا لأنه رجع إلى تعلق القلب في جلب النفع وفي دفع الضَّر بغير الله جل وعلا وجعله وسيلة إلى الله جل وعلا كفعل الأولين الذين قال الله فيهم مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى[الزمر:٣].

---

(١) كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح ٨٩/١

(٢) كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح ٩٢/١

وأمّا في الحال الأخرى -التي نبهتُكَ في أول المقام عليها- مِن أنه يجعل بعض التمسحات أسبابا، مثل ما ترى بعض الناس الجهلة يأتي في الحرم ويتمسح بأبواب الحرم الخارجية، أو ببعض الجدران، أو ببعض الأعمدة.

فهذا إن ظن أن ثَمّ روحاً في هذا العمود، أو هناك أحد مدفون بالقرب منه، أو ثم من يخدم هذا العمود من الأرواح الطيبة -كما يقولون-، فتمسح لأجل أن يصل إلى الله جل وعلا فهذا شرك أكبر.

وأما إذا تمسح باعتقاد أن هذا المقام مبارك وأن هذا سبب قد يشفيه، إذن قلنا إذا كان يتمسح لجعله سببا فهذا يكون شركا أصغر.

وإذا كان تعلق قلبه بهذا الذي المتمسح به والمتبرك به وعظمه ولازمه واعتقد أن ثمّة روحا هنا، أو أنه يتوسل به إلى الله فإن هذا شركا أكبر. (٢٥)

)

[الأسئلة]". [١]

١٦٠-"قال هنا (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي) والنسك هو الذبح أو النحر؛ يعني التقرب بالدم، والتقرب بالدم لله جل وعلا عبادة عظيمة؛ لأن الذبائح أو المنحورات -الإبل؛ البقر، الغنم من الضأن والماعز- هذه مما تعظم في نفوس أهلها.

ونحرُها تقربا لله جل وعلا والصدقة بها عبادة عظيمة:

* فيها إراقة الدم لله.

* وفيها تعلق القلب بحسن الثواب من الله جل وعلا.

* وفيها حسن الظن بالله تبارك وتعالى.

* وفيها التخلص من الشُّح والرغب فيما عند الله سبحانه بإزهاق نفس ما هو عزيز عند أهله.

ولهذا كان النحر والذبح من العبادات العظيمة التي يحبها الله جل وعلا، وهذه الآية دلَّت على أن النحر والصلاة عبادتان؛ لأنه جعل النسيكة لله، والله جل وعلا له من أعمال خلقه العبادات.

فلهذا صار وجه الدلالة أن قوله (وَنُسُكِي) فيه دلالة على أنَّ النُّسك عبادة من العبادات وأنه مستحَق لله جل وعلا.

قوله (لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) اللام هنا المتعلقة بقوله (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي) لام الاستحقاق.

لأن اللام في اللغة وفيما جاء من الاستعمال في القرآن:

* تأتي لام المِلْكأَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ[الكهف:٧٩]؛ يعني يملكونها.

* أو تكون لام الاختصاص وهو شبه الملك.

* أو تكون لام الاستحقاق مثلاالْحَمْدُ لِلَّهِ يعني جميع أنواع المحامد مستحَقة لله.

---

(١) كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح ١١٩/١

كذلك اللام هنا (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي... لِلَّهِ) يعني مستحَقّة لله جل وعلا.". (١)

١٦١-"قال (وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ) هذا عام؛ لأنه رتَّب جزاء على فعل بصيغة (مَنْ) كأنه قال: كل من سحر فقد أشرك. يعني سحر بذلك النحو الذي ذُكر وهو أن يعقد عقدة ثم ينفث فيها، (مَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ) هذا دليل لما ذكرنا لكم في الباب قبله أنّ كل سحر يعدّ من أنواع الشرك؛ لأنه لا يمكن أن يحدث السحر إلا بالنفث في العقد أو باستحضار الجن وبعبادة الجن ونحو ذلك وهذا شرك بالله، [قوله (وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ) ليس معناه أنه أشرك بعقد العقدة مثلا، وإنما (فَقَدْ أَشْرَكَ) يعني حين سحر. ومن المعلوم أنه قبل أن يعقد العقدة وينفث فيها فلا بد من تعلمه؛ ولهذا يكون مشركا قبل أن يعقد وينفث ما دام أنه تعلم ذلك ليعمل به فإنه مشرك بالله؛ لأن تعلمه فيه الشرك بالله جل وعلا.](٥٨) قال (وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئاً وُكِّلَ إِلَيْهِ) هذا مر معنا مثاله ومعنى هذا الحديث وأن القلب إذا تعلق شيئا بمعنى أحبه ورضيه **وتعلق القلب** به فإنه يوكل إليه ويُجعل هو السبب الذي من أجله يجيء نفعه أو يجيء ضره.
ومعلوم أن كل الأسباب الشركية تعود فاعلها أو على الراضي بها بالضر لا بالنفع، والعبد إذا تخلى عن الله جل وعلا ووكل إلى نفسه أو وكل إلى غير الله جل وعلا فقد خاب وخسر وضُرَّ أعظم الضرر، فسعادة العبد وعِظم صلاح قلبه وعظم صلاح روحه بأن يكون تعلقه بالله جل وعلا وحده.". (٢)

١٦٢-"قال (ولهما عن أنسٍ، قال: قال رسول الله (: " لاَ عَدْوَى، وَلاَ طِيَرَةَ) يعني لا عدوى مؤثرة بنفسها؛ بل بإذن الله جل وعلا ولا طيرة مؤثرة أصلا، وإنما ذلك راجع إلى قضاء الله وقدره، قال(وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ. قالوا: وما الفأل؟ قال: "الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ")، (الْفَأْلُ) كان عليه الصلاة والسلام يحبه وفسره بأنه الكلمة الطيبة، لأن الكلمة الطيبة إذا سمعها فتفاءل بها أنه سيحصل له كذا وكذا من الخيرات، ففيها أنها حسن ظنٍّ بالله جل وعلا، الفأل حسن ظن بالله، والتشاؤم سوء ظن بالله جل وعلا، ولهذا صار الفأل ممدوحا ومحمودا وصار الشؤم مذموما، والفأل ممدوح من جهة أنه فيه تحسين الظن بالرب جل وعلا، وهذا مأمور العبد به، لهذا كان عليه الصلاة والسلام يتفاءل، وكل ذلك من تعظيم الله جل وعلا وحسن الظن به **وتعلق القلب** به وأنه لا يفعل للعبد إلا ما هو أصلح له.
قال (ولأبي داود -بسند صحيح- عن عُقبة بن عامر، قال: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رسول الله (فقال: "أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ") الطيرة يعني التأثر بالكلمة؛ لأننا ذكرنا لكم أن الطيرة عامة تشمل الأقوال والأعمال التي تحصل أمام العبد، فإذا كان ثَمّ تطير فإن أحسنه الفأل يعني أن يقع في قلبه أنه سيحصل له كذا وكذا من جراء كلمة سمعها أو من جراء فعل حصل له أحسن ذلك الفأل، وغيره مذموم، لِمَ كان الفأل محمودا وممدوحا ومأذونا به؟ لما ذكرنا من أنه إذا تطير متفائلا فإنه محسن الظن بالله جل وعلا، وأمّا الفأل في نفسه فهو مطلوب لأن التفاؤل يشرح الصدر ويُونس العبد ويُذهب الضيق الذي يُوحيه الشيطان ويسببه الشيطان في قلب العبد، والشيطان يأتي للعبد فيجعله يَتوهم أشياء وأشياء كلها في مضرّته، فإذا فتح العبد على قلبه

(١) كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح ١/١٢٩

(٢) كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح ١/٢٧٤

باب التفاؤل أبعد عن قلبه باب تأثير الشيطان على النفس.". (١)

١٦٣-"الجهة الأولى: أن ذلك القائل هو الذي حصلت له النعمة أو اندفعت عنه النقمة، والنبي (هنا يخبر عن صنيعه بعمه وأنّ عمه اندفعت عنه النقمة، فذاك في المتحدث الذي تعلق قلبه بالذي نفعه أو دفع عنه الضر، وأما قول النبي (فهو إخبار عن نفعه لغيره، فليس فيه تعلق للقلب في اندفاع النقمة أو حصول النعمة بغير الله جل وعلا، هذا وجه. فيكون إذن معنى ذلك أن الوجه الذي نهى عنه للعلة التي من أجلها نهى عن قول (لولا أنا)، أن يكون فيها نسبة النعمة إلى غير الله من جهة **تعلق القلب** بذلك الذي حصّل له النعمة، وهذا غير وارد في قول النبي عليه الصلاة والسلام (لولا أنا لكان من الدرك الأسفل من النار) لأنه عليه الصلاة والسلام ليس هو الذي حصلت له النعمة إنما هو مخبر عن فعله لعمه. الوجه الثاني في ذلك: أن النبي عليه الصلاة والسلام قد بيَّن أن نفعه لعمه من جهة الشفاعة، فهو يشفع لعمه حتى يكون في ضحضاح من النار، فقوله (لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) يعني لولا شفاعتي. ومعلوم بنصوص الشرع أنه عليه الصلاة والسلام يُكرم بالشفاعة ويعطي الشفاعة، فهو سائل وهو سبب من الأسباب، والمتفضل حقيقة هو الله جل وعلا، فكأنه قال عليه الصلاة والسلام بضميمة علمنا أنه يشفع لعمه كأنه قال: لولا أن الله شفعني فيه لكان في الدرك الأسفل من النار.

فليس فيه بالوجهين جميعا تعليق للقلب بغير الله جل وعلا في حصول النعم أو اندفاع النقم، ممّا يكون في قول القائل: لولا فلان لحصل كذا أو لولا السيارة لحصل كذا أو لولا الطيار لحصل كذا أو لولا البيت كان مُحَصّناً لحصل كذا، ونحو ذلك مما فيه تعلق قلب من حصلت له النعمة بالمخلوقين. - والله أعلم -](٨٥)

)

باب النهي عن سب الريح". (٢)

١٦٤-"ماذا تعرف عن التوحيد ؟

إعداد

إسلام محمود دربالة

مدير مركز أبحاث ودراسات

المستقبل للإسلام

تعريف التوحيد :

التوحيد لغة : الإفراد .

ولا يكون الشيء مفرداً إلا بأمرين :

---

(١) كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح ١/٢٩٧

(٢) كفاية المستزيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ صالح ١/٤٥١

أ – الإثبات التام .

ب – النفي العام .

فلو قلت : زيد قائم . لم تفرده لاحتمال أن يكون غيره قائماً أيضاً .

لكن إن قلت : ما قائم إلا زيد ، فقد أفردته ، بإثباتك القيام التام له ، ونفيك العام للقيام عن غيره .

وكلمة التوحيد ، لا إله إلا الله اشتملت على نفي وإثبات ، فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى ، فكل ما سواه من الملائكة والأنبياء فضلاً عن غيرهم ليس بإله ، ولا له من العبادة شيء ، وأثبتت الإلهية لله وحده بمعنى أن العبد لا يأله غيره ، أي لا يقصد بشيء من التأله وهو **تعلق القلب** الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة .

والتوحيد شرعاً : إفراد الله بحقوقه .

ولله سبحانه وتعالى ثلاثة حقوق

١- حقوق عبادة .

٢- حقوق أسماء وصفات .

ويمكن أن يقال : التوحيد : هو إفراد الله عز وجل بالخلق والرزق والتدبير وعدم صرف شيء من أنواع العبادة إلا له، والإيمان بما وصف وسمى به نفسه ، ووصفه وسماه به رسوله صلى الله عليه وسلم .

أقسام التوحيد :

ذكر أهل العلم – رحمهم الله تعالى – بعد استقراء نصوص الكتاب والسنة أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- توحيد الربوبية .

٢- توحيد الألوهية .

٣- توحيد الأسماء والصفات .

قال الشيخ بكر أبو زيد – نفع الله به – : " هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن منده وابن جرير الطبري وغيرهما وقرره شيخاً الإسلام ابن تمية وابن القيم ، وقرره الزبيدي في " تاج العروس " وشيخنا الشنقيطي في " أضواء البيان " في آخرين رحم الله الجميع .". [١]

١٦٥-"فالتطير مناقض للتوحيد لما فيه من نسبة أفعال الله إلى شيء من خلقه وقد سماه الرسول – صلى الله عليه وسلم – شركاً فقال ﴿الطيرة شرك﴾ (١) وفي الحديث الآخر ﴿من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك، قالوا: يا رسول الله ما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول أحدهم اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك﴾ (٢).

وعلى هذا فالطيرة منتفية وليس لها أي تأثير والله هو وحده هو المتفرد بالتقدير والتدبير و لهذا نفاها النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله ﴿لا عدوى ولا طيرة﴾(٣).

---

(١) ماذا تعرف عن التوحيد ص/١

قال ابن القيم –رحمه الله– حول هذا الحديث «يحتمل أن يكون نفياً وأن يكون نهياً أي لا تتطيروا والنفي يدل على إبطالها والنفي أبلغ من النهي لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهي يدل على المنع» (٤).

حكم الطيرة:

... الطيرة محرمة شرعاً وهي من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد إن كانت بالأقوال والأفعال، أما إن اعتقد أن هذه الأشياء فاعلة أو سبب مؤثر في جلب نفع أو دفع ضر فهي شرك أكبر مناف للتوحيد.

لماذا حرمت الطيرة؟

... حرم الشرع الحكيم الطيرة لعدة أمور منها:

أن فيها نسبة النفع والضر والقدرة عليها لغير الله.

أن فيها الاعتماد والتوكل على غير الله.

أن فيها **تعلق القلب** بغير الله.

أنها طريق لنشر الخرافات في المجتمعات.

ثالثاً: الرقى

تعريف الرقية:

الرقية هي التي يُرقى بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات، وتنقسم إلى قسمين:

الأول: الرقى الممنوعة.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣٩١٠) الحاكم في المستدرك –كتاب الإيمان برقم (٤٣)، وابن حبان في صحيحه برقم (٦١٢٢)
.

(٢) أخرجه أحمد برقم (٧٠٤٥/٢)

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٣٨٠) (٥٤٢١) (٥٤٣٨) ومسلم برقم (٢٢٢٠)

(٤) مفتاح دار السعادة –لابن القيم– (٢٨٠/٣)". [١]

١٦٦–"ص –٥٦– ... قضاء حوائجنا؟! فيقال لهم: نعم وهذا الترك والإخلاص هو الحق، كما قال تعالى:﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾١. ف: " لا إله إلا الله " اشتملت على نفي وإثبات، فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى، فكل ما سواه من الملائكة والأنبياء فضلاً عن غيرهم، فليس بإله، ولا له من العبادة شيء، وأثبتت الإلهية لله وحده، بمعنى أن العبد لا يأله غيره، أي: لا يقصده بشيء من التأله وهو **تعلق القلب** الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة، كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك

---

(١) مباحث في العقيدة ١٤/١٢

وبالجملة فلا يأله إلا الله، أي: لا يعبد إلا هو، فمن قال هذه الكلمة عارفًا لمعناها، عاملاً بمقتضاها، من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به، فهذا هو المسلم حقًّا، فإن عمل به ظاهرًا من غير اعتقاد، فهو المنافق، وإن عمل بخلافها من الشرك، فهو الكافر ولو قالها، ألا ترى أن المنافقين يعملون بها ظاهرًا وهم ﴿فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾، [النّساء، من الآية: ١٤٥]، واليهود يقولونها وهم على ما هم عليه من الشرك والكفر، فلم تنفعهم، وكذلك من ارتد عن الإسلام بإنكار شيء من لوازمها وحقوقها، فإنها لا تنفعه، ولو قالها مائة ألف، فكذلك من يقولها ممن يصرف أنواع العبادة لغير الله، كعباد القبور والأصنام، فلا تنفعهم ولا يدخلون في الحديث الذي جاء في فضلها، وما أشبهه من الأحاديث.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: " وحده لا شريك له "، تنبيهًا على أن الإنسان قد يقولها وهو مشرك، كاليهود والمنافقين وعباد القبور، لما رأوا أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا قومه إلى قول: " لا إله إلا الله "، ظنوا أنه إنما دعاهم إلى النطق بها فقط، وهذا جهل عظيم، وهو عليه السلام إنما دعاهم إليها ليقولوها ويعملوا بمعناها، ويتركوا عبادة غير الله، ولهذا قالوا:﴿أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ". [(١)]

١٦٧-"ص -٣٧٥- ... المؤمنين بل كثير من المشركين يعلمون ذلك، والعمل هو ثقة القلب بالله وفراغه من كل ما سواه، وهذا عزيز ويختص به خواص المؤمنين، وهو داخل في هذه الكلمة، لأن فيها التبرؤ من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته والإقرار بقدرته على كل شيء، وبعجز العبد عن كل شيء إلا ما أقدره عليه ربه، وهذا نهاية توحيد الربوبية الذي يثمر التوكل وتوحيد العبادة.

[الطيرة شرك]

قال: وعن ابن مسعود مرفوعًا: "الطيرة شرك الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل"١. رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ش: هذا الحديث رواه أيضًا ابن ماجة وابن حبان ولفظ أبي داود: "الطيرة شرك الطيرة شرك ثلاثًا"٢.

قوله: "الطيرة شرك"، صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله. وقال ابن حمدان في "الرعاية": تكره الطيرة، وكذا قال غير واحد من أصحاب أحمد. قال ابن مفلح: والأولى القطع بتحريمها. ولعل مرادهم بالكراهة التحريم.

قلت: بل الصواب القطع بتحريمها، لأنها شرك وكيف يكون الشرك مكروهًا الكراهة الاصطلاحية؟! فإن كان القائل بكراهتها أراد ذلك فلا ريب في بطلانه. قال في "شرح السنن": وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعًا، أو يدفع عنهم ضرًّا إذا عملوا بموجبه فكأنهم شركوه مع الله تعالى.

قوله: "وما منا إلا...". قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري: في الحديث إضمار والتقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد ٤/٩٢

شيء من ذلك انتهى. وحاصله: وما منا إلا من يعتريه التطير، ويسبق إلى قلبه الكراهة فيه. فحذف ذلك اعتمادًا على فهم السامع. وقال الخلخالي: حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة وهذا نوع من أدب الكلام.". (١)

١٦٨-"ص -١١٧- ... عن عمران بن حصين رضي الله عنه " أن النبي صلي الله عليه وسلم رأى رجلا في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذا؟ قال من الواهنة. فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا " ١ رواه أحمد بسند لا بأس به.

وإنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله، لا على أنهم يكشفون الضر، ويجيبون دعاء المضطر، فهم يعلمون أن ذلك لله وحده. كما قال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُون ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾٢.

قلت: فهذه الآية وأمثالها تبطل **تعلق القلب** بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وأن ذلك شرك بالله. وفي الآية بيان أن الله تعالى وسم أهل الشرك بدعوة غير الله والرغبة إليه من دون الله. والتوحيد ضد ذلك. وهو أن لا يدعو إلا الله، ولا يرغب إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، وكذا جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله. كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها كما تقدم.

---

١ ابن ماجه : الطب (٣٥٣١) ، وأحمد (٤/٤٤٥).

٢ سورة النحل آية : ٥٣-٥٤.". (٢)

١٦٩-"________

١ الرواية بذلك ضعيفة، ولا تدل على هذا ؛ لأن فيها أن ابن عمرو وكان يحفظه أولاده الكبار. ويكتبه في ألواح ويعلقه في عنق الصغار فالظاهر أنه كان يعلقه في اللوح ليحفظه الصغير لا على أنه تميمة، والتميمة تكتب في ورقة لا في لوح. وبدليل تحفيظه الكبار. وكيفما كان فهو عمل فردي من عبد الله بن عمرو لا يترك به حديث رسول الله، وعمل كبار الصحابة الذين لم يعملوا مثل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم.

٢ في قرة العيون: والمقصود بيان أن هذه الأمور الشركية وإن خفيت فقد نهى عنها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، لكمال علمهم بما دلت عليه لا إله إلا الله من نفي الشرك قليله وكثيره؛ **لتعلق القلب** بغير الله في دفع الضر أو جلب نفع، وقد عمت البلوى بما هو أعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة، فمن عرف هذه الأمور الشركية المذكورة في هذين البابين عرف ما وقع مما هو أعظم من ذلك كما تقدم بيانه، وفيه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من التحذير

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد ٦٢/٥

(٢) موسوعة توحيد رب العبيد ٢٢٣/٦

من الشرك والتغليظ في إنكاره، وإن كان من الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر.". [1]

١٧٠-"طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾. قال ابن عباس: "طائرهم: ما قضى

---

١ وذلك بتعلق القلب بها خوفا وطمعا، ومنافاتها للتوكل على الله الذي لا ينفع ولا يضر غيره، واعتقاد النفع والضر في طائر ونحوه لا علم عنده ولا قصد، وإنما تذهب وتجيء في ضرورة معايشها وشئونها. فاعتقاد أن لهذه الحركات ذات اليمين وذات الشمال أثرا في جلب خير أو دفع ضر من سخف العقول وفساد الفطر، وتمكن الخرافات والجهل وعمى القلوب. وهذا اعتقاد المنجمين في النجوم التي سخرها الله تعالى تجري في بروجها ومداراتها المستقر لها، اعتقدوا لها تأثيرا في الكون، وهو اعتقاد الصابئة الذين أرسل الله إليهم إبراهيم عليه السلام.

٢ سورة الأعراف آية : ١٣١.

٣ سورة يس آية : ١٩.". [2]

١٧١-"ص -٣١٣- ... عِنْدِكَ قُل كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾١. ففيه نفي تعليق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا، ويعد من اعتقدها سفيها مشركا.

قوله: "ولا حول ولا قوة إلا بك" استعانة بالله تعالى على فعل التوكل، وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سببا لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها. وذلك الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات.

و"الحول" التحول والانتقال من حال إلى حال. و "القوة" على ذلك بالله وحده لا شريك له. ففيه التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته. وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليل على توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، وهو توحيد القصد والإرادة، وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله.

قوله: "وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: " الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل " ٢. رواه أبو داود والترمذي وصححه. وجعل آخره من قول ابن مسعود".

ورواه ابن ماجه وابن حبان. ولفظ أبي داود: " الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك ثلاثا ". وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك لما فيها من تعلق القلب على غير الله تعالى.

قال ابن حمدان: " تكره الطيرة". وكذا قال غيره من أصحاب أحمد.

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد ٢٤٢/٦

(٢) موسوعة توحيد رب العبيد ٦٩/٧

قال ابن مفلح: " والأولى القطع بتحريمها؛ لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروها الكراهية الاصطلاحية؟"
قال في شرح السنن: " وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن يُذْهِبُه بالتوكل "٣. رواه أبو داود والترمذي وصححه. وجعل آخره من قول ابن مسعود.
ولأحمد من حديث". [١]

١٧٢-"ص -٧٥- ... عن عمران بن حصين (١)

....

= أنهم لا يقدرون على ذلك أصلا، وتعترفون بذلك، (أو أرادني برحمة) صحة وعافية وخير: ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ ١ أي أنتم تعلمون أنهم لا يستطيعون شيئا من الأمر، وتعترفون أنهم لا يقدرون على شيء من ذلك، فإذا علمتم أنهم لا يقدرون على ذلك فلم تعلقون عليهم من دون الله، (قل) يا محمد (حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) أي الله كافي من توكل عليه، والتوكل التفويض والاعتماد، فإذا كانت آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضر أراده الله بعبده، أو إمساك رحمة أنزلها على عبده، فيلزمهم بذلك أن يكون الله سبحانه وتعالى هو معبودهم وحده المفوض إليه جميع أمورهم، لزوما لا محيد لهم عنه.
وهذا في القرآن كثير يقيم تعالى الحجة على المشركين بما يبطل شركهم بالله، وتسويتهم غيره به في العبادة، بضرب الأمثال وغير ذلك مما يعلمون به أن ذلك لله وحده، ويقرون به على ما يجحدونه من عبادته وحده، هذا وهم إنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ٢ لا على أنهم يكشفون الضر، ويجيبون دعاء المضطر، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ ٣. قال مقاتل: سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا؛ لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها، وإذا كان ذلك كذلك بطلت عبادتهم الآلهة مع الله، وإذا بطلت فلبس الحلقة والخيط ونحوهما كذلك. والمصنف -رحمه الله- استدل بالآية النازلة في الأكبر على الأصغر، كما استدل بها ابن عباس وحذيفة وغيرهما، وهذه الآية وأمثالها تبطل **تعلق القلب** بغير الله في جلب نفع، أو دفع ضر وأن ذلك لا يكون إلا بالله وحده، وأن جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله، كما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وكذلك". [٢]

١٧٣-"ص -٧٩- ... ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له (١) "١. وفي رواية: " من تعلق تميمة فقد أشرك "٢.
= غير الله)). وفي النهاية: ((التمائم جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم، يتقون بها العين في زعمهم، فأبطله الإسلام)) ا هـ. والتمائم أعم من ذلك، فتكون من عظام، ومن خرز، ومن كتابة، ومن غير ذلك.

....

(١) ودعة بفتح فسكون وتفتح، و "لا ودع" بتخفيف الدال أي لا ترك له ما يحب، أو لا جعله في دعة وسكون، بل

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد ٨٤/٧

(٢) موسوعة توحيد رب العبيد ١١٨/٨

حرك عليه كل مؤذ، وهذا دعاء عليه أيضا، معاملة له بنقيض قصده، وكانوا يتلمحون من اسمها الدعة والسكون. قال في النهاية: ((الودعة شيء أبيض يجلب من البحر، يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم، وقيل يشبه الصدف يتقون به العين)). وفيه وعيد شديد لمن فعل ذلك، يفيد أنه محرم، وإذا تقرر أنه محرم فالرواية الثانية بينت أنه من المحرمات الشركية، ومع كونه شركا فقد دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقيض مقصوده، ورواه أبو يعلى والحاكم وقال: صحيح الإسناد. وأقره الذهبي.

(٢) وذلك " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل عليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وأمسكت عن هذا؟ فقال: "إن عليه تميمة"، فأدخل يده فقطعها فبايعه، وقال: من تعلق تميمة فقد أشرك "٣. رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر. ورواه الحاكم بنحوه، ورواته ثقات. وإنما جعلها صلى الله عليه وسلم شركا؛ لأنه أراد رفع القدر المكتوب، وطلب دفع الأذى من غير الله تعالى الذي هو النافع الضار، والتعلق يكون بالفعل أو بالقلب أو بهما، وإنما كان شركا من جهة **تعلق القلب** على غير الله في جلب نفع أو دفع ضر، فكان شركا من هذه الحيثية. قال الشيخ: من تعلق قلبه بمخلوق فالمخلوق عاجز، وهو من الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة، وذلك أن يرجو العبد قضاء حاجته من غير ربه =". [١]

١٧٤-"وغير ذلك مما هو مشهور عنهم، وفي الصحيح عنه -عليه الصلاة والسلام- حين سئل عنه قال: "ذلك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه". وقال: "إذا تطيرت فلا ترجع". ولا يضر إلا من أشفق منه وخاف واعتنى به، فيكون أسرع إليه من السيل إلى منحدره، وتفتح له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه، ويفتح له الشيطان من المناسبات القريبة والبعيدة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه، ولما كان التطير من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب؛ لكونه من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ولكونه **يتعلق القلب** به خوفا وطمعا، ولكونه منافيا للتوكل على الله، واعتقاد نفع أو ضر بسبب طائر ونحوه، أفرده المصنف -رحمه الله- بالترجمة، وإن كان من الشرك الأصغر فهو من أقبح الشرك.". [٢]

١٧٥-"ص -٢١٩- ... ولا ترد مسلما (١)، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت (٢)، ولا حول ولا قوة إلا بك (٣) "١ .

وعن ابن مسعود مرفوعا: " الطيرة شرك الطيرة شرك (٤).

....

(١) أي لا ترد المسلم عن شيء قصده لإيمانه أنه لا نافع ولا ضار إلا الله، وإنما ترد المشرك الذي يعتقدها، قال الطيبي: ((تعريض بأن الكافر بخلافه)).

(٢) أي لا تأتي الطيرة بالحسنات، ولا تدفع المكروهات بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات،

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد ١٢٤/٨

(٢) موسوعة توحيد رب العبيد ٣٢٦/٨

والحسنات هنا النعم، والسيئات المصائب. كقوله: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ ٢ إلى قوله: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ ٣، ففيه نفي تعليق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد، وفيه التصريح بأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا، فيعد من اعتقدها سفيها مشركا.

(٣) أي ولا تحول ولا انتقال من حال إلى حال، ولا قوة على ذلك إلا بالله وحده لا شريك له، وهذا استعانة به سبحانه على فعل التوكل وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سببا لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها، ومعاملة له بنقيض قصده، وهذا الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات.

(٤) ولفظ أبي داود: " الطيرة شرك الطيرة شرك "٤ ثلاثا. وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله، ولو لم يكن فيها إلا سوء الظن بالله لكفى بها قبحا. قال في شرح السنن: ((وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعا أو تدفع عنهم ضرا إذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوا مع الله)).". (١)

١٧٦-"فإن قيل : المحبة في القلب ولا يستطيع الإنسان أن يملكها ، ولهذا يروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، أنه قال : " اللهم إن هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما لا أملك " ﴿ ١ ﴾ ، وكيف للإنسان أن يحب شيئاً وهو يبغضه ، وهل هذا إلا من محاولات جعل الممتنع ممكناً ؟

أجيب : أن هذا إيراد ليس بوارد ، فالإنسان قد تنقلب محبته لشيء كراهة وبالعكس ، إما لسبب ظاهر أو لإرادة صادقة ، فمثلاً : لك صديق تحبه فيسرق منك وينتهك حرمتك ، فتكرهه لهذا السبب ، أو لإرادة صادقة ، كرجل يحب شرب الدخان ، فصار عنده إرادة صادقة وعزيمة ثابتة ، فكره الدخان ، فأقلع عنه.

وقال عمر رضى الله عنه للنبي - صلى الله عليه وسلم - : " إنك لأحب إلى من كل شيء إلا من نفسي. قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك . قال : الآن والله لأنت أحب إلى من نفسي . فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - الآن يا عمر " ﴿ ١ ﴾

فقد ازدادت محبة عمر رضي الله عنه للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأقره النبي - صلى الله عليه وسلم - على أن الحب قد يتغير .

وربما تسمع عن شخص كلاماً وأنت تحبه فتكرهه ، ثم يتبين لك أن هذا الكلام كذب ، فتعود محبتك إياه .

عن أنس ، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين". أخرجاه ﴿ ٢ ﴾ .

قوله في حديث أنس : " لا يؤمن " . هذا نفي للإيمان ، ونفي الإيمان تارة يراد به نفي الكمال الواجب ، وتارة يراد به نفي الوجود ، أي : نفي الأصل .

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد ٣٣٨/٨

والمنفي في هذا الحديث هو كمال الإيمان الواجب ، إلا إذا خلا القلب من محبة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إطلاقاً ، فلا شك أن هذا نفي لأصل الإيمان .

قوله : " من ولده " . يشمل الذكر والأنثى ، وبدأ بمحبة الولد ، لأن **تعلق القلب** به أشد من تعلقه بأبيه غالباً .". [١]

١٧٧-"ص -٨٦- ... فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه على النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلي في المقبرة.

الثامنة: تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه صلى الله عليه وسلم في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

[التعليق:]

باب: ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب، رأى نصوصا كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوي التوحيد وينميه ويغذيه، من الحث على الإنابة إلى الله وانحصار **تعلق القلب** بالله رغبة ورهبة، وقوة الطمع في فضله وإحسانه والسعي لتحصيل ذلك، وإلى التحرر من رق المخلوقين وعدم التعلق بهم بوجه من الوجوه، أو الغلو في أحد منهم، والقيام التام بالأعمال الظاهرة والباطنة، وتكميلها وخصوصا حث النصوص على روح العبودية وهو الإخلاص التام لله وحده.

ثم في مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين، ونهى عن التشبه بالمشركين؛ لأنه يدعو إلى الميل إليهم.". (٢)

١٧٨-"ص -١٠٨- ... [التعليق:]

باب: ما جاء في التنجيم

التنجيم نوعان:

نوع يسمى علم التأثير: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية، فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله في علم

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد ٢٥/١١

(٢) موسوعة توحيد رب العبيد ٩٥/١٢

الغيب الذي انفرد به، أو تصديق لمن ادعى ذلك، وهذا ينافي التوحيد لما فيه من هذه الدعوى الباطلة، ولما فيه من **تعلق القلب** بغير الله، ولما فيه من فساد العقل لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان.

النوع الثاني: علم التسيير: وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات، فهذا النوع لا بأس به، بل كثير منه نافع قد حث عليه الشارع، إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات، أو إلى الاهتداء به في الجهات. فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه، وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني.". (١)

١٧٩-"ص -٣٩- ... قلوبهم بها جداً أكثر من تعلقهم بالطب ونحوه، فالعرب في الجاهلية -وهكذا هو حال أكثر الناس- لهم تعلق بالرقية، فالقلب يتعلق بالراقي، ويتعلق بالرقية؛ وهذا ينافي كمال التوكل على الله -جل جلاله-. وأما ما جاء في بعض الروايات أنهم:"الذين لا يرقون" فهذا غلط؛ وهو لفظ شاذ؛ لأن الراقي محسن على غيره، والصواب ما جاء في هذه الرواية من أنهم: "الذين لا يسترقون" يعني: الذين لا يطلبون الرقية؛ وذلك لأن طالب الرقية يكون في قلبه ميل إلى هذا الذي رقاه وإلى الرقية، ونوع توكل، أو نوع استرواح لهذا الذي يرقى أو للرقية.

ثم قال: "ولا يكتوون": والكي مكروه في أصله؛ لأن فيه تعذيباً بالنار، مع أنه مأذون به شرعاً، لكن فيه كراهة. والعرب تعتقد أن الكي يحدث المقصود دائماً؛ فلهذا تتعلق قلوبهم بالكي، فصار **تعلق القلب** بهذا الكي من جهة أنه سبب يؤثر دائماً، ومعلوم أن الكي يؤثر -بإذن الله جل وعلا-: إذا اجتمعت الأسباب، وانتفت الموانع. فالنفي لأجل أن في الكي بخصوصه ما يتعلق الناس به من أجله.

ثم قال: "ولا يتطيرون": والطيرة شيء يعرض على القلب من جراء شيء يحدث أمامه، فيجعله يقدم على أمر، أو يحجم عنه، وهذه صفة من لم يكن التوكل في قلبه عظيماً.

ثم قال بعدها: "وعلى ربهم يتوكلون": وهي جامعة للصفات السابقة. وهذه الصفات ليس المقصود منها أن الذين حققوا التوحيد لا يباشرون الأسباب، كما فهمه بعضهم، وأن الكمال ألا يباشر سبباً البتة، أو ألا يتداوى". (٢)

١٨٠-"ص -٤٠- ... البتة! وهذا غلط؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- رقي،(١) ولأنه -عليه الصلاة والسلام- تداوى، وأمر بالتداوي،(٢) وأمر أيضا بعض الصحابة بأن يكتوي،(٣) ونحو ذلك، فليس في الحديث أن أولئك لا يباشرون الأسباب مطلقاً، أو لا يباشرون أسباب الدواء، وإنما فيه ذكر لهذه الثلاث بخصوصها؛ لأنه يكثر **تعلق القلب** والتفاته إلى الراقي، أو إلى الكي، أو الكاوي، أو إلى التطير، ففيها إنقاص من مقام التوكل. أما التداوي فهو مشروع، وهو إما واجب، أو مستحب، وقد يكون في بعض الأحوال مباحاً، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "تداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام"(٤) فالمقصود من هذا أن التداوي ليس خارماً لتحقيق التوحيد، ولكن الذي هو من صفة أهل تحقيق

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد ١٢٢/١٢

(٢) موسوعة توحيد رب العبيد ٤٤/١٦

التوحيد أنهم لا يسترقون بخصوص الرقية، ولا يكتوون بخصوص الكي، ولا يتطيرون، وأما ما عدا ذلك مما أذن به، فلا يدخل فيما يختص به أهل تحقيق التوحيد.

والأظهر –عندي– أن قوله في هذا الحديث: "لا يسترقون ولا يكتوون، ولا يتطيرون" أنه مخصوص بهذه الثلاثة.

قال: (فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "أنت منهم" ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "سبقك بها عكاشة" هذا فيه دليل على

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٦) والترمذي (٩٧٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٧٨/٤) والترمذي (٢٠٣٩)

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٨٠) و(٥٦٨١).

(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤) والترمذي (٢٠٤٥).". [١]

١٨١-"ص -٣٤٠- ... "ولا طيرة" مؤثرة أصلاً، وإنما ذلك راجع إلى قضاء الله وقدره.

قوله: "ويعجبني الفأل" قالوا: وما الفأل؟ قال: "الكلمة الطيبة".(١). كان عليه الصلاة والسلام يحب الفأل وفسره بأنه الكلمة الطيبة؛ لأن الكلمة الطيبة إذا سمعها فتفاءل بها، وأنه سيحصل له كذا وكذا من الخيرات، يكون من باب حُسن الظن بالله –جل وعلا– فالفأل حسن ظن بالله، والتشاؤم سوء ظن بالله –جل وعلا– ولهذا كان الفأل ممدوحاً ومحموداً، والشؤم مذموماً.

ومعلوم أن العبد مأمور بأن يحسن الظن بالرب –جل وعلا– ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يتفاءل، وكل ذلك من تعظيم الله –جل وعلا– وحسن الظن به **وتعلق القلب** به، وأنه لا يفعل للعبد إلا ما أصلح له.

" ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذُكرت الطيرة عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: "أحسنها الفأل" الطيرة: يعني: التأثر بالكلمة؛ لأننا ذكرنا أن الطيرة عامة تشمل الأقوال والأعمال التي تحصل أمام العبد، فإذا كان ثَمَّ تطير فإن أحسنه الفأل، يعني: أن يقع في قلبه أنه سيحصل له كذا وكذا من جراء كلمة سمعها، أو من جراء فعل حصل له. وأحسنُ ذلك الفأل وغيره مذموم، وإنما كان الفأل محموداً وممدوحاً ومأذوناً به، لما ذكرنا من أنه إذا تطير متفائلاً فإنه محسن الظن بالله –جل وعلا– لأن التفاؤل يشرح الصدر، ويؤنس العبد، ويهذب الضيق الذي يوحيه الشيطان ويسببه في قلب

---

(١) أخرجه البخاري (٥٧٧٦) وسلم (٢٢٢٤)". [٢]

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد ٤٥/١٦

(٢) موسوعة توحيد رب العبيد ٢٧٠/١٦

١٨٢-"ص -٥٩٧- ... أسئلة وفوائد

سؤال: ما حكم من يضع آية الكرسي في السيارة، أو يضع مجسماً فيه أدعية، كأدعية ركوب السيارة، أو أدعية السفر وغيرها من الأدعية؟.

الجواب: إن هذا فيه تفصيل، فإذا كان وضع هذه الأشياء ليحفظها، ويتذكر قراءتها، فهذا جائز، كمن يضع المصحف أمام السيارة، أو يضعه معه، فإذا صارت عند فرصة هو، أو من معه أن يقرأ فيه قرأ، فهذا جائز، لا بأس به، لكن عن علقها لأجل أن تدفع عنه الآفات، فهذا يدخل في مسألة حكم تعليق التمائم من القرآن، وقد عرفنا أن ذلك لا يجوز على الصحيح، بل يحرم.

سؤال: ما حكم من يوصي أحداً بالبحث عن راقٍ يرقي له دون أن يطلب الرقية من الراقي بنفسه، هل يدخل في الذين يسترقون؟.

الجواب: إن قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في وصف السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب أنهم: "هم الذين لا يسترقون"(١) معناه: لا يطلبون الرقية، وفهم جواب السؤال يتبع فهم التعليل، ذلك أن أولئك كانوا لا يسترقون، يعني لا يطلبون الرقية، لأجل ما قام في قلوبهم من الاستغناء بالله، وعدم الحاجة إلى الخلق، ولم تتعلق قلوبهم بالخلق في رفع ما حلّ بهم، وكما ذكرت لك فإن مدار العلة على **تعلق القلب** بالراقي، أو بالرقية في رفع ما بالمرقي من أذى، أو في دفع ما قد يتوقع من السوء، وعليه فيكون الحالان

---

(١) تقدم.". (١)

١٨٣-"ص -٦٢٧- ... الأسفل من النار"(١) فقوله عليه الصلاة والسلام: "لولا أنا" هذا فيه ذكرٌ لعمله -عليه الصلاة والسلام- وافترق عن قول القائل: لولا فلان لحصل كذا من جهتين.

الجهة الأولى: أن ذلك القائل هو الذي حصل له النعمة، أو اندفعت عنه النقمة، والنبي -صلى الله عليه وسلم- هنا يخبر عن صنيعه بعمه، وأن عمَّه اندفعت عنه بعض النقمة، فذلك النهي في المتحدث الذي تعلق قلبه بالذي نفعه أو دفعه عنه الضر، وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لولا أنا" فهو إخبار عن نفعه لغيره، فليس فيه **تعلق القلب** في اندفاع النقمة، أو حصول النعمة بغير الله -جل وعلا- هذا وجه، فتكون العلة التي من أجلها نُهي عن قول: لولا كذا لما فيها من نسبة النعمة إلى غير الله من جهة **تعلق القلب** بذلك الذي حصّل له النعمة، وهذا غير وارد في قول النبي عليه الصلاة والسلام: "لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار" لأنه عليه الصلاة والسلام ليس هو الذي حصلت له النعمة، وإنما هو مخبِر عن فعله لعمه.

الوجه الثاني في ذلك: أن النبي عليه الصلاة والسلام قد بيَّن أن نفعه لعمّه من جهة الشفاعة، فهو يشفع لعمه حتى يكون

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد ٢٥/١٧

في ضحضاح من نار، فقوله: "لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار" يعني: لولا شفاعتي.
ومعلوم بنصوص الشرع أنه عليه الصلاة والسلام يُكرم بالشفاعة، ويُعطى الشفاعة، فهو سائل، وهو سبب من الأسباب، والمتقضل حقيقة هو الله جل وعلا،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٥(و(٦٥٦٤) ومسلم (٣٦٠).". [١]

١-"لك، وإنما يعنون بالإله ما يعني المشركون في زماننا بلفظ السيد (١). فأتاهم النبي – صلى الله عليه وسلم – يدعوهم إلى كلمة التوحيد وهي (لا إله إلا الله) والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها، [الكفار الجُهَّال يعلمون أن مُراد النبي – صلى الله عليه وسلم – بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق به (٢) والكفر بما يعبدُ من دون الله والبراءة منه، فإنه لما قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن هذا لشيء عُجاب؟﴾.]
[فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك،] فالعجب ممن يدَّعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك (٣) هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني، والحاذق منهم يظن أن معناها لا يخلق ولا يرزق إلا الله (٤)، فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا

---

(١) مراده بالسيد ما يعتقده الجهال في بعض الأشخاص الدجالين والمشعوذين الذي يلبسون على العوام بأنهم أهل كرامات وتصرف في الأمور وأنه ينبغي الالتجاء إليهم ودعاؤهم والتوسل بهم إلى الله، فالعامة يسمون هذا الدجال سيداً وهذا معروف معلوم وهذا مراد الشيخ رحمه الله.
(٢) أي **تعلق القلب** به سبحانه فلا يرجى أحد سواه ولا يدعى غيره ولا تطلب الحوائج إلا منه ولا يستعان إلا به.
(٣) أي يظن تفسيرها والمراد منها هو مجرد النطق بها وهذا ظن فاسد، بل المراد منها إفراد الله بالتعلق آخر ما بينه المصنف رحمه الله من مراد النبي بهذه الكلمة.
(٤) وأقول ما أكثر هذا الصنف ـ لا كثرهم الله ـ ظنوا أن معنى هذه الكلمة والمراد منها، هو توحيد الربوبية فلهذا جهلوا توحيد العبادة وصرفوه لغير الله فطلبوه من الأموات والغائبين وسألوهم مالا يقدر عليه إلا الله وهذا هو الشرك الأكبر وإن سموه توسلاً تدليساً وتلبيساً.". [٢]

---

(١) موسوعة توحيد رب العبيد ٥٥/١٧
(٢) الإبطال والرفض لعدوان من تجرأ على كشف الشبهات بالنقض ص/١٧٤

٢-"تلتصق بالجدار، حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به (١).

قال الشيخ محمد بن إبراهيم مفتى الديار السعودية سابقاً: «قال ابن الأثير في (النهاية في غريب الحديث): «يحققن الطريق»: هو أن يركبن حُقَّها وهو وَسَطُها»، ووجه الدلالة: أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – إذا منع الاختلاط في الطريق لأنه يؤدى إلى الافتتان، فكيف يقال بجواز الاختلاط في غير ذلك؟!»

الدليل الخامس: عن أبي سعيد الخُدْري – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – قال: «إن الدنيا حُلْوَةٌ خَضِرَة، وإن الله مُسْتَخلِفُكم فيها، لينظرَ كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أولَ فتنةِ بني إسرائيل كانت في النساء» رواه الإمام مسلم (٢٧٤٢).

قال الشيخ محمد إبراهيم: «ووجه الدلالة أن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – أمر باتقاء النساء، وهو يقتضي الوجوب، فكيف يحصل الامتثال مع الاختلاط؟ هذا لا يجوز».

الدليل السادس: قول رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –: «ما تركتُ بعدي فتنةً هي أضَرُّ على الرجال من النساء» (رواه الإمام مسلم: ٢٧٤١).

قال الشيخ محمد بن إبراهيم: «ووجه الدلالة: أنه وصفهن بأنهن فتنة فكيف يُجمع بين الفاتن والمفتون؟ هذا لا يجوز».

الدليل السابع: قول رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – «خيرُ صفوفِ الرجالِ أوَّلُها وشرُّها آخرُها وخيرُ صفوفِ النساءِ آخرُها وشرُّها أوَّلُها» رواه الإمام مسلم (٤٤٠).

قال الشيخ محمد بن إبراهيم: «ووجه الدلالة أن الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – شرع للنساء إذا أتَيْن إلى المسجد فإنهن ينفصلن عن الجماعة على حدة، ثم وصف أول صفوفهن بالشر، والمؤخر منهن بالخير، وما ذلك إلا لبُعد المتأخرات عن الرجال عن مخالطتهم ورؤيتهم **وتعلق القلب** بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم، وذمّ أول صفوفهن لحصول عكس ذلك، ووصف آخر صفوف الرجال بالشر إذا كان معهم نساء في المسجد؛

---

(١) رواه الإمام أبو داود ٥٢٧٢ وحسنه الشيخ الألباني.". [1]

٣-"- حكم الرضا بالقضاء:

يقول القرافيّ: اعلم أنّ السخط بالقضاء حرام إجماعاً والرّضا بالقضاء واجب إجماعاً بخلاف المقضيّ به، فعلى هذا إذا ابتلي الإنسان بمرض فتألم من المرض بمقتضى طبعه فهذا ليس عدم رضا بالقضاء بل عدم رضا بالمقضيّ ونحن لم نؤمر بأن تطيب لنا البلايا والرزايا ومؤلمات الحوادث، ولم ترد الشريعة بتكليف أحد بما ليس في طبعه، ولم يؤمر الأرمد باستطابة الرمد المؤلم ولا غيره من المرض، بل ذم الله قوماً لا يتألمون ولا يجدون للبأساء وقعاً فذمهم بقوله تعالى: «وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ»، فمن لم يستكن ولم يذل للمؤلمات ويظهر الجزع منها ويسأل ربه إقالة العثرة منها فهو جبار

---

(١) الرد على اللمع ص/٢٥٩

عنيد بعيد عن طرق الخير، فالمقضيّ والمقدور أثر القضاء والقدر، فالواجب هو الرّضا بالقضاء فقط، أما المقضيّ فقد يكون الرّضا به واجباً كالإيمان بالله تعالى والواجبات إذا قدرها الله تعالى للإنسان، وقد يكون مندوباً في المندوبات وحراماً في المحرمات، ومباحاً في المباحات، وأما الرّضا بالقضاء فواجب على الإطلاق، وقد «حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لموت ولده إبراهيم ورمي السيّدة عائشة بما رميت به» إلى غير ذلك ؛ لأنّ هذا كله من المقضيّ، والأنبياء عليهم السلام طباعهم تتألم وتتوجع من المؤلمات وتسرّ بالمسرات، وإذا كان الرّضا بالمقضيّ به غير حاصل في طبائع الأنبياء فغيرهم بطريق الأولى ... انتهى.

"التوكل على الله"

– التوكل هو: صدق الاعتماد على الله عز وجل في جلب المنافع الدينية والدنيوية
ودفع المضار الدينية والدنيوية مع فعل الأسباب الشرعية والطبيعية المأمور تعاطيها.
والتوكل نصف الدين والنصف الثاني الإنابة فإن الدين استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة ، والتوكل أعم من الاستعانة فالاستعانة هي
الاعتماد على الله فيما يقدر عليه العبد والتوكل هو الاعتماد على الله فيما يقدر عليه العبد ومالا يقدر عليه من جلب منفعة ودفع مضرة ، فالتوكل يكون في جلب المنافع ودفع المضار والاستعانة تكون على العبادة.
– حُسن الظن بالله يدعو إلى التوكل على الله والتوكل على الله لابد فيه من حُسن
الظن بالله والتوكل على الله هو تفويض قبل وقوع المقدور ورضاً بعد وقوع المقدور ومن فعل ذلك فقد قام بالعبودية.
– التوكل هو الثقة بحسن اختيار الله وقضاءه وقدره والرضا بمشيئته ، والمؤمن
يتوكل على ربه لعلمه بتمام كفايته وكمال قدرته وعميم إحسانه.
– التوكل هو بذل كافة الوسع في الأسباب لأمر الله بذلك مع **تعلق القلب** بمسبب". [١]

٤–"شرك في التوحيد، ومحو الأسباب بالكلية قدح في الشرع، بل العبد يجب أن يكون توكله ودعاؤه وسؤاله ورغبته إلى الله سبحانه وتعالى، والله يقدر له من الأسباب من دعاء الخلق وغير ذلك ما يشاء. ا. هـ

وقال أيضاً: وقال أحمد للميموني: استغن عن الناس، فلم أر مثل الغني عن الناس، وقال رجل للفضيل بن عياض –رحمه الله– لو أن رجلاً قعد في بيته وزعم أنه يثق بالله فيأتيه برزقه، قال: إذا وثق به حتى يعلم أنه وثق به لم يمنعه شيئاً أراده، ولكن لم يفعل هذا الأنبياء ولا غيرهم، وقد الله تعالى: وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ (الجمعة: من الآية١٠، ولا بد من طلب المعيشة. ا. هـ

وقال ابن العربي في أحكام القرآن، عند تفسير قوله تعالى: وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك. قال: فيها

(١) شفاء الضرر بفهم التوكل والقضاء والقدر ص/٣١

جواز التعلق بالأسباب، وإن كان اليقين حاصلاً، لأن الأمور بيد مسببها، ولكنه جعلها سلسلة، وركب بعضها على بعض، فتحريكها سنة، والتعويل على المنتهى يعني القدر يقين، والذي يدلك على جواز ذلك نسبة ما جرى من النسيان إلى الشيطان، كما جرى لموسى صلى الله عليه وسلم في لقاء الخضر، وهذا بين فتأمله. ا. هـ. والمقصود أن **تعلق القلب** بالله تعالى لا يتعارض مع تعلق البدن بالأسباب ، وأن حقيقة التوكل هي عمل القلب وعلمه، فعمل القلب الاعتماد على الله عز وجل والثقة به، وعلمه معرفته بتوحيد الله سبحانه بالنفع والضر.

وعمل القلب لا بد أن يؤثر في عمل الجوارح والذي هو الأخذ بالأسباب، فمن ترك العمل -أي الأخذ بالأسباب-فهو العاجز المتواكل الذي يستحق من العقلاء التوبيخ والتهجين، ولم يأمر الله بالتوكل إلا بعد التحرز والأخذ بالأسباب، قال الله تعالى: وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ ﴿آل عمران:١٥٩﴾، وقد قال عليه الصلاة والسلام للذي سأله: يا رسول الله أعقلها -أي الناقة- وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟! قال: اعقلها وتوكل. رواه الترمذي وحسنه الألباني.

فمن كان توكله صحيحاً أخذ بالأسباب.

أما حكم الأخذ بالأسباب على التعيين فهو يختلف باختلاف المسبب المطلوب إيجاده، فقد يكون الأخذ بالأسباب واجباً، وذلك إذا كان فعله لتحصيل واجب، كتحصيل أسباب الواجبات الشرعية كالعلم بأحكام الصلاة والصيام ونحوهما من الواجبات، وقد يكون الأخذ بالأسباب حراماً، وذلك إذا كان السبب المطلوب فعله يؤدي إلى حرام، كالأسباب المفضية إلى الزنا وشرب الخمر ونحوهما، وهكذا يكون الأخذ بالأسباب مكروها ومستحباً بحسب ما يفضي إليه، وبهذا يُعلم أن الأخذ بالأسباب مُختلف المراتب من جهة الحكم، وأنه لا يتنافى مع الإيمان بالقدر ولا التوكل ولا الثقة في الله تعالى.". [(١)]

٥-"هو المداوي صبيغا من ضلالته ... بضرب عرجونة وهو الذي سجنه

قلنا لهم بحديث المصطفى اعتصموا ... فعصمة المرء بالقرآن إن قرنه

لكنهم أعرضوا عن قولنا عجبا ... يستحسنون بأهواء لهم عفنه

كم من حقائق عن أحوالهم ظهرت ... إن رمت تعرفها سل أنفسا فطنه

فقد كشفنا معاني فعلهم ولذا ... **تعلق القلب** بالمأثور واحتضنه

النفس جامحة مثل الحصان فإن ... تتركه يهلك لذا أحكم له رسنه

ما الابتداع سوى أهواء صاحبها فكل مبتدع لا بد متبع ... لأنه مظهر ما النفس مختزنه

وديننا آية أو سنة أبدا ... لها فما خرجت عن كونها وثنه

فذاك موطننا لانرتضي بدلا ... دوما على مثل هذا الروح مؤتمنه

فيه الأمان فهلا كنت زائره ... وإن رأى غيرنا في غيره وطنه

لا تحتقر أهل من دانوا بمنهجنا ... حتى تسائل عما فيه من سكنه

---

(١) شفاء الضرر بفهم التوكل والقضاء والقدر ص/٤٢

في الله حدتهم هذي مزيتهم ... حتى وإن خرجت ألفاظهم خشنه

فالحق غايتهم والصدق رايتهم ... عند التعدي أتبقى النفس متزنه؟

الشرع بالنص لا بالقول تعرفه ... ماذا يروم الفتى بعد الذي أمنه

كم باطل فيه ألفاظ منمقة ... فلن يكون لأقوال الرجال زنه

وكم طوائف هلكى في ضلالتها ... وكم خبيث يرى في عصبة لسنه

فالمحدثات كموج فيه ملتطم ... هذا الزمان عصيب فاجتنب فتنه

أمواجه بالهوى لا بالهوا اضطربت ... يا ويل خائضه هلا درى جننه

فيها الهلاك بغير المصطفى ونجا ... من كان متخذا آثاره سفنه". (١)

٦-"المبحث الرابع: منزلة توحيد الربوبية

إذا أقر العبد بانفراد الرب تبارك وتعالى بالخالق والحكم، وشهد بذلك، فإن ذلك يقوده إلى تحقيق توحيد الإلهية، فإن الأمرين متلازمان، فمن أقر لله بالربوبية لزمه أن يقر له بالإلهية: (فإن أول ما **يتعلق القلب** يتعلق بتوحيد الربوبية، ثم يرتقي إلى توحيد الإلهية، كما يدعو الله سبحانه عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر، ويحتج عليهم به، ويقررهم به، ثم يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية) (١).

وبيان ذلك أن من أثبت لله خصائص الربوبية .... من الخلق، والإحياء، والإماتة، والنفع، والضر، والإسعاد، والإشقاء – استسلم لله تعالى في كل شيء، فيعلم أن ما أصابه فمن الله ولم يكن ليخطئه، وأنه إذا دخل الجنة فبتوفيق الله وفضله، وإذا دخل النار فبحكمته وعدله، وكل ذلك قدره الله تعالى، فإذا علم ذلك، لجأ إلى خالقه ليستعين به في جلب المنافع ودفع المضار، وليستهديه الصراط المستقيم، فيورث ذلك محبة عظيمة في قلب العبد لربه تعالى، فيقدم محاب ربه على كل شيء، ويورثه ذلك الخوف من الله وتعظيمه وتوقيره: (فهذه علامة توحيد الإلهية في هذا القلب، والباب الذي دخل إليه منه: توحيد الربوبية، أي: باب توحيد الإلهية: هو توحيد الربوبية) (٢).

وبهذا التقديم تظهر أهمية الإقرار بالربوبية لله تعالى، وهذه المعرفة فطرية في قلوب بني آدم ..... إلا أن أكثر الناس الذين وقعوا في الشرك إنما وقعوا فيه لإتيانهم بما يناقض توحيد الإلهية، لذلك جاءتهم الرسل بالدعوة إلى هذا النوع من التوحيد – أعني توحيد الإلهية – وإذا أقر الإنسان لله بالربوبية ولم يوحده في عبوديته ما نفعه إقراره هذا – لذلك يقول الله جل وعلا: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ [يوسف: ١٠٦]، قال مجاهد رحمه الله في تفسير هذه الآية: (إيمانهم قولهم: الله خالقنا، ويرزقنا، ويميتنا، فهذا إيمان، مع شرك عبادتهم غيره). اهـ منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى لخالد بن عبد اللطيف -بتصرف – ١/ ٢٤٢

---

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية ١٤٦/١٠

(١) ((مدارج السالكين)) (١/ ٤١٣).

(٢) ((مدارج السالكين)) (١/ ٤١٣).". [١]

٧-"فأما الشرط الأول وهو: معرفة المعبود سبحانه وتعالى فهو واضح جداً، فإنه حتى يتحقق الذل والخضوع للمعبود فإنه يشترط أن تتحقق معرفته، والسبيل إلى ذلك هو العلم بما للمعبود سبحانه من الأسماء والصفات ومعاني الربوبية فإنه (لا تكون العبادة إلا مع المعرفة للمعبود) (١).

وأما الشرط الثاني: وهو معرفة دينه – فإنه واضح في البيان المتقدم في شرط المحبة – فإن شرطها هو متابعة أوامر المعبود واجتناب نواهيه، وأوامره ونواهيه هي دينه الذي أنزله، ولا يمكن أن تتحقق المتابعة لدينه إلا بعد معرفته، ولذلك كانت معرفة دين الله شرطاً في التعبد. وقد بين ابن القيم مراتب العلم بالله وبدينه بقوله: (فأما العلم به سبحانه فخمس مراتب: العلم بذاته، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتنزيهه عما لا يليق به. والعلم بدينه مرتبتان: إحداهما: دينه الأمري الشرعي وهو الصراط المستقيم الموصل إليه، والثانية: دينه الجزائي المتضمن ثوابه وعقابه، وقد دخل في هذا العلم: العلم بملائكته وكتبه ورسله) (٢) اهـ. منهج أهل السنة والجماعة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله تعالى لخالد عبد اللطيف– ١/ ٦٥

العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له فإن آخر مراتب الحب هو التتيم وأوله العلاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم الصبابة لانصباب القلب إليه ثم الغرام وهو الحب اللازم للقلب ثم العشق وآخرها التتيم يقال تيم الله أي عبد الله فالمتيم المعبد لمحبوبه ومن خضع لإنسان مع بعضه له لا يكون عابدا له ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له كما قد يحب ولده وصديقه ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله وكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة وما عظم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلا قال الله تعالى: قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره [التوبة:٢٤] فجنس المحبة تكون لله ورسوله كالطاعة فإن الطاعة لله ورسوله والإرضاء لله ورسوله والله ورسوله أحق أن يرضوه والإيتاء لله ورسوله وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ [التوبة: ٥٩] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – ١٠/ ١٥٣

والعبودية مدارها على قاعدتين هما أصلها: حب كامل وذل تام ومنشأ هذين الأصلين .... هما مشاهدة المنة التي تورث المحبة ومطالعة عيب النفس والعمل التي تورث الذل التام وإذا كان العبد قد بنى سلوكه إلى الله تعالى على هذين الأصلين لم يظفر عدوه به إلا على غرة وغيلة وما أسرع ما ينعشه الله عز وجل ويجبره ويتداركه برحمته الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب لمحمد بن أبي بكرابن قيم الجوزية – ص١١

ولابد في عبادته من أصلين أحدهما: إخلاص الدين له، والثاني: موافقة أمره الذي بعث به رسله ولهذا كان عمر بن الخطاب

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية ١٧١/١

رضي الله عنه يقول في دعائه: اللهم اجعل عملي كله صالحا واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحدٍ فيه شيئاً وقال الفضيل بن عياض: في قوله تعالى: لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا [هود:٧] قال: أخلصه وأصوبه قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه قال: إذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صوابا والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية – ١/ ٣٣٣

ومن لا إخلاص له ولا متابعة فليس عمله موافقا للشرع: وليس هو خالصا للمعبود كأعمال المتزينين للناس المرائين لهم بما لم يشرعه الله ورسوله وهؤلاء شرار الخلق وأمقتهم إلى الله عز وجل ولهم أوفر نصيب من قوله: لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ [آل عمران:١٨٨] يفرحون بما أتوا من البدعة والضلالة والشرك ويحبون أن يحمدوا باتباع السنة والإخلاص وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف من المنتسبين إلى العلم والفقر والعبادة عن الصراط المستقيم فإنهم يرتكبون البدع والضلالات والرياء والسمعة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوه من الاتباع والإخلاص والعلم فهم أهل الغضب والضلال مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية – ١/ ٨٤

---

(١) ((الفروق في اللغة)) لأبي هلال العسكري (ص: ٢١٥).

(٢) ((مدارج السالكين)) (١/ ١٢٨)." (١)

٨-"قال شيخ الإسلام بعد أن نقل الخلاف في ذلك ((وحقيقة المسألة: أن المعرفة منها ما يحصل بالعقل، ومنها ما لا يعرف إلا بالشرع، فالإقرار الفطري: كالإقرار الذي أخبر الله به عن الكفار، قد يحصل بالعقل كقوله تعالى: وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ [لقمان: ٢٥].

وأما ما في القلوب من الإيمان المشار إليه في قوله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ [الشورى: ٥٢] فلا يحصل إلا بالوحي ..)) (١).

الوجه الخامس:

إن أعمال القلوب كالمحبة والخشية والخشوع والذل والإنابة والتوكل والحياة والرغبة والرهبة والخوف والرجاء وغيرها. يتفاضل الناس فيها تفاضلاً عظيماً. وهي جميعها من أعمال الإيمان كما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفاق سلف هذه الأمة.

فالمحبة مثلاً الناس متفاوتون فيها، ما بين أفضل الخلق محمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام وهما خليلا الله وأشد الناس محبة له، إلى أدنى الناس درجة في الإيمان كمن في قلبه مثقال ذرة من إيمان، وبين هذين الحدين من الدرجات ما يحصيه إلا

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية ٣٠٥/١

رب الأرض والسماوات، فإنه ليس في أجناس المخلوقات ما يتفاضل بعضه على البعض كبني آدم.
بل إن التفاضل في المحبة يعلمه كل إنسان من نفسه بحسب الحب الذي قام في قلبه لأي محبوب كان، سواء كان حباً لولده أو لامرأته أو لرياسته أو لصديقه أو غير ذلك، فإن حبه لهذه الأشياء على درجات، فالحب أوله علاقة **لتعلق القلب** بالمحبوب، ثم صبابة لانصباب القلب نحوه، ثم غرام للزومه القلب كما يلزم الغريم غريمه، إلى غير ذلك من درجات الحب وهذا أمر يجده الإنسان في نفسه فإنه قد يكون الشيء الواحد يحبه تارة أكثر مما يحبه تارة، فإذا علم تفاضل الناس في حب هذه الأشياء من محبوباتهم، فتفاضلهم في حب الله أعظم.

وقد دل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على تفاضل الناس فيه قال تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ [البقرة: ١٦٥].

وقال تعالى: قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ [التوبة: ٢٤].

فهاتان الآيتان فيهما دلالة على تفاضل الناس في المحبة، ففي قوله أَشَدُّ حُبًّا في الآية الأولى وقوله: أَحَبَّ في الآية الثانية أعظم دلالة على ذلك، لاستخدام أفعل التفضيل فيهما الدال صراحة على التفاضل.

وفي الصحيحين: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)) (٢).

---

(١) ((درء التعارض)) (٧/ ٤٥٨).

(٢) رواه البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣) من حديث أنس رضي الله عنه.". [١]

٩-"إثبات صفة المغفرة والمودة

قال رحمه الله: [وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج:١٤]]، فالغفور اسم لله عز وجل يتضمن صفة المغفرة، والمغفرة تدل على الرحمة وتدل على المحبة أيضاً، والودود يدل على صفة الود، والود من صفات الله سبحانه وتعالى، والود بمعنى المحبة.
ولهذا سمى السلف نفاة الصفات: غلاظ الأكباد؛ لأنهم ينفون صفة المحبة، فيقولون: إن الله عز وجل لا يحب ولا يحب، ويقولون: إن المحبة هي الإرادة، فيردون المحبة والصفات الاختيارية إلى الإرادة، فمثلاً: المحبة والغضب والرضا يقولون: هي إرادة الإحسان أو إرادة الانتقام، لكن المحبة كصفة لا يثبتونها لله سبحانه وتعالى، ويقولون: إنه لا يحب ولا يحَب، ويقولون:

---

(١) الموسوعة العقدية - الدرر السنية ٤٣/٦

إن المحبة لا تتعلق به، فالمحبة هي **تعلق القلب**، ولا يصح أن تتعلق بالإله الخالق، فإن المحبة بمعنى الخضوع والتعبد.

وهذا فهم فاسد لأمرين: فهم فاسد للأسماء والصفات، وفهم فاسد للتأله والتعبد، فهم يفسرون الألوهية بمعنى الربوبية وينفون الصفات عن الله عز وجل، ولهذا كما يقول ابن القيم رحمه الله: إنهم أغلقوا منافذ التعلق بالله سبحانه وتعالى من جهة محبة العبد لربه، ومن جهة محبة الرب لعبده سبحانه وتعالى، مع أن هذه القضية صريحة في كتاب الله، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]، فأولوها بسبب الأصول العقلية التي سبق أن أشرنا إليها في دروس سابقة.". (١)

١٠-"حكم صرف العبادة لغير الله

العبادة مرتبطة بأصل الدين، وصرف العبادة لغير الله عز وجل يعتبر شركاً أكبر، فكون العبادة المرتبطة بأصل الدين والتي يعتبر صرفها لغير الله عز وجل شركاً أكبر ليست هي مطلق الطاعة، وإنما الطاعة التي تنبثق من كمال المحبة والتذلل.

فمن خضع لإنسان مع عدم حبه له لا يكون عابداً له، فالعبودية تتكون من شقين، غاية الحب مع غاية الذل والانقياد، قد يحصل ذل وانقياد، لكن مع بغض ومقت وكراهية، كشخص يكره الضابط في الدين كراهية شديدة، لكنه يطيعه وينقاد لأوامره هذا لا يسمى عبودية؛ لأنه فقد أحد الركنين، وجدت الطاعة والانقياد، لكن مع البغض والمقت والكره، فليست هذه عبودية، والعكس: قد يدعي إنسان محبة إنسان، أو يدعي محبة الله مثلاً أو محبة رسوله عليه الصلاة والسلام، ثم لا يخضع ولا ينقاد لحكمه، فهذا أيضاً ينافي العبودية.

فالعبودية كمال الحب مع كمال الذل والطاعة والانقياد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: قال بعض المفسرين: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، يعني: والذين آمنوا في حبهم لله أشد حباً لله من حب أصحاب الأنداد لأندادهم، أما القول الثاني فهو: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]، من المشركين بالأنداد لله، فإن محبة المؤمنين خالصة، يعني: أن المشركين قد يحبون الله عز وجل، لكنها محبة فيها شرك، أما المؤمنون فإنهم يمحضون ويخلصون حبهم لله ويجردونه؛ فإن محبة المؤمنين خالصة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت الأنداد بقسط منها، والمحبة الخالصة أشد من التي فيها شرك.

مقصود الكلام: أن المحبة الشركية هي المحبة مع الله، لما تتضمنه من التأله لغير الله، والتعلق به، والرغبة إليه، وإنما كانت شركاً لما يقع في قلوب أصحابها من التعلق لغير الله رغباً أو رهباً، بخلاف المحبة في الله كحب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والصالحين من عباد الله، فإنها من جنس الطاعة لله؛ لأنها تابعة لمحبته ولازمة له.

هل محبة رسول الله عليه الصلاة والسلام محبة مع الله؟! كلا.

هذه من توابع ولوازم محبة الله، فأنت تحب من يدلك على الله، وتحب من يسير على طريق الله، فهناك محبة في الله، ومحبة لله، وهناك محبة مع الله وهي المحبة الشركية.

فالطاعة الشركية هي التي تنبثق من هذا الحب الخاص: حب التأله والتنسك، وليس من مطلق الحب، وذلك عندما يكون

---

(١) دراسة موضوعية للحائية ولمعة الاعتقاد والواسطية ٦/١٠

النظر إلى ذاك المطاع -مع غض الطرف عن موضوع الطاعة- على أنه هو الآمر، فمهما أمر فإنه يطاع حكمه حتى لو أمر بحرام أو بغير ذلك، فما أثبته الكاتب من أن قبول التكليف من غير الله عز وجل، أو الطاعة في التشريع شرك أكبر مهما كان موضوع التكليف من حيث موافقة الشريعة أو مخالفتها يجب أن يقيد بما إذا كان منبثقاً عن الحب الخاص؛ حب التأله والتنسك لغير الله عز وجل.

فما دام الكاتب يريد أن يسبغ وصف الشرك على الطاعة باعتبار المصدر فقط -بغض النظر عن موضوع الطاعة- فلابد أن تقيد الطاعة بأنها الطاعة التي تستند إلى المحبة الشركية، فهذه هي الطاعة التي يصدق عليها وصف الشرك الأكبر، والتي تخرج صاحبها من الملة بلا تردد، لكن إذا اعتبرنا موضوع الطاعة فهنا تتسع الدائرة، ويقال: إن للطاعة الشركية مأخذين:

المأخذ الأول: باعتبار مصدرها.

المأخذ الثاني: باعتبار موضوعها.

فباعتبار مصدر الطاعة الشركية: من كانت طاعته لغير الله عز وجل مبنية على المحبة الشركية التي تتضمن **تعلق القلب** بغير الله رغباً ورهباً وحباً وتألهاً، أي: أن الحب الذي ينبغي أن يصرف لله وحده صرفه الشخص تماماً إلى غير الله عز وجل، فهذا قد أشرك شركاً أكبر بغض النظر عن موضوع الطاعة؛ لأنه نظر إلى عين وذات الآمر، وأعطاه هذا الحق نتيجة المحبة والرغبة والرهبة، فصرف هذه المحبة إلى غير الله بهذه الصورة، فصارت محبة شركية يطيع الآمر فيها، بغض النظر عما يؤمر به أو ينهى عنه، فهذا من جنس الذين يتخذون من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله؛ لأنه أثبت لغير الله ما لا يكون إلا لله، فصرف هذه المحبة التي لا ينبغي ولا تكون إلا لله إلى غير الله عز وجل، فانبثقت عنها الطاعة المطلقة، بغض النظر عما يؤمر به، فهذا باعتبار النظر إلى مصدر هذا التشريع.

المأخذ الثاني: باعتبار موضوع الطاعة: فمن كانت طاعته لغير الله عز وجل غير مبنية على المحبة الشركية، ولا على الإقرار لغير الله بالحق في التشريع المطلق؛ فقد تجاوزت الطاعة في هذه الحالة وصف الشرك باعتبار المصدر، وبقي أن ينظر إلى موضوع التكليف أو الطاعة؛ فطاعته ليست مبنية على المحبة الشركية التي ذكرناها في القسم الأول، وليست مبنية على أنه يقر لغير الله بحق التشريع المطلق، فحينئذ تتجاوز هذه الطاعة مسألة أصول الدين، وعقد الإسلام، ويبقى النظر في موضوع التكليف أو الطاعة، فإن كانت الطاعة في شرك فهو حينئذ يصبح مشركاً، وإن كانت الطاعة في معصية فهذا ذنب من الذنوب، فإذا تضمنت طاعته رد حكم الله أو انعكست بالخلل على أحد ركني أصل الدين: التصديق أو الانقياد كانت كفراً، وإن لم تكن كذلك تفاوت الحكم فيها باعتبار الموضوع حتى تصل إلى درجة المباح، إذا كانت طاعة في الأمور العادية التي سكتت عنها الشريعة وتركت أمر تنظيمها إلى العباد.". (١)

١١-"تصيحة لمن تعلق قلبه بامرأتين

Q شخص له زوجة يتقي الله فيها حق تقاته، ويزكي هذه الأخت، لكنه كان من قبل خاطباً امرأة أخرى، فهو ما زال

---

(١) سلسلة الإيمان والكفر - المقدم ١٨/٥

متعلقاً بها، فيسأل هل أطلق زوجتي وأعود إلى خطبة تلك المرأة مرة أخرى؟

A سبحان الله! هل هذا هو العلاج الوحيد، ليس العلاج الوحيد بهذه الصورة، مادامت الأخت نعمة من الله عز وجل عليك ومستقيمة فاصبر معها في الله، حتى يزيدك الله فتتزوج الاثنتين، والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: (لم ير للمتحابين مثل النكاح)، فأفضل علاج لتعلق القلب هو النكاح، ولا يخشى أي ضرر في ذلك، فإن الله تبارك وتعالى وعد الإنسان إذا كان فقيراً أنه سيغنيه، بل تكفل وضمن الله عز وجل كما جاء في الحديث: (ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح يريد العفاف) أي: حق على الله أن يعين الناكح الذي يقصد بذلك العفاف عما حرم الله تبارك وتعالى.

ويقول بعض السلف: التمسوا الغنى في النكاح.

فعلاج الفقر أن يتزوج، ليس كما يصور بعض الناس أنه يخاف من الفقر، يقول تبارك وتعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور:٣٢].". (١)

١٢-"الأول: التوكل على الله تعالى، وهو من تمام الإيمان وعلامات صدقه، وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به وسبق دليله. الاعتماد على الله جل وعلا لجلب خير أو دفع شر، يعني لا يعتمد إلا على الله جل وعلا فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، سواء كان في جلب خير أو دفع شر، نقول: هذا عبادة صرفها لغير الله جل وعلا يُعتبر شركًا أكبر. والشرك في التوكل كله شرك أكبر ليس فيه تفصيل، لا يقال شركٌ أصغر ولا شركٌ أكبر إلا اللهم من جهة اللفظ فقط، فقولهم: (توكلت على الله وعليك) دون أن يصاحبه معنى قلبي، نقول: هذا اللفظ شركٌ في الألفاظ يعتبر شركًا أصغر.

الثاني: توكل السّرّ. وهو التوكل على غير الله، حصل هنا التوكل وصُرف وتُوجِّهَ به لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا من جلب المنافع ودفع المضار، وهذا شركٌ أكبر، وهو المراد في الآية السابقة في المتن بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة مثلاً أو دفع مضرة فهذا شركُ أكبر لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفًا سريًّا في الكون، يسميها الصوفية قوة خفيّة، ولا فرق بأن يكون نبيًّا أو وليًّا أو طاغوتًا عدوًا لله تعالى.

إذًا إذا اعتمد وفوّض أمره إلى ميت من الأموات مطلقًا سواء كان فيما يقدر أو ما لا يقدر، حينئذٍ نقول: هذا شركٌ أكبر وليس فيه تفصيل بين الأكبر والأصغر بل كله أكبر.

الثالث: التوكل والاعتماد على الحيّ الحاضر فيما أَقْدَرَهُ الله عليه من رزق أو دفع أذى، حيّ حاضر ليس ميتًا وليس غائبًا، إنما هو حاضر ويقدر على ما اعتمد عليه ذلك المفوض أمره إليه من رزق أو دفع أذى مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه، مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش ونحوه، لأن المخلوق وإن كان له نوع قدرة فلا يُعتمد عليه ولو فيما أقدره الله عليه كالأسباب، فحينئذٍ إذا اعتمد على المخلوق وفُوِّضَ أمر للمتوكل عليه ولو كان فيما يقدر عليه ذلك المتوكل عليه نقول: هذا نوع من الشرك الأصغر. كالاعتماد على الأسباب هي بعينها ولو كان في جلب رزق ونحوه، لماذا؟ لقوة تعلق القلب به والاعتماد عليه، وهذه قاعدة عامة في الأسباب كلها (كل من اعتمد على سببٍ ما ولو كان مؤثرًا

---

(١) سلسلة الإيمان والكفر - المقدم ٢٠/٣٥

فالالتفات إليها والاعتماد عليها نقول: شرك أصغر، وقد يقع في قلبي وهذا بحسب حاله قد ي
كون شركًا أكبر. الاعتماد على الأسباب الأصل فيه أنه شرك أصغر قد يصاحبه نوع شعور باستقلالية فحينئذٍ قد يكون شركاً أكبر لكن الأصل فيه هو هذا.

أما لو اعتمد عليه على أنه سبب كبقية الأسباب وأن الله تعالى هو الذي قدَّر ذلك على يديه أو جعل ذلك سببًا مؤثرًا فإن ذلك لا بأس به إذا كان للمتوكل عليه أثر صحيح في حصول المراد، بل هذا مطلوب شرعًا، لأن التوكل دون أخذ بالأسباب نقول: هذا تواكل وليس بتوكل، هذا منهي عنه مذموم في الشرع، بل يفوض أمره إلى الله ويعتمد على الله بكل قلبه ويثق بأن ما شاء الله كان وما لم يشأه الله لم يكن، ومع ذلك يطرق باب الأسباب، ولا تنافي بين الأخذ بالأسباب على وجه الشرع دون اعتماد عليها والتفات بالقلب إليها مع تحقيق التوكل بل هذا من تمام التوكل أن يشرع في الأسباب ويأخذ بها.". (١)

١٣-"إذًا الذبح نقول كما قال الشيخ هنا: إزهاق الروح بإراقة الدم على وجهٍ مخصوص. إزهاق الروح بإراقة الدم يعني ذبح القربان من الضحايا والْهَدْيِ ونحو ذلك، على وجهٍ مخصوص يعني لا بد من شروط الذبح: التسمية، ونحو ذلك. ويقع على وجوه:

الأول: أن يقع عبادة لله، أن يتعبد لله جل وعلا بإزهاق الروح، ولذلك قال بعضهم: إراقة الدم لا يكون إلا **بتعلق القلب**، فهي عبادة لها جهتان: قلبية، وعملية. لماذا؟ لأنه لم يرق الدم إلا **بتعلق القلب** أولاً، تعلق قلبه فعَظَّمَ فأراد القربة فذبح، إذًا الذبح فرعٌ، وقد يقع الشرك في اعتقاد القلب وقد يقع في الفعل الظاهر.

فالذبح عبادة ظاهرة يتبعها عبادة باطنة قلبية، بأن يقصد به أي بالذبح، أو يقصد الذابح تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه، فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر. ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله تعالى.

الثاني - من إزهاق الروح بإراقة الدم: أن يقع إكرامًا للضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك. فهذا مأمور به إما على جهة الإيجاب وإما على جهة الاستحباب لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه». فهو مأمور به إما إيجابًا أو استحبابًا على خلاف. وقوله - صلى الله عليه وسلم - لعبد الرحمن بن عوف: «أولم ولو بشاة». هذا في العرس ولو شاة واحدة [يا سلام لو يكونوا عشرين، ويرون هذا قصور، على كلٍّ].

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به ونحو ذلك، فهذا من قسم المباح، والأصل فيه الإباحة لأنه من المنافع لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧١، ٧٢]. وهذا امتنان من الله علينا بالأكل من هذه الأنعام والله لا يَمْتَنّ إلا بما هو مباح، لا امتنان إلا بما هو مباح، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [البقرة: ٢٩] كل ما في الأرض امتن الله به علينا فدل على أنه مباح.

(١) شرح الأصول الثلاثة للحازمي ١٢/٧

إذًا نقول: الذبح عبادة لله عز وجل إن قُصِدَ بها تعظيم المذبوح له والتذلل له، هذه عبادة لا يجوز صرفها لغير الله، فإن ذبح لغير الله تذللاً وتعظيمًا كسلطان ونحوه نقول: هذا قد أشرك في هذه العبادة.

(وَدَلِيلُ النَّذْرِ). هذه العبادة الرابعة عشر، والنذر في اللغة: الإيجاب، أن توجب على نفسك ما ليس بواجب. واصطلاحًا عند الفقهاء: إلزام المكلَّف نفسه شيئًا ليس بواجب تعظيمًا للمنذور له وتقربًا. يعني تطوعًا من نفسه ابتداءً وقد يكون في المقابل وقد يكون ابتداءً، ولذلك نقول النذر نوعان:

- النذر قد يكون نذرًا مطلقًا.
- وقد يكون مقيدًا. [وكلاهما عبادة] (١) ليس كلاهما عبادة، المقيد لا.

النذر المطلق هذا غير مكروه، والنذر المقيد هذا مكروه.

---

(١) سبق مستدرك من الشيخ.". (١)

١٤-"ج: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ﴾ قلنا: هذا على الصحيح يشمل الكافر والمؤمن، فهو جنس، جنس الإنسان بقطع النظر عن كون مؤمنا أو كافر، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أخرجنا المؤمنين، فبقي الإنسان مختصًا بالكافر، فالكافر خاسر ولا محالة، والمؤمنون المتصفون بالصفات الأربعة ناجون، لأننا كما ذكرنا أن الإيمان والكفر نقيضان، ولا نقول: ضدان، نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، يعني لا يمكن أن يكون هذا مؤمن وهو كافر كفر أكبر في نفس الوقت، ما يجتمعان، عقيدة أهل السنة والجماعة يجتمع الإيمان والكفر لكنه كفر دون كفر، مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وككل كبيرة يصح أن يقال بأنها كفر دون كفر، لكن الإيمان الكامل أو أصل الإيمان مع الكفر الأكبر أو الشرك الأكبر لا يجتمعان أبدًا، وهل يمكن أن يكون الإنسان ليس بمؤمن ولا بكافر؟ لا، إذاً لا يجتمعان ولا يرتفعان، ولذلك ابن القيم يرى أن أعمال القلوب متلازمة إذا لم يوجد الإخلاص ولو لم يقصد الشرك قد وجد الشرك، لو لم توجد المحبة المتعلقة بالله عز وجل لزم من انتفاء محبة الله **تعلق القلب** بغير الله، ولو لم يكن قاصدًا لأن القلب من حيث الأعمال متلازمة من جهة الأضداد، فكل عمل أمر به القلب من حيث القبول ومن حيث الوجوب ومن حيث الاستحباب إن لم يوجد لا بد من وجود ضده، ولذلك إذا قيل بأن الإخلاص الواجب إذا نقص حينئذٍ إذا قلنا: وُجِدَ منه على سبيل التقريب وجد منه تسعون في المائة العشرة في المائة هذه لا يمكن أن تكون غير متعلقة بغير الله، لا بد أنها انصرفت إلى غير الله عز وجل، لأن هذا الفراغ لا يَسُدُّهُ إلا كمال الإخلاص لله عز وجل، فإذا نقص لا بد أن يتوجه القلب إلى غيره.

س: ما الفرق بين دلالة المطابقة ودلالة الالتزام؟

ج: ... المنطق.

س: ذكرت من يجب علينا تعلم المراد بالوجوب الوجوب العيني الذي يأثم الإنسان بتركه، فما الواجب علينا في المسألة الثالثة

---

(١) شرح الأصول الثلاثة للحازمي ١٩/١٢

والرابعة؟". (١)

١٥-"بيان أنواع الشرك وأصله

قال رحمه الله تعالى: [وقد بين في كتابه الشرك بالملائكة، والشرك بالأنبياء، والشرك بالكواكب، والشرك بالأصنام، وأصل الشرك الشرك بالشيطان].

ذكر المصنف هنا ستة أنواع من الشرك، وهذه الأنواع يندرج فيها جميع أنواع الشرك، فالنوع الأول وهو الأخير في كلام المؤلف، وهو أصل الشرك وأساسه ومنطلقه: الشرك بالشيطان، سواء بعبادته أو طاعته، وهذا هو أصل أنواع الشرك الأخرى: الشرك بالملائكة، والشرك بالأنبياء، والشرك بالكواكب، والشرك بالأصنام، كما أن هذه الأنواع من أنواع الشرك أيضاً لها تقسيمات أخرى، فمثلاً: الشرك بالملائكة والأنبياء بدعوى أنهم صالحون، وبدعوى أنهم يشفعون عند الله، وهذه كانت ذريعة الشرك الأول، ثم عبدتهم أجيال وأمم -أحياناً- وهي لا تدري لماذا عبدتهم؟ لكن أصل إشراك هؤلاء بالملائكة أو الأنبياء أو الصالحين هو أن الشيطان أوهمهم بأن هؤلاء أقرب منهم إلى الله، وأنهم يشفعون لهم عند الله عز وجل، فأشركوا بهم، ثم تمادت وتجارت بهم الأهواء حتى جاءت أجيال من هؤلاء يعبدون الملائكة والأنبياء، وهم لا يدرون لماذا يعبدونهم؟

أما النوع الآخر فهو الشرك بالله عز وجل من خلال مظاهر معينة، إما مظاهر العظمة أو الخوف أو الرغبة أو الرهبة، كالشرك بالكواكب، والشرك بالأصنام، فمنها ما هو ذريعة فلسفية إلى الشرك بالله، فمن ذلك: أنهم يزعمون أن الكواكب حلت فيها أرواح إلهية، أو أنها حلت فيها الملائكة، أو أنها تتضمن أرواحاً مقدسة، أو أن لها التصرف بالكون.

وكذلك الأصنام، سواء كانت أصناماً أو أوثاناً، أو أصناماً هي أحياناً حيوانات ونحوها، فكلها تسمى أصناماً، فيدخل في هذا الشرك بالشمس والقمر، والسجود للشمس والقمر والنجوم وغيرها، فهو شرك بالله عز وجل، سواء خافوا منها، أو رغبوا فيها، أو زعموا أنها حلت فيها أرواح تستحق التقديس، أو أنها أيضاً حلت فيها الإلهية، أو أن لها تصرفاً في الكون تستحق به العبادة، أو أن لها نفعاً.

فمثلاً: الذين عبدوا البقر فلسفتهم في هذا تنبع من أن البقر هي أنفع الحيوانات، يعني: أن الشيطان وسوس للناس حتى أوصلهم إلى الشرك.

وهناك عباد للشيطان يوجدون إلى اليوم، وهم مع الأسف مذهب من المذاهب التي تنسب إلى المسلمين، والغربيون الآن يصنفون عباد الشيطان على أنهم من ضمن فئة المسلمين في العراق، ويحاولون أيضاً أن يعطوهم كياناً، بل الآن كل شذاذ الديانات وشذاذ المذاهب في العراق تحاول قوى الكفر والاحتلال أن تنفخ فيهم حتى تكون لهم كيانات لتضرب بهم السنة، وليس فقط الإسلام، فهناك نوع من رفع الشعارات الإسلامية تؤيده أمريكا وأوروبا، ومعلوم هذا ما هو، لكنهم يريدون قمع السنة؛ لأن السنة هي الإسلام الحق الذي يخافون منه ويرهبونه.

وعلى أي حال هذا من فضول الأمور، ومن الترف الذي غالبه أقرب إلى الإثم؛ لأن الشرك كله عقوبته في الدنيا والآخرة

---

(١) شرح الأصول الثلاثة للحازمي ١٩/٤

واحدة، لكن كون بعضهم أشد عذاباً من بعض، فقد ذكر الله عز وجل عنهم بأنهم يتحاجون في النار، ولا نقف عند هذا الحد؛ لأنه ليس لنا شأن في العبادة، فالله يتولاهم، وأيضاً عندما نصنف الشرك تصنيفاً موضوعياً -لا من حيث موقفنا منه- لاشك أنه يتفاوت، فالشرك الأكبر يتفاوت، كما أن الشرك بمعناه العام يتفاوت، فهناك شرك أصغر لا يخرج الإنسان من الملة، كيسير الرياء، **والتعلق القلبي** ببعض الأمور التي لا يشرع التعلق بها، لكن الشرك الأكبر حكمه واحد.

أما كونه أنواعاً ودرجات فهذا معلوم عند جميع العقلاء، لكن درجات وشعب في حكمها، أما في الآخرة فلا فرق، فكلهم من أهل النار المخلدون، نسأل الله العافية.

قال رحمه الله تعالى: [فقال عن النصارى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة:١١٦ - ١١٧]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٩] إلى قوله: ﴿وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٠]، فبين أن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كفر]." (١)

١٦-"مراتب المحبة

قال رحمه الله تعالى: [والمحبة مراتب: أولها: العلاقة، وهي **تعلق القلب** بالمحبوب].

هذه المراتب التي سيذكرها الشارح هنا ذكرها ابن القيم، وهذه المراتب اجتهادية ليست توقيفية، وابن القيم رحمه الله له في المسائل التعبدية طرق وأمور جيدة ومفيدة، لكن ذكره للمراتب لا يعني أنها توقيفية، بمعنى أن هذه المراتب تقرر على أنها مراتب شرعية يوقف عندها ولا يتعداها أو أنها لا تناقش، بل هي توسع من ابن القيم رحمه الله واستقراء لمعاني المحبة الشرعية واللغوية، فصنفها على هذا النحو، فترتيبها ليس بلازم، وتعدادها ليس بلازم، إنما هي نوع توسع أشبه بالموعظة.

قال رحمه الله تعالى: [والمحبة مراتب: أولها: العلاقة: وهي **تعلق القلب** بالمحبوب.

والثانية: الإرادة: وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له.

الثالثة: الصبابة: وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه، كانصباب الماء في الحدور.

الرابعة: الغرام: وهي الحب اللازم للقلب، ومنه الغريم لملازمته، ومنه: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٥].

الخامسة: المودة والود: وهي صفو المحبة وخالصها ولبها، قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم:٩٦].

السادسة: الشغف: وهي وصول المحبة إلى شغاف القلب.

السابعة: العشق: وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه، ولكن لا يوصف به الرب تعالى ولا العبد في محبة ربه،

---

(١) شرح التدمرية - ناصر العقل ٢٤/٣

وإن كان قد أطلقه بعضهم.

واختلف في سبب المنع فقيل: عدم التوقيف.

وقيل غير ذلك، ولعل امتناع إطلاقه أن العشق محبة مع شهوة.

الثامنة: التتيم: وهو بمعنى التعبد.

التاسعة: التعبد.

العاشرة: الخلة: وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه.

وقيل في ترتيبها غير ذلك، وهذا الترتيب تقريب حسن، يعرف حسنه بالتأمل في معانيه.

واعلم أن وصف الله تعالى بالمحبة والخلة هو كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته كسائر صفاته تعالى، وإنما يوصف الله تعالى من هذه الأنواع بالإرادة والود والمحبة والخلة حسبما ورد النص.

وقد اختلف في تحديد المحبة على أقوال نحو ثلاثين قولاً، ولا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً وجفاءً، وهذه الأشياء الواضحة لا تحتاج إلى تحديد: كالماء والهواء والتراب والجوع والشبع ونحو ذلك]". (١)

١٧-"خطأ طريقة المتكلمين في إثبات الرؤية ولازم قولهم

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وليس تشبيه رؤية الله تعالى برؤية الشمس والقمر تشبيهاً لله، بل هو تشبيه الرؤية بالرؤية لا تشبيه المرئي بالمرئي، ولكن فيه دليل على علو الله على خلقه، وإلا فهل تعقل رؤية بلا مقابلة؟! ومن قال: يرى لا في جهة فليراجع عقله، فإما أن يكون مكابراً لعقله، أو في عقله شيء، وإلا فإذا قال: يرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة].

في هذه المسألة يرد على المتكلمين من الأشاعرة ونحوهم الذين أثبتوا الرؤية بكلام لم يعهد عن السلف ولم يرد في النصوص، بل يناقض النصوص، وسبب ذلك جدالهم للجهمية والمعتزلة الذي ألجأهم إلى مثل هذه المقولات، وأي إنسان يصاب بالجدل لا بد من أن يتأثر بأقوال خصومه؛ لأن الجدل -خاصة في أمور الغيب وأمور الدين التي لا تؤخذ إلا من النصوص- لابد من أن يؤدي بصاحبه إلى أن يسلك مسالك عقلية لا يتخلص منها ويأخذ من خصومه ما لم يكن له على بال، بل يلزم نفسه في الخصام والجدل والتمحل بأمور قد تخرج عن أصول العقيدة الصحيحة، فهؤلاء المتكلمون من الأشاعرة والماتريدية أثبتوا الرؤية؛ لأنهم ليسوا ممن ينكر ما ثبت بنص الشرع، بل يثبتون ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكن من حيث تقرير العقيدة يقررون العقيدة بالعقول، فأصول العقيدة يقررونها بالعقول، فلما جئوا إلى تقرير الرؤية بالعقل مع الشرع، والعقل لا طاقة له بمثل هذه الأمور، ولا يمكن أن يطلع الغيب؛ اضطروا إلى أن ينفوا أشياء لم تنف بالنصوص وأن يثبتوا أشياء لم تثبت في النصوص، فمما نفوه مما لم يرد في النصوص أن قالوا: إن الله يرى لا إلى جهة أو إلى غير جهة، وسبب ذلك أنهم تأثروا بالمعتزلة في نفي العلو بالذات لله عز وجل، ونفوا الاستواء كما يقره السلف، ونفوا الفوقية كما تفهم

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل ٨/٢٤

من الشرع، فلما نفوا العلو أو أولوه ونفوا الفوقية أو أولوها، وكذلك الاستواء اضطروا حين أثبتوا الرؤية إلى أن يقولوا: يرى إلى غير جهة؛ لأنهم لو قالوا: إن الله عز وجل يراه المؤمنون ولم ينفوا الجهة للزم من إثبات الرؤية إثبات العلو وإثبات الفوقية؛ لأن كل ما يرى لابد من أن يرى إلى جهة مقابل الرائي، وليس المقصود بالجهة الجهة المخلوقة، إنما الجهة التوجه، توجه البصر، فالبصر لا بد من أن يتوجه إلى شيء، والله عز وجل شيء، وله وجود ذاتي سبحانه، فإذا رأته أبصار المؤمنين يوم القيامة في الجنة فإنما يرونه فوقهم، تعالى الله عما يزعم الذين نفوا العلو، فالله عز وجل يراه المؤمنون من فوقهم، والفوق كمال، والعلو كمال، لكن لا يلزم من إثبات الفوقية والعلو أن نلتزم لفظ (جهة) إلا على سبيل قصد العلو بذاته أو الفوقية بذاتها.

أما الجهة التي هي من المخلوقات فلا تليق بالله عز وجل؛ لأن الله عز وجل لا يحويه شيء من مخلوقاته، فهو فوق جميع الخلق، ومن هنا تلازم إثبات الرؤية مع إثبات الفوقية والعلو، كما أنه أيضاً يجتمع في الرؤية **تعلق القلب** وتعلق البصر بالله عز وجل.

فالأشاعرة والماتريدية من أهل الكلام –لا المحدثون والفقهاء– الذين قالوا: يرى إلى غير جهة.

رد عليهم فقال: هل تعقل الرؤية بلا مقابلة؟! وليس المقصود أن نشبه مقابلة رؤية المخلوق للخالق بمقابلة رؤية المخلوق للمخلوق، بل من المقصود هنا أن هناك أمراً يفهم من النص بالضرورة، وهو أن المؤمنين إذا رأوا ربهم –والله عز وجل فوق سماواته– فإنهم يرونه من فوقهم.

ومن قال: يرى لا في جهة فليراجع عقله، ويقصد الشارح بقوله: (لا في جهة) إلى غير جهة، ولا يقصد بـ (في) هنا الظرفية، وإلا فالله عز وجل ليس في جهة بمعنى أن هناك جهة تحويه، تعالى الله، إنما جهة العلو، فالعلو جهة والفوقية جهة، فمن هنا لا يصح أن يقال: يرى لا في جهة؛ لأن هذا نفي للعلو والفوقية، وكل هذا الكلام لا يليق بالمسلم أن يقوله في حق الله عز وجل، لكن السلف تكلموا به اضطراراً لنفي شبهات قال بها طائفة من المتكلمين حتى فتن بها العامة، فكان لا بد من الرد من قبل طلاب العلم.

فيقول: إذا قالوا: يرى لا أمام الرائي ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا فوقه ولا تحته؛ فهذا افتراض جدلي يرده كل من سمعه بفطرته السليمة، أي: يرد بالفطرة بعيداً عن التقعيدات والتفلسف، ويحكى أن الجويني كان يقرر على المنبر تأويل الاستواء لله عز وجل وتأويل الفوقية الذاتية والعلو، فأراد أحد الطلبة أن يرد عليه بأيسر أسلوب، فقال له: أخبرني عن هذه الضرورة التي يجدها الداعي في قلبه إذا دعا الله عز وجل، يعني ضرورة التوجه إلى الله سبحانه، فالإنسان إذا دعا الله مستحضراً ما يقول يشعر بالتوجه إلى فوق، أليس كذلك؟ على أي وضع كان قائماً أو مضطجعاً، فإذا دعا الإنسان ربه دعاءً بقلبه مستحضراً شعر بجميع مشاعره أنه يتوجه إلى فوق، بل هذا في الحيوان، فالحيوان إذا مسته ضرورة شخص بصره إلى السماء. فالتوجه إلى الفوق فطرة فطر الله الناس عليها حين يلجئون إلى الله عز وجل.

فإثبات فوقية الله عز وجل واستوائه على عرشه إثبات". (١)

١٨-"ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩])، (﴿كَم﴾) هذه خبرية، تكثير (﴿كَم﴾) حينئذٍ نقول: هذه تفيد الكثرة، يعني حصل وكثير ولا يعد ولا يحصى، تفيد التكثير يعني خبريةٌ تفيد التكثر، يعني فئةً قليلة غلبت فئة كثيرةً عدة مرات، أو فئاتٍ قليلةٍ متعددة غلبت فئاتٍ كثيرةً متعددة لكن لا بحولهم ولا بقوتهم، بل بإذن الله، يعني بقضائه وإرادته، أي بإرادته وقدرته، ومن ذلك أصحاب طالوت غلبوا عدوهم وكانوا كثيرين، ومن ذلك أصحاب بدرٍ غلبوا قريشًا وكانوا كثيرين - يعني قريش كانوا أكثر - ومع ذلك حصلت الغلبة لماذا؟ لكونهم أخذوا بأصل الأسباب، ثم صبروا، ثم اعتمدوا على خالقهم جل وعلا، فوُجِدَت الأسباب المعنوية والأسباب الحسية، والمراد هنا الحصول للأسباب المعنوية يعني تعلّق القلب بالباري جل وعلا، وأما الأسباب الحسية فالمراد بها أصلها يعني لا يشترط الكمال، ولذلك عددٌ قليل يغلب عددًا كثيرًا، لو أردنا التمام في السبب لقلنا ماذا؟ أنه لا يجوز القليل أن يحارب الكثير، ولو قلنا بأنه لا بد من العدة أن تكون متساوية لما جاز أن يقاتل من كان عنده شيءٌ يسير سلاحٌ خفيف مع السلاح الثقيل، نقول: هذا لا يجوز، نقول: لا، لا يُشترط ذلك، وإنما المراد به أصل السبب الحسيّ، وأما المعنوي فلا بد منه، والذي ينصر هو الباري جل وعلا. (﴿فِئَةٍ﴾) أي جماعةٍ وهي جمعٌ لا واحد له من لفظه، الفئة الجماعة والقطعة منهم هكذا في لسان العرب، (﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾) أي بقضائه وإرادته ومشيئته.
أفادت هذه الآية كالآية السابقة الحثّ على الصبر، وأنه أعظم سببٍ في تحصيل المقصود، الصبر.
وفيه أيضًا المعية الخاصة للصابرين، وأن الله تعالى ضَمِنَ لهم النصر - إذا صبروا -، وفي حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «واعلم أن النصر مع الصبر». ما قال مع العدد الكثير، ما قال مع تمام العدة، لا، إنما قال: «مع الصبر». فهو عامل معنوي سببٌ معنوي.". (٢)

١٩-"إلى ذلك، ومما يوضّح لك الأمر أن توحيد الربوبية هو الأصل، وأن توحيد الإلهية فرعٌ عنه أن التوكل والرجاء والمحبة والإنابة هذه كلها أعمال قلبية، (وما هي) أو ما هو الأساس الذي يثمر هذه الأعمال؟ هو توحيد الربوبية، فالتوكل من نتائج توحيد الربوبية، والإنابة من نتائج توحيد الربوبية، والخوف والرجاء وتعلق القلب بالله عز وجل إنما يكون من نتائج توحيد الربوبية، بل توحيد الألوهية كله من نتائج توحيد الربوبية، ومما يوضح لك الأمر أن التوكل من نتائجه، والتوكل (من أعظم)، والتوكل من أعظم مقامات الدين ودرجات المؤمنين، وقد تصدر الإنابة والتوكل من عابد الوثن، قد تصدر ماذا؟ أو يصدر التوكل والإنابة من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية، يعرف بعض المفردات، حينئذٍ قد يحصل له نوع إنابة، وقد يحصل له نوع رجاء، وقد يحصل له نوع خوف ونحو ذلك، لكن لا نقول بأن ما حصل له من الخوف والرجاء والإنابة أنها عبادات، وإنما هي عبادات مشوبة بالشرك، وإذا كان كذلك سقط وصفها بأنها عبادة شرعية، وإنما هذا يكون لبيان

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل ٢/٣٢
(٢) شرح العقيدة الواسطية للحازمي ٢٢/٢٤

الواقع يعني حكاية الحال كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ﴾ الزمر٨ يعني حصلت له الإنابة، فأخبر تعالى أنه قد يحصل منه نوع تذلل، وهذا إنما يكون من نتائج توحيد الربوبية، وأما عبادته سبحانه بالإخلاص دائمًا في الشدة والرخاء فلا يعرفونها، هذه ما تقع، وإنما إذا إذا وقعوا في الشدة دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم مشركون أو يشركون دل على ماذا؟ على أنهم في الرخاء يشركون ولا يؤمنون ولا يخلصون العبادة لله وفي الشدة حينئذٍ فزعوا إلى ربهم جل وعلا، وهذا الفزع يكون نتيجة ما اعتقدوه من مفردات أو بعض مفردات توحيد الربوبية، إذن له نتائج، فدلّ على أنه هو .. هو الأصل، وأما عبادته سبحانه بالإخلاص دائمًا في الشدة والرخاء فلا يعرفونها، وهي نتيجة إلهية يعني العبادة نتيجة إلهية، وهذا لا شك فيه، وكذلك الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان بالكتب والرسل وغير ذلك، وأما الصبر والرضا والتسليم والتوكل والإنابة والتفويض والمحبة والخوف والرجاء فمن نتائج توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الإلهية هو أشهر نتائج توحيد الربوبية إذن هو أصلا، وإذا كان أصلا حينئذٍ صار متقدمًا لأن شأن الأصل أن يتقدم على .. على الفرع، فوجوده مستلزم لفرعه وانتفاؤه مستلزم لانتفاء فرعه، ووجود فرعه متضمن لوجود الأصل، وانتفاء الفرع دليل على انتفاء الأصل، قال شيخ الإسلام كذلك في الدرر السنية: ومن المعلوم أن لله تعالى أفعالا وللعبيد أفعالا، فأفعال الله: الخلق والرزق والنفع والضر والتدبير وهذا أمر لا يُنازع فيه لا كافر ولا مسلم، لا يُنازع فيه لا كافر ولا مسلم، وأفعال العبد: العبادة، تعبد لله عز وجل، وهو الذي يكون من نتائج توحيد الإلهية، كونه لا يدعو إلا الله، ولا ينذر إلا لله، ولا يذبح إلا لله، ولا يخاف خوف السّر إلا منه، ولا يتوكل إلا عليه، التوكل من نتائج توحيد؟ الآن أخذناه التوكل من نتائج توحيد؟ الربوبية، لا يتوكل إلا على الله، من نتائج توحيد؟ لا.". (١)

٢٠-"وجب قتله، ﴿قَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة٣٦] قلنا (ال) هذه تفيد العموم وإذا أفادت العموم حينئذٍ الذي وجب قتله في الدنيا هو المشرك الشرك الأكبر، فالشرك الأكبر قليله وكثيره لا فرق بينهما في وجوب القتل. انتبه!!. ﴿قَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة٣٦] المشركين، نقول: هذا وصف دالٌ على أن الشرك الأكبر يجب قتل فاعله سواء كان الشرك قليلاً أو كثيرًا، لماذا خصصنا الحكم بالشرك الأكبر دون الأصغر؟ لأنه بالإجماع أن الواقع في الشرك الأصغر لا يجب قتله، لا يُقتل، وهذا من الفوارق بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر؛ لأن صاحب أو فاعل الشرك الأكبر يُعتبر .. يُعتبر ماذا؟ يعتبر مرتدًا عن الإسلام، قال - صلى الله عليه وسلم - " من بدل دينه فاقتلوه " وأما الذي عنده تنديد لكنه لم يصل إلى حد الأكبر فهذا باق في دائرة الإسلام وحكمه حكم المسلمين فلا يجب قتله وهذا محل وفاق. إذن المشركين في الأصل أنه يُطلق على الشرك الأصغر والأكبر، وخصصنا الأصغر وأخرجناه من الحكم بالإجماع وبقي الحكم معلق على المشرك شركًا أكبر، ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ قلنا هذا الحكم عام في كل من أشرك سواء كان المُشْرَكُ به مما يعقل أو مما لا يعقل، وسواءٌ كان أرضيًا أو سماويًا، وسواء كان مسلمًا أو كافرًا، وسواء كان صالحًا أم طالحًا، إنسيًا أم جنيًّا فالحكم عام، لماذا؟ لأنه أطلقه، قال: الْمُشْرِكِينَ﴾ أشركوا بالله مَنْ؟ ما بيّن المُشْرَك به وأطلق الوصف وعلّق عليه الحكم، فدل على أن كل من وقع في الشرك

(١) شرح القواعد الأربع للحازمي ١٨/٣

الأكبر بقطع النظر عن المُشْرَك به عن المعبود وجب قتله، إذن استوى الوصف واستوى الحكم، استوى الوصف واستوى الحكم، استوى الوصف من حيث توجه **تعلق القلب** بغير الله ـ سبحانه ـ فحينئذٍ صح إطلاق الشرك عليه، صرف العبادة لغير الله من: الإخلاص والتوكل والخوف ... إلى آخره صح إطلاق الشرك عليه بقطع النظر عن نوع العبادة التي صرفها لغير الله هذا فيه عموم، وفيه عموم من جهة أخرى وهو أن المُشرّك به لا يُلتفت إليه البتة في تنزيل الوصف والحكم على الفاعل ووجه الاستدلال من الآية: أنه أطلق والإطلاق ضد التقييد فإذا قيّد خصصنا وإذا لم يقيد حينئذٍ حملنا اللفظ على إطلاقه فلا يجوز تقييده بمعبود دون معبود، ولا يجوز تقييده بشرك قليل أو كثير بل الحكم عام حينئذٍ استوى الوصف في الأفراد واستوى الحكم، وحينئذٍ كذلك (استوى المعبودات) استوت المعبودات، كل معبودٍ من دون الله وصُرفت إليه نوع من العبادات قال: ﴿قَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ﴾، فلم يفرق بينهم النبي – صلى الله عليه وسلم – مع كونه من معرفة حال العرب والآيات المنزلة التي سيذكرها المصنف أنهم متفرقون في المعبودات، هذا يعبد شمسًا وهذا يعبدُ قمرًا وهذا يعبد إنسيًا وهذا يعبد جنيًا، إذن اختلفت المعبودات واختلفت متعلقات القلوب ومع ذلك جاء الأمر أمرًا عامًا والوصف وصفًا مطلقًا دل على استواء الذات الحال في دخوله في هذا النص، هذا مراد المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه القاعدة، فإذا احتُجّ على مشرك معاصر [بأن (ما تفعَله) ما تفعُله هو الشرك الذي فعله الأولون، قال: لا.". (١)

٢١-"صلة (ال) .. صلة (ال) صفة صريحة الذي هو اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وهذا عام في جميعه، وهذا عام في .. في جميعه، إذن حينئذٍ نقول إذا **تعلق القلب** بغير الله ـ الأصل أن يكون القلب مخلصًا لله وأن يكون القلب قد وُجد فيه ما تقتضيه لا إله إلا الله من الصدق واليقين والعلم فهذه كلها قائمة بالقلب فإذا قام في القلب ضد ذلك من الشرك والتعلق والاعتقاد بغير الله فقد أشرك بالله سواء كان المشرّك به صالحًا أم طالحًا، جمادًا أم عاقلاً، أرضي أم سماويًا، إنسيًا أم جنيًّا، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن١٨] ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ هذه أوضح وأصرح من الآية السابقة؛ لأن قوله ﴿أَحَداً﴾ نكرة في سياق النهي أو النفي والنكرة في سياق النهي تعم، وهذا الأحد يصدق على مَنّ؟ يصدق على كل من **تعلق القلب** به واعتقد فيه الشركة مع .. مع الله، وكل من صُرِفت له العبادة من دون الله فيدخل فيه: الرسل والأنبياء، ويدخل فيه الأصنام والأشجار والأحجار، ويدخل فيه كل مَنْ صُرِفَ له نوع من العبادة سواء كان من المتقدمين فيمن بُعث إليهم النبي – صلى الله عليه وسلم – أو كان مما في زمن الشيخ ـ رحمه الله ـ وإلى زماننا هذا.". (٢)

٢٢-"حكم طلب الدعاء والاستغفار من أهل العلم والفضل

Q ما رأيكم فيمن يطلب من أهل الفضل والعلم بأن يدعوا له أو يستغفروا له؟

A كون الإنسان يطلب من رجل آخر أن يدعو له لا حرج فيه، لكن بشرط ألا يكثر، وألا يعتمد على دعاء الشخص،

---

(١) شرح القواعد الأربع للحازمي ٦/٦

(٢) شرح القواعد الأربع للحازمي ٨/٦

وأن يطلب من الله عز وجل أن يستجيب دعاء الداعي له، وأن يعرف أن هذا الشخص ليس بذاته هو الوسيلة أو الواسطة، وإنما هذا الشخص طُلِب منه فقط أن يدعو الله، فكان الرجاء في أن يقبل الله دعاءه، **ويتعلق القلب** بالله؛ لعل الله يقبل دعاء ذلك الشخص.

أما إذا تعلقت النفس بالشخص نفسه، أو ببركته، أو بالاعتقاد فيه، فذلك إما أن يكون بدعياً أو شركياً.". (١)

٢٣-"العلاقة بين العبادة والدين

قال المؤلف رحمه الله: [فالدين كله داخل في العبادة، وقد ثبت في الصحيح أن جبريل لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة أعرابي، وسأله عن الإسلام قال: (أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، قال: فما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: فما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك)، ثم قال في آخر الحديث: (هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم)، فجعل هذا كله من الدين.

والدين يتضمن معنى الخضوع والذل، يقال: دنته فدان، أي: ذللته فذل، ويقال: يدين الله، ويدين لله، أي: يعبد الله ويطيعه ويخضع له، فدين الله: عبادته وطاعته والخضوع له، والعبادة أصل معناها الذل أيضاً، يقال: طريق معبد إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له، فإن آخر مراتب الحب هو التتيم، وأوله العلاقة؛ **لتعلق القلب** بالمحبوب، ثم الصبابة لانصباب القلب إليه، ثم الغرام وهو الحب الملازم للقلب، ثم العشق وآخره التتيم يقال: تيم الله، أي: عبد الله، فالمتيم: المعبد لمحبوبه، ومن خضع لإنسان مع بغضه لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له، كما قد يحب ولده وصديقه، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله، وكل ما أحب لغير الله فمحبة فاسدة، وما عظم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلاً، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة:٢٤]، فجنس المحبة تكون لله، ورسوله، والإرضاء لله ورسوله، ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ﴾ [التوبة:٦٢]، والإيتاء لله ورسوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة:٥٩].

وأما العبادة وما يناسبها من التوكل والخوف ونحو ذلك فلا تكون إلا لله وحده، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾

---

(١) شرح باب توحيد الألوهية من فتاوى ابن تيمية ١٣/١١

[التوبة:٥٩].

فالإيتاء لله والرسول كقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧]، وأما الحسب وهو الكافي فهو لله وحده كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤]، أي: حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين: الله، ومن ظن أن المعنى: ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ [الأنفال:٦٤]، والمؤمنون معه فقد غلط غلطاً فاحشاً، كما قد بسطناه في غير هذا الموضع وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ﴾ [الزمر:٣٦]].

هذا المقطع من كلام المؤلف رحمه الله، فيه فوائد كثيرة جداً، فهي في غاية الدقة وفي غاية الضبط؛ لأن موضوع العبادة موضوع حساس جداً، يترتب عليه أن العبادة إذا جعلت لله عز وجل فهي التوحيد، وإذا جعلت لغيره فهي الشرك والكفر والعياذ بالله.

فمتى يعتبر الأمر عبادة؟ بمعنى: أنه إذا صرف لغير الله فإنه يعتبر شركاً أكبر مخرجاً عن دائرة الإسلام، وهذا هو الضابط الذي سيأتي معنا في كلام المصنف، وهو ضابط عام، وفي كل مثال من أمثلة العبادة هناك ضابط خاص يخصها ويميزها.

بدأ المصنف ببيان العلاقة بين العبادة والدين، وتوصل إلى أن العبادة هي الدين، وأن الدين هو العبادة، وبين ذلك من زاويتين: الزاوية الأولى: الدليل الذي جاء به وهو حديث جبريل الطويل فقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام وذكر الأركان الخمسة، وسئل عن الإيمان وذ". (١)

٢٤-"النوع الثالث: وحدة الوجود

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأما النوع الثالث مما قد يسمى فناء فهو: أن يشهد أن لا موجود إلا الله، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق].

وهذا هو الكفر المبين، وهو عقيدة أصحاب وحدة الوجود، فهم يشهدون أنه لا موجود إلا الله سبحانه وتعالى، ويفسرون لا إله إلا الله بمعنى: لا موجود إلا الله سبحانه وتعالى، وأنه ليس هناك مخلوقات، وإنما هو خالق يأتي في صور متعددة، ومن هذه الصور: صورة بني الإنسان، وصورة بقية الكائنات.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فلا فرق بين الرب والعبد، فهذا فناء أهل الضلال والإلحاد الواقعين في الحلول والاتحاد وهذا يبرأ منه المشايخ المستقيمون على هدي الكتاب والسنة، كالصحابة والأئمة المهتدين، فإنهم إذا قال أحدهم: ما أرى غير الله، أو: لا أنظر إلى غير الله ونحو ذلك فمرادهم بذلك: ما أرى رباً غيره، ولا خالقاً غيره ولا مدبراً غيره، ولا إلهاً غيره، ولا أنظر إلى غيره محبة له أو خوفاً منه أو رجاء له، فإن العين تنظر إلى ما يتعلق به القلب، فمن أحب شيئاً أو رجاه أو خافه التفت إليه، وإذا لم يكن في القلب محبة له ولا رجاء له ولا خوف منه ولا بغض له ولا غير ذلك من **تعلق القلب** له لم

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي ١٢/١

يقصد القلب أن يلتفت إليه، ولا أن ينظر إليه، ولا أن يراه، وإن رآه اتفاقاً رؤية مجردة كان كما لو رأى حائطاً ونحوه، مما ليس في قلبه تعلق به.

والمشايخ الصالحون -رضي الله عنهم- يذكرون شيئاً من تجريد التوحيد وتحقيق إخلاص الدين كله، بحيث لا يكون العبد ملتفتاً إلى غير الله، ولا ناظراً إلى ما سواه، لا حباً له، ولا خوفاً منه، ولا رجاء له، بل يكون القلب فارغاً من المخلوقات، خالياً منها، لا ينظر إليها إلا بنور الله، فبالحق يسمع، وبالحق يبصر، وبالحق يبطش، وبالحق يمشي، فيحب منها ما يحبه الله، ويبغض منها ما يبغضه الله، ويوالي منها ما والاه الله، ويعادي منها ما عاداه الله، ويخاف الله فيها ولا يخافها في الله، ويرجو الله فيها ولا يرجوها في الله، فهذا هو القلب السليم الحنيف الموحد المسلم المؤمن العارف المحقق الموحد بمعرفة الأنبياء والمرسلين، وبحقيقتهم وتوحيدهم.

وأما النوع الثالث وهو: الفناء في الموجود فهو تحقيق آل فرعون، ومعرفتهم وتوحيدهم كالقرامطة وأمثالهم.

وهذا النوع الذي عليه أتباع الأنبياء فهو الفناء المحمود الذي يكون صاحبه به ممن أثنى الله عليهم من أوليائه المتقين وحزبه المفلحين وجنده الغالبين.

وليس مراد المشايخ والصالحين بهذا القول: أن الذي أراه بعيني من المخلوقات هو رب الأرض والسموات، فإن هذا لا يقوله إلا من هو في غاية الضلال والفساد].

فهناك بعض العبارات عند بعض المشايخ من العباد والزهاد والصالحين التي قد تفسر على غير وجهها الصحيح، وكلام الشيخ كله الآن منصب على هذه القضية، وعلى ما ينقل عن بعض الشيوخ أنه قال: ما أرى غير الله، أو قال: لا أنظر إلى غير الله، فقوله: لا يرى غير الله، ليس مقصوده بأنه لا يرى بعينيه إلا الله، فيكون معنى كلامه: أن المخلوقات هي الله، وإنما المقصود بقوله: لا أرى غير الله، يعني: لا أرى ولا أفكر ولا أعمل شيئاً إلا بالله سبحانه وتعالى، وهذا هو معنى ما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها).

فالمقصود: أنه تكون كل حركاته لله وبالله، وليس للمخلوق فيها شيء، فأتى المتأخرون من أصحاب وحدة الوجود الضالين الملحدين وقالوا: إن معنى قوله: ما أرى غير الله: أن كل المخلوقات هي الله، ولهذا جاء عند بعضهم: ما في الجبة إلا الله، والجبة هي: اللباس فكأنه يدعي الألوهية لنفسه.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وليس مراد المشايخ والصالحين بهذا القول: أن الذي أراه بعيني من المخلوقات هو رب الأرض والسموات، فإن هذا لا يقوله إلا من هو في غاية الضلال والفساد، إما فساد العقل وإما فساد الاعتقاد، فهو متردد بين الجنون والإلحاد.

وكل المشايخ الذين يقتدى بهم في الدين متفقون على ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، من أن الخالق سبحانه مباين للمخلوقات، وليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، وأنه يجب إفراد القديم عن الحادث، وتمييز الخالق عن المخلوق، وهذا في كلامهم أكثر من أن يمكن ذكره هنا، وهم قد تكلموا على ما يعرض للقلوب من الأمراض والشبهات، وإن بعض الناس قد يشهد وجود المخلوقات فيظنه خالق الأرض والسموات؛ لعدم التمييز والفرقان في قلبه،

بمنزلة من رأى شعاع الشمس فظن أن ذلك هو الشمس التي في السماء، وهم قد يتكلمون في الفرق والجمع، ويدخل في ذلك من العبارات المتلفة نظير ما دخل في الفناء، فإن العبد إذا شهد التفرقة والكثرة في المخلوقات يبقى قلبه متعلقا بها، متشتتاً ناظراً إليها متعلقاً بها، إما محبة وإما خوفاً وإما رجاء، فإذا انتقل إلى الجمع اجتمع قلبه على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له].

يقصد شيخ الإسلام رحمه الله: أن مثل المصطلحات: الجمع والفرق والفناء، ونحو". [1]

٢٥-"قوادح في العبودية لا تصل إلى الشرك الأكبر

وهناك قوادح في العبودية لكنها دقيقة لا تصل إلى الشرك الأكبر، فهي تنقص قدر العابد، لكنها لا تخرجه عن دائرة الإسلام، ويكون هذا غالباً في **تعلق القلب** بغير الله عز وجل تعلقاً لا يوصله إلى الشرك الأكبر، فإذا صار وسيلة إلى الشرك الأكبر، صار من الشرك الأصغر، كما هو ضابط الشرك الأصغر عند العلماء، أو إذا كان العمل يوصل إلى الشرك الأكبر ووصف في الشرع بأنه شرك، ولم يصل إلى درجة الخروج من دائرة الإسلام، فإنه يعتبر شركاً أصغر.

أما ما كان دون ذلك من تعلقات القلب، كالتعلق بالطبيب أو بالوظيفة أو بالزوجة، أو بأي عرض من أعراض الدنيا، هذا التعلق لا يخلو من حالات، فإن رده عن طاعة الله عز وجل، أو دفعه إلى معصية الله عز وجل، فإن هذا من الشرك والعياذ بالله.

وإن لم يصل إلى ذلك وإنما هو تعلق قلبي وافتقار قلبي فهو بحسبه وبقدره، لكنه ينقص قدر صاحبه ولا يكون عنده تمام التوحيد، ولهذا في قصة السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، منهم الذين لا يسترقون، ومعنى يسترقون يعني: يطلبون الرقية، فإن الألف والسين والتاء إذا جاءت تدل على الطلب، فمعنى استغفار: طلب المغفرة، واستغفر أي: طلب المغفرة، واستعان أي: طلب العون، واستغاث أي: طلب الغوث.

فالاسترقاء معناها: طلب الرقية، وإنما نقص قدر المسترقي عن درجة السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ بسبب الحاجة التي تحصل عندما يطلب من غيره الرقية، خصوصاً في حالة المرض، فالإنسان في حالة المرض يكون تعلقه بالدواء، وتعلقه بمن يعتقد عنده دواء، بالذات إذا كان فيه أمر غيبي مثل: حالة القارئ فإنه ليس مثل العقاقير، أو العمليات التي تجرى، بل لها أسباب مادية ملاحظة.

أما بالنسبة للقراءة والرقية فإنها في الغالب تعتمد على أمر غيبي وهو: توفيق الله عز وجل واستجابته للدعاء، وكذلك الأمور الطبيعية والأسباب كما سبق أن ذكرنا فيها قاعدة، وهي أن الأسباب لا تؤثر في المسببات إلا بشروط، منها: أن يكون هذا السبب سبباً حقيقياً سواءً كان طبيعياً أو شرعياً، ومنها أيضاً: أن يشاء الله عز وجل أن يؤثر هذا السبب، فإن لم يشأ الله عز وجل أن يؤثر هذا السبب، فإنه لا يكون له تأثير في هذه الحالة.". [2]

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية – عبد الرحيم السلمي ١٠/١٢

(٢) شرح رسالة العبودية لابن تيمية – عبد الرحيم السلمي ٥/٣

٢٦-"الترفع عن سؤال الناس من كمال العبودية لله

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وهذا المعنى في الصحيح.

وفيه أيضاً: (لئن يأخذ أحدكم حبله فيذهب فيحتطب، خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو منعوه)، وقال: (ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مشرف فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك).

فكره أخذه مع سؤال اللسان، واستشراف القلب، وقال في الحديث الصحيح: (من يستغن يغنه الله، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر)].

يعني: الحقيقة أن التعلق بالدنيا يجعل الإنسان أسيراً لها، ويجعل الإنسان محتجاً إليها ويجعله يبخل، لكن عندما يكون الإنسان في نفسه قناعة تامة، أن هذه الأموال أو الرئاسات أو أياً من أعراض الدنيا إنما هي عبارة عن وسائل وليست غايات، فإنه سيبذل حينئذ ولن يندم على شيء يبذله، وسيعز نفسه ويبعد نفسه عن السؤال والحاجة، وسيكون هذا الشخص عزيزاً بالله سبحانه وتعالى، ومتعلق القلب بالله سبحانه وتعالى.

لكن عندما يتعلق قلبه بالمال تجد أنه ذليل لهذا المال، أحياناً قد يمتنع الإنسان عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بسبب أنه يخاف على وظيفته من الفصل مثلاً، أو بسبب أنه يخاف على نفسه السجن، فهو يعظم ذاته إلى درجة كبيرة جداً.

والواجب أن يكون الإنسان متعلق القلب بالله سبحانه وتعالى، وأن يعلم أن هذه أرزاق تحصل للإنسان وقد تمتنع عنه، وكم من التجار الذين بلغوا الغاية في الغنى، وفي لحظة خسر كل ما يملك، وأصبح مديناً، ويطالبه الناس بحقوقهم.

فمثل هذا الإنسان إذا كان متعلق القلب بالمال سينهار تماماً، وسيكون في غاية الافتقار إلى الناس، بل سيتحطم غاية التحطم، لكن عندما يكون قلبه متعلقاً بالله سبحانه وتعالى، فإنه لن يحصل له مثل ذلك، وكم من الملوك الذين حكموا كان أمرهم مسموعاً، ونهيهم موطن التنفيذ؟ ومع ذلك تأتي دولة ظالمة أخرى، فتسقط حكومته ويصبح أسيراً في أيديهم، أو يصبح شريداً طريداً، مع أنه كان في يوم من الأيام كل الناس تطيعه، فإذا كان الإنسان معلق القلب بهذه الدنيا سيحصل له من الأثر الكبير ما يجعله في غاية الضعف وفي غاية الذلة.

وانظروا مثلاً: إلى الأحداث التي حصلت قبل سنتين، عندما أغارت دولة ظالمة كافرة متجبرة وهي: أمريكا على دولة مسلمة وهي دولة: طالبان، فهذا الحدث فيه كثير من الدروس والعبر، فقد كانت هذه الحكومة الإسلامية الناشئة الصغيرة تعلم أن الحكم وكرسي الحكم ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو مقصود لتحقيق العبودية لله عز وجل في حياة الناس.

ولهذا عندما طالبوهم بغطرسة وعنجهية بعيدة عن العقل والعدل، وبعيدة عن الفكر السوي، وعندما طالبوهم بأمور لا يرضاها المسلم أبداً رفضوها، فعندما هددوهم كان حاكمهم يستدل بقول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

وما زالت نظرتهم مستمرة بهذه الطريقة القوية، لم يترددوا حتى مع تفكك دولتهم ومع سقوطها؛ لأنها دولة ضعيفة مع دولة متكبرة قوية، لكن القوة ما زالت مستمرة؛ لأن هذا أمر قدره الله علينا من هذه الدولة الظالمة، ونحن نجاهدها في سبيل الله، حتى نخرجها بإذن الله سبحانه وتعالى، ومن يمت منا فهو شهيد عند الله عز وجل، ومن يبق حياً، فإنه يستمر في مجاهدة

هذه الأمة الظالمة المتجبرة، فإما أن يتحقق النصر أو الشهادة.
إن هذا المستوى من العبودية لله عز وجل، مستوى عال ومرتفع جداً، وينبغي على الإنسان أن يربي نفسه على مثل هذه المستويات، فافترض يا أخي! أنك في يوم من الأيام خسرت كل ما تملك دفعة واحدة، خسرت وظيفتك، وخسرت أهلك إذ ماتوا جميعاً، فإذا كان واحد من الإخوة الأفغان خسر أكثر من ثمانية عشر من أهله حين سقطت قنبلة على بيته!! فمثل هذه الأحداث ينبغي للإنسان أن يكون عنده من الصبر ومن اليقين بالله، والتعلق بالآخرة، وبالله عز وجل ما يكون وقعها على نفسه بسيطاً، تخيل أنك خسرت كل شيء، فإن أصحاب النفوس الضعيفة، والذين لا إيمان لديهم قد يلجئون إلى الانتحار، أو يصابون بشيء من الجنون، لكن أهل الإيمان يعلمون أن هذا الأمر بقضاء الله وقدره، وأن هذا أمر مكتوب عليه قبل أن يخلقه الله عز وجل، وأن عليه أن يصبر ويحتسب، وأن هذه الدنيا ليست هي كل شيء، وأن عليه أن يتعلق بالله سبحانه وتعالى، وحينئذ ستقع هذه المشكلة على نفسه وقعاً خفيفاً، ولن يكون لها الموقع الكبير في نفسه.". (١)

٢٧-"عشق الصور عبادة لغير الله

فالشاهد: أن عشق الصور هو نموذج من نماذج التعبد لغير الله سبحانه وتعالى، وقد يكون شركاً أكبر إذا صرف العبادة لغير الله، أو استحوذت هذه المحبة على القلب بأكمله.
والمقصود بعشق الصور هو: عشق الأشكال الجميلة سواء النساء أو غيرها، فالإنسان ينظر إلى الصورة الجميلة فيتعلق قلبه بها فيحبها محبة روحية أكثر من كونها محبة جسدية، وقد يحب امرأة فيتعلق قلبه بها حتى لو لم يجامعها في يوم من الأيام، لكن قلبه يتعلق بها فتكون المحبة روحية، والروح تؤثر في الإنسان مثلما يؤثر الجسد، والروح تمرض مثلما يمرض الجسد، فقد يمرض جسده فلا يقوم من الفراش، وكذلك الروح قد تمرض فتؤثر على بدنه فيسقط طريحاً.
رفع لـ ابن عباس فتى أصبح عظماً على جلد فقال: ما هذا؟ قيل له: من العشق، فكان ابن عباس يستعيذ بالله من العشق طوال ذلك اليوم؛ لأن الجمال والروح بينهما علاقة، وإذا لم يستطع الإنسان ضبط عواطفه، وتوجيه هذه العواطف لمحبة الله عز وجل والتعلق بالله عز وجل فإن هذه العواطف قد تفتك به وتهلكه والعياذ بالله، ولهذا فإن أحمد شوقي يقول: صوني جمالك عنا إننا بشر من التراب وهذا الحسن روحاني أو فابتغي فلكاً تأوينه ملكاً لم يتخذ شركاً في عالم فاني أي: يقصد الشاعر أن هذا الأشياء روحية تؤثر على الإنسان تأثيراً كبيراً، والإنسان مكون من روح وجسد.
والشاهد الذي يعنينا من هذا الكلام: هو أن العشق قد يصل إلى الشرك الأكبر، ولهذا فإن مجنون ليلى هام على وجهه فلم يستفق إلا وهو في صحراء قاحلة بدون أكل وشرب، فمات فيها.
ومعنى هام على وجهه أي: فقد إحساسه، كحاسة الرؤية، وحاسة السمع، وحواسه الجسدية كلها، وأصبح يمشي دون أن يشعر بأي شعور، وهذا معناه: أن إرادة القلب انصرفت لغير الله بأكملها والعياذ بالله.
ولسنا في صدد الحكم على مجنون ليلى، لكن الشاهد: أن الإرادة إذا انصرفت كلها لغير الله عز وجل فإنه قد يقع في

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي ٧/٥

الشرك، قال الله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود:١٥]، ومن زينة الحياة الدنيا: النساء وغيرها ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥ - ١٦].

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقاً بها مستعبداً لها اجتمع له من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد، ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى، فدوام **تعلق القلب** بها بلا فعل الفاحشة أشد ضرراً عليه ممن فعل ذنباً ثم يتوب منه، ويزول أثره من قلبه].

بل إن الذين كتبوا في هذا المجال قالوا: إذا حصل الجماع فقد ما في القلب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ليس للمتحابين إلا الزواج).

فإذا أحب رجل فتاة فالأولى والأوجب له أن يتزوجها؛ لأنه إذا لم يتزوج منها وبقيت العلاقة بينهما فإن هذا يؤثر تأثيراً سلبياً في حياتهما بشكل كبير، فالزواج في أغلب الأحيان يقطع مشكلة العشق.

قال: [وهؤلاء يشبهون بالسكارى والمجانين].

قال الله عز وجل: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢]، فشبه السكرة بشرب المسكر، ووجه الشبه بينهما في غياب العقل تماماً، ولهذا فإن كثيراً من الشباب والفتيات يتصلون بالأطباء النفسيين، وبالمشايخ الشرعيين، أنهم يجدون عناء كثيراً جداً وشقاء كبيراً في هذا الموضوع.

والتعبير السطحي لهذا الموضوع هو أنهم يرسمون قلباً، ويرسمون سهماً يخترق هذا القلب، ثم نقطاً من دم، ويكتبون: الحب عذاب، وهذا تعبير صحيح، وفعلاً الحب عذاب دنيوي، فإن صاحبه يشعر بالشقاء والهم والتعاسة والعناء بشكل كبير.

قال: [كما قيل: سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقة من به سكران وقيل: قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم العشق أعظم مما بالمجانين العشق لا يستفيق الدهر صاحبه وإنما يصرع المجنون في حين].

والفرق بينهما: أن السكران يسكر ساعتين أو خمس ساعات أو عشر ساعات، لكن سكران الهوى يسكر طول عمره.". (١)

٢٨-"كيفية **تعلق القلب** بالمال

Q هناك مقولة عند أهل العلم: إن المال معلق بالقلب، والقلب معلق بالمال، فكيف أوفق بين هذا وبين حديث الرسول صلى الله عليه وسلم؟

A **تعلق القلب** بالمال تعلق طبيعي، فالنفس تحب وجود المال، لكن المهم ألا يكون الإنسان عبداً لهذا المال، وألا يكسبه بالطريق الحرام، وإنما يكسبه بالطريق المباح.". (٢)

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي ٨/٦

(٢) شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي ٢١/٦

٢٩-"أقسام المحبة

المحبة تنقسم عند العلماء إلى قسمين: محبة التأله، وقد سبق أن أشرنا إليها، والمحبة الطبيعية، فمحبة التأله هي المحبة التي أشار إليها ابن تيمية وسماها: المحبة بالقصد الأول، وتسمى: محبة التأله، وهي **تعلق القلب** وإنابته ورجوعه وشغفه والتفكير الدائم فيه، فهذه لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى، وهي محبة السر والمحبة الخاصة.

وهناك محبة طبيعية موجودة في طبيعة الإنسان، وهذه المحبة لا يلام عليها الإنسان، فهو يحب أباه وأمه وزوجته وأولاده، ويحب المال والنساء، ويحب الجمال، ويحب أموراً كثيرة جداً، فهذه المحبوبات الطبيعية لا تثريب على الإنسان فيها، بشرط أن تكون مرتبطة بمحبة الله عز وجل، فإذا عصى أحد هذه المحبوبات الطبيعية فإنه لا يحبه ولا يقدمه على محبة الله عز وجل، كما أن هنالك من المحبوبات ما يمكن أن تكتسب بطريقة شرعية، فهي محبة لله، وبطريقة غير شرعية مثل: المال، فلا يكتسب منه إلا ما كان بالطريقة الشرعية، وهكذا الحال في النساء والجاه والرئاسة والجمال ونحو ذلك.

وكل هذه الأشياء يجب أن تكون مرتبطة بمحبة الله عز وجل، وهو الحب الأساسي في الإنسان.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وكل ما سواه إنما يحبه لأجله، لا يحب شيئاً لذاته إلا الله، فمتى لم يحصل له هذا، لم يكن قد حقق حقيقة: (لا إله إلا الله)، ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة لله، وكان فيه من نقص التوحيد والإيمان، بل من الألم والحسرة والعذاب بحسب ذلك.

ولو سعى في هذا المطلوب ولم يكن مستعيناً بالله متوكلاً عليه مفتقراً إليه في حصوله لم يحصل له، فإنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

فالعبد مفتقر إلى الله من حيث هو المطلوب المحبوب المراد المعبود، ومن حيث هو المسئول المستعان به المتوكل عليه، فهو إلهه الذي لا إله له غيره، وهو ربه لا رب له سواه، ولا تتم عبوديته لله إلا بهذين]." (١)

٣٠-"النهي عن قول: ما شاء الله وشاء فلان

قال المصنف رحمه الله تعالى: [قوله: وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء فلان)، رواه أبو داود بسند صحيح.

] هذا من حماية التوحيد؛ فإن الرسول صلى الله عليه وسلم حمى جناب التوحيد من كل جانب، وقوله: (لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان)، وذلك أن الواو تقتضي الجمع والتشريك بين المعطوف والمعطوف عليه، وقد يكون فيها مساواة، وقد لا يكون فيها مساواة، بخلاف (ثم) فإنها تدل على الترتيب مع التراخي، فإذا وجد الترتيب مع التراخي زال المحظور أي: لم يكن هناك تشريك، (ولكن قولوا: ما شاء الله، ثم شاء فلان)؛ فإن (ثم) هذه ليست كالواو للمعنى الذي ذكرنا.

وهذا فيما يكون فيه لله مشيئة وللعبد مشيئة، أما الأمور التي يختص بها الله جل وعلا فلا يجوز أن يقال فيها مثل هذا، حتى ما كان له سبب، فالأسباب قد يقوم بها إنسان، ومعلوم أن الأسباب لا تقتضي وجود المسبب بالسبب نفسه، فإن السبب

---

(١) شرح رسالة العبودية لابن تيمية - عبد الرحيم السلمي ٦/٧

قد يجعل الله جل وعلا له موانع تمنع من حصول المسبب، والأمور كلها بيد الله جل وعلا؛ لأنه هو المالك المتصرف في كل شيء.

المقصود بهذا أن نبين أن الله جل وعلا هو الذي يملك كل شيء ويتصرف فيه، وإذا كان هناك سبب جعله الله لمخلوق فلا يجوز أن يساوى فيه بين الخالق والمخلوق، بل لابد من التمييز بكلمة (ثم).

قال الشارح: [وذلك لأن المعطوف بالواو يكون مساوياً للمعطوف عليه، لكونها إنما وضعت لمطلق الجمع فلا تقتضي ترتيباً، ولا تعقيباً، وتسمية المخلوق بالخالق شرك إن كان في الأصغر -مثل هذا- فهو أصغر، وإن كان في الأكبر فهو أكبر، كما قال الله عنه في الدار الآخرة: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٧ - ٩٨]، بخلاف المعطوف بثم؛ فإن المعطوف بها يكون متراخياً عن المعطوف عليه بمهلة، فلا محظور لكونه صار تابعاً].

يجب أن يعلم أن هذا القسم الذي صدر من الكفار وهم في النار ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:٩٨] يخاطبون فيها من كانوا يعبدونهم، ويتوجهون إليهم، ومعلوم أن هذه التسمية ما سموهم بها ويقصدون فيها خلق السموات والأرض، هذا لا يقوله عاقل، ولا في إيجاد الجنة والنار ولا التصرف في الكون، وإنما التسوية التي سووهم فيها إما الحكم والتعظيم، أو **التعلق القلبي** التي تعلقوا بها فقط، هذا الذي سووهم فيه، فقولهم: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:٩٨]، أي: وقت تسويتنا لكم برب العالمين وإن سووهم به في الحكم، أوالدعاء، أو **التعلق القلبي** حيث يقولون: نرجوهم أن ينفعونا ويشفعوا لنا.

هذا أمر واضح وضحته الآيات الأخرى، وكذلك الواقع يوضحه.

قال المصنف رحمة الله تعالى: [وجاء عن إبراهيم النخعي رحمه الله أنه يكره أن يقول الرجل: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا يقول: لولا الله وفلان].

أي: يجوز أن يتعوذ بمخلوق إذا كان المخلوق حياً حاضراً قادراً على أن يعيذك بهذا الشيء؛ لأنه استعاذ بالله أولاً، والاستعاذة بالله من التوحيد بلا شك، ولا ينافي ذلك كون الإنسان يستعيذ بحي حاضر بشيء يمكله هو، أما إذا كان ميتاً أو غائباً أو لا يملك هذا الشيء، فالاستعاذة به تكون شركاً.

قوله: (أعوذ بالله ثم بك)، ولا يقول: (أعوذ بالله وبك)؛ لأن الأمر كما مضى أن الواو تجعل المعطوف مساوياً للمعطوف عليه بالشيء الذي ذكر، فهذا من الشرك بالله.

والمقصود في هذا أن الموحد المؤمن يتنزه في ألفاظه التي يتلفظ بها أن يقع في الشرك، والألفاظ قد تجري عادة بدون قصد، ومع ذلك لا يجوز ذلك، كما يجري على ألسنة كثير من الناس الحلف بالنبي، وهذا حلف بغير الله جل وعلا وهو من الشرك؛ فيجب أن يتنزه عن ذلك، وأن يستغفر الله من ذلك؛ لأنه لا يجوز الحلف إلا بالله جل وعلا أو بصفة من صفاته، وكذلك الاستعاذة، وكذلك اللياذ، وكل ذلك من أنواع العبادة.

وكذلك لا يجوز أن يضاف الأمر إلى سببه، كأن يقول: لولا الله وأنت ما صار كذا وكذا، فإن هذا تشريك ممنوع من جهتين:

- الجهة الأولى: التشريك.

- والثانية: أنه لا يجوز أن يضاف الفعل إلى فلان الذي قد يكون هو السبب، أو جزءاً من السبب، بل يجب أن يضاف إلى الله جل وعلا.

قال الشارح: [وقد تقدم الفرق بين ما يجوز، وما لا يجوز من ذلك، وهذا إنما هو في الحي الحاضر الذي له قدرة وسبب في الشيء، وهو الذي يجري في حقه مثل ذلك، وأما في حق الأموات الذين لا إحساس لهم بمن يدعوهم، ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر، فلا يقال في حقهم شيء من ذلك، فلا يجوز التعلق عليه بشيء ما بوجه من الوجوه، والقرآن يبين ذلك وينادي بأنه يجعلهم آلهة إذا سئُلوا شيئاً من ذلك، أو رغب إليهم أحد بقوله، أو عمله الباطن أو الظاهر، فمن تدبر القرآن، ورزق فهمه صار على بصيرة من دينه، وبالله التوفيق].

يجب على كل مؤمن أن يتدبر القرآن؛ لأن الله أمر به؛ فإن من لم يتدبره فهو مرتكب لمحرم وسوف يحاسبه الله على ذلك، وبالنسبة للميت كالغائب فلا يجوز أن يستعاذ به، وإنما يستعاذ بالحي الحاضر القادر.

قال الشارح رحمه الله: [والعلم لا يؤخذ قسراً وإنما يؤخذ بأسباب ذكرها بعضهم في قوله: أخي لن تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن تفصيلها ببيان ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وإرشاد أستاذ وطول زمان].

هذه الأسباب كلها إذا فعلها الإنسان قد ينال العلم وقد لا يناله، وإنما الذي سبب الأسباب هو الله جل وعلا؛ فإذا أراد بعبده خيراً فإنه ييسر له هذه الأسباب.

قال الشارح رحمه الله [وأعظم من هذه الستة: من رزقه الله تعالى الفهم والحفظ، وأتعب نفسه في تحصيله، فهو الموفق لمن شاء من عباده، كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣].

ولقد أحسن العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى حيث قال: والجهل داء قاتل وشفاؤه أمران بالتنفيذ متفقان نص من القرآن أو من سنة وطبيب ذاك العالم الرباني والعلم أقسام ثلاث ما لها من رابع والحق ذو تبيان علم بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للرحمن والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثاني والكل في القرآن والسنن التي جاءت عن المبعوث بالقرآن والله ما قال امرؤ متحذلق بسواهما إلا من الهذيان].

يعني: أن العلم لا يخرج عن هذه الأقسام الثلاثة، وهو العلم بالله بأسمائه وصفاته، والعلم بأمره وخبره، يعني: أخباره التي يخبر بها، وأمره الذي يأمر به عباده.

وهذا هو العلم النافع وما عدا ذلك لا خير فيه.". (١)

٣١-"العشق تعلق بغير الله

Q هل يدخل العشق في **تعلق القلب** بغير الله؟

A نعم، بلا شك أن عشق الصورة أو المرأة أو غيرها وتعلق قلبه به حتى صار عاشقاً لها تعلق بغير الله، والعشق هو حب يصل إلى حالة يخشى عليه من الموت مع الشهوة، فهذا معناه أن قلبه غالباً يكون فارغاً من معرفة الله جل وعلا أو من

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان ١٠٧/٩

عبادته.". (١)

٣٢-"وجوب التعلق بالله وحده

قال الشارح: [قوله: باب تفسير التوحيد وشهادة ألا إله إلا الله.

قلت: هذا من عطف الدال على المدلول.

فإن قيل: قد تقدم في أول الكتاب من الآيات ما يبين معنى (لا إله إلا الله) وما تضمنته من التوحيد، كقوله تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣] وسابقها ولاحقها، وكذلك ما ذكره في الأبواب بعدها فما فائدة هذه الترجمة؟

قيل: هذه الآيات المذكورات في هذا الباب فيها مزيد بيان بخصوصها لمعنى كلمة الإخلاص وما دلت عليه: من توحيد العبادة، وفيها: الحجة على من تعلق على الأنبياء والصالحين يدعوهم ويسألهم لأن ذلك هو سبب نزول بعض هذه الايات كالآية الأولى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الإسراء:٥٦] أكثر المفسرين على أنها نزلت فيمن يعبد المسيح وأمه وعزيراً والملائكة، وقد نهى الله عن ذلك أشد النهي كما في هذه الآية من التهديد والوعيد على ذلك، وهذا يدل على أن دعاءهم من دون الله شرك بالله ينافي التوحيد وينافي شهادة أن لا إله إلا الله؛ ومضمون هذه الكلمة نفي الشرك في العبادة والبراءة من عبادة كل ما عبد من دون الله؛ فإن التوحيد أن لا يدعى إلا الله وحده، وكلمة الإخلاص نفت هذا الشرك؛ لأن دعوة غير الله تأله وعبادة له، و (الدعاء مخ العبادة).

وفى هذه الآية: أن المدعو لا يملك لداعيه كشف ضر ولا تحويله من مكان إلى مكان، ولا من صفة إلى صفة، ولو كان المدعو نبياً أو ملكاً، وهذا يقرر بطلان دعوة كل مدعو من دون الله، كائناً من كان؛ لأن دعوته تخون داعيه أحوج ما كان إليها؛ لأنه أشرك مع الله من لا ينفعه ولا يضره، وهذه الآية تقرر التوحيد ومعنى لا إله إلا الله.

قوله: وقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء:٥٧].

يبين أن هذا سبيل الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم من المؤمنين قال قتادة: تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، وقرأ ابن زيد: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمْ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء:٥٧] قال العماد ابن كثير: وهذا لا خلاف فيه بين المفسرين، وذكره عن عدة من أئمة التفسير.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: في هذه الآية ذكر المقامات الثلاثة: الحب وهو ابتغاء التقرب إليه والتوسل إليه بالأعمال الصالحة، والرجاء والخوف، وهذا هو التوحيد وهو حقيقة دين الإسلام كما في المسند عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: (والله يا رسول الله ما أتيتك إلا بعد ما حلفت عدد أصابعي هذه: أن لا آتيك، فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به؟ قال: الإسلام.

قال: وما الإسلام؟ قال: أن تسلم قلبك وأن توجه وجهك إلى الله، وأن تصلي الصلوات المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة) وأخرج محمد بن نصر المروزي من حديث خالد بن معدان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان ١٤٢/٥٩

للإسلام صوى ومناراً كمنار الطريق، من ذلك أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ [لقمان:٢٢].

يجب على المسلم أن يجعل خوفه ورجاءه وتعلقه بالله وحده فقط، ويعلم أن جميع الخلق لا يملكون ضراً ولا نفعاً من دون الله جل وعلا، قال الرسول صلى الله عليه وسلم في وصيته لـ ابن عباس: (واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك)، فالأمر كله بيد الله جل وعلا، فيجب أن يكون **تعلق القلب** والتوجه إليه وحده، وأن تكون العبادة خالصة له وحده.

والعبادة تكون بالقلب وتكون بالجوارح، وتكون بهما جميعاً، فمثلاً القيام تعبداً يجب أن يكون لله، والركوع يجب أن يكون لله، والسجود يجب أن يكون لله، والتوبة يجب أن تكون لله، والنذر والدعاء والرجاء والخوف وغير ذلك من أنواع العبادة الكثيرة كلها يجب أن تكون خالصة لله جل وعلا، ولا يجوز أن يتعلق العابد لله بغير الله جل وعلا في دعاء ولا في خوف ولا في رجاء، إلا أن الخوف يكون خوفاً طبيعياً ويكون خوفاً غيبيا، فالخوف الطبيعي كالذي يخاف من السبع أو من الحية أو من الظالم المقتدر على أذاه أو تعذيبه، فهذا لا يضر الإنسان شيئاً، وليس عليه في ذلك شيء.

ولكن الخوف الذي يضر إذا خاف من غائب عنه، فهو يخافه وهو ميت، أو يخافه في أمر ليس من الأسباب الظاهرة، فإن هذا لا يجوز أن يكون إلا لله وحده جل وعلا، فإن حصل للإنسان شيء من ذلك -والعياذ بالله- فقد وقع في الشرك، وهذا الشرك يكون من الشرك الأكبر.

وكذلك المحبة يجب أن تكون لله وحده، فالحب هو لب العبادة وهو التأله، وهو معنى (لا إله إلا الله)، فيجب أن يكون لله وحده، إلا أن الحب -كما سيأتي- ينقسم أيضاً إلى حب طبيعي وحب خاص، فالحب الطبيعي كحب الجائع للطعام والظمآن للشراب، وكذلك حب الألفة والأنس والمصاحبة، وكذلك حب الحنان والرحمة كحب الوالد لولده وما أشبه ذلك فهذا لا ضير فيه، ولا يلام الإنسان عليه، وإنما الحب الذي يكون لله هو الحب الخاص الذي يتضمن الذل والتعظيم، فهذا لا يجوز إلا أن يكون لله؛ إذ كان الحب في ضمنه ذل للمحبوب وتعظيم له، فهذا يكون عبادة لا يجوز أن يكون للمخلوق، وكذلك هذه الآية، حيث استثنى إبراهيم الله جل وعلا فقال: ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف:٢٧] مما يدل على أنه لا يكفي في عبادة الله جل وعلا أن يقر الإنسان بأن الله هو ربه، مع أنه يوزع عبادته بين الله جل وعلا وبين المخلوقين، فإنه بذلك يكون مشركاً، فإذا قال الإنسان: إن الله هو ربي، وهو خالقي، وهو المتصرف في كل شيء والمالك لكل شيء، وهو المحيي والمميت، وهو الضار النافع، ومع ذلك يدعو غيره من الأموات فهذا الإقرار لا يفيده شيئاً ولا ينفعه، وذلك لأن المشرك لا يقبل منه عمل، والشرك يفسد العمل كله، فلابد في قبول العمل وصحته من الإخلاص، أن يكون الإنسان مخلصاً في عبادته ودعوته واتجاهه إلى الله جل وعلا.". (١)

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان ٤/٢٩

٣٣-"تفسير هذا الحديث لمعنى لا إله إلا الله

هذا الحديث بيان وشرح لقول لا إله إلا الله؛ لأنه قال: (وكفر بما يعبد من دون الله)، والكفر بما يعبد من دون الله يقتضي مجانبته وبغضه وكراهيته، ويتبرأ منه ومن عابده، فلا بد أن يكون الإنسان عاملاً بذلك حتى يصح دينه ويسلم، ويتحصل على الموعود الذي وعد به من قال: لا إله إلا الله بأن يدخل الجنة.

وبهذا يتبين أن الذين يتعلقون بغير الله جل وعلا، ويزعمون أنهم لم يأتوا بمخالفٍ مغرورون، قد اغتروا بجهلهم؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم بيّن غاية البيان، ووضح الأمر، فلا عذر لهم؛ لأنهم لم يعتنوا ببيانه الذي كلفه الله جل وعلا به، وقام به كما ينبغي صلوات الله وسلامه عليه.

ولهذا تجد كثيراً من الناس يتعلق بالصالحين أو بقبورهم أو بغير ذلك، ويزعم أنه لم يأت بمخالف؛ لأنه يعد هذا توسلاً، ويقول: التوسل مشروع، وقد سبق أن التوسل الذي أمر الله به هو فعل الطاعة ابتغاء الوسيلة إلى الله، فيطيع الله جل وعلا ويتبع رسوله صلى الله عليه وسلم، أما التعلق بغير الله جل وعلا فهو تأله، والتأله يجب أن يكون لله وحده، ولا يجوز أن **يتعلق القلب** بغير الله تعالى، فإن وجد التعلق بغير الله جل وعلا فإما أن يكون ذلك منافياً للتوحيد بالكلية، أو منقصاً له وخادشاً له، ويصبح الإنسان معرضاً لعذاب الله جل وعلا.

يعني: إذا كان التعلق من نوع الشرك الأكبر فهو منافياً للتوحيد، ومن مات على الشرك الأكبر فهو من أهل النار بلا تردد قطعاً؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٤٨] أما إذا كان ليس من الشرك الأكبر كتعليق التميمة، وطلب البركة من موضع أو ما أشبه ذلك، فإن هذا قد يكون أكبر وقد يكون أصغر كما سيأتي، ويكون بحسب ما يقوم بقلب الإنسان، ويترتب عليه النقص أو المنافاة بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

والواجب على العبد أن يخلص دينه لله جل وعلا، وأن يكون الدين خالصاً لله جل وعلا، **وتعلق القلب** كله بالله جل وعلا، وألا يتعلق بشيء من المخلوقات التي لا تنفع ولا تضر، فكلها مخلوقة ضعيفة، والله جل وعلا يتصرف فيها كيف يشاء، وكل مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره دفعاً ولا نفعاً، ولكن كثير من الجهال يغترون بالأوضاع التي يجدون عليها أهل زمانهم، والأوضاع ليست دليلاً على الدين، الدين هو ما جاء به رسول صلى الله عليه وسلم، فعلى الإنسان أن يتعرف على ذلك ويحرص عليه.". (١)

٣٤-"شبهة المشركين في عبادة غير الله أنهم اتخذوها وسائط وشفعاء عند الله

قال الشارح رحمه الله: [وإنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله، لا على أنهم يكشفون الضر ويجيبون دعاء المضطر، فهم يعلمون أن ذلك لله وحده كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [النحل:٥٣ - ٥٤]].

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان ٣٣/٥

((إِلَيْهِ تَجْأَرُونَ)) أي: تدعونه بتضرع ورفع صوت، وإلحاح وحاجة شديدة.

إذا مسهم الضر كان هذا شأنهم، فهم لا يلتفتون إلى آلهتهم التي يعبدونها، وهذا من الأمور التي فارق فيها المشركون الأوائل أهل الشرك المتأخرين، فإنهم إذا مسهم الضر ازداد شركهم ودعوتهم لغير الله جل وعلا، وهرعوا إلى القبور يدعونها، ويلجئون إليها، والأمر كما قلنا: لا عقل ولا دين عندهم، ذهبت عقولهم، وأديانهم، وجهلوا اللغة، وبعد ذلك جهلوا دينهم، فصار الشرك عندهم أعظم وأشد.

أما المشركون القدامى فإنهم إذا وقعوا في الشدة فإنهم يخلصون الدعاء لله وحده؛ لأنهم يعلمون يقيناً أنه لا ينجيهم من الشدائد ويكشف عنهم الضر إلا الله وحده: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [العنكبوت:٦٥] أي: إذا ركبوا البحر وهاجت بهم الرياح أخلصوا الدعوة لله وحده، وكفروا بآلهتهم، وإذا كان معهم شيء من أصنامهم ألقوها في البحر، وقالوا: إنها لا تنفع، ولا ينجيكم في مثل هذه المواطن إلا الإخلاص، ودعوة الله وحده، وهذا أمر معروف ومتقرر.

ذكر المؤرخون أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة فاتحاً فر من فر من المشركين ومنهم عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه، فقد كان مشركاً وكان يأبى أن يقبل الإسلام، ففر هارباً وترك مكة وأهله وزوجته، فوفق له أنه وجد أهل سفينة يريدون اليمن قرب جدة، فركب معهم فهاجت بهم الريح عند ذلك، فقال بعضهم لبعض: أخلصوا الدعاء لله، وألقوا ما معكم من الأصنام، فإنه لا ينجيكم في هذه الحالة إلا الإخلاص، ودعوة الله وحده، عند ذلك فكر في نفسه فقال: إذاً: إلى أين أهرب؟! لئن أنجاني الله جل وعلا من هذه الكربة لأذهبن إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وأضع يدي في يده فليصنع بي ما شاء، وهذا سبب إسلامه.

والمقصود أن هذا أمر واضح، وقد ذكر الله جل وعلا عنهم في القرآن أنهم إذا وقعوا في الشدائد أخلصوا لله جل وعلا، وقد قال الله جل وعلا مستدلاً على وجوب توحيده وحده، وإلزامهم بذلك: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل:٦٢]، وكلهم يقرون بأنه الله وحده، لا اللات ولا هبل، ولا مناة ولا العزى، ولا غير ذلك من الآلهة التي كانوا يدعونها، بل يعترفون أنه الله جل وعلا وحده، وهذا لا يحتاج إلى استدلال عليه؛ لأنه أمر ظاهر جلي، وإنما احتيج إلى ذلك لما جهل الذين يدعون غير الله هذا الأمر، وصاروا يعتقدون أن الشرك هو أن يدعو الإنسان من يعتقد أنه يخلق ويرزق ويحيي ويميت، فيقول: إذا دعوت المقبور وأنت لا تعتقد أنه يخلق ويرزق ويحيي ويميت فليس في هذا شرك، هذا ما قاله أحد من خلق الله، وإنما قاله هؤلاء الذين خرجوا عن المعقولات بعد خروجهم عن المشروعات التي جاءت بها الرسل، وهو أمر واضح جلي جداً.

فالمقصود أن دعوة غير الله جل وعلا كلها من باب اتخاذ الوسائط والتبركات والشفاعة.

قال رحمه الله: [قلت: فهذه الآية وأمثالها تبطل **تعلق القلب** بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وأن ذلك شرك بالله، وفي الآية بيان أن الله تعالى وسم أهل الشرك بدعوة غير الله، والرغبة إليه من دون الله، والتوحيد ضد ذلك، وهو ألا يدعو إلا الله، ولا يرغب إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، وكذا جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله كما دل على ذلك الكتاب

والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها كما تقدم]." (1)

٣٥-"حكم التعلق بالتمائم ومعناه

التعلق يقصد به **تعلق القلب**، ويقصد به تعلق الفعل، يقصد به هذا وهذا، ومن يعلق تميمة لا بد أن يكون قلبه تعلق بها، وهذا شرك.

والتميمة هي كل ما يعلقه الإنسان على بدنه أو في سيارته أو في بيته، أو في متجره، أو في مصنعه، يريد بذلك أن يدفع عنه عين الإنسان أو أذى الجان أو ينفعه في شيء من المنافع، سواء كان المعلق من القرآن، ومن أسماء الله وصفاته، أو من أسماء الشياطين والجن، أو من الحروف والطلسمات التي يفعلها الكهنة والسحرة وأشباههم من الجهال.

ولكن إذا كان المعلق من القرآن، ومن صفات الله جل وعلا وأسمائه فقد اختلف العلماء في ذلك كما سيأتي، منهم من جوزه وقال: إنه جائز، ومنهم من منعه، وجعله من قسم الممنوع الذي لا يجوز فعله، وسيأتي بحث ذلك في الباب الذي بعد هذا إن شاء الله.

والتميمة سميت تميمة من باب التفاؤل -كعادة العرب- تفاؤلاً بأن من علقها يتم له أمره، كما أنهم يسمون اللديغ سليماً تفاؤلاً بأنه سيسلم، ويسمون الأرض المهلكة التي ليس فيها لا ماء ولا أناس ولا قرى مفازة تفاؤلاً بأن الذي يسلكها سيفوز وينجو، وهذا كثير في كلام العرب، ومنه تسميتهم التميمة تفاؤلاً بأنه سيتم مقصوده، ولهذا دعا النبي صلى الله عليه وسلم على من فعل ذلك ألا يتم الله له أمره، فقال: (من تعلق تميمة فلا أتم الله له) فهذا دعاء من النبي صلى الله عليه وسلم بأن يعامل بنقيض قصده ومراده، وفي هذا دليل على أن من ارتكب معصية أنه يستحق الدعاء، وأنه يعاقب بنقيض ما أراد؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم دعا عليه.

وأما الودع فهو شيء يستخرج من البحر، وهو معروف، ويعلقونه على أولادهم زعماً منهم أنه يقي من أذى الجن، أو يقي من عين الإنسان، وقد يعلقونه على البهائم، وقد يعلق على غير ذلك، ولكن تختلف الأحوال الآن فهناك أمور جدت، المعنى واحد والأسماء اختلفت، فقد يعلق بعضهم الآن سلسلة من صفر أو من فضة، أو خاتماً يوضع فيه فص، أو نحو ذلك، ويزعم أنه ينفع من أمراض معينة، ومن أذى الجن، وأذى الإنسان الذي يصيب بالعين، وقد يؤخذ مثلاً حلقة من فضة، ويزعم أنها تمنع من البواسير، وقد يجعل في عضده حلقة من صفر، أو سلسلة من نحاس، ويزعم أنها تنفع من الروماتيزم، أو تنفع مما يسمى واهنة، وهي نوع من الروماتيزم، ولكن فيها عقائد جاهلية، كل هذه من أمور الشرك، ومن أمور الجاهلية، ويجب على المسلم أن يطهر نفسه واعتقاده منها، وكذا من له به صلة من أهله وأولاده؛ لئلا تصيبه دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولئلا يعاقبه الله جل وعلا على الشرك." (2)

---

(1) شرح فتح المجيد للغنيمان ٦/٣٥

(2) شرح فتح المجيد للغنيمان ٣/٣٦

٣٦-"مسائل باب: من الشرك لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه

قال المصنف رحمه الله: [فيه مسائل: المسألة الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك].

يعني: مثل ذلك في النفع أو الدفع، فإذا كان الإنسان يلبس شيئاً من ذلك فهو مشرك، وسواء كان شركاً أكبر أو أصغر حسب ما يقوم بقلبه.

[المسألة الثانية: أن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح.

فيه شاهد لكلام الصحابة: أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر.

المسألة الثالثة: أنه لم يعذر بالجهالة.

المسألة الرابعة: أنها لا تنفع في العاجلة بل تضر، لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزيدك إلا وهنا)].

قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزيدك إلا وهناً) يعني: أن هذه الحلقة تضر، وإن زعم أنها تنفع فهي لا تزيده إلا وهناً، والوهن هو الضعف، أي: يزداد مرضاً إلى مرضه، هذا في العاجل، أما في الآجل فهي شرك يعاقبه الله عليه.

[المسألة الخامسة: الإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك.

المسألة السادسة: التصريح بأن من تعلق شيئاً وكل إليه.

المسألة السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك.

المسألة الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك.

المسألة التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة رضي الله عنهم يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر كما ذكر ابن عباس في آية البقرة].

وسبق أن التعلق يكون في القلب، ويكون بالفعل، ولكن إذا حصل بالفعل لا بد أن يكون صدر من القلب، إلا أن يكون الإنسان غبياً، أو لا يعقل، أما إذا كان عاقلاً فالعاقل إنما يبعثه على عمله ما في القلب من نية، وهذا هو **تعلق القلب**، فمن علق شيئاً من ذلك فقد وقع في الشرك، والشرك وإن كان أصغر فأمره عظيم ليس سهلاً، فلا يجوز التساهل في مثل هذه الأمور، والإنسان إذا اعتمد على الله جل وعلا وتوكل عليه فإنه يكفيه.

وإذا وقع في مرض أو في أمر من الأمور التي يخشاها فعليه أن يلجأ إلى الله، وعليه أن يدعو ربه، ويتجه إليه، ويتوكل عليه، وينزل به حاجته، هذا هو الذي ينفعه في الواقع، مع أنه لا مانع من فعل الأسباب المباحة من الأدوية وغيرها، فإنه يجوز أن يتداوى إن لم يكن ذلك مستحباً كما مضى، فإذا لم يكن الدعاء ممنوعاً محرماً فإنه يكون من الأسباب المباحة، أو الأسباب المسنونة المستحبة.". (١)

٣٧-"حديث: (من تعلق شيئاً وكل إليه)

قال الشارح: [وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً: (من تعلق شيئاً وكل إليه) رواه أحمد والترمذي].

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان ١٢/٣٦

سبق أن لفظة تعلق تكون بفعل القلب، وتكون بفعل الجوارح، وغالباً تطلق على فعل القلب، ولا سيما في مثل هذا الذي يرجى منه النفع الغيبي ومن الأمر الذي لا يشاهد، فإن هذا يراد به **تعلق القلب**.

(من تعلق تميمة) يعني: تعلق قلبه بها، بأن رجا أنها تدفع عنه الضر أو تجلب له النفع، ومن فعل هذا فقد رجا غير الله، والتفت إلى غيره، وهذا كما سبق نوع من الشرك.

قال الشارح: [وعبد الله بن عكيم هو بضم المهملة مصغرة، ويكنى أبا معبد الجهني الكوفي، قال البخاري: أدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف له سماع صحيح، وكذا قال أبو حاتم، قال الخطيب: سكن الكوفة وقدم المدائن في حياة حذيفة، وكان ثقة، وذكر ابن سعد عن غيره أنه مات في ولاية الحجاج.

قوله: (من تعلق شيئاً وكل إليه) التعلق يكون بالقلب، ويكون بالفعل، ويكون بهما (وكل إليه) أي: وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه].

قوله: (شيئاً) هذا عام، (من تعلق شيئاً وكل إليه)، والمقصود أن الذي يتعلق بغير الله فإن الله يكله إلى ذلك الغير، وإذا وكل الإنسان إلى غير الله فإنه يوكل إلى عوره وإلى ضيعة، فلا يحصل له مقصوده، بخلاف الذي يتعلق بالله جل وعلا، فإنه يكون ناجحاً يحصل له مراده، ويكون مطيعاً في ذلك لله جل وعلا، ويأتيه الخير من حيث لا يحتسب.

ففرق بين من تعلق بالله ومن تعلق بالمخلوقات التي لا تنفع نفسها فضلاً عن غيرها من الأمور التي يتوقع نفعها، أو الأمور التي يتوقع ضررها بأن تدفع، فإن هذا لا يكون إلا بيد الله جل وعلا كما في حديث عبد الله بن عباس: (واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا على ذلك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا على ذلك) فالأمور كلها بيد الله.

ولكن إذا كان الإنسان يقينه ضعيفاً، وإيمانه ضعيفاً، فإن تعلقه بالله يصبح ضعيفاً، وتجده يتشبث بأدنى سبب يتوهمه، فإذا كان هكذا فإن الله لا يبالي في أي وادٍ هلك.

بخلاف الذي يكون إيمانه قوياً، وثقته بالله قوية، فإنه لا يضره أي توهم يمر به من الشيطان أو من غيره، فإنه يعتمد على الله بعد فعل السبب، فالأسباب مطلوب فعلها، ولكن لا يعتمد عليها، وإنما الاعتماد على الله جل وعلا، فهو إذا شاء جعل السبب مؤثراً، وإذا شاء أبطل السبب وإن كان قوياً، ويصبح لا تأثير له.

فالمقصود أن الأمور كلها بيد الله، فما حصل لك من خير فهو من الله، وإن كان هناك أسباب فالأسباب سببها الرب جل وعلا.

فيجب على العبد أن يكون تعلقه بالله وحده، وألا يلتفت إلى المخلوقات، ولا يعلق قلبه بها، فلا يرجو نفعها أو أن تدفع عنه ضراً، وهذا لا ينافي كونك تستعيذ بمن يقدر على إعانتك ممن هو حاضر عندك، ويستطيع أن يساعدك على عمل ما، فإن هذا غير ممنوع (من استطاع أن ينفع أخاه فلينفعه)، والمسلمون كالجسد الواحد يشد بعضه بعضاً، فلا بد من التعاون، ولكن المقصود بالمنع الأمور الغيبية التي يتوقع نفعها كالشفاء من المرض، وكدفع الآفات، وما أشبه ذلك، فهذه يجب أن يكون التعلق فيها بالله وحده.

قال الشارح: [فمن تعلق بالله، وأنزل حوائجه به، والتجأ إليه، وفوض أمره إليه؛ كفاه، وقرب إليه كل بعيد، ويسر له كل عسير؛ ومن تعلق بغيره، أو سكن إلى رأيه وعقله ودوائه وتمائمه ونحو ذلك؛ وكله الله إلى ذلك، وخذله، وهذا معروف بالنصوص والتجارب قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣]].

معنى حسبه: يعني: كافيه، من يتوكل على الله فإن الله يكفيه كل ما خافه، ويعطيه ما أمله ورجاه.

قال الشارح: [وقال الإمام أحمد: حدثنا هشام بن القاسم قال: حدثنا أبو سعيد المؤدب قال: حدثنا من سمع عطاء الخراساني قال: لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت فقلت: حدثني حديثاً أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز، قال: (نعم، أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود: يا داود! أما وعزتي وعظمتي! لا يعتصم بي عبد من عبادي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده السماوات السبع ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن، إلا جعلت له من بينهن مخرجاً، أما وعزتي وعظمتي! لا يعتصم عبد من عبادي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته، إلا قطعت أسباب السماء من يده، وأسخت الأرض من تحت قدميه، ثم لا أبالي بأيّ أوديتها هلك)].". (١)

٣٨-"الدعاء الوارد في إذهاب الطيرة والتشاؤم

[وبالجملة يحب كل كمال وخير، وما يفضي إليهما، والله سبحانه قد جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن، ومحبته، وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح، والسلام والنجاح والتهنئة، والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك، فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع استبشرت بها النفوس، وانشرح لها الصدر، وقوي بها القلب، وإذا سمعت أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال، فأحزنها ذلك، وأثار لها خوفاً وطيرة وانكماشاً وانقباضاً عما قصدت له وعزمت عليه، فأورث لها ضرراً في الدنيا، ونقصاً في الإيمان، ومقارفة الشرك.

وقال الحليمي: وإنما كان صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن بالله، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.

قال المصنف رحمه الله: ول أبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (أحسنها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك).

] هذا معناه أنه أدخل الفأل في الطيرة فقال: (أحسنها الفأل) وأن الطيرة لا يلتفت إليها المسلم، ولا يعتمد عليها، والفأل أيضاً لا يعتمد عليه، ولا يبني عليه شيئاً، وإنما يبني عليه ظناً ورجاءً فقط، يظن الخير ويرجوه، وإلا فهي مقطوعة عن التصرف.

وكذلك فيه الإرشاد إلى اللجوء إلى الله، والهروب إليه، والتوسل إليه بدعائه أنه لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يذهب بالسيئات إلا هو، والحسنات: كل خير، وكل ما فيه أنس ومسرة من أمور الدنيا والآخرة، والسيئات: كل مضر، وكل ما

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان ٣٧/١٠

يسوءه ويضره في الدنيا والآخرة فهو سيئة، فصار هذا عاماً شاملاً في أن الأمور كلها بيد الله.
قوله: (لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك)، يعني: أنني لا أستطيع أن أتحول من حال إلى أخرى إلا إذا قويتني وأعنتني على ذلك، فمعنى ذلك أنه لجوء إلى الله، وتبرؤ من قوة النفس وتصرفها، وأنه لا قوة له ولا تصرف له إن لم يجعل الله جل وعلا له قوة وتصرفاً، فهو توحيد لله جل وعلا بالأفعال، وبالخضوع له والالتجاء إليه، والتبري من القوة أو التحول من حال إلى أخرى إلا بالله جل وعلا.
هذا من أعظم ما ينبغي للإنسان أنه يسأله ويلجأ إليه، ألا يعتمد على فأل ولا طيرة.
أما قوله: (ولا ترد مسلماً) ففيه تنبيه على أن الذي ترده الطيرة قد يكون خارجاً عن الإسلام؛ لأن المسلم لا ترده الطيرة، يعني: لو رآها -مثلاً- وقعت له فإنه يعرض عنها، ويتوكل على ربه جل وعلا، ويقول هذا الدعاء، ولا يأتيه إلا خير بإذن الله تعالى.
قال الشارح رحمه الله: [قوله: وعن عقبة بن عامر هكذا وقع في نسخ التوحيد، وصوابه: عن عروة بن عامر كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما].
فالمؤلف رحمه الله نقله من كتاب ابن السني، وابن السني هكذا وقع الخطأ في كتابه عقبة بن عامر، وليس الخطأ من الشيخ، وإنما وقع الخطأ في المصدر الذي هو كتاب عمل اليوم والليلة لـ ابن السني، فالمؤلف رحمه الله نقله منه، وهذا الخطأ الذي فيه إما من الناسخ أو من بعض الرواة.
والله أعلم.
قال الشارح رحمه الله: [وهو مكي اختلف في نسبه، فقال أحمد: عن عروة بن عامر القرشي وقال غيره: الجهني، واختلف في صحبته فقال الباروردي: له صحبة، وذكره ابن حبان في ثقاة التابعين، وقال المزي: لا صحبة له تصح.
قوله: (فقال: أحسنها الفأل) قد تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الفأل، وروى الترمذي وصححه عن أنس: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج لحاجته يحب أن يسمع يا نجيح! يا راشد!!) وروى أبو داود عن بريدة: (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأله عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به، وإن كره اسمه رئي كراهية ذلك في وجهه) وإسناده حسن.
وهذا فيه استعمال الفأل.
قال ابن القيم: أخبر صلى الله عليه وسلم أن الفأل من الطيرة، وهو خيرها، فأبطل الطيرة، وأخبر أن الفأل منها ولكنه خير منها، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد، ونفع أحدهما، ومضرة الآخر، ونظير هذا: منعه من الرقى بالشرك، وإذنه في الرقية إذا لم يكن فيها شرك؛ لما فيها من المنفعة الخالية من المفسدة.
قوله: (ولا ترد مسلماً)، قال الطيبي: تعريض بأن الكافر بخلافه.
قوله: (اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت)، أي: لا تأتي الطيرة بالحسنات، ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات، والحسنات هنا النعم، والسيئات المصائب، كقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ

هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا * مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء:٧٨ - ٧٩]، ففيه نفي تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر وهذا هو التوحيد، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً، ويعد من اعتقدها سفيهاً مشركاً.

قوله: (ولا حول ولا قوة إلا بك) استعانة بالله تعالى على فعل التوكل، وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سبباً لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها، وذلك الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل، الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات، والحول: التحول، وهو الانتقال من حال إلى حال، والقوة على ذلك بالله وحده لا شريك له، ففيه: التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته، وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليل على توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، وهو توحيد القصد والإرادة، وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله]." [١]

٣٩-"حديث: (الطيرة شرك)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [وعن ابن مسعود مرفوعاً: (الطيرة شرك، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل)، رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود].

قوله صلى الله عليه وسلم: (الطيرة شرك! الطيرة شرك)، التكرار هنا للتأكيد والمبالغة في البلاغ، وذلك يدل على أن الطيرة كانت منتشرة في الناس في ذلك الوقت، فلهذا بالغ الرسول صلى الله عليه وسلم في النهي عنها، وأخبر أنها شرك، والشرك معلوم عند المخاطبين أنه أكبر الذنوب، وقوله: (شرك) مطلق، قد يكون شركاً أكبر، وقد يكون أصغر، وتبين فيما سبق التفصيل في هذا وهو أن الإنسان إذا كان يعتقد أن فعل الطيرة هو الذي يكون فيه الخير، أو مثلاً نعيقه، أو أن الخير معلق بظهور الحيوان، فهذا من الشرك الأكبر، أما إذا كان يعتقد أن الله جعله سبباً لذلك فهذا يكون من الشرك الأصغر.

وقوله: (ما منا إلا)، يعني: ما منا أحد إلا ويقع في نفسه شيء عندما يسمع شيئاً من ذلك (ولكن الله يذهبه بالتوكل)، يذهب هذا الشيء الذي يقع، وحذف المقدر لعلمه به، وليس هذا من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع في نفسه شيء؛ لأنه صلوات الله وسلامه عليه أعظم الناس إيماناً وتوكلاً على الله، ولكن هذا من كلام ابن مسعود رضي الله عنه، ولهذا بين الترمذي رحمه الله أن هذا مدرج، وأنه من كلام ابن مسعود، (وما منا إلا) أي: يقع في نفسه شيء من ذلك، غير أنه لا يلتفت إليه ولا يعول عليه، وإنما يعرض عنه ويتوكل على ربه، فيذهب الله جل وعلا ذلك الذي يقع بالتوكل عليه، وعدم الالتفات إلى غيره، هذا هو معنى الكلام.

قال الشارح رحمه الله: [وروى ابن ماجة وابن حبان ولفظ أبي داود: (الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك) ثلاثاً.

وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من تعلق القلب على غير الله تعالى، قال ابن حمدان: تكره الطيرة، وكذا قال غيره من أصحاب أحمد].

قوله: (تكره الطيرة) يجب أن تحمل كلمة (تكره) على التحريم؛ لأن الشرك ليس فيه شيء مكروه كراهة تنزيه، بل كله محرم،

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان ٨٠/٥

والعلماء في القديم إذا قالوا: يكره كان مقصودهم أنه حرام، ولكن بعضهم يتورع عن كلمة حرام للخوف؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل:١١٦]، يخاف أن يقول: حرام، فلا يقول على الشيء أنه حرام إلا إذا تأكد تأكداً تاماً بأن الله قد حرمه، هذا هو السبب، وكان في اصطلاحهم أيضاً أن وضع الكراهة على المحرم أمر شائع، وإنما اصطلح المتأخرون على تقسيم الكراهة إلى قسمين: قسم يكون كراهة تحريم، وقسم يكون كراهة تنزيه، وهذا اصطلاح حادث ما كان يعرفه السلف قديماً، ولا يجوز أن يحمل كلام العلماء في القديم على هذا الاصطلاح الحادث.

قال الشارح رحمه الله: [قال ابن مفلح: والأولى القطع بتحريمها لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروهاً الكراهية الاصطلاحية؟! قال في شرح السنن: وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعاً أو تدفع عنهم ضراً إذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوا مع الله تعالى.

قوله: (وما منا إلا)، قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري: في الحديث إضمار، والتقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك.

انتهى، وقال الخلخالي: حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة، وهذا من أدب الكلام.

قوله: (ولكن الله يذهبه بالتوكل)، أي: لكن لما توكلنا على الله في جلب النفع أو دفع الضر أذهبه الله عنا بتوكلنا عليه وحده.

قوله: (وجعل آخره من قول ابن مسعود)، قال ابن القيم: وهو الصواب، فإن الطيرة نوع من الشرك]." (١)

٤٠-"الشرك في الاستعاذة

النوع الثالث من أنواع الشرك: الشرك في الاستعاذة، والاستعاذة: هي الالتجاء والاعتصام من شيء يخافه الإنسان، فحين تقول: (أعوذ بكذا)، فالمعنى: ألتجئ إليه وأعتصم به من شيء يخاف أياً كان هذا الشيء، وأياً كان هذا المستعاذ به، فهذه الاستعاذة عبادة، وسيأتي الدليل على كونها عبادة.

والاستعاذة بالله عز وجل توحيد، والاستعاذة بغير الله نوعان: النوع الأول: الاستعاذة بغير الله فيما يقدر عليه، أي: الالتجاء إلى مخلوق يقدر على أن يعيذك من هذا الشيء.

والنوع الثاني: الاستعاذة بالمخلوق من شيء لا يقدر عليه.

فمثال الاستعاذة من شيء يقدر عليه: أن تكون -مثلاً- في مسبح وتكاد أن تغرق، فلتجأ إلى سباح بين يديك، فإنه قادر على إخراجك من هذا المسبح بإذن الله تعالى، فهو سبب في هذا، فهذا ليس من الشرك، والاستعاذة تكون شركاً في حالتين: الحالة الأولى: أن يكون العمل المطلوب مما يقدر عليه الإنسان أو المخلوق في العادة، لكن يطلب من ميت أو غائب لا يقدر عليه طبعاً؛ لأن الميت لا يعمل شيئاً، والغائب لا يدري.

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان ٦/٨٠

ومثال ذلك: إذا كنت في البحر، وجاءت الأمواج واقترب الغرق وخفت، فاستعذت بالرسول صلى الله عليه وسلم وهو ميت، أو استعذت بفلان من الحكام الذين لديهم طائرات، ولديهم قدرات، ولكنه ميت أو غائب ليس قريباً منك، فهذا من الشرك؛ لأنه لا يقدر على إنقاذك مما أنت فيه، ولو كان الإنقاذ من الغرق في العادة مما يقدر عليه الإنسان، فإذا كانت عنده إمكانات وقدرات فهو يقدر على إنقاذ الإنسان من الغرق، فأنت لو رأيت إنساناً سيغرق وأنت سباح ماهر قادر على إنقاذه كان إنقاذه من مقدورك وليس أمراً مستحيلاً.

ومثال الاستعاذة بغير الله عز وجل مما لا يقدر عليه المخلوق في العادة: أن تلتجئ بمخلوق في أن يعتقك من نار جنهم، فلو التجأت بمخلوق في أن يعتقك من نار جهنم فقد وقعت في الشرك؛ لأنه لا يقدر على أن يعيد الإنسان من نار جهنم إلا الله سبحانه وتعالى، فلا يستطيع هذا الأمر نبي مقرب ولا ملك مرسل ولا ولي له فضل.

إذاً: نخلص من هذا إلى أن الاستعاذة في الأصل تنقسم إلى قسمين: استعاذة بالله، واستعاذة بغير الله.

فالاستعاذة بالله عز وجل عبادة، وهي توحيد، وقد تكون من الواجب، وقد تكون من السنة، بحسب الحكم المتعلق بها.

والاستعاذة بغير الله يمكن أن نقسمها إلى قسمين: استعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه، وهذا ليس من الشرك، إلا إذا تعلق القلب بالمخلوق، فهذا من الشرك الأصغر، مثل تعلق القلب بالطبيب -مثلاً- أو بأي إنسان قادر على شيء.

أما النوع الثاني فهو الاستعاذة بغير الله عز وجل فيما لا يقدر عليه، وينقسم إلى قسمين: الأول: ما يقدر عليه الإنسان في العادة، ولكنه يطلب من ميت أو غائب.

والثاني: ما لا يقدر عليه الإنسان أصلاً في العادة.

فهذان النوعان كلاهما من جنس واحد، وفعلهما عليه شرك أكبر؛ لأنه صرف للعبادة -وهي الاستعاذة- لغير الله سبحانه وتعالى.". (١)

٤١-"شرك المحبة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد: فإن من الأعمال الشركية المتعلقة بتوحيد الألوهية شرك المحبة، والمحبة: هي تعلق القلب بالمحبوب.". (٢)

٤٢-"التوكل وأنواعه

التوكل معناه: الاعتماد القلبي، وينقسم إلى قسمين: الأول: الاعتماد على المخلوق فيما يقدر عليه.

والثاني: الاعتماد على المخلوق فيما لا يقدر عليه.

فأما الاعتماد على المخلوق فيما يقدر عليه فإنه ينقسم إلى قسمين: اعتماد مباح، واعتماد محرم.

فأما الاعتماد المباح فهو أن يعتمد الإنسان على شخص يوكله في أمر من الأمور يقدر عليه، فالنبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) شرح كتاب التوحيد - عبد الرحيم السلمي ٤/٥

(٢) شرح كتاب التوحيد - عبد الرحيم السلمي ٥/٢

وكل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أن ينحر بقية الإبل عندما كان في الحج، والوكالة باب من الأبواب الفقهية، والله عز وجل يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢]، فالاعتماد على الآخرين في الأمور التي يقدر عليها الإنسان في العادة هو من جنس التعاون، وإن كان الأولى تركه، لا سيما فيما يمكن للإنسان أن يقوم به، ولهذا كان السلف -رضوان الله عليهم- إذا سقط سوط أحدهم تناوله بيده ولم يقل لأحد: ناولنيه، أو: أعطني إياه.

وأما الاعتماد المحرم على المخلوق فيما يقدر عليه فهو الاعتماد عليه فيما يقدر عليه وتعليق القلب به، فتعليق القلب بهذا المخلوق محرم، حتى لو كان يقدر عليه، ومثال ذلك كون الإنسان يتعلق بالوظيفة التي هو فيها، وقد يترك بعض ما أمر الله عز وجل به بسبب اعتماده على هذه الجهة أو تلك في عطائه أو رزقه، فهذا من المحرم، فإذا **تعلق القلب** بالمخلوق وصار فيه نوع افتقار وقع في الإثم، والعياذ بالله.

أما التعلق بالمخلوق والاعتماد عليه فيما لا يقدر عليه -سواءً أكان ذلك مما يقدر عليه الإنسان في الأصل، ولكن طلب من ميت أو من غائب، أم كان لا يقدر عليه جنساً وأصلاً -فهو شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام، والتوكل على الله لا شك في أنه من أعظم أنواع العبادات.

ويمكن أن نقسم الاعتماد القلبي بالطريقة السابقة إلى قسمين: الاعتماد على الله، والاعتماد على غير الله.

فأما الاعتماد على الله فهو أصل عظيم من أصول التوحيد، ولهذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير: تغدو خماصاً وتروح بطاناً).

يعني: تخرج من أوكارها جائعة خمصته البطون، وترجع في آخر النهار وقد امتلأ بطونها، وكل ذلك من رزق الله عز وجل، وهذا يدل على أنها منذ خروجها كانت معتمدة على الله عز وجل؛ إذ هو المتكلف بأرزاق العباد سبحانه وتعالى.

وأما الاعتماد على غير الله عز وجل فهو بحسب التفصيل السابق.". (١)

٤٣-"قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى هذه زيادةُ وهمٍ من الراوي، أي ليست تعارض، («لا يسترقون»). واضحةٌ بينة لا يطلبون الرقية، أما «لا يرقون». هذه فيها إشكال تعارض مع أصلٍ يكاد أن يكون مقطوعًا به. قال ابن تيمية: هذه زيادةُ وهمٍ من الراوي. تكون شاذة لم يقل النبي – صلى الله عليه وسلم –: «لا يرقون». وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم – وقد سئل عن الرقى: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه». رواه مسلم. «من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه». يعني بالرقية. وقال عليه الصلاة والسلام: «لا بأس بالرقى ما لم تكن شركًا». رواه مسلم. قال ابن تيمية وأيضًا فقد رقَى جبريل النبي – صلى الله عليه وسلم –، وهذا في مسلم، ورقَي النبي – صلى الله عليه وسلم – أصحابه وهذا في الصحيحين وهو ثابت، وكذلك الصحابة كانوا يرقون كما في قصة صاحب السرية، الصحابة كانوا يرقون. إذًا يكون نفي الرقية هنا وَهَمٌ من أو وَهْمٌ من الراوي فتكون شاذة، وبعضهم يرى أنه يمكن الجمع بين الروايتين. قال ابن تيمية:

---

(١) شرح كتاب التوحيد – عبد الرحيم السلمي ١١/٥

كذلك والفرق بين الراقي والمسترقي أن المسترقي سائلٌ مستعطٍ ملتفتٍ إلى غير الله تعالى بقلبه والراقي محسن، الراقي محسن والمسترقي قد حصل عنده ميل بقلبه إلى الراقي، صار فيه نوع التفات في القلب، وسبق أن **تعلق القلب** بغير الله عز وجل ولو لم يخرجه عن التوحيد الواجب يعتبر قدحًا في تحقيق التوحيد، إذ سبق أن تحقيق التوحيد على مرتبتين واجب ومندوب مستحب، والمندوب هذا ألا يبقى في القلب تعلق بغير الله عز وجل، وهذا [الراقي] (١) المسترقي قد تعلق قلبه بغير الله تعالى ولو لم يكن شركًا أو بدعة أو نحو ذلك، فحينئذٍ صار فيه نوع التفات من القلب وصار فيه نوع قدحٍ في كمال التوكل المستحب، إذًا ثم فرق بين الراقي وبين المسترقي. قال: وإنما المراد وصف السبعين ألفًا بتمام التوكل فلا يسألون غيره أن يرقيهم ولا يكويهم. وكذا قال ابن القيم. إذًا ابن تيمية رحمه الله تعالى وابن القيم يريان أن هذه اللفظة شاذة وهي وَهْمٌ من الراوي لأنها معارضة لأصلٍ صحيح وهو أن الرقية جائزة في أصلها وليست لسبب مكروه، وقد رقَى النبي – صلى الله عليه وسلم – ورُقِي كما سبق.

والحاصل أن قوله: («لا يسترقون») أي لا يطلبون الرقية من غيرهم، فالسين للطلب، وذلك لقوة اعتمادهم على الله تعالى، ولما فيه من التذلل لغير الله تعالى، ثم يترتب عليه تعلق بغير الله تعالى، وهذا فيه نوع التفات، فالطالب للرقية في قلبه ميل للراقي وإلى الرقية وفيه نوع توكل.

---

(١) سبق.". (١)

٤٤–"قال ابن حجر رحمه الله تعالى: تمسك بهذا الحديث من كره الرُّقَى والكي من بين سائر الأدوية، وزعم أنهما قادحان في التوكل دون غيرهما، جاء الأمر بالتداوي «عباد الله تداووا». فحينئذٍ التداوي في الأصل إما أن يكون دائرًا بين الوجوب والاستحباب، والمذهب سبق أنه مباح والأفضل تركه، هذا المشهور عن مذهب الإمام أحمد رحمه الله تعالى، والأصل فيه إذا جاء الأمر به وفعله النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يكون مستحبًا، لأن أقل فعل النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يفعل على الاستحباب، أن يحمل على الاستحباب، حينئذٍ أمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بالتداوي، وقد بين في هذا الحديث أن ثَمَّ أسبابًا للدواء أنها تنافي كمال التوكل، حينئذٍ قوله عليه الصلاة والسلام: («وعلى ربهم يتوكلون») هل هو خاصٌ بما ذُكر في الأمور الثلاث («لا يسترقون»)، («لا يكتوون»)، («لا يتطيرون») التطير قلنا: هذا محرم حينئذٍ يحمل على الأول والثاني: («لا يسترقون ولا يكتوون») هل هو منافٍ لكمال التوكل؟ واضح أنه من الحديث ينافي كمال التوكل، لكن هل غير الاسترقاء والاكتواء مثله في الحكم أو لا؟ إن قلنا: بأن قوله عليه الصلاة والسلام: («على ربهم يتوكلون») يُحمل على ما ذكر وغيره مثله في المعنى حينئذٍ كل سببٍ من الأسباب نقول: عدم تعاطيه هو الأصل، وتعاطي هذا السبب ولو كان علاجًا مما لم يذكر في الحديث غير الاسترقاء والاكتواء، حينئذٍ نقول: هذا ينافي كمال التوكل، هذا محل الخلاف بين أهل العلم، هل هذه العلة خاصة بما ذُكِر فقط وغيرها مخالفٌ لها في الحكم في الأصل في العلاج أنه لا

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ١٥/١٥

ينافي كمال التوكل إذا **تعلق القلب** بالله عز وجل، أو أنه منافي لكمال التوكل، كل علاجٍ فهو منافٍ لكمال التوكل، وإنما ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – هذه الأمور الثلاث لأنها أكثر ما تتعاطى، وأكثر ما يتعلق به الناس هي هذه الأشياء، ولذلك حتى ترى المعاصرين الآن منذ أن يصيبه شيء إمَّا عين أو سحر، وكلٌّ منهما يعالج بماذا؟ يعالج بالرقية، أوهام هكذا تحصل ثم يقول: أنا معيون، وآخر يقول: أنا مسحور. فحينئذٍ نص النبي – صلى الله عليه وسلم – على هذه الأمور التي هي الاسترقاء والاكتواء، لأنها الاسترقاء لما ذكرناه منافي لكمال التوكل، وأما الاكتواء لأنه تعذيبٌ بالنار فيه تعذيب بالنار. هنا قال ابن حجر: تمسك بهذا الحديث من كَرِهَ الرُّقَى والكي من بين سائر الأدوية وزعم أنهما قادحان في التوكل دون غيرهما. بمعنى أن ما ذُكر هو الذي يُنهى عنه يُعتبر مكروهًا، وأما الرقي إذا جعلنا الحكم منوطًا بالاسترقاء فالمكروه هو الاسترقاء، والرقية نفسها جائزة، والكي مطلقًا يعتبر مكروهًا، حينئذٍ يخص الحكم بما ذُكر، وما عداه من الأسباب مثل أخذ العسل والحبة السوداء ونحو ذلك هل هو مثل الاسترقاء نقول: لا، ليس مثله، وإنما الحكم خاص هنا بماذا؟ بالاسترقاء والكي والتطير فقط، هكذا قال بعض أهل العلم، تمسك بهذا الحديث من كَرِهَ الرُّقَى والكي من بين سائر الأدوية وزعم أنهما قادحان في التوكل دون غيرهما. هذا هو الظاهر من الحديث حمله على ما ذُكر؛ لأن النبي – صلى الله عليه وسلم – خصّ وعَلَّلَ حينئذٍ يبقى الحكم على ما هو عليه، وأمر بالتَّداوي هناك حينئذٍ حمل ما جاء في النصّ على أنه خاصٌ بما ذُكر وما عداه يبقى على الأصل هذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه الأمر. ولكن أكثر أهل العلم لم يجعلوه هكذا الأمر بل عمَّموا للعلة، فكلّ سببٍ يتعاطى في العلاج ونحوه حينئذٍ حكمه حكم الاسترقاء والاكتواء، وأجاب العلماء عن ذلك بأجوبةٍ وذكر منها:". [1]

٤٥–"ورَجَّحَ بعضهم تحريمه وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، ومن أدلة ما ذكره رحمه الله تعالى قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾ [النور: ٥٣] هذا التزام مؤكد بالقسم فيشبه النذر، يعني باب النذر والحلف متداخلان فيما يتعلق عليهما في الجملة، وهنا أقسموا بالله جهد أيمانهم أقسموا، إذًا وقع الحلف، وهو حلف مؤكد فيشبه النذر. قال تعالى ﴿قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ﴾ [النور: ٥٣] أي عليكم طاعة معروفة بدون يمين. إذًا لا يحتاج إلى اليمين. النذر عبادة كما سيأتي فيما سيذكره المصنف رحمه الله تعالى النذر لغير الله كما قال فيما سبق فيما يتعلق بالنذر من حيث كونه عبادة لله تعالى، النذر لغير الله كيف يكون ما صورته؟ قالوا: كقوله لفلان عليّ كذا. يعني لا يُسمي الرب جل وعلا وإنما يُسمي ذلك الطاغوت والمعبود من دون الله، لفلان لقبر فلان لجبريل للملك للجنّيّ علي صيام كذا وكذا، فحينئذ نقول: هذا نذر لغير الله. لفلان عليَّ نذر أو لهذا القبر أو لجبريل أو لغيره عليّ نذر ونحو ذلك، والفرق بينه وبين نذر المعصية واضح، أن المعلق عليه النذر في نذر المعصية هو الخالق جل وعلا، يعني لو قال: لله علي أن أسرق مال زيد. هذا نذر لغير الله؟ لا، ليس بنذر لغير الله، بل هو لله، لماذا؟ لأنه قال: لله عليَّ، حينئذ الاتجاه **وتعلق القلب** لفظًا ومعنى إنما يكون بماذا؟ بالله جل وعلا، إذًا لم يصرف العبادة لغير الله لكن متعلق النذر ما هو معصية؟ فرق بين أن يقول:

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ٣/١٦

لله علي أن أصوم، وبين آخر يقول: لله علي أن أسرق، بينهما كما بين السماء والأرض وإن اشتركا في ماذا؟ في أن النذر لله تعالى.

إذًا عندنا النذر قد يكون لله طاعة، وقد يكون لله معصية، وقد يكون لغير الله.

ماذا عنى المصنف هنا؟

النوع الثاني لأنه هو الذي يكون شركًا أكبر، وأما الأول الذي يكون معصية لله تعالى فهو آثم، وحكمه حكم غيره من المسلمين المؤمنين الذين جمعوا بين الطاعة والعصيان، فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.". (١)

٤٦-"نعم. حينئذٍ إلحاق المخلوق أينًا كان ولو كان نبيًّا من الأنبياء بالله تعالى في هذا الوصف يعتبر شركًا أكبر. قيل بعضهم نظر في مسألة الاستعانة أو الاستعاذة بغير الله، قال بعضهم: الاستعاذة لا تكون إلا بالله. يعني: بعضهم أراد أن يوجه كلام المصنف هنا لأنه ورد النقض، بابٌ من الشرك والاستعاذة بغير الله طيب يرد عليه ماذا؟ الاستعاذة بالمخلوق فيما يقدر عليه وهو حيٌّ حاضرٌ هذه جائزة، حينئذٍ يرد نقضًا على المصنف. قال بعضهم: الاستعاذة لا تكون إلا بالله مطلقًا ليس عندنا استعاذة بمخلوق، وليس عندنا استعاذة بمخلوق في ما يقدر عليه، لماذا؟

لأن الاستعاذة مركبة، الاستعاذة المرادة هما مركبة. مركبة من ماذا؟ من عمل القلب وعمل باللسان. فقال: لأن الاستعاذة: توجه القلب واعتصامه والتجاؤه رغبة ورهبةً، فهذه المعاني جميعها لا تصلح إلا لله تعالى، ولذلك لو استعاذ بمخلوقٍ حي حاضر فحينئذٍ نقول: يجوز لك الاستعاذة باللسان، وأما ما يقوم بالقلب فلا يجوز، فتحقيق الالتجاء والاضطرار والافتقار مع الاستعاذة لأن طلب العوذ وهو نوع من الطلب، وهو نوع من الدعاء فحينئذٍ إذا كان يستعيذ بلسانه **وتعلق القلب** به بهذا المستعاذ به ولو كان في ما يقدر عليه وهو حيٌّ حاضر ونقول: توجه القلب إليه هذا من الشرك الأكبر. يعني: لا يخرج عن هذه الصورة، ولذلك قال: وليس عندنا استعاذة بمخلوقٍ فيما يقدر عليه، ليس هذا، لا وجود له، لأن الاستعاذة المركبة بمعنَيَيْهَا لا يجوز صرفها لغير الله تعالى، وهو قولٌ باللسان مع توجه القلب، هذا لا يجوز حتى للمخلوق فيما يقدر عليه، وإنما تستعيذ به باللسان فقط، وأما القلب فيكون ماذا؟ معلقًا بالباري جل وعلا فإذا تعلق بهذا المخلوق حينئذٍ وقعت في شرك الأكبر، وعلى هذا المعنى ليس عندنا استعاذة بمخلوق فيما يقدر عليه، لماذا؟ لأن الموجود استعاذة ظاهرية فقط، أما حقيقة الاستعاذة فهي غير موجود.

إذًا سلم تركيب المصنف رحمه الله تعالى.". (٢)

٤٧-"وعلى هذا المعنى صحيح، وهذا المعنى مُسَلَّمٌ به، وقيل: جاء أدلة تدل على جواز ذلك ولكنه بقلبه يكون معلقًا بالله تعالى، يعني: نسميها استعاذة ولكن يبقي القلب معلقًا بالباري جل وعلا، وهذا لا إشكال فيه، وهو الوارد في السنة، فالاستعاذة بالمخلوق تكون في الظاهر مع طمأنينة القلب بالله تعالى وتوجه القلب إلى الله تعالى وأن هذا العبد

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ٥/٤٢

(٢) شرح كتاب التوحيد للحازمي ٩/٤٣

سببٌ، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسباب أن العبد لا يتعلق بها، إما يتعلق بالمسبب الحقيقي حينئذٍ التعلق بالأسباب قد يكون شركًا أكبر وقد يكون شركًا أصغر، إن اعتقد أن السبب مؤثر بذاته فهو شركٌ أكبر، وإن أعتقد ما ليس بسببٍ بأنه سبب حينئذٍ نقول هذا يعتبر من الشرك الأصغر، وأن هذا العبد سببٌ وما كان في القلب فلا يتوجه إلى مخلوقٍ البتة، وهذه استعاذة في الظاهر، وأما القلب فلا استعاذة تقوم به حقيقة، وهذا وارد كما ذكرنا سواء سميناها الاستعاذة الظاهر أو في الباطن، النتيجة أن القلب لا يكون معلقًا إلا بالباري جل وعلا، وأما الاستعاذة الظاهرية التي يتكون باللسان هذا وارد ثابت في السنة وفي غيرها، لكن يشترط فيما يقدر عليه وأن يكون حيًّا حاضرًا لعموم النصوص الدالة على ذلك، ولذلك جاء في صحيح مسلم في الفتن: «فمن وجد من ذلك ملجأً فليعذ به». وهذا أمر، قد يكون للإرشاد، قد يكون للاستحباب، لكنه جاء الأذن به، هذا المراد هنا صار مأذونًا به «فليعذ به». كذلك قصة المرأة التي عاذت بأم سلمة، والغلام الذي عاذ بالنبي ع، وكثير هذا، قصة موسى عليه السلام في القرآن سواء كان بالاستعانة وبالاستعاذة.

إذًا الاستعاذة بمخلوقٍ هذا فيها تفصيل، إن كان فيما يقدر عليه وهو حيٌّ حاضرٌ جائزةٌ بشرط ألا يكون القلب معلقًا بالمستعاذ به أو المعاذ والملجأ، وأما القلب وما يكون فيه من توجهٍ وقصدٍ واضطرارٍ وافتقارٍ وانطراح إنما يكون لله عز وجل. والاستعاذة بمخلوقٍ فيما يقدر عليه مع **تعلق القلب** به هذا داخل في العنوان معنا، والاستعاذة بمخلوقٍ فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل سواء كان هذا المخلوق حيًّا أو ميتًا حاضرًا أو غائبًا نقول: هذا يعتبر من الشرك الأكبر وهو واضح.

الاستعاذة مصدر استعاذ وأصله استعوذ استفعل، قلبت الواو ألفًا، اسْتَعِذْ اسْتِعَاذَةً.

ثُمَّ أَقِمْ = إقامةً وغالِباً .. (١)

استعذ استعاذة، اسْتَعْوَذَ اسْتَفْعَلَ، استعاذ قُلبت الواو ألفًا، العين ساكنة استعْوَ، إذًا سكنت العين وفتحت الواو، والقاعدة ما هي؟ إذا تحركت الواو وانفتح ما قبلها، قَالَ أصله ماذا؟ قَوَلَ، تحركت الواو وانفتح ما قبلها فوجب قلبها ألفًا، هذا القاعدة، لكن هنا جزء القاعدة، وهي تحركت الواو لكن ما انفتح ما قبلها، استعْوَذ قَوَلَ تحركت الواو وانفتح ما قبلها، بَيَعَ تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلت الواو ألفًا والياء ألفًا، وهنا وهذه القاعدة ما جاءت القاعدة، استعْوَذ، نقول: الجواب الذي يعقل اكتفاءً بجزء العلة، لأن العلة تتجزأ، وحينئذٍ اكتفاء بجزء العلة، ما هي جزء العلة، العلة مركبة من شيئين: تحرك الواو، وانفتاح ما قبلها.

---

(١) تمام البيت: واستَعِذِ استعاذةً ثُمَّ أَقِمْ ** إقامةً وغالِباً ذا التَّا لَزِمْ.". [١]

٤٨-"ثانيًا: أعوذ بالله وبك. بالواو، الواو لمطلق الجمع تقتضي المساواة، فحينئذٍ يمنع هذا لا إشكال فيه، فإذا منعنا ثم فمن بابٍ أولى أن نمنع وبك، يعني: إذا منعنا الأول الذي استعمل فيه حرف يدل على الترتيب والتراخي فمن بابٍ أولى أن نمنع ما يدل على المساواة، واضح؟ وأما أعوذ بالله وبك ولو فيما يقدر عليه كان مشركًا شركًا أصغر لأن الواو تدل على

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ١٠/٤٣

المشاركة، وأن ما بعدها مساوٍ لما قبلها عكس ثم، فإنها تفيد التعقيب الترتيب، وإن كان فيما لا يقدر عليه كان مشركًا الشرك أكبر، ولو قال أعوذ بالله ثم بك. يعني العبرة بالمعاني، إن **تعلق القلب** بالمخلوق حينئذٍ منع مطلقًا ثم بك وبك، فيما يقدر عليه المخلوق ولم **يتعلق القلب** به جوّز ثم دون واو، والصواب المنع في الجميع.

ذكر المصنف رحمه الله تعالى في هذا الباب (بابٌ من الشرك الاستعاذة بغير الله) آية وحديثًا. قال رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾ [الجن: ٦] ﴿يَعُوذُونَ﴾ هذا محل الشاهد، والاستعاذة بغير الله ﴿يَعُوذُونَ﴾ قال رحمه الله تعالى: وقول الله تعالى الآية: أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة عن من استعاذ في بخلقه أن استعاذة زادته رهقًا وهو الطغيان، وذلك أن الرجل من العرب في الجاهلية كان إذا نزل واديًا أو مكانًا موحشًا وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه. هذا لدفع الشر أو لجلب الخير؟ لدفع الشر، حينئذٍ يكون استعاذة، ولذلك عبَّر بـ أعوذ، والعرب تعرف أن العوذ والعياذ إنما يكون لدفع الشر، ولذلك أعوذ بسيد هذا الوادي - يعني من الجن - وهم مراتب من سفهاء قومه. فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم خوفًا منهم زادوهم رهقًا، زادوهم يعني زاد الجنُّ الإنسَ، رهقًا أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا، فذمهم الله تعالى بهذه الآية، وأخبر أنهم يزيدونهم رهقًا نقيض قصدهم، لأنه قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من أجل ماذا؟ من أجل حصول الطمأنينة والأمن والراحة في تلك الليلة. لكن ماذا حصل؟ حصل نقيض القصد. قال ابن كثير رحمه الله تعالى ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾ أي: كنا نرى أن لنا فضلاً عن الإنس لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا واديًا أو مكان موحشًا من البراري وغيرها، كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أو يصبهُم بشيءٍ يسوؤهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وزمامه وخفارته، يعني ذمة، وهذا وقع حتى للنبي ع وهو جائز، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقًا، أي خوفًا وإرهابًا وذعرًا، حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذًا بهم كما قال قتادة ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾ أي إثمًا، يعني فُسِّرَ بتفسيرين: الأول: الخوف والذُّعر.

والثاني الإثم.

وهما متعارضان أم متفقان، التفسيران هذان متعارضان؟ الاختلاف هنا تنوع أم تضاد؟". (١)

٤٩-"إذًا ثَمَّ فرق بين الاستغاثة والدعاء، الدعاء أعم مطلقًا، والاستغاثة أخص مطلقًا، وكل استغاثة دعاء ولا عكس، (باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره) عرفنا أن الترجمة ليست على إطلاقها، إنما المراد بها ما يتعلق بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، حينئذٍ الحي الحاضر الذي يُستغاث به فيما يقدر عليه حينئذٍ هذه مستثناة، وذكرنا ما يتعلق بوجه الاستثناء جاء ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ﴾ [القصص: ١٥]، دل ذلك على أن ذلك جائز ولا إشكال فيه، لكن يكون من قبيل الأسباب، والأسباب يجب أن يعتقد فيها المعتقد عامة في هذا وفي غيره أنها مجرد سبب، وأما المؤثر الحقيقي فهو الباري جل وعلا، عمومًا لا يعتمد اعتمادًا قلبيًّا على الأرزاق ولا على الأطباء ولا على المعلمين ولا على ما

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ١٥/٤٣

يمكن تتعلق به النفوس، وإنما يتعلق القلب بالباري جل وعلا وهذه أسباب بمعنى أن العبد مكلف أن يبذل السبب، وأما المسبب فمن الله تعالى وحده، قد يبذل السبب ولا يترتب عليه المسبب، وهذا لا إشكال فيه، لكن يشترط فيه ماذا؟ أن يكون ماذا؟ المسبب أن يكون تامًا، يعني لا على وجه النقص، فإن كان على وجه النقص حينئذٍ قام به مانع فبُذِلَ السبب ولم يترتب عليه الْمُسَبَّب لقيام مانع بالسبب، أو بفاعل السبب، حينئذٍ نقول: هذا الأمر قد لا يترتب عليه الْمُسَبَّب، وقد يأتي بالسبب على الوجه التام ويتخلف الْمُسَبَّب ولا إشكال فيه، ولذلك يقال: لماذا سحر النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يستعيذ بالله صباح مساء؟ أليس كذلك؟ نقول: وُجِدَ السبب التام قطعًا، وقد حَجَبَ الله تعالى أثره لحكمة ولأمر يعلمه جل وعلا وما يترتب عليه مما هو شرع، وأما غيره غير النبي – صلى الله عليه وسلم – فالحال كذلك، قد يبذل السبب التام ولا يترتب عليه الْمُسَبَّب، وأما إذا لم يترتب الْمُسَبَّب حينئذٍ نرجع إلى السبب، إن كان تامًا وتخلف المصنف فيكون لأمر الله جل وعلا، وإذا تخلف الْمُسَبَّب وكان السبب لا على وجه التمام حينئذٍ نقول: قام مانع، ولذلك كل ذِكْرٍ من أذكار الصباح والمساء ودخول الخلاء والخروج .. إلى آخره مما إذا وُجِدَ ترتب عليه أثره في الدنيا من دفع الضر وجلب النفع مثلاً هذا لا يترتب عليه إلا إذا وُجِدَ على وجه الكمال، والنقص بالنقص، الكمال بالكمال والحصة بالحصة، يعني النقص بالنقص، حينئذٍ قد يدخل الخلاء ويقول الذكر الوارد لكنه قد يصيبه ما يصيبه من الأذى، يقول: أنا قلت الذكر عند دخول الخلاء. نقول: لا أنت قلته بلسانك ولم تقله بقلبك. ولذلك ابن القيم رحمه الله تعالى في ((المدارج)) قال: كل ما رتب على القول فالمراد به القول التام. ما معنى المراد القول التام؟ يعني ما وُجِدَ فيه الظاهر والباطن، يعني لا بد أن يكون متكلمًا بلسانه معتقدًا بقلبه تمام ما دل عليه اللفظ، معلقًا قلبه خوفًا ورجاءً وطلبًا ورغبًا ورهبًا بالله جل وعلا إذ لم يكن كذلك قد لا يترتب عليه الْمُسَبَّب.". (١)

٥٠-"(يوصل إلى الشرك) الأكبر والأصغر اعتقادًا وقولاً وعملاً ولفظًا، وجملة (يوصل إلى الشرك) صفة لـ (طريق) كل طريقٍ موصلٍ إلى الشرك، صفةٌ للطريق فمعنى حمايته – صلى الله عليه وسلم – للتوحيد سَدَّ كل طريقٍ يُوصل إلى الشرك، ومراد المصنف بالترجمة رحمه الله تعالى (باب ما جاء في حماية المصطفى – صلى الله عليه وسلم – جناب التوحيد) أي باب ما جاء من الأدلة والبراهين في حمايته – صلى الله عليه وسلم – التوحيد عما يقرب منه أو يخالفه من الشرك وأسبابه، إذ التوحيد أعظم الفرائض بل لا تصح أي الفرائض إلا به، وهو الذي جاءت الرسل بالقيام به، والنهي عن ما ينافيه، ومع حمايته لجنابه اجتهد في سدّ كل طريقٍ يُوصل أمته إلى الشرك (يوصل إلى الشرك) أين المفعول به؟ محذوف يُوصل أُمَّتَهُ إلى الشرك، إذًا حذفه للعلم به، ومع حمايته لجنابه اجتهد في سدّ كل طريقٍ يوصل أمته إلى الشرك، وحذر وأنذر وأبدى وأعاد وخصّ وعمّ، وقطع الوسائل والذرائع المفضية إلى الشرك، وهذا واضحٌ بَيِّن، واعلم أن في الأبواب المتقدمة شيئًا من حمايته – صلى الله عليه وسلم – لجناب التوحيد، يعني كل ما مضى خاصةً أبواب المتأخرة فيها ماذا؟ فيها شيءٌ من حماية النبي – صلى الله عليه وسلم – لجناب التوحيد، ولكن أراد المصنف هنا بهذا الباب بيان حمايته الخاصة يعني شيءٌ خاصٌ

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ٢/٤٥

يتعلق بالمعنى الذي عناه رحمه الله تعالى، ومناسبة الباب لكتاب ((التوحيد)) ظاهرة وهي أن المصنف لَمَّا بين في الأبواب السابقة شيئًا من حمايته – صلى الله عليه وسلم – لجناب التوحيد أراد أن يبين في هذا الباب حمايته الخاصة، ولذلك قال ابن السعدي رحمه الله تعالى: من تأمل نصوص الكتاب والسنّة في هذا الباب رأى نصوصًا كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوي التوحيد وينمّيه ويغذّيه من الحث على الإنابة إلى الله، وانحصاره في **تعلق القلب** بالله رغبةً ورهبة، وقوة الطمع في فضله وإحسانه والسعي لتحصيل ذلك وإلى التحرر من رقّ المخلوقين وعدم التعلق بهم بوجهٍ من الوجوه أو الغلو في أحدٍ منهم والقيام التام بالأعمال الظاهرة والباطنة، وتكميلها وخصوصًا حثّ النصوص على روح العبودية وهو الإخلاص التام لله وحده. يعني كل نصٍ جاء آمرًا بشيءٍ يتعلق به التوحيد فهو من التوحيد ومن حمايته، لأنه كلما كمل فيه انتفى نقيضه – وهذا مر معنا – كل ما كمل التوحيد في القلب انتفى الشرك، ثم في مقابلة ذلك نهى عن أقوالٍ وأفعالٍ فيها الغلو بالمخلوقين، ونهى عن التشبه بالمشركين لأنه يدعو إلى الميل إليهم – وهذا من الحماية – ونهى عن أقوال وأفعالٍ يُخشى أن يُتَوَصّل بها إلى الشرك كل ذلك حماية للتوحيد، ونهى عن كل سببٍ يوصل إلى الشرك وذلك رحمةً بالمؤمنين ليتحققوا بالقيام بما خُلِقُوا له من عبودية الله الظاهرةِ والباطنة، وتكميلها لتكمل لهم السعادة والفلاح وشواهد هذه الأمور كثيرةٌ معروفة. ذكر المصنف رحمه الله تعالى تحت الترجمة آيةً وحديثين.". (١)

٥١-"عناصر الدرس

* قوله: (باب ما جاء في التطير).
* بيان حكم التطير، وهل هو من الشرك الأكبر أم الأصغر؟
* معنى (التطير) من حيث اللغة واصطلاح.
* قوله: (وقول الله تعالى: (ألَا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون).
* قوله: (وقوله: (قَالوا طائركم معكم أئِن ذكرتم بل أنتم قَوم مسرفون).
* بيان معاني مفردات الآيتين.
* مناسبة الآيتين للباب، وما يستفاد منهما.
* قوله: (عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر).
* هل تنتقل العدوة بذاتها؟
* بيان الجمع بين (لاعدوة وطيرة) و (فِرَّ من المجذوم فرارك من الأسد).
* مسألة: الجمع بين (لاعدوة وطيرة) و (الشؤم ثلاثة ..).
* تعرف: (الهامة، والصفر).
* قوله: (زاد مسلم: ولا نوء، ولا غول).

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ٣/٥٨

* مناسبة الحديث للباب.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في ((كتاب التوحيد)):

(باب ما جاء في التَّطَيُّر)

هذا هو الباب الثامن والعشرون (باب ما جاء في التطير).

مناسبة الباب لكتاب التوحيد: لما كان الطّيرة نوعًا من الشرك المنافي للتوحيد أو لكماله، هكذا عَبَّر في ((التيسير))، منافي للتوحيد أو لكماله، منافي للتوحيد يعني لأصله، أو لكماله، وعَبَّرَ في الحاشية ابن القاسم: المنافي لكمال التوحيد الواجب، ولم يذكر المنافي للتوحيد يعني لأصله. المنافي لكمال التوحيد الواجب. والصحيح عبارة صاحب ((التيسير))، قال: لَمَّا كانت الطيرة نوعًا من الشرك المنافي للتوحيد أو لكماله لكونه من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ولكونه **يتعلق القلب** به خوفًا وطمعًا، ولكونه منافيًا للتوكل على الله، واعتقاد نفعٍ أو ضرٍ بسبب طائر ونحوه، منافيًا للتوكل، والتوكل فرضٌ على كل مسلم، واعتقاد نفعٍ أو ضَرٍّ أو ضُرٍّ بسبب طائر ونحوه. لَمَّا كانت الطيرة كذلك عقد المصنف هذا الباب تحذيرًا منها، وفي الحاشية: وإن كان من الشرك الأصغر فهو من أقبح الشرك. ففيه خلاف هل الطيرة من الشرك الأكبر والأصغر، أو أنها من الأصغر فقط، ومر معنا في (باب بيان شيء من أنواع السحر) قبل البابين مَرّ معنا في ذلك الباب (باب بيان شيء من أنواع السحر) أن الطيرة من أنواع السحر بنص الحديث كما في حديث قبيصة أنه سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: («إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت»). وفسر عمر الجبت بالسحر، فهي نوع من أنواع السحر، وهذا مناسبة ذكر هذا الباب بعد الأبواب المتعلقة بالسحر، لا زال المصنف في ذكر هذه الأبواب، وأيضًا مر قول عوف في تفسير العيافة أنه زجر الطير، وقلنا: زجر الطير هذا بعض الطيرة، حينئذٍ يكون قوله في الحديث السابق («إن العيافة والطرق والطيرة») من عطف العام على الخاص، لأن الطيرة أَعَمُّ من زَجْرِ الطير، وأما العيافة فهي خاصة بزجر الطير.

والتَّطير نوع من الشرك بالله جل وعلا، هذا متفق عليه أنه نوع من الشرك بالله جل وعلا، وهل ينافي أصل التوحيد بمعنى أنه يخرجه من الملة، أو ينافي كماله الواجب فقط؟ إذا قلنا: بأن الطيرة والتطير نوع من أنواع الشرك وهو كذلك وهذا محل وفاق، لكن هل ينافي أصل التوحيد؟ حينئذٍ يكون ماذا؟ يكون ناقصًا، وهذا لا يكون إلا إذا كان شركًا أكبر، أو ينافي كماله الواجب فقط؟ يعني هل نقول: التطير شركٌ أصغر لأنه منافي لكمال التوحيد الواجب ولا يكون أكبر؟ أو أنه يطرأ عليه النوعان الأكبر والأصغر؟". (١)

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ١/٦٥

٥٢-"جميع النسخ [وله من حديث ابن مسعود] كذا عندكم (وعن ابن مسعود) وليس له (وعن ابن مسعود) هذا ابتداء النص وليس له، النسخة عندي [وله] لكنها ليست صواب، ولذلك قال: والأخير رواه أبو داود والترمذي وصححه. وهذا الحديث رواه أيضًا ابن ماجة وابن حبان ولفظ أبي داود: («الطيرة شرك»). ثلاثًا. قوله: («الطيرة شرك، الطيرة شرك») سواء قالها مرتين أو ثلاثًا الجملة الثانية أو الثانية والثالثة تعتبر توكيدًا، من نوع التوكيد اللفظي لأنه يقع بالاسم وبالحرف وبالفعل، وكذلك بالجملة. إذًا («الطيرة شرك») مبتدأ وخبر («الطيرة شرك») مبتدأ وخبر، لماذا أعاد الجملة؟ من قبيل التوكيد، بمعنى أن ما كُرِّرَ حينئذٍ يُعتبر نصًا، ولذلك نقول دائمًا في باب المعتقد، قاعدة: أن ما كُرِّرَ في القرآن في باب الأسماء والصفات يجعلها نصًا، يعني نص بالمعنى الأصولي، ما لا يحتمل إلا معنًى واحدًا، فحينئذٍ نُنكر أو نُحرف هذا النص يُنَزَّلُ عليه ما ذكره الأصوليون هناك، لأن الظاهر ما احتمل معنيين، هو في أحدهما أرجح، الثاني مرجوح، بعض النصوص جاءت مرة أو مرتين، هنا قد تشبث من تشبث بأنها يمكن تأويلها أو تحريفها، لكن يبقى القاعدة في ماذا؟ في ما جاء تكراره، فما جاء تكراره مراتٍ عديدة في القرآن نقول: جعله نصًا، فلا نحكم عليه بأنه ظاهر، ويأتي الأشعري عند قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. قال: ﴿اسْتَوَى﴾ عدّ له بعضهم ثلاثين معنى في لسان العرب، فتوقف ابن العربي وغيره، حينئذٍ كونه له معنى، تَنَزُّلاً من باب التَّنَزُّل سلمنا أن له معاني لكنه له ظاهر ﴿اسْتَوَى﴾ بمعنى علا، استقر، صعد، ارتفع، أربع عبارات حينئذٍ نقول: ظاهره هذا المعنى، قد يَدَّعِي بأن له معنًى مرجوحًا نقول: مجيئه مرةً ثانية، وثالثة، ورابعة، وخامسة، وسادسة، وسابعة، سبع مواضع فيها ﴿اسْتَوَى﴾ ولم يأتِ في موضعٍ واحد يُقَيَّد بما يخالف الظاهر، فحينئذٍ نقول: هذا يُعتبر توكيدًا بمعنى أنه جعل الظاهر الذي ادَّعَيْتَ أنه ظاهر محتملاً لمعنًى آخر جعله نصًّا، فحينئذٍ لا يحمل إلا على معنًى واحد وهو العلو والاستقرار والارتفاع، فحينئذٍ نقول: هذه يجعله ماذا؟ يجعله نصًّا - هذه فائدة هنا: كون ما جاء تكراره في باب الأسماء والصفات إن ادَّعَى مُحَرِّفٌ بأن ثَمَّ ظاهر ومرجوح يعني معنًى راجحًا ومعنًى مرجوح. نقول: تكراره في القرآن مراتٍ عديدة بنفس اللفظ، ولو كان المراد به المعنى المرجوح غير الظاهر لقيده في موضعٍ واحد، لكن لَمَّا لم يُقَيّده بموضعٍ واحد دَلَّ ذلك على أنه صار نصًّا فحينئذٍ تحريفه يُعتبر تكذيبًا للنص، ومن كذب نصًّا فهو كافرٌ مرتدٌ عن الإسلام -.
قال: («الطيرة شرك، الطيرة شرك») الجملة الثانية توكيدٌ للجملة الأولى توكيدًا لفظيًا، والحديث صريحٌ في تحريم الطيرة وأنها من الشرك لِمَا فيها من **تعلق القلب** على غير الله تعالى، ولو لم يكن فيها إلا سوء الظن بالله لكفى بها قبحًا.". (١)

٥٣-"رواه أبو داود والترمذي - ليس قول ابن القيم - قال المصنف رحمه الله تعالى: رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعودٍ. يعني الترمذي قال الترمذي: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان سليمان بن حرب يقول في هذا: («وما منا إلا») هذا عندي من قول ابن مسعود، فالترمذي نقل ذلك عن سليمان بن حرب ووافقه على ذلك العلماء. قال ابن القيم: وهو الصواب فإن الطيرة نوعٌ من الشرك، ولا يمكن أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يقع في شيءٍ من الشرك، فإنه - صلى الله عليه وسلم - معصومٌ من الشرك بالإجماع، فيكون قوله: («وما منا إلا») مدرجًا في الحديث

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ١١/٦٦

في آخره.

مناسبة الحديث للباب: أنه يدل على أن الطيرة شركٌ.

ويستفاد:

أن الطيرة شركٌ لأن فيها **تعلق القلب** على غير الله تعالى.

وفيه مشروعية تكرار المسائل المهمة («الطيرة شرك، الطيرة شرك») لتُحفظ وتستقر في القلوب أن الله يُذهب الطيرة بالتوكل عليه في جلب النفع ودفع الضر، فلا تضر حينئذٍ من وَجَدَ في نفسه شيئًا، ثم توكل على الله تعالى ولم يلتفت إليها البتة.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (ولأحمد من حديث ابن عمرو: «من ردته الطيرة عن حاجة فقد أشرك» قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»). هذا الحديث رواه أحمد والطبراني (١) عن عمرو بن العاص مرفوعًا، وفي إسناده ابن لهيعة وفيه اختلافٌ، وبقية رجاله ثقات.

(من حديث ابن عمرو) هو عبد الله، وفي بعض النسخ ابن عمر الصحيح عندكم ... ؟ (ابن عمرو)، (من حديث ابن عمرو) هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي أبو محمد أحد السابقين المكثرين من الصحابة، وأحد العبادلة الفقهاء، اختلف في وفاته وموضعها، فقيل: مات بالطائف ليالي الحرّة سنة ثلاثٍ وستين وقيل غير ذلك.

قوله: («من ردته الطيرة عن حاجة [حاجته] فقد أشرك»). («من») شرطية («ردته») فعل شرط، والجواب («فقد أشرك»)، واتصلت به الفاء هنا وجوبًا أو جوازًا؟ وجوبًا.

اسمية طلبيةٌ وبجامدٍ ** وبما وقد ..

ها قد؟ إذا وقعت قد في الجواب لا يصلح أن يكون جوابًا لا بد من واسطة وهي الفاء («من ردته الطيرة عن حاجة [حاجته] فقد أشرك»)، («عن حاجة [حاجته]») يعني مما يتعلق بالكمالات تسمى حاجة، وقد تطلق على الضروريات («فقد أشرك») وذلك، وقد للتحقيق هنا حينئذٍ يكون الخبر مؤكدًا («فقد أشرك»)، وذلك لأن الطيرة هي التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع أو المعلوم -كما مر معنا - فإذا استعملها الإنسان فرجع به عن سفره وامتنع بها عما عزم عليه فقد قرع باب الشرك، بل وَلَجَهُ وبَرِأَ من التوكل على الله، هذا فيه ماذا؟ فيه قطع التوكل وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله، وذلك قاطعٌ له عن مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. فيصير قلبه متعلقًا بغير الله وذلك شركٌ فيفسد عليه إيمانه وحاله ويبقى هدفًا لسهام الطيرة.

---

(١) رواية أحمد " من حاجة "، ورواية الطبراني " عن حاجته ".". (١)

٥٤-"عناصر الدرس

* قوله: (باب ما جاء في التنجيم).

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ١٥/٦٦

* مناسبة الباب لكتاب التوحيد.

* بيان معنى التنجيم لغة واصطلاحا.

* أقسام علم التنجيم، وحكم كل قسم.

* قوله: (قال البخاري في صحيحه: قال قتادة: خلق الله هذه النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به).

* مناسبة الأثر للباب، وما يستفاد منه.

* قوله: (وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما).

* قوله: (وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر).

* حكم تعلم علم التسيير، وهل له علاقة بعلم التأثير؟

* مناسبة الحديث للباب، وذكر ما يستفاد منه.

* قوله: فيه مسائل:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في ((كتاب التوحيد)):

(باب ما جاء في التنجيم). وهذا الباب التاسع والعشرون (باب ما جاء في التنجيم).

مناسبته لكتاب التوحيد: لما كان بعض التنجيم باطلاً، التنجيم نوعان: منه ما هو شركٌ أكبر، ومنه ما هو دون ذلك. يعني منه ما هو يخرج من الملة، ومنه ما لا يخرج من الملة، فلما كان الأمر كذلك أطلق المصنف يعني إذا كان الأمر محتملاً بأن يكون جائزًا ولن يقع على وجه الشرك يأتي بالعبارة هذه (باب ما جاء في التنجيم).

لما كان بعض التنجيم باطلاً لما فيه من دعوى مشاركة الله تعالى في علم الغيب، **وتعلق القلب** بغير الله، ونسبة التصرف إلى النجوم، وذلك ينافي التوحيد ناسب أن يعقد المصنف رحمه الله تعالى له بابًا ويبين فيه الممنوع والجائز منها، ولذلك أطلق فقال: (باب ما جاء في التنجيم). التنجيم مصدر نَجَّمَ يُنَجِّمُ تَنْجِيمًا، من باب فَعَّلَ يُفَعِّلُ تَفْعِيلاً، كَلَّمَ يُكَلِّمُ تَكْلِيمًا، ويكون المعنى حينئذٍ فيه نسبة الشيء إلى النّجم نَجَّمَ أي نسب الحكم إلى النجم، حينئذٍ يكون قد حَكَّم أو حَكَم بالنجم، حَكَّم النجم أو حَكَم بالنجوم. قال في ((المفردات)): التَّنْجِيم الحكم بالنجوم. ومن هنا جاء فَعَّلَ فيه نسبة، نسبة ماذا؟ نسبة الشيء إلى شيء آخر، وهو نسبة هذه الحوادث التي تقع على الأرض إلى النجوم، فَعَّلَ حينئذٍ يكون على المراد به أنه نسبة شيءٍ إلى شيء، وقوله: (باب ما جاء في التنجيم). أي ذِكر ما لا يجوز منه وذمه وتحريمه وما ورد من الوعيد فيه وذكر ما يجوز.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية. بمعنى أن لها

تأثيرًا، إما في الإيجاد وإما في التسبب. الاستدلال بالأحوال الفلكية، الأحوال الفلكية نسبةً إلى الفَلَك، والمراد به هنا على جهة الخصوص النجوم، فيستدل بها على ماذا؟ على شيءٍ يقع في الأرض فيقول: هذا البرد لنجم كذا، وهذا الحر للنجم كذا، وهذه الريح هبت لنجم كذا. وهكذا .. وهذه نسبة الحوادث إلى النجوم.

الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية كالمطر والربيع وغير ذلك، فيربط بين الأمرين وبين المطر وبين النجم الفلاني، أو بين الربيع والنجم الفلاني، وقال كذلك شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: السحر محرمٌ بالكتاب والسنة والإجماع. السحر كما مر معنا محرم بجميع أنواعه، بالكتاب والسنة والإجماع، وذلك أن علم النجوم الذي هو من علم السحر نوعان، ومر معنا «من اقتبس شعبةً من النجوم فقد اقتبس شعبةً من السحر». فالسحر أنواع، ومنه التنجيم، وذلك أن علم النجوم الذي هو من السحر نوعان: علميٌّ، وعملي.

علمي وهو: الاستدلال بحركات النجوم عن الحوادث تَنَقُّلاتُهَا وتَغَيُّرَاتَها يستدل بها على الحوادث.

وعملي وهو: الذي يقولون فيه إنه تأثير القوى السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية كالطلاسم ونحوها.". [(١)]

٥٥-"نقول: هذان وصفان ملغيان لاعتبار لهما، وإنما الاعتبار ماذا؟ فيما بُنِيَ على هذين الوصفين وهو ادِّعَاء علم الغيب، هذا هو السبب الذي جعل بعض أهل العلم يتردد في كفر هذا النوع.

قال: وإن قالوا إن ذلك بتقدير الله ومشيئته فإن ذلك من علم الغيب الذي استأثر الله به. يعني خلاصة هذا النوع أنه جعل النجم سببًا لادعاء علم الغيب، قد يلتبس أنه من باب السببية؟ نقول: لا، هذا من باب دعوى علم الغيب، وكل من ادَّعَى علم الغيب فهو كافرٌ.

إذًا هذا النوع الثاني كالسابق لكن الفرق بينهما أن الثاني مختلفٌ فيه، والأول مجمعٌ عليه.

الثالث ما ذكره المصنف في تعلم المنازل تسيير وهذا سيأتي ذكره، يعني تعلم كونها ماذا؟ كونها تسير فيترتب عليها العلم بالجهات مثلاً، أو بالقبلة، لا كونها مؤثرة فحينئذٍ نقول: هذا سيأتي بحثه.

قال ابن السعدي رحمه الله تعالى: - التنجيم نوعان، صاحب ((التيسير)) جعلها ثلاثة والخلاف لفظ بينهم - التنجيم نوعان:

نوعٌ يسمى علم التأثير، وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية كما قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى فهذا باطل، ودَعْوَى لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفرد به، أو تصديقٌ لِمَنِ ادَّعَى ذلك، وهذا يُنافي التوحيد لِمَا فيه من هذه الدعوى الباطلة ولِمَا فيه من **تعلق القلب** بغير الله، ولِمَا فيه من فساد العقل لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان. - هذا علم التأثير -.

النوع الثاني قال: علم التسيير وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات. فهذا النوع لا بأس به، يعني إنه جائزٌ في الجملة، بل كثيرٌ منه نافعٌ، قد حَثَّ عليه الشارع إذا كان وسيلةً إلى معرفة أوقات العبادات، أو

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ١/٦٧

إلى الاهتداء به في الجهات فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه، وبَيْنَ ما أباحه أو استحبه أو أوجبه، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني، ومر معنا في شروط الصلاة ما يتعلق ببحثٍ من حيث إيجاب، تعلم علم الفلك من أجل معرفة القبلة ونحوها.

وهذا تقسيمٌ للشيخ ابن السعدي رحمه الله تعالى في ((القول السديد))، وجعل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى علم التأثير ثلاثة أقسام وهذا أجود أنواع التقسيم علم التأثير جعله ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أن يعتقد أن النجوم مؤثرةٌ فاعلة، أي خالقة، فهذا شركٌ أكبر لأنه ادعى أن مع الله خالقًا. وهذا يوافق النوع الأول عند صاحب ... ((التيسير)).". (١)

٥٦-"إذًا لا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة، وليست هي مجموعةً لتعريف المحبة، المحبة شيءٌ آخر، لكن هذا المعنى لا يقوم بالقلب إلا إذا اعتمد على هذه المعاني الخمسة.

ثم قال: فإنها – أي المحبة – فإنها صفاء المودة. بعضهم عرف المحبة بالمودة كما في القاموس، قال: المحبة أو الْحُب هو الود، حينئذٍ هذا جعله مترادفًا، وفَرْق بين المودة والمحبة، ولذلك قال: صفاء المودة هو ماذا؟ هو الذي يمكن أن يُعَبَّر عنه بأنه محبة، وهيجان إرادات القلب للمحبوب وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد فهو داخل لا بد من الهيجان، ولا بد من العلو والظهور، وثبوت إرادة القلب للمحبوب أن يكون مريدًا لمن أحبه، ثم هذه الإرادة تكون ثابت، فالمتقلب لا يسمى مُحِبًّا البتة، وما يتقلب كذلك لا يسمى مُحَبًّا، لا بد من الاستقرار، ولذلك قالوا:

وما الحب إلا للحبيب الأول

بمعنى أنه ماذا؟ أنه إذا **تعلق القلب** أولاً لا يتعلق آخرًا، وهذا صحيح من حيث ماذا؟ من حيث أن من لوازم المحبة الثبوت والاستقرار، لا بد أن يكون مستقرًا، فالمتنقل ليس محبًّا. وقلنا: هذه المعاني تكون في المعنى اللغوي. إذًا ثبوت لا بد من الثبات والاستقرار، ثبوت إرادة القلب للمحبوب ولزومها لزومًا لا تفارقه أبدًا، ولإعطاء المحب محبوبه لبَّه عطاه خالص قلبه، بل قلبه وأشرف ما عنده وهو قلبه يعني أسكنه في ماذا؟ في قلبه، أسكنه في قلبه، إذًا أعطاه أعلى ما يملكه، الذي يملكه الإنسان قلبه، يده رجله شعره هذا ممكن أن يُنظر فيه لكن القلب لا، حينئذٍ مسكن المحبوب في الأصل يكون في القلب. إذًا أعطاه لُبَّهُ وخالصه وأخلص ما وأشرف ما عنده. قال: ولاجتماع عزماته وإراداته وهمومه على محبوبه لا تتفرق الهموم، ولا تتفرق العزمات، ولا الإرادات، بل المراد واحد، والمعزوم واحدُ، والْهَمّ واحد وهو محبوبه، حينئذٍ جاء هذا المعنى الذي ذكره. قال: ولاجتماع عزماته وإراداته وهمومه على محبوبه فيكون واحدًا ولا يتعدد فاجتمعت فيها المعاني الخمسة، لا بد أن تكون موجودةً في المحبة، فانتفائها انتفاء للمحبة، ووجودها جميعًا وجود للمحبة. قال في ((المفردات)): والحِبُّ حِبٌّ بكسر الحاء من فَرَط حُبُّه يعني إذا ازدادت محبته لشخصٍ ما سمي حِبًّا بكسر الحاء، فهذا يقال هذا حِبُّه بمعنى أنه ماذا؟ تعلق به القلب وفَرَطَ يعني زاد فيه، والْحَبَبُ كما مر معنا على وزن فَعَل تَنَضُّدُ الأسنان تشبيهًا بالْحَبّ، والْحَبَابُ من الماء النفاخات

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ٥/٦٧

هكذا قال في ((المفردات)) في طبعتين، والحبابُ من الماء النفخات تشبيهًا به، وحَبَّة القلب تشبيهًا بالْحَبَّة في الهيئة، وحَبَبْتُ فلانًا يقال في الأصل بمعنى أَصَبْتُ حَبَّة قلبِه نحو شَغَفْتُهُ وكَبدته وفَأدته، شغفته بمعنى أصبت شِغَافَهُ، وكبدته بمعنى ماذا؟ أصبت كَبِدَهُ، وفَأدتُهُ بمعنى أصبت فؤاده .. وهكذا، وأَحْبَبْتُ فلانًا جعلت قلبي مُعَرَّضًا لِحُبِّهِ، أَحْبَبْتُ فلانًا هذا يستعمل على معنيين:". (١)

٥٧-"لأنه لا يمكن أن يعرف الشرك الذي إلا إذا عرف حقيقة الشرك، وهو ماذا؟ صرف العبادة لغير الله، فإذا لم يكن يعرف العبادة فكيف يعلم أنه وقع في شرك أو لا؟ وهذا محل إشكالٍ. فالله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته وهذه العبادة وصفها بقوله: الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لأمره، فأصل العبادة محبة الله بل إفراده بالمحبة، هنا معنى أخصّ، حينئذٍ أراد أن يُبين أن الركن الثاني الذي يعبر عنه بالذل والخضوع والخشوع ونحو ذلك أنه من لوازم المحبة، فإذا كان من لوازم المحبة حينئذٍ يمكن أن نقتصر على قاعدة واحدة وعلى أصلٍ واحد في وجود العبادة وتحققها لله عز وجل وهو المحبة، وذلك كيف انتقل [من تعريف المحبة] من تعريف العبادة بمعنى التعبد بأنه غاية الحب مع غاية الذل، ثم يقول العبادة هي ماذا؟ أصلها أو المحبة قال ماذا؟ فأصل العبادة محبة الله بل إفراده بالمحبة، يدل ذلك على أن القاعدة الثانية التي هي الخضوع والذل ونحو ذلك هذا فرعٌ عن المحبة، فلذلك جعل العبادة في إفراد الله تعالى بالمحبة. حينئذٍ:

التوحيد هو إفراد الله تعالى بالمحبة.

الشرك بمقابله صرف المحبة لغير الله تعالى.

وهذا كله فقهٌ منه رحمه الله تعالى.

فأصل العبادة محبة الله بل إفراده بالمحبة، وأن يكون الحب كله لله، فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله، وفيه، بأن تكون محبة غير الله تعالى محبةً تابعةً، فيحب الأعمال التي أحبها الله تعالى، ويحب الأشخاص التي أحبها الله تعالى، حينئذٍ صارت محبة الله فرعًا فيحبه ما يحبه محبوبه جل وعلا، وإنما يحب لأجله، وفيه، كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأولياءه، فمحبتنا لهم من تمام محبته، وليست محبةً معه كمحبة من يتخذ من دون الله أندادًا يحبهم كحبه - كما سيأتي في الآية التي ترجم بها المصنف - وإذا كانت المحبة له هي حقيقة عبوديته وسرها فهي إنما تتحقق بإتباع أمره. انتقل إلى شيءٍ آخر وهو أن هذه المحبة إذا وُجِدَ فيها المعنى اللغوي وما تدور عليه المعاني الخمسة السابقة إذا وُجِدَت وادَّعَى مُدَّعٍ بأنه يحب الله تعالى حينئذٍ بَيَّن الله عز وجل أن المحبة الشرعية لا بد لها من علامةٍ تدل على وجودها، وليس المراد **تعلق القلب** كما **يتعلق القلب** المخلوق بمخلوقٍ آخر هيامٌ وعشقٌ ونحو ذلك، لا، ليست المحبة كهذه، وإنما هي محبة خاصة، ولذلك قسم بعض أهل العلم المحبة إلى نوعين - كما سيأتي -: مشتركة، وخاصة.". (٢)

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ٥/٧٠

(٢) شرح كتاب التوحيد للحازمي ١١/٧٠

٥٨-"التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح، يعني أربعة أمور إذا اجتمعت وهذه لا يمكن أن يتحقق بها إلا إذا عرفها من مصدرها وهو الشرع لأن العبادة اسم لما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأفعال، حينئذٍ ثَمَّ قولٌ للقلب ثَمَّ قولٌ للسان ثَمَّ عمل بالقلب ثَمَّ عملٌ للجوارح، وكل منها مما يحبه الله تعالى. إذًا لا تحقق محبة الله تعالى على وجه التمام إلا بالتحقق لهذه المراتب الأربع. ولذلك قال التحقق بما يحبه الله ورسوله ويرضاه من قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح، فالعبودية اسمٌ جامعٌ لهذه المراتب الأربع فأصحاب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ حقًا هم أصحابها. يعني الذين تحققوا بهذه المراتب الأربعة، ثم ذكر فصلاً رحمه الله تعالى في الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها وهي عشرة – محبة الله تعالى:

قال: أحدها – لأننا عرفنا أنها عبادة، بل هي لبّ العبادة، بل هي أصل التوحيد، حينئذٍ كيف توجد في القلب؟ هذا مما ينبغي العناية به علمًا وعملاً. والثاني أكثر من الأول –

أحدها: قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لِمَعانيه، وما أريد به – يعني ما أريد بهذا الكتاب – إذًا أصل محبة الله عز وجل هو **تعلق القلب** بكتاب الله تعالى، ليس المراد التعلق النسبي فحسب؟ لا، إنما المراد به القراءة والتدبر لمعانيه الموجبة للعمل بما دل عليه. يعني المراد أن يجمع بين الأمرين: قراءته قراءةً بتدبر، ثم بعد ذلك عملٌ بما دل عليه. قال: كتدبر الكتاب الذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه، يعني كما تقرأ في كتب العلم كتابًا تتوصل به إلى إتقان فَنٍ حينئذٍ تقف معه لفظةً لفظة، وماذا يريد؟ وماذا يعني؟ وهل هذا قول مطلق؟ مُقَيّد .. إلى آخره، يقول لك ابن القيم: كذلك كتاب الله عز وجل تقرأه كهذه القراءة.

الثاني: التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض جاء فيها النص فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.

الثالث: دوام ذكره على كل حال، باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.

الرابع: آثار محابه، قراءة القرآن بتدبر، تقرب إلى الله بالنوافل، دوام ذكره، هذه قد تسهل على العبد، لكن الرابع الإيثار بمعنى أنه إذا تعارض أمر الله تعالى مع شيءٍ آخر مع الهوى، مع الابن، مع الزوجة، مع الدنيا، مع الشهادة .. إلى آخره، أي المحبتين تقدم؟ هنا يقع النزاع ويقع التخالط ويقع الهوى، آيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى، وهذا هو المحك وإن صعب المرتقى، يعني هذا أصعب من سابقه، قد يسهل على الإنسان أن يقرأ بتدبر، وقد يسهل عليه أن يتنفل، وقد يسهل عليه أنه يذكر ربه، لكن كونه إذا تعارض عنده الأمران أمر الله تعالى وأمر غيره فيقدم أمر ربهِ هذا الذي يحتاج إلى مجاهدةٍ أكثر.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومفادتها ومعرفتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة ومباديها، فمن عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبّه لا محالة، وهذا يقتضي ماذا؟ أن يتعلم طالب العلم ما هو هذا الباب.". [1]

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ١٤/٧٠

٥٩-"والمقصود هنا ما جاء في التفرقة بين الإسلام والإيمان، قلنا: هذه أو هاتان اللفظتان الشرعيتان إذا اجتمعتا افترقتا، وإذا افترقتا اجتمعتا، حينئذٍ إذا اجتمعتا افترقتا هذا محل الشاهد، فيفسر الإيمان بالعمل الباطن، ويفسر الإسلام بالعمل الظاهر، ما المراد بهذا الكلام، هذا قد يفهمه البعض أنه يفسر الإيمان بالعمل الباطن فقط فنعزله عن الظاهر، ويفسر الإسلام بالعمل الظاهر فقط ونعزله عن الباطن؟ لا، ليس هذا المراد، وإنما المراد أن يُفسر الإيمان بالعمل الباطن وما يصححه من الظاهر، لأننا قَعَّدْنَا قاعدة أن ثَمَّ تلازمًا بين الظاهر والباطن، فكيف نفصل الإيمان نقول: هو العمل الباطن فقط ولا يصححه شيء من الظاهر؟ هل يوجد عمل باطن كالمحبة والإخلاص ولا يستلزم الظاهر؟ قلنا: لا وجود له، فكيف نصل بين النوعين؟ هذا الذي أراده شيخ الإسلام في ((كتاب الإيمان الكبير)) فبين وهذا حقٌ لا بد من اعتقاده وهو أن الإيمان إذا اجتمع مع الإسلام فسر الإيمان بالباطن، لكن هذا الباطن لا بد أن من شيء يصححه، وكذلك فسّر الإسلام بالظاهر، صلاته مجردة دون إخلاص؟ لا، ليس هذا المراد، فلا بد من شيء يصححه من الباطن، فكل منهما وإن افترقا إلا أنه مفتقر إلى الثاني. قوله: («لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ») بالنصب خبر (أكون). قوله: («من ولده») هذا يشمل الذكر والأنثى، وبدأ بمحبة الولد لأن **تعلق القلب** به أشد يعني من تعلقه بأبيه، وهو الغالب يحب ابنه أكثر من أبيه، هذا غالب الناس، وهو مفرد مضاف فيعمّ («من ولده») يعني من أولاده ليس المراد به واحد، («ووالده») وإن علا، كجده وأمه وإن علت، وكذلك هو مفرد مضاف، («والناس أجمعين»)، هذا عطف عام على الخاص، والصحيح جوازه وهو موجود كثير في القرآن والسنة، عطف العام على الخاص، («والناس أجمعين») دخل فيه الولد والوالد وخصهما للاهتمام، («والناس أجمعين») الأقربين الأدنون وكذلك غيرهما، فلا يتم إيمان عبد حتى يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - أحب إليه من جميع المؤمنين، وإذا كان هذا في شأن محبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما الظن بمحبة الله تعالى. فهي من باب أولى وأحرى.

في الحديث: أن الأعمال من الإيمان، لأن المحبة عمل، لأن من المرجئة من ينفي عمل القلب بأنه داخل في مسمى الإيمان، والحديث هنا دل ماذا؟ («لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب») إذًا كمال الإيمان الواجب يكون في إفراده بالمحبة، دل ذلك على أن المحبة من عمل القلب، وهي من الإيمان، وقد نُفِيَ الإيمان عمن لم يكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أحب إليه مما ذكر فدل على ذلك.

وفيه أن نفي الإيمان لا يدل على خروجه من الإسلام، وهو كذلك، ليس كل من نُفِي عنه الإيمان خرج من الملة.

وفيه أن محبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واجبة تابعة لمحبة الله لازمة لها، لأن المفرط هنا وقع في ماذا؟ وقع في كبيرة من الكبائر فدل على وجوبها، بل انتفاء أصلها دليل على خروجه من الملة.

وفيه وجوب تقديم محبة الرسول - صلى الله عليه وسلم - على محبة النفس.". (١)

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ٢٢/٧١

٦٠-"علم الرعاية هذا الله المستعان هذا في كونٍ آخر، بمعنى أنك تعلم، ثم تحاسب على ما عَلِمْتَ، يعني كما ذكرنا الآن تعلم أنه لا نافع إلا الله، ثم تأتيك الممارسة اليومية كالاختلاط بالناس، هنا الاختلاط بالناس هو الذي يكشف الإنسان هل عَلِم وعَمِل أم أنه مجرد عِلْم ومسائل يحفظها ويكتبها ثم [إذا جاء العلم فإذا به انتفى مع] إذا جاء العمل نافى العلم، ولذلك العلم إما علم دراية، وإما علم رعاية، والرعاية المراد به الملابسة والمتابعة والمحاسبة، هل عَمِلَ بما عَلِم أو لا؟ قال هنا: علمت يقينًا أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده، وأن المخلوق مُدَبَّرٌ لا يملك لنفسه ضَرًّا ولا نفعًا فضلاً عن غيره، وأن الله تعالى لو قَدَّرَ لك رِزْقًا أتاك، ولو اجتهد الخلق كلهم في دفعه وإن أرادك بمنع لم يأتك مرادك ولو اجتمع الخلق كلهم في إيصاله إليك، على ما مر معنا في حديث ابن عباس. لو علمت ذلك يقينًا لقطعت العلائق عن الخلائق، يعني لم **يتعلق القلب** بشيء من الخلق وتوجهت بقلبك إلى الخالق تبارك وتعالى، ولهذا قرر ذلك بقوله: («إن رزق الله لا يَجُرُّهُ حَرْصُ حَرِيص، ولا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَة كَارِهٍ»). بل كل شيء بقضاء الله سبحانه وبحمده قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ أي رحمة ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]، ومن عَلِمَ أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده، وأنه هو الذي يرزق بسببٍ وبلا سببٍ، ومن حيث لا يحتسب لم يمدح مخلوقًا على رزقٍ، ولم يذمه على منعٍ، ويفوضه أمره إلى الله، ويعتمد عليه في أمر دينه ودنياه، ويسلم له قلبه، وهذا كله يدل على أن هذه الأعمال القلبية انتفاؤها هو الذي يُؤدِّي إلى ضعف اليقين، ولذلك ليس المراد هنا حصر هذه الصفات في ضعف اليقين، لا، هو أكثر من ذلك، وإنما ذُكِرَ أشياء يتعلق بها، يعني يكثر وقوعها بين الناس، وإلا كل معصيةٍ وكل تَعَلُّق بالناس بغير الله تعالى يكون من ضعف اليقين، وقد بايع جماعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن لا يسألوا الناس شيئًا، ولم يُبْحَ إلا لضرورة محافظةً على كمال الحب لله، وإخلاص التوكل عليه.". (١)

٦١-"أي عطاءه، («لا يجره») يعني لا يأتي به إليك، («حرص حريص») الحرص فرط الشره، وفرط الإرادة. قال تعالى: ... ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ﴾ [النحل: ٣٧]. أي تفرط إرادتك في هدايته، وقال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]. فالرزق لا يجره حرص حريص، لكن حرص الحريص من أسباب جلب الرزق، يعني ليس المراد أنه لا يحرص ولا يسعى؟ لا، لكن لو حَرِصَ فهو سبب، والسبب قد يترتب عليه الْمُسَبَّب وقد لا يترتب، ولذلك قد يبذل الإنسان أسبابًا يمنة ويسرة ولا يحصل له الرزق، وقد يبذل أسبابًا يسيرة قليلة ويحصل له الرزق، وقد لا يفعل شيء ويأتيه الرزق إلى بابه، أليس كذلك؟ ممكن، كمن مات له ميت وليس له وارثٌ إلا هذا، جاءه رزقٌ دون سبب إذًا الرزق قد يأتي مع الأسباب ومع عدم الأسباب، لكن يفعل السبب، وهذا مطلوبٌ شرعًا، ولكن لا يعتمد عليه.

إذًا («لا يجره حرص حريص»)، ليس المراد به ماذا؟ أن لا يحرص، وأن لا يبذل، وأن لا يسعى، وأن لا يفكر، ويتأمل وينظر في الأحسن، لا، ليس هذا المراد، بل المراد أنه مع حرصه يعتقد أن هذا مجرد سبب، قد يحصل المسبَّب وقد لا يحصل، لكن حرص الحريص من أسباب جلب الرزق إذ من سعى في الكسب وبحث عن الرزق وفعل الأسباب حينئذٍ قد يكون

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ١٧/٧٤

وافق الشرع، فيكون قد فعل الأسباب الموجبة للرزق يعني التي رتب الباري عليها ليس من الإيجاب الاستقلال لكن ليس معنى هذا لأن الأسباب موجبة للرزق باستقلال، لا، لا تستقل الأسباب، وإنما الأسباب تفعل ثُمَّ المسبب يُفعل من جهة الباري جل وعلا، فخالق السبب هو خالق المسبب، وإنما الرازق والرزاق هو الله وحده، فقد يفعل أسبابًا كثيرة للرزق ولا يُرزق، وقد يفعل أسبابًا قليلةً فيُرزق، وقد يأتيه الرزق بدون سببٍ وسعيٍ كما ذكرنا، لا يرده كراهية كاره، فإذا قدره الله تعالى للعبد فلن يمنعه عنه كراهية كارهٍ مهما كان.

مناسبة الحديث للباب:

فيه وجوب **تعلق القلب** بالله تعالى في جلب النفع ودفع الضر وخوفه وخشيته وحده، وعدم التفاته إلى الخلق.

قطع العلائق عن الخلائق، الناس لا يملكون جنةً ولا نارًا، ولا يملكون رزقًا ولا شيئًا البتة، فقلبك عَلِّقْهُ بالله تعالى، وهم أسباب تُثْنِي عليهم إن أحسنوا إليك، ولا تذمهم إن أساؤوا إليك، اترك الأمر لله عز وجل، وعدم الالتفات إلى الخلق بمدحٍ أو ذمٍ على ما يحصل من الإعطاء والمنع.

ويستفاد من الحديث:

وجوب التوكل على الله وخشيته وطلب الرزق منه.

إثبات القضاء والقدر أراده وما أراده، حينئذٍ يكون مبنيًا على القضاء والقدر.

عدم الاعتماد على الأسباب.

رابعًا: تقديم رضا الله على رضا المخلوق. هذا واجبٌ شرعًا.

خامسًا: أن الإيمان يزيد وينقص. لأنه قال: («من ضعف اليقين»).

سادسًا: أن الأعمال داخلةٌ في مسمى الإيمان، وإلا لم تكن هذه الثلاثة من ضعفه، وأضادها من قوته، أليس كذلك؟ دل ذلك على أنها داخلةٌ في مسمى الإيمان.". (١)

٦٢-"فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه. هكذا قال رحمه الله تعالى. فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل. لا يستقيم منه بل هو مدخولٌ، بل لا يقوم أصلاً، والنبي - صلى الله عليه وسلم - أعظم المتوكلين، ومع ذلك كان يأخذ بالأسباب، ولا ينقص ذلك من توكله شيئًا البتة. قد كان يأخذ الزاد في السفر، وهذا من الأسباب، وفي أحد ظاهر بين درعين يعني لبس درعين اثنين وهذا سببٌ ولم ينقص من اعتماده توكل على الباري جل وعلا، وكذلك في الهجرة أخذ من يدله على الطريق وهذا سببٌ، وكان يتقي الحر والبرد كذلك وهذا من الأسباب، ولم ينقص ذلك من توكله شيئًا البتة، حينئذٍ حال النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو أعظم المتوكلين يدل على أن الأخذ بالأسباب هو داخل في مفهوم التوكل، فمن نفاه حينئذٍ نفى التوكل، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب. لا يتم التوكل على الوجه الصحيح إلا إذا أخذ بالسبب على أنه سبب، بمعنى أن الْمُسَبِّب الحقيقي هو الله عز وجل، فيتعلق

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ١٩/٧٤

السبب بهذا بظاهره لا بباطنه، يعني القلب لا يكون التفات إلى السبب بالمرة، وإنما يأخذ السبب ظاهرًا، فمن نفي السبب وأراد به تعلق الباطن أصاب، وإن نفى السبب وأراد تعلق الظاهر أخطأ، حينئذٍ الأسباب تُرفض من حيث **تعلق القلب** بها، ولكن يجب الأخذ بها على جهة الإجمال فيما يتعلق بالظاهر.

إذًا من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها. القلب لا يتعلق بالأسباب ولا يعتمد عليها ولا يلتفت إليها، وإنما يعتمد على خالق السبب والمسبَّب، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها.

إذًا ثَمَّ تفصيلٌ في التعامل مع الأسباب. وهذا كلامٌ جميل من ابن القيم رحمه الله تعالى، يعني ما أحوج طالب العلم إلى تحقيق هذه المنازل والمراتب، يعني الأسباب على جهة العموم لنا فيها نظران:

- نظر باعتبار القلب.
- ونظر باعتبار التلبس الظاهر.". (١)

٦٣-"هذا لا إشكال فيه أنه من تمام التوكل، وأما أن يكون القلب متعلِّقًا بها فهذا منافٍ للتوكل، لأنه هو الذي سيأتي أنه اعتماد على السبب، فمجرد التفات القلب إلى هذا السبب حينئذٍ نقول: هذا يخدش في التوكل، وهو نوع من الشرك الأصغر كما سيأتي. إذًا عدم الركون إلى الأسباب هذا من تمام التوكل، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، يعني حال القلب لا يقوم إلا بالله تعالى، وأما الأسباب فلا مجال لها أن تدخل القلب، إنما يتعامل معها في الظاهر، ولذلك قيل: من الفوارق بين السلف وبين الخلف، السلف الصحابة ومن تبعهم كان منهم من هو تاجرٌ وعندهم المال الكثير ولكن الخلف قد يكن عنده كذلك لكن تعلق بالدنيا، قالوا: أن السلف كانوا كانت الدنيا في أيديهم، المال كان في أيديهم وليس في قلوبهم، والعكس هو الذي عليه المتأخرين إلا من رحم ربك، فإذا [جعل القلب] جعل المال في قلبه هنا جاء الخلل، فإذا جعل كل أمر يتعلق بالدنيا في قلبه هنا جاء الخلل، وإنما يجعلها في يده يتعامل بها أمرًا ظاهرًا، وأما القلب فلا يقوم به إلا الله تعالى وما يتعلق به. ولذلك قال: فيكون حال قلبه - يعني قلبه يكون على أي حال على أي وضعٍ - قيامه بالله فقط. لا بها لا بالأسباب. وحال بدنه يعني الظاهر قيامه بها - يعني بالأسباب - فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه والتوكل. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: والتوكل متعلقٌ بربوبيته وقضائه وقدره - كما قلنا فيما سبق - فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية. فهي متلازمة هذه.

الدرجة الثانية: وهي إثبات في الأسباب والمسببات.

الدرجة الثالثة: رسوخ القلب في مقام توحيد التوكل، فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده. يعني يحقق باب التوحيد لأنه لا يمكن أن يكون التفات القلب إلى غير الله تعالى في جلب نفعٍ أو دفع ضر ثم يتحقق التوكل، هذا عنده خدش في ماذا؟ في التوحيد، فلا يستقيم القلب مع التوكل حتى يتجرد لله تعالى ويقوم به الإخلاص على وجه الكمال، فإنه لا يستقيم توكل العبد حتى يصح له توحيده، بل حقيقة التوكل توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ٥/٧٥

مدخول. وهو كذلك لأنه إذا لم يفرد **تعلق القلب** من جهة الإخلاص وعدمه كيف يفوض أمره، حينئذٍ نقول: ثَمَّ تنازع، أتخذ إله من دون الله تعالى كيف يفوض أمره؟ يحصل التعدد [وهذا] فيكون توكله معلولاً مدخلاً، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبةً من شعب قلبه فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة.

ومن ها هنا ظن من ظن أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب، يعني التفات القلب إلى غير الله تعالى، حينئذٍ غير الله تعالى قد يكون من الأسباب، أليس كذلك؟ قد يكون من الأسباب. إذًا قالوا: لا يمكن أن يرسخ التوكل إلا في قلبٍ تجرد للتوحيد والإخلاص، وهذا الالتفات منافٍ لتجريد التوحيد، فنفوا ماذا؟ نفوا الأسباب، وقلنا: بادئ الرأي قد يقتضي ذلك.". (١)

٦٤-"يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن ها هنا ظَنَّ مَنْ ظَنَّ أن التوكل لا يصح إلا برفض الأسباب وهذا حقٌ، لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح. رفضها عن القلب لا عن الجوارح، لماذا؟ لأنه إذا التفت إلى السبب بقلبه فقد وُجِدَ فيه شعبةٌ من شعب الشرك، قل أم كثر، لِمَاذا؟ لأن الأصل ألا يقوم في القلب إلا الله عز وجل، ولا **يتعلق القلب** البتة لا في جلب نفعٍ ولا في دفع ضُرٍّ ألا بالله عز وجل، فإذا التفت إلى الأسباب حينئذٍ وقع في نوع من الشرك. فيقول: رفض الأسباب هذه الجملة فيها إجمالٌ، لا ترد مطلقًا ولا تقبل مطلقًا، إنما نقول: ترفض الأسباب ثم نفصل، نقول: هذه إن كان المراد بها رفضها من القلب فحينئذٍ يكون هذا حقًّا، وأما الجوارح فلا. قال: وهذا حقٌّ لكن رفضها عن القلب لا عن الجوارح، فالتوكل لا يتم إلا برفض الأسباب عن القلب وتعلق الجوارح بها. إذًا لا بد من أمرين تعلُّق وهذا مختص بالجوارح، يعني تَلَبُّس ورفضٌ، وهذا يتعلق بالقلب، فيكون منقطعًا منها متصلاً بها فيكون منقطعًا منها يعني بقلبه، متصلاً بها بجوارحه. والله المستعان.

الدرجة الرابعة: اعتماد القلب على الله واستناده إليه وسكونه إليه بحيث لا يبقى فيه إضطرابٌ من تشويش الأسباب ولا سكون إليها، بل يخلع السكون إليها من قلبه، ويُلْبِسُهُ السكون إلى مُسَبِّبُهَا.

وهذا جعل له علامة رحمه الله تعالى المراد أن عدم الالتفات إلى السبب قد يكون ثَمَّ منزلة بين المنزلتين:

- إما أن يلتفت على وجه التمام إلى السبب، وهذا عرفنا فيما سبق أنه قادح، لكن قد يبقى فيه شيء من الاضطراب والتشويش، أراد بهذه الدرجة أن ينفي أدنى ما يمكن أن يكون ثم تعلُّق بالأسباب، فقال: اعتماد القلب على الله واستناده إليه وسكونه إليه، بحيث - هنا للتفصيل، الباء هنا للتصوير - بحيث لا يبقى فيه في القلب اضطرابٌ من تشويش الأسباب ولا سكونٌ إليها، بل يخلع السكون إليها من قلبه ويلبسه السكون إلى مسبِّبها وهو الله عز وجل. وعلامة هذا أنه لا يُبالي بإقبالها وإدبارها، ولا يضطرب قلبه ويخفق عند إدبار ما يحب منها، وإقبال من يكره لأن اعتماده على الله، وسكونه إليه واستناده إليه. يعني لا يفرح بها إن وافقت هواه ولا يحزن إن ذهبت عنه، فلا يفرح لا بالإقبال ولا بالإدبار.

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ٦/٧٥

الدرجة الخامسة: حسن الظن بالله عز وجل، فعلى قدر حسن ظنك بربك ورجائك له يكون توكلك عليه. ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله. يعني ما هو التوكل؟ قال: حسن الظن بالله.
والتحقيق – قال ابن القيم –: والتحقيق أن حسن الظن بالله تعالى يدعو إلى التوكل عليه. يعني هو السببُ الموجبُ للتوكل، إذا أحسن الظن بربه توكل عليه، وأما إذا كان لا يحسن الظن أو عنده شك وتردد فحينئذٍ كيف يتوكل عليه فهو منافٍ لهم. إذ لا يتصور التوكل على من ساء ظنه بالله تعالى. وهذا واضحٌ بَيّن، ولا التوكل على من لا ترجوه، إذ لا يُتصور التوكل على من ساء ظنك به، ولا التوكل على من لا ترجوه. إذًا حسن الظن بالباري جل وعلا داخلٌ في مفهوم التوكل، فأحسن الظن بربك حينئذٍ يتحقق لك التوكل.". (١)

٦٥–"قال في المفردات: التَّعْسُ أن الذي انتعش من العثرة وأن ينكسر في سفال. أن لا ينتعش من العثرة يعني يتعثر ولا يقوم منها، وأن ينكسر في سفال، وتَعِسَ تَعْسًا وَتَعْسَةً، يعني يأتي بالتاء ودونه، قيل: يقال: تَعِسَ تَعْسًا فهو تَعِسٌ، وَتَعَسَ تَعْسًا فهو تَاعِس، تَعِسَ فاسم الفاعل منه تَعِسٌ، وتَعَسَ بالفتح اسم الفاعل منه تَاعِسٌ وهو كذلك، («تَعِسَ عبد الدينار») أي طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه لا يرضى ولا يغضب ولا يحب ولا يبغض إلا لأجله، ولذلك سماه عبدًا، لأن العبد هنا المراد به الذي تذلل وخضع وأطاع بحيث قدم طاعته على طاعة الله تعالى، كيف قدم طاعة الدينار بأن لا يحب إلا لأجله ولا يغضب إلا لأجله ولا يرضى إلا لأجله فكأن الدينار قد أمره أن يقدم طاعته على طاعة الله تعالى، سماه عبدًا لشدة شغفه وحرصه عليه، ولكونه هو المقصود بعمله لم يعمل إلا من أجله، وفي ((الحاشية)): وكل من توجه بقصده لغير الله فقد شريكًا له في عبوديته، وهذا كلام خطير، كل من توجه بقصده لغير الله تعلق قلبه بغير الله فعمل لغير الله تعالى، كان قصده غير الله تعالى فقد جعله شريكًا له في عبوديته، بمعنى أنه قد جعل شيئًا من العبادة لهذا الذي أراده مع الله تعالى، وخصّ العبد بالذكر دون المالك والجامع إيذانًا بانغماسه في محبة الدنيا وشهواتها كالأسير الذي لا يجد خلاصًا، («تَعِسَ عبد الدينار») الدينار مثقال معروف من الذهب زنته مثقال، قيل أصله فارسي، وقيل عربي قولان، («تَعِسَ عبد الدرهم») الجملة الثانية، والدرهم قطعة من الفضة وزنه سبعة أعشار مثقال، فكل عشرة دراهم سبعة مثاقيل، («تَعِسَ عبد الخميصة»). قال أبو السعادات: هي ثوب خزٍّ، أو صوف معلَّى. والمراد به الثوب يعني الذي ليس له هم إلا ثوبه، كما أن ذاك ليس له همٌّ إلا الدينار والدرهم، فلا يحركه إلا الدينار والدرهم، وهذا كذلك ليس له همٌّ إلا ثوبه، وقيل: لا تُسَمَّى خميصة إلا أن تكون سوداء مُعَلَّمَةً، وكانت من لباس الناس قديمًا وجمعها الخمائص، وقيل هي الكساء المربع له أعلام، («تَعِسَ عبد الخَميلة») بفتح الخاء، قال أبو السعادات: الخَميل والخَميلة القطيفة، وجاء كذلك في رواية عند ((البخاري)) وهي ثوب له خمل من أيّ شيء كان وقيل الخميل الأسود من الثياب، وفي رواية القطيفة، وفسرت بذلك، والمراد ليس المراد هذه بأعيانها الدرهم والدينار، المراد أن يتعلق القلب بأي شيء من أعراض الدنيا سواء كان نقدًا أو عرضًا، وإنما هذه أمثلة بمعنى أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يقصد نفي علاقة أو تعلق القلب بغير هذه الأربع المذكورات لم

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ٧/٧٥

يقصد ... النبي – صلى الله عليه وسلم – نفي أن **يتعلق القلب** بغير هذه الأربع المذكورات، وإنما أراد ماذا؟ المعنى الجامع الذي هو ماذا؟ كل ما كان من الدنيا نقدًا أو عرضًا تعلق به القلب فقدمه على طاعة الله تعالى فقد صار عبدًا له، يعني لا يرضى إلا به ولا يسخط إلا عليه، ولذلك قال: («إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط»).". (١)

٦٦-"(«وعائل مستكبر») أي فقيرٌ ليس له ما يدعوه إلى الكبر لأن الداعي إلى الكبر في الغالب كثرة المال والنعم والرياسة، والعائل الفقير لا داعي له إلى أن يستكبر فاستكباره مع عدم الدَّاعِي إليه يدل على أن الكبر طبيعة له، يعني صار جِبِلّة وهذا أشد، قلنا: الذنب إذا كان مصدره القلب **وتعلق القلب** به هذا أشد عقوبةً أشد إثمًا، وإما إذا كان وافق الطبع والزلة والندم ونحو ذلك فهذا كغيره، فاستكباره مع عدم الداعي إليه يدل على أن الكبر طبيعة له كامن في قلبه، فعظمة عقوبته لعدم الدَّاعِي إلى هذا الخُلُق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي، والعائل الفقير، وبعضهم زاد أنه فقيرٌ ذو عيالٍ. قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨] قابل ماذا؟ ﴿عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ فأغناك، إذًا ما الذي يقابل الغنى؟ الفقر إذًا عائلاً يعني فقيرًا.

والكبر جاء في الحديث قال – صلى الله عليه وسلم – يعني بيانه ما هو -: («الكبر بطر الحق وغمط الناس») أي استكبارٌ عن الحقّ برده، والتعالي والتعاظم عن القيام به، وغمط الناس باحتقارهم واستدلالهم، فالاستكبار الذي هو الترفع والتعاظم يشمل النوعين.

قوله: («ورجل جعل الله بضاعته») هذا الثالث لا يكلمه الله ولا يزكيه وله عذاب أليم، («جعلَ اللهَ»)، («الله») هنا منصوب على المفعولية بنصب اسمه الشريف، وليس جعل اللهُ كما في بعض النسخ («جعل الله») بنصب الاسم الشريف أي جعل الحلف بالله بضاعته («جعل الله بضاعته») ليس ذات الله تعالى وإنما جعل ماذا؟ الحلف، هذا تأويل أو لا؟ نقول: نعم، تأويل، دلّ عليه ماذا؟ الحديث («لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع») إذًا المراد به ماذا؟ المراد به الحلف.

فإن قيل: يا أهل السنة أنتم تؤولون وتقعون في التحريف ومع ذلك تذمون من يؤول؟

نقول: لا، أهل السنة والجماعة إذا دل السياق على أن اللفظ غير مراد بظاهره قالوا به، والتأويل ليس كل تأويل يكون باطلاً، من التأويل ما هو صحيح؟ ومن التأويل ما هو باطل، حينئذٍ صرف اللفظ عن ظاهره إن كان لدليلٍ فهذا حقٌّ لا يقول أحد بخلافه، وأما [صرف الظاهر عن] أو صرف اللفظ عن ظاهره لا بدليل شرعي من كتاب وسنة ورأي صحيح حينئذٍ نقول: هذا تأويل باطل فاسد، وتسميته تحريفًا أولى من تسميته تأويلاً.

إذًا («ورجل جعل الله بضاعته») أي جعل الحلف بالله بضاعته، وفي حديث «اتخذ الأيمان بضاعة»، «اتخذ الأيمان» هذا يُفسر هذا المعنى، يحلف في كل حقّ وباطل وسماه بضاعة له لملازمته له وغلبته عليه، البضاعة.

قوله: («لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه»). جملة استئنافية تفسيرية لقوله: («جعل الله بضاعته») والمعنى كلما اشترى حلف، وكلما باع حلف طلبًا للكسب، وهذا الشاهد من الحديث للترجمة، وكل هذه الأعمال الثلاث («أُشَيْمِطٌ زان،

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ٧٩/٢٥

وعائل مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته») كل هذه الأعمال تدل على أن صاحبها إن كان موحدًا فتوحيده ضعيف، وأعماله ضعيفة بحسب ما قام بقلبه وظهر على لسانه وعمله من تلك المعاصي العظيمة مع قلة الدّاعي إليها، هذا جوهر ماذا؟ أو القدر المشترك بين هؤلاء الثلاثة الأصناف، (رواه الطبراني بسند صحيح). وفي ((صحيح مسلم)) من حديث أبي ذر «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»، وذكر منهم «المنفق سلعته بالحلف الكاذب»، زاد عقوبة الرابعة وهي «لا ينظر إليهم» هذا يدل على أن هذا الجرم عظيم، وذكر منهم الْمُنْفِق أو الْمُنَفِّق تضبط الضبطين «الْمُنْفِق سلعته بالحلف الكاذب»، وفي ((الصحيحين)) من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه «رجل حلف على سلعة لقد أُعْطِيَ بها أكثر مما أُعْطِيَ وهو كاذب»، ما أعطيها، «رجل حلف على يمين كاذبة بعد العصر ليقطتع بها مال رجل مسلم». وفي رواية «ورجلٌ بايع رجلاً سلعةً بعد العصر، فحلف بالله لأَخَذَهَا بكذا وكذا فصَدَّقَهُ وهو على غير ذلك». ففي هذه الأحاديث كلها شدة الوعيد [مع كثرة] على كثرة الحلف المنافي لكمال التوحيد الواجب.". [1]

٦٧-"إذًا (ومن معه من المسلمين خيرًا) أي وبمن معه، الباء إما أن تُذكر وإما أن تُقدر، (خيرًا) يعني في الدنيا وفي الآخرة، (خيرًا) في الدنيا وفي الآخرة ليعمَّ كلَّ ما يتعلق بالمسلمين المجاهدين لأن هذه الخَيْرِيَّة تختلف من زمان إلى زمان، ثَمَّ أحكام شرعية لا بد منها، ثَمَّ مصالح أخرى هذه تختلف من زمن إلى زمن، إذًا (أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا فقال: «اغزوا بسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تَغُلُّوا ولا تَغْدِرُوا، ولا تُمَثِّلُو ا، ولا تقتلوا وليدًا») هذه كلها أحكام شرعية لا بد من معرفتها والوقوف عليها، (فقال) يعني النبي – صلى الله عليه وسلم – («اغزوا بسم الله») أي اشرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله، مخلصين له، فتكون الباء في قوله: («بسم الله») هنا للاستعانة بالله، أراد النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذه الجملة أن يأمرهم بالغزو والغزو واجب هنا («اغزوا بسم الله») أي مستعينين بالله، هذا هو الظاهر وإن كان يحتمل ماذا؟ أنه يغزو ويقول: بسم الله، كما إذا توضأ قال: بسم الله، وإذا أكل أو شرب قال: بسم الله، يعني يذكر اسم الله تعالى، لأنه إذا صحّ الحديث «كل أمر ذي بال لا يُبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر»، «أقطع»، «أجزم» حينئذٍ إذا كان كذلك فالغزو يُعتبر من ذي بال، إذًا يقول: بسم الله، لكن هذا ليس بظاهر، الظاهر أنه أراد ماذا؟ («اغزوا بسم الله») أي مستعينين بالله تعالى، أي اشرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله، («في سبيل الله») أي طاعته كما في الرواية الأخرى.

وفي الحديث «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر فهو في سبيل الله»، فأشار في هذه الجملة («في سبيل الله») إلى الباطن الذي هو الإخلاص، أشار إلى الباطن، وقوله: («اغزوا بسم الله»). استعانة وهذا **تَعَلُّق القلب** بالله تعالى، لأن الجهاد نوع من العبادة، وكل عبادة لا يتمكن منها المرء إلا إذا استعان بالله تعالى، ومرّ معنا قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]. دخل فيها الجهاد ودخلت فيها الصلاة، ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالجهاد يحتاج إلى استعانة، استعانة بمن؟ بخالق الأرض والسماء ليس بغيره، إنما استعانة بالله تعالى، («في سبيل الله») أي طاعته وأشار به إلى الإخلاص، فلا بد في هذه

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ٩٤/٨

العبادة الجليلة العظيمة من الإخلاص، والإخلاص إنما يكون ماذا؟ يكون في توجه الغاية والهدف من الجهاد، لِمَ؟ لتكون كلمة الله هي العليا، أيُّ غرض آخر فهو في غير سبيل الله، لا للوطنية، ولا للحزبية، ولا للعصبية، ولا للتراب، ولا ... إلى آخره، وإنما لتكون كلمة الله هي العليا، ما عدا ذلك فلا، لا يُسمى جهادًا، فإذا قُتِل ليس بشهيد، وما يُقال الآن من باب التنبيه الشيء بالشيء يُذكر الذين يسقطون في الثورات الآن يقولون: شهداء، من أين جاءوا شهداء؟ الرايات التي تُرفع ليست رايات إسلامية، ليس تحكيم شريعة البتة، إنما هي ديمقراطية عدالة حرية تعديل الدستور حذف المادة الثانية .. إلى آخره كلها ليست شرعية، ولنا بالظاهر، فمن قُتِلَ في هذه لا نقول: في النار. حاشا وكلا، لكن نقول: ليس بشهيد. لأن الشهيد له وضع في الشريعة، أمّا أنه كل من سقط في هذه يُقال بأنه شهيد؟ الجواب: لا، ليس بشهيد البتة، ولا نحكم عليه بأنه ليس في الطاعة الله أعلم هنا النيات تختلف والمقاصد .. إلى آخره، إذًا («في سبيل الله») أي الإخلاص، كيفيته أن لا يكون له هدف إلا ماذا؟ إعلاء كلمة الله تعالى، «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»، وأما من قاتل رياءً أو سُمْعَةً، أو لأجل التراب ونحو ذلك فليس في سبيل الله البتة، قد يُغَرّرُ بعضهم حكمه عند الله تعالى ولا نحكم على أحد.". (١)

٦٨-"ذكر المصنف تحت الترجمة حديثًا واحدًا قال: (عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله: نهكت الأنفس) نُهكت بضم النون (نهكت الأنفس، وجاع العيال، وهلكت الأموال، فاستسق لنا ربك، فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «سبحان الله! سبحان الله!» فما زال يُسبح حتى عُرِفَ ذلك في وجوه أصحابه؛ ثم قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ويحك، أتدري ما الله؟ إن شأن الله أعظم من ذلك، إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه» وذكر الحديث. رواه أبو داود). قوله: (عن جبير بن مطعم) بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي كان من أكابر قريش أسلم قبل الفتح مات ستة سبعٍ وخمسين. قوله: (جاء أعرابي) أعرابيٌ واحد الأعراب سكان البادية إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (فقال: يا رسول الله: نُهِكَتْ الأنفس) نُهِكَ بضم النون، نُهك أي جُهِدت أو جَهِدَت يعني في التفسير بعض الألفاظ مر معنا زَكِمَ أن المعلوم هكذا جاء على صيغة المبني للمجهول زُكِمَ، هذا يحتمل أنه منه يحتاج إلى رجوع، لكن يحتمل أنه منه، في التفسير إما أنك تأتي به على جهة مبني لمعلوم أو على الأصل مبني للمعلوم أو على صيغته، فإذا كان نُهِك يعني الأصل فيه أنه مبني للمعلوم نقول: جَهِدَت أو جُهِدَت يجوز فيه الوجهان، جَهِدت كما في بعض الألفاظ، أو جُهِدت، وضَعُفَتْ وقَلَّتْ وضَنِيَتْ ودَنَتْ ودَنِفَتْ ألفاظ مترادفة نَهْكًا فهي مَنْهُوكَة. إذًا نُهِكَتِ الأنفس يعني ضَعُفَتْ، ضَعُفَتْ بسبب ماذا؟ بسبب قلة الأمطار والخصب، إذا قلت الأمطار ضعفت الزروع والإنتاج .. إلى آخره، أين الأكل لم يأكلوا شيئًا، إذًا ستضعف النفوس، ضعفت الأنفس، (وجاع العيال) إذًا ... (الأنفس) ضعفت العيال من بابٍ أولى، أليس كذلك؟ فجاع العيال ... (وهلكت الأموال) ماشية مثلاً ماذا ترعى؟ لن ترعى، والله المستعان. ولفظه: جهدت الأنفس وضاع العيال ونُهِكَتِ الأموال وهلكت الأنعام

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ١٠/٩٥

كذلك، وهلكت الأنعام أي من قلة المطر والخصب هذه كلها متلازمة ... (فاستسق لنا ربك) هذا الشاهد، تلك مقدمة لبيان الواقع، ثم بعد ذلك قال: (فاستسق لنا ربك) أي سأله أن أي اسأله أن يسقينا، سأل النبي ... (فاستسق لنا ربك) سأل النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يسأل ربه، يعني هذا الأعرابي سأل النبي – صلى الله عليه وسلم – ليسأل ربه أي اسأله أن يُسْقِيَنَا فاطلب من الله تعالى أن يَسْقِيَنَا وهذا جائزٌ، يجوز أو لا يجوز؟ هذا جائزٌ لا إشكال فيه، أن يأتي للنبي – صلى الله عليه وسلم – في حياته فيطلب منه ماذا السُّقْيَا أن يدعو ربه، ودعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – في الأصل مستجاب، وقد يستجيب الله تعالى، وقد يمنعه شيئًا لكن الأصل فيه ذلك، فإذا كان كذلك فهذا يعتبر جائزًا، وهذا جائز لأن طلب الدعاء ممن ترجى إجابته من وسائل إجابة الدعاء، ليس مطلقًا الأصل في الصالحين غير النبي – صلى الله عليه وسلم – الأصل فيه المنع، ومر معنا ذلك قديمًا بأن سؤال الخلق في الدعاء الأصل فيه المنع، وأما ما استدل به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في ما قاله النبي – صلى الله عليه وسلم – لعمر «لا تنسنا من دعائك يا أُخَيّ» وكذا، هذا إن صح، الحديث فيه كلام، بعضهم يضعفه، إن صح هذا وقع مرة واحدة، ومر معنا القاعدة أن الشيء إذا وقع في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – مرة لا يجعل عامًا، لا يجعل عامًا، وذلك ما كان الصحابة يسألون أبا بكرٍ بعد النبي – صلى الله عليه وسلم – وما كانوا يسألون عمر، ما كان أحد يسأل أحدًا، ولكن هذا قد يكون فيه شيء من تواضعه – صلى الله عليه وسلم –، أو أنه جائز لا على وجه الكثرة لكن دائمًا دائمًا يكون على لسان الإنسان هذا لا، ليس بجيد، هذا قدحٌ والله أعلم، لأنه يعتبر ماذا؟ **تعلق القلب** بغير الله تعالى، إذا كنت تريد الدعاء فادعوا أنت مباشرة، ثم صارت تقال لكل صالح وطالح، يعني لا تنسنا من دعائك، دعواتك، أي خدمة؟ قال: دعاؤك، كيف هذا ما يصلُح هذا؟". (١)

٦٩-"عناصر الدرس

* الأصل الرابع: معرفة واقع زمن النبي صلى الله عليه وسلم.
* أهل الفترة وحكمهم.
* الشفاعة وأنواعها.
* الأصل الخامس: اقرار المشركين بتوحيد الربوبية، والدليل على ذلك.

أسئلة:

- هذا يقول: جملة رحمك الله، قول المصنف: (اعلم رحمك الله). لها محل له من الإعراب؟

: هذه جملة اعتراضية، لا محل لها من الإعراب، أما الجملة التي في أول النسخ المطبوعة به ثقتي هذا كتاب كشف الشبهات الظاهر أنها ليست من النسخة الأصلية، وبالنسبة لعادة الإمام رحمه الله كان يذكر مثل هذه الألفاظ وبه ثقتي يعني: اعتمادي وتحقيق معنى التوكل على الله عز وجل.

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي ٩/٩٦

- لما أن شرحكم على الألفية قريب نرجو منك لو أعطيتمونا طريقة في حفظ أبياتها وكيفية الضبط؟

: هذا ذكرناه مرارًا، إذا كان الطالب يستطيع أو يستوعب أن يحفظ في اليوم خمسة أبيات حينئذٍ يجتهد في حفظها ويضبطها أولاً، إما بسماع شريط مثلاً، وإما أن يرجع هو بنفسه إلى بعض الشروح، والنسخة التي حققها محي الدين لابن عقيل مع الألفية هذه من أجود الموجود، من أحسن الموجود نسخة الألفية التي مع شرح ابن عقيل تحقيق محيي الدين، نادر أن تجد فيه أخطاء نحوية أو غيرها.

- هل جملة (بالعبادة) جار ومجرور متعلقة بقول المصنف رحمه الله تعالى: (التوحيد هو إفراد)؟

نعم، ذكرناه (إفراد الله تعالى بالعبادة)، وفي بعض النسخ بالتعلق، التعلق المراد به **التعلق القلبي** وهو معنى التوحيد، و (بالعبادة) جار ومجرور متعلق بقوله: (إفراد) لأنه مصدر، والمصدر محل للعمل يعني: يعمل. المصدر يعمل.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

عرفنا بعض الأصول التي قَدَّمَ بها المصنف رحمه الله تعالى في كتابه ... ((كشف الشبهات))، وذكرنا أن الأصل الأول الذي ينبغي العناية به وفهمه هو معنى التوحيد الذي جاءت به الرسل، وهو توحيد العبادة، وعرفه المصنف رحمه الله تعالى بقوله: (إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة).

ثم الأصل الثاني: تعلم أن هذا التوحيد، توحيد العبادة الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا أمر مجمع عليه، والإجماع هنا أعلى درجات الإجماع وهو إجماع الرسل قاطبة من المرسلين والأنبياء أجمعوا على هذا النوع، ولذلك قال: (وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده). فكل رسول إنما أرسل إلى قومه ليبين لهم ما أُرْسِلَ به إليهم، وهذا الذي جاءوا به اتفقوا عليه بقولهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾. وهذا هو معنى توحيد العبادة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وفسر هذا بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. فالأمر بعبادة الله وحده دون ما سواه وصرف العبادة كلها لله جل وعلا والتأليه الكامل المطلق لله جل وعلا محبةً ورجاءً وخوفًا ونحو ذلك، كله منفرد به الخالق سبحانه وتعالى.

ثم بين أن سبب الشرك الذي وقع في البشرية إنما كان بسبب الغلو في الصالحين وهذا أصل ثالث ينبغي العناية به، ما سبب وقوع البشرية في ... الشرك؟". (١)

٧٠-"لأن المصنف هنا في إيراد الشبه لم يجادله العوام، هل جادله العوام هم الذين يقفون في وجوه العلماء ويجادلونهم بالشبه والمعارضة بما يظهر لهم من كتاب وسنة، لا، هذه وظيفة من؟ وظيفة العلماء، لكنهم علماء البدعة والضلالة ليس

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي ٤/١

كل من وصف بالعلم، والعالم معناه صاحب حق، لا، قد يكون عالمًا ومتأصلاً في التفسير والحديث والفقه ومفتي قومه ونحو ذلك لكنه على ضلالة وبدعة وهؤلاء منهم، فحينئذٍ نقول: المصنف رحمه الله تعالى يرد على علماء البدعة الذين تلبسوا بالشرك ودافعوا عنه (الذي يسميه المشركون في زماننا (الاعتقاد))، الاعتقاد افتعال من العقد، افتعال يعني: وزنه افتعال من العقد، وهو: ربط الشيء. يقال: عَقَدَ الحبل إذا شَدَّهُ نقيض حله. عقد الحبل إذا عقد الجبل شَدَّهُ صار جزمًا، من هنا أخذ أهل العلم أن العقيدة في القلب لا بد أن يكون عن جزم، الشك ما ينفع في العقيدة والظن لا ينفع في العقيدة، لا بد من الجزم يعني: لا يحتمل النقيض عنده، اعتقد أن الله تعالى هو المستحق لأن يفرد بالعبادة لا يقبل الشك والظن، لذلك سميت العقيدة عقيدة، تقول العرب: أعتقد الشيء صَلُبَ واشْتَدَّ. اعتقد الشيء نفسه يعني الشيء فاعل صَلُبَ واشتد، وأعتقدتُ كذا عقدت عليه القلب والضمير، وهنا الاعتقاد المراد به هو **تعلق القلب** بمن تقرب إليه ذلك المتقرب، سَمَّوْا الشرك بالاعتقاد، ونقول: قلب الحقائق، تغير الأسماء لا يقتضي قلب الحقائق. الحقيقة هي هِي نفسها فإذا عُرِفَ أن التوحيد هو إفراد الله تعالى بالعبادة، حينئذٍ لو سمي إسلامًا لو سُمِّيَ إيمانًا سمي إحسانًا بما جاء به الشرع نقول: الحقيقة هي نفسها، والتغاير يكون في شيء آخر، والشرك هو دعوة غير الله تعالى مع الله، أو اتخاذ الند مع الله تعالى أو صرف شيء من العبادة لغير الله، سميته شِرْكًا كما جاء به الشرع، أو سميته اعتقادًا أو سميته توسلاً أو سميته شفاعةً، سَمِّه ما شئت فالحقيقة هي الحقيقة، لا يخرج المشرك عن كونه مشركًا.". (١)

٧١-"إذًا الاعتقاد هنا المراد به **تعلق القلب** لمن تقربه إليه ذلك المتقرب، تعلق به من جهة كشف ضُرٍّ أو جلب نفع، أو بالتوجه إليه بأي نوع من أنواع العبادة، صار ذلك مشركًا مخرجًا له من الملة، ولو كان من أعلم الناس، ولو كان من أعبد الناس، فلا يلتفت إلى علمه، ولا يلتفت إلى عبادته لماذا؟ لأن الشرك كما سبق معنا في القواعد أنه إذا دخل العبادة أفسدها، كالحدث إذا دخل الوضوء أو الصلاة فإنه يفسدها، المصلي يصلي وهو في االعبادة إذا خرج منه حدث بطلت صلاته ووضوؤه كذلك العالم أو العابد المتنسك ولو كان من المجتهدين في العبادة فلا يغرنك كثرة عبادته، فَيُنْظَرُ إلى حقيقة الشرك إن تعلق بغير الله في جلب نفع أو دفع ضُرٍّ أو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله فهو مشرك ولا يلتفت إلى غير ذلك، الذي يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد يعتقدون في الولي كذا، هكذا يقال يعتقد في الولي، وكانوا مع إقرارهم بتوحيد الربوبية ... (يدعون الله سبحانه وتعالى ليلاً ونهارًا) إذًا أقروا بتوحيد الربوبية وجحدوا توحيد العبادة وسَمَّوْا الشرك بغير اسمه ومع ذلك كانوا يتعبدون كثيرًا، ... (يدعون الله) يعبدون الله تعالى (ليلاً ونهارًا) ولذلك المصنف أراد بهذا أن يرد شبهة ماذا؟ أن يرد على من أقر بوجود الخالق وأنه هو الذي يتصرف في الملكوت، وهذا سيأتي ينص عليه في الشبه القادمة، أن كيف يقال بأن من اعتقد أن الله تعالى هو الخالق والرازق وهو يعبد الله ويصوم ويصلي وقد يكون من أهل العلم ويقر بتوحيد الربوبية ولا يقع في الشرك باسمه فكيف يقال بأنه مشرك؟ كيف يقال بأنه لا يُغفر له إن مات على شركه؟ كيف يقال بأنه خالد مخلد في ... هذه شبه إن تقع عند الناس ولذلك لما جاء شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى بدعوة

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي ١١/٥

التوحيد الدعوة السلفية أشد ما أُنكر عليه وأنه جاء بدين جديد كما قد قيل، وهذه دعوة كل زمان، كيف يُحْكَمْ على أولئك العلماء المتعبدين بماذا؟". (١)

٧٢-"يُطلق الجهل مرادًا به فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، يطلق الجهل في لسان العرب مرادًا به فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادًا صحيحًا أو فاسدًا، ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧] أطلق على فعل الهزأ ٤٨,٣٤ بماذا؟ أنه جهل لأنه لا ينبغي أن يُفعل، ليس من حقه أن يفعل، وكذلك إذا كان من حقه أن يفعل فتركه حينئذٍ نقول: هذا جاهل. إذًا (والكفار الجهال) وهم إن كانوا أميين لا يقرؤون إلا أنهم يعلمون من لسانهم ما خاطبهم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، (يعلمون أن مراد النبي) – صلى الله عليه وسلم – (بهذه الكلمة هو إفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه) هكذا علموا قطعًا نجزم بهذا، أنهم علموا وأدركوا من هذه الكلمة لا إله إلا الله أنه يجب أن تنفى الألوهية عن ما سوى الله عز وجل، وأن يفرد سبحانه بالعبادة وحده دون ما سواه، (هو إفراد الله تعالى) علمنا أن الإفراد لا يتم إلا بشيئين وهما:

إثبات تام، ونفي عام.

إثبات تام إلا الله، ونفي عام لا إله. حينئذٍ يصح الإفراد، ولذلك قلنا: التوحيد لا بد من ركنين اثنين إن وُجِدَ أحدهما لا يكون موحدًا لا بد من إثبات تام إلا الله، ولا بد من نفي عام، هو: (هو إفراد الله تعالى). إذًا مأخوذ من نفي والإثبات نفي الإلهية عما سوى الله تعالى وإثباتها كلها لله وحده لا شريك له، (بالتعلق) هذا جار ومجرور متعلق بقوله: (إفراد). يعني: أفردته بأي شيء؟ بالتعلق، وعبر هو في أول الله الكتاب (إفراد الله تعالى بالعبادة) والتعلق المراد به هنا **التعلق القلبي** بمعنى التعبد القلبي، لأن العبادة تكون باعتقاد وتكون بالقول وتكون بالعمل والجوارح والأركان، وإذا وجد الاعتقاد التام والتعلق التام لزم منه وجود العمل، فإن لم يوجد العمل دلّ على انتفاء الاعتقاد التام الذي يكون في القلب، بينهما تلازم لا بد من وجود الاعتقاد في القلب إن وجد فحينئذٍ لزم منه وجود العمل الظاهر، فإن انتفى العمل الظاهر دل على انتفاء الباطل، (هو إفراد الله تعالى بالتعلق) يعني: **التعلق القلبي** التعبد. (والكفر بما يعبد من دونه) هذا داخل في مفهوم الكلمة، ليس بشيء زائد عليها، يعني: مفهوم الكلمة معاني الكلمة مركب.

الأول: (إفراد الله تعالى بالعبادة).

الثاني: (والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه).". (٢)

٧٣-"إذًا معنى لا إله إلا الله إفراد الله تعالى **بالتعلق القلبي** التعبد والكفر بما يعبد من دونه، وهذا مأخوذ من النفي لا إله، نكفر بكل معبودات الآلهة غير الله جل وعلا والبراءة منه يعني: من تلك المعبودات ومن الشرك نفسه، إذًا يكفر بماذا؟ يكفر بالشرك نفسه، وبالمعبود، وأما العابد فهذا من لوازم لا إله إلا الله ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي ١٢/٥

(٢) شرح كشف الشبهات للحازمي ١٥/٧

اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] والعروة الوثقى هي لا إله إلا الله.

إذًا آيتين أو ثلاث توضح لك معنى التوحيد، حينئذٍ لا يلتبس عليك هذا الفهم، (فإنه لما قال لهم) ما الدليل على أنهم فهموا معنى لا إله إلا الله لا بد من دليل لأنه الحال والشأن. (فإنه) أي: الحال والشأن. (لما قال لهم) النبي – صلى الله عليه وسلم – («قولوا: لا إله إلا الله».) لما قال له عمه: كلمة واحدة يقولنها تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية ففزعوا لكلمة يعني لكلمة واحدة قال: نعم وعشرًا وأبيك وعشرة. إذا كانت الكلمة فقط من أجل قولها ما بكلمة واحدة نقول: عشرًا قال: («قولوا: لا إله إلا الله».) فهموا المراد، فهموا لا خالق إلا الله؟! لا، فهموا لا معبود، يتبرءون من جميع المعبودات لا هبل ولا العزى ولا مناة ولا غيرها، ففزعوا فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون أو يقول بعضهم: (﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]). يتعجبون كيف آلهة تصل إلى الأربعمائة والخمسمائة كلها معبودات من غير الله جل وعلا كيف تجعل إلهًا واحدًا؟! بهذه الكلمة الواحدة تبطل بها جميع هذه المعبودات، قالوا: لا. رفضوا جحدوا فأنكروا هذا التوحيد مع كونهم يعلمون أن الإله ليس المراد به الخالق الرازق المدبر، ويعلمون أن الإله المراد به من يتقرب إليه بسائر العبادات من الذبح والاستغاثة والطواف وغير ذلك، هذا يدل على أنهم أفقه من المتأخرين (فإنه لما قال لهم: «قولوا: لا إله إلا الله». قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]) إذًا كل ما صُرِفَ لغير الله تعالى من العبادات واتخذ معبودًا سُمِّيَ إلهًا بهذا النص، وآية واحدة تكفي في إثبات الحكم الشرعي، سُمِّيَتْ آلهة هم سموها آلهة، هم اعترفوا أنها معبودات من دون الله جل وعلا، ومع ذلك أقرهم الله عظ وجل بل سماها في غير آية آلهة ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان: ٣]، ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً﴾ سماها آلهةً وهم اعترفوا أنها آلهة، وفهموا أن الآلهة المراد بها المعبودات، وأن المراد من التوحيد الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه نفي لاستحقاق هذه المعبودات الألوهية وأن يفرد الله تعالى بالعبادة، وأن يكفروا بسائر هذه المعبودات، فتعجبوا منها ورفضوا وأبوا، إذًا علموا المعنى الصحيح لـ لا إله إلا الله ولكنهم لم يمتثلوا وخالفوا.". (١)

٧٤-"(الثلاثون: وهي من عجائب آيات الله)، وفي بعض النسخ: من أعجب الآيات. والظاهر أن من عجائب أولى لأن التي تليها من أعجب الآيات فيفرق بينهما، أما أعجب أَعجب حينئذٍ فيه نوع تنازع، (وهي من عجائب آيات الله)، يعني: آيات الله العجيبة من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، (أنهم لما تركوا وصية الله بالاجتماع، وارتكبوا ما نهى الله عنه من الافتراق، صار كل حزب بما لديهم فرحين)، وهذه المسألة داخلة في المسألة الثانية السابقة هي جزء منها أراد المصنف رحمه الله تعالى هنا بالتنصيص على التأكيد أو أراد التأكيد على أن التفريط فيما أمر الله تعالى به من الاجتماع وعدم الافتراق بأنه تترتب عليه العقوبة العظيمة وهي: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. كما هو نص الآية، وهنا قال: (صار كل حزب بما لديهم فرحين). لم يُرِد الآية وإنما أراد التعبير بالمعنى، (صار كل) كل هذا اسم صار، و (فرحين) هذا خبرها منصوب بها، إذًا العقوبة ما هي؟ هي ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، ومعلوم أن هذا الحزب الذي تفرق عن كلمة

---

(١) شرح كشف الشبهات للحازمي ١٧/٧

الحق إنما اجتمع على باطل، وأعظم الباطل أن يقع الشخص في الباطل ويفرح به، ثَمَّ أمران وهذا قد يقع فيه حتى بعض الناس، يعني: فرق بين من يقع في معصية، وبين من يقع في معصية ويفرح بها ويحبها ويتعلق بها. الأول هذا يرجى له التوبة، والثاني هو بعيد إلا أن يشاء الله، فالانغماس في المعصية مع حبها والتشهي لها والفرح بها إذا ظفر بها، نقول: هذا باطل على باطل. يعني زيادة في الإثم، بخلاف بمجرد الوقوع في المعصية، هنا تفرقوا ثم كان نتيجة هذا التفرق والعصيان بأنه لم يجتمعوا على الحق حينئذٍ ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾، إذًا تفرقوا واجتمعوا أحزابًا، ثم فرحوا بما هم عليه من الباطل، وسبق أن ثَمَّ قاعدة شرعية كونية أن من لم يعمل بالحق ابتلي بالباطل، كل من لم يتبع الحق لا بد وأن يقع في مقابله، فمن ترك الإسلام وقع في الكفر والشرك، من ضعف عنده التوحيد أو عُدِم لا بد أن يقع في مقابله، من ضعف عنده أو عدمت السنة فلا بد وأن يقع في مقابله وهو البدعة، شاء أم أبى، ولذلك ابن القيم رحمه الله تعالى في ... ((مدارج السالكين)) يقرر القاعدة وهي: أن أعمال القلوب بمقابلها من باب المتناقضين، بمعنى أنه لا يمكن أن يخلو القلب من أحدهما، فمحبة الله ومحبة غيره المرء مأمور بمحبة الله تعالى وأن لا يكون في القلب إلا حب الله تعالى وما يوصل إلى الله تعالى، حينئذٍ إذا نقص من هذه المحبة ضرورة أن يتعلق القلب بغير الله تعالى، فإن عدمت المحبة ضرورة أن يتعلق بغير الله تعالى، يعني: ليس عندنا ما يمكن أن يقال بأن القلب قد خلا من المحبتين، لا هذا لا وجود له، لأن القلب لا بد له من التعلق إما بخالقه أو بالدنيا وما فيها، فالأصل أن يتعلق القلب بمحبة الله تعالى، فإن عدمت تعلق بالدنيا وما فيها، إن نَقصت مع وجودها حينئذٍ النقص بالنقص، فكلما نقص شيء من المحبة تعلق .. ،". (١)

٧٥-"من أصول العبادة المحبة

المحبة، ومعناها أن محبة التعظيم والتقديس لا تكون إلا لله عز وجل، فالواجب على العباد أن يحبوا الله سبحانه، وتمتلئ قلوبهم بمحبة الله تعظيماً وإجلالاً وتقديساً وتأليهاً وانجذاباً إلى الله عز وجل، وأن يكون الله عز وجل أحب إلى العبد من كل شيء، محبة التقديس والتعظيم والكمال.

ثم لا بد بعد ذلك من الركنين الأساسيين، وهما: الرجاء من جانب والخوف من جانب آخر، وهما لا يفترقان، بل لا بد أن تعلق كل منهما بالمحبة؛ ولذلك شبه بعض أهل العلم العبادة بالطير، فالمحبة رأسه، والرجاء جناحه الأيمن، والخوف جناحه الأيسر، ولا يمكن أن يطير الطير إلا بهذه الكيانات الثلاث، فعلى هذا لا بد أن يتعلق قلب المسلم برجاء الله، وأن يكون راجياً لله عز وجل، لا يتطرق إليه اليأس، والرجاء لا بد أن تقترن به الأسباب.

وكذلك الخوف لا بد أن يكون الإنسان خائفاً من الله، فيجمع بين المحبة والرجاء والخوف، ويوازن بينها، فلا يطغى جانب على جانب، وعلى هذا فإن من لوازم المحبة والرجاء والخوف العمل بشرع الله عز وجل؛ لأن مسألة المحبة إذا لم ينبثق عنها رجاء وخوف ثم عمل؛ تصبح مجرد دعوى، والله عز وجل قال على لسان نبيه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، فلا بد من الاتباع، والاتباع يجمع بين الوعد والوعيد والخوف والرجاء والعمل بالأحكام.

---

(١) شرح مسائل الجاهلية للحازمي ١٩/٧

فالمسلم لا بد أن يجمع بين هذه الأصول الثلاثة: أن يكون محباً لله، ثم راجياً لثواب الله، ويعمل بالأسباب، وخائفاً من عقاب الله ويدرأ هذا العقاب باجتناب النواهي، فيعمل بالأوامر رجاء فضل الله، وينتهي عن النواهي خوفاً من الله، ومع ذلك كله لا بد أن يحب الله، وأن يعظم الله في المحبة، وأن يحب ما يحبه الله، ويحب من يحبهم الله.

وهذه الأمور إذا ضعف فيها جانب اختل الإيمان، وإذا فقد جانب فقد يفقد الإيمان كله، فالنقص في هذه الأصول الثلاثة أو في أحدها نقص في الإيمان، مع أنه يلزم من وجود بعضها وجود البعض الآخر، بمعنى أن من اكتملت محبته لله؛ اكتمل رجاؤه وخوفه، والعكس كذلك؛ ولذلك فإن من نقص أو اختل عنده أصل من هذه الأصول نقص إيمانه واختل إيمانه، وقد يفقد الإيمان بالكلية.

وقوله: (من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق)، معنى ذلك: أنه يوجد من المتفلسفة وبعض المتعبدة الجهال الذين ينتسبون للإسلام، من يزعم أنه يكفيهم **التعلق القلبي** بالله، وأن الإنسان إذا وصل إلى هذه الدرجة فإنه يستغني عن العمل بالشرع، ولا يعول على الرجاء ولا على الخوف، ويزعم أنه بالمحبة حقق كمال العبادة وكمال المطلوب، وهذا خلاف قطعيات النصوص، والله عز وجل طلب من عباده أن يرجوه ويخافوه، وجعل ذلك هو أصل الدين والعبادة.

وأيضاً قد يترتب على هذه النزعة الاستهانة بشرع الله، فالذين زعموا أنهم يعبدون الله بالمحبة وتعلق القلوب بالله بالتقديس فحسب، سواء كان هذا عن طريق التفكر، أو عن طريق الرياضة القلبية أو الرياضة العقلية، أو تحت أي شعار من الشعارات التي عليها عباد الأمم وكثير من الفلاسفة؛ كل ذلك ضلال، مهما كانت المسالك المؤدية إليه؛ لأنه لا يمكن أن تكتمل المحبة إلا **بتعلق القلب** برجاء الله والعمل بأسباب الرجاء، **وتعلق القلب** بالخوف من الله والعمل بأسباب ذلك.

فعلى هذا فإن من عبد الله بالحب وحده تزندق، لأنه وقع في الاستهتار في الدين، وأقرب عبارة في عصرنا لمفهوم التزندق: الاستهتار، وهو اللامبالاة، لا يعمل بالأوامر ولا ينتهي عن النواهي، ويزعم أنه وصل إلى درجة فوق مستوى أن يلتزم الشرع.

وهناك مقولة خطيرة قال بها بعض العباد، ومن خلالها انغرست هذه المناهج الباطلة عند بعض الطرق الصوفية، وهي قول القائل: اللهم إني لا أعبدك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك، ونحن نعبد الله رجاءً وخوفاً، نعبد الله محبة له سبحانه، لكن نجمع مع ذلك رجاء الثواب والنعيم، وعلى رأس الثواب الجنة كما يلزم من محبتنا لله عز وجل الخوف من ناره ومن عقابه، نسأل الله أن يعيذنا من النار؛ فعلى هذا لا بد للمسلم أن يجمع بين هذه الأصول.". (١)

٧٦-"وجود الشرك في هذه الأمة

لو قال متنطع: لا يوجد شرك في هذه الأمة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: (إن الشيطان قد أيس أن يعبد في جزيرة العرب)، وإذا أيس من الشرك بقيت له المعاصي فقط.

والرد على هذا الكلام أن يقال: هذا الحديث حديث مختلف في إسناده، فبعض رواته حديثهم حسن، وبعضهم ضعفاء، فالضعف فيه محتمل، والنبي صلى الله عليه وسلم قد وجد عمران بن حصين وعليه حلق من حديد فقال له: (ما هذه؟

---

(١) مجمل أصول أهل السنة ٦/٦

قال: هذه من الواهنة -يعني: هذه تدفع عني الوهن، هذا مع أنه تربى على مائدة رسول الله صلى الله عليه وسلم- فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: انزعها، فإنها لا تزيدك إلا وهناً، ثم قال له: فإن مت وهي عليك ما أفلحت أبداً) فنفى عنه الفلاح، وأيضاً قال بعض الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم: اجعل لنا ذات أنواط، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (الله أكبر إنها السنن، قلتم ما قال أصحاب موسى لموسى: اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة)، فكيف يقول أحد: أنه لا يوجد شرك في هذه الأمة؟! وقد قلنا: إن الاعتقاد في الخرز أنها تدفع الضر وتجلب المنفعة، أنه شرك في الربوبية كما بينا، وهو أيضاً شرك في الإلهية، فهو قد أشرك في الربوبية لأنه اعتقد في الجمادات ما لا يعتقد إلا في الله، وهذا اعتقد في الخرز والنعل دفع الضر وجلب النفع، وذلك لا يكون إلا لله، فهذا الوجه الأول لكون هذا العمل شركاً، وشرك الربوبية يستلزم الشرك في الألوهية.

والوجه الثاني: أن التوكل على غير الله جل في علاه يعتبر شركاً، والتوكل أمر خفي، إذ أن المرء إذا تعلق قلبه بغير الله فقد توكل على غير الله جل في علاه، حيث يخاف من غير الله جل في علاه، أو يرجو غير الله جل في علاه، وإذا علق التميمة وقلبه معلق بها ونزعت فسيكون خائفاً وجلاً؛ لأن المانع له من هذه الأخطار قد نزع، وهذا تعلق للقلب بغير الله جل في علاه.

إذاً: الوجه الأول: استلزام الربوبية للإلهية، والوجه الثاني: **تعلق القلب** بغير الله جل في علاه.

فإن اعتقد في غير الله ما لا يعتقد إلا في الله، فقد أشرك شركاً أكبر، وأما إذا كان يعتقد أن الله هو النافع والضار، وأن الذي يجلب الخيرو يدفع الضر هو الله، وإنما وضع هذه الخرزة أو نحوها لدفع العين ودفع المرض، فيكون شركاً أصغر؛ لأنه اتخذ سبباً لم يشرعه الله جل في علاه لا شرعاً ولا قدراً، فكونه اتخذ سبباً لم يجعله الله سبباً، ولم يشرعه الله جل في علاه سبباً، فكأنه أشرك مع الله غيره، ولكن هذا شرك أصغر؛ لأنه وسيلة إلى الشرك الأكبر، ولقول الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]، وكثير من الناس إن لم يكونوا كلهم يفعلون ذلك، فيميلون ميلاً لهذه التمائم والرقى، وسنبين أن القلب أيضاً يميل لتمائم من القرآن، فالأمة تدور إما بين شرك أكبر أو شرك أصغر، وإن كان الشرك الأكبر منتفٍ؛ لأننا لا يمكن أن نظن في مسلم أنه يعتقد في غير الله ما لا يعتقد إلا في الله، بل إن العامي الذي يعلق التميمة على الولد الصغير لو قلت له: هل هذه تنفع وتضر؟ لقال: إن النافع الضار هو الله، لكننا وجدنا من قبلنا يقولون: إن هذه سبب لدفع البلاء واستجلاب النفع، ولذلك فإنهم غارقون في الشرك الأصغر.". (١)

٧٧-"عند الضريح خيالاً أويسمع صوتاً أو تُقضى له حاجة أويرى في المنام مايدعو للإعتقاد بالميت وكل هذا بلا ريب من الشيطان. والشياطين تقدر على أعظم من ذلك للفتنة.

وما اغْترّ عباد الأصناح بحجر ولا بشجر وإنما يسمعون أصواتاً ويروْن أشياء وتقضى لهم بعض الحوائج ومِنْ هنا اغتروا وهذا معنى قوله تعالى عن خليله عليه السلام: ﴿رب إنهن أضللْن كثيراً من الناس﴾ إن مع كل صنم شيطان وظيفته الفتنة وزيادة

---

(١) مسائل خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية ٨/٩

تعلق القلب بغير الإله الحق. ولاشك أن السّدنة وما يرُوّجونه من الباطل عامل كبير لِرَواج بناء القباب على القبور وتعظيمها. وهم دجاجلهم يتأكّلون بالشرك. وكم يُرَوّجون الإعتقاد بمقبور لايملك لنفسه فضلاً عن غيره نفعاً ولاضراً بأنه فعل كذا وحصل بسببه كذا. وكل ذلك ينقسم إلى قسمين: إما من الشيطان للفتنة ولزيادة التعلّق بالميت. أوكذب محض لا أصل له. إن التعلق بالموتى مهما كانت وجاهتهم ومنزلتهم أعظم صارف لقلب العبد عن ربه الذي خلقه ليكون هذا الذي في قلبه من التعلّق خالصاً له لايُزاحمه فيه مُزاحم لا محمد ولا جبريل ولاجميع الأنبياء والملائكة فضلاً عن غيرهم. وإنما هؤلاء يريد الرب منا أن". (١)

٧٨-"ثم ذكر بعد ذلك أنه ليس المراد من هذا الاتحاد ما هو معروف في البوذية والمسيحية، وإنما هو بمعنى أنه مجرد ملاحظة روحية، ولكن يبقى عليه أن الملاحظة الروحية لا يقال فيها بالاتحاد، وإنما هي زيادة تعلق القلب بخالقها فقط، ومن قال إن ملاحظاته جعلته متحداً مع الله فلا شك في خروجه عن الحق مهما حاول بعد ذلك تغطية معتقده بزخرف القول. لقد أصبحت وحدة الشهود عند المتصوفة هي أخص مظهر من مظاهر الحياة الصوفية وهي الحال التي يسمونها بالفناء وعين التوحيد وحال الجمع، وهي الاتصال بين العبد وبين ربه عن طريق الشهود الصريح فيما يزعمون. ويصل الإنسان إليها – بزعمهم – بكثرة الذكر حتى يقع الشهود القلبي ثم يستغني عن الذكر بمشاهدة المذكور – حسب تخيلاتهم السقيمة الإلحادية – فاتضح مما سبق أن الفوارق لا تكاد تعرف بين تلك التسميات، فهي داخلة في النهاية كلها في دائرة واحدة هي القول بالحلول مهما تعددت صوره (١).

وأما اعتقادهم في الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو ضرب من الخيال والإلحاد، فهم يزعمون: ١ – أن الله كان في عماء دون تعيين فأراد أن يتعين في صورة فتعين في صورة محمد صلى الله عليه وسلم، أي أنهم يعتقدون أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الله سبحانه وتعالى ذاتاً وصفةً حيث تعينت فيه الذات الإلهية في صورة مادة كما قرر الكشخانلي ومحمد الدمرداش – والجيلي والبيطار والقاشاني والفوتي وعلي حرازم والشعراني (٢).٢ – وأن الذي هاجر من مكة إلى المدينة هو الذات الإلهية متجلية في صورة هو محمد صلى الله عليه وسلم كما قرر ابن عربي ذلك في قوله: "اللهم أفض صلة صلواتك وسلامة تسليماتك على أول التعيينات المفاضة من العماء الرباني وأخر التنزلات المضافة إلى النوع الإنساني المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثان إلى المدينة الجمع بين العبودية والربوبية الشامل للإمكانية والوجودية" (٣).

٣ – أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يحضر كل مجلس أو مكان أراد بجسده وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث يشاء في أقطار الأرض إلى اليوم لم يتبدل بعد وفاته.٤ – كل هذه الموجودات إنما وجدت من نور محمد صلى الله عليه وسلم ثم تفرقت في الكون (٤)، وهكذا فقد أصبح من الأمور المسلمة عند الصوفية أن هذا الكون وكل ما يحصل فيه من خير وفيض، إنما يتم عن طريق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وفيما قدمنا من النقل عن جواهر المعاني ورماح الفوتي ما يغني عن إعادته هنا، وهذا المعتقد مقرر في كتب الصوفية كلهم من التجانية أو من غيرهم؛ ولهذا يقول المنوفي في بيان تلك

---

(١) الشناعة على من رد أحاديث الشفاعة ص/٦٥

القضية:

لله در القائل:

من رحمة تصعد أو تنزل ... ما أرسل الرحمن أو يرسل

من كل ما يختص أو يشمل ... في ملكوت الله وملكه

نبيه المختار المرسل ... إلا وطه المصطفى عبده

بعلم هذا كل من يعقل (٥) ... واسطة فيها واصل لها

أي أن كل من يعقل. ولو قال كل من يجهل لكان أصوب- يعرف تمام المعرفة أن هذا الكون وما فيه إنما هو مستمد لبقائه ووجوده من محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو الرب تعالى في تعيينه الثاني. ويقرر ابن عطاء الله السكندري ذلك بقوله:"جميع الأنبياء خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم عين الرحمة" (٦)

ومما لا يجهله أي مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم عبد بشر مثل سائر البشر كرمه الله تفضلاً ومنة بالرسالة مثل سائر الأنبياء والرسل.

وهو عليه الصلاة والسلام غني عن مبالغات الصوفية وأكاذيبهم الحمقاء، فكل ما قرره أقطاب الصوفية من أولهم إلى آخرهم حول الحقيقة المحمدية ونشوء الخلق عنها فإنه كلام خارج عن عقيدة المسلمين من دان فلا حظ له في الإسلام بل هو مجوسي وثني. يعتقدون كما قرره ابن عربي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرف القرآن قبل نزوله بل إنه على حسب زعمهم هو الذي يعلم جبريل الذي بدوره يوحيه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ثانية (٧).ومن الصوفية مثل أبي يزيد البسطامي من يزعم أن الرسل كانوا أقل من مرتبتهم حيث قال:"خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله" (٨) وهذه الافتراءات كلها إلحاد وزندقة وشبهات مظلمة وإبطالها مما لا يشق على مسلم عرف شيئا عن تعاليم الإسلام، فإن القرآن منزل من عند الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام وهذه هي عقيدة كل مسلم، من لم يؤمن بها أو شك فيها فلا حظ له من الإسلام ولا صلة بينه وبين المسلمين.

¤فرق معاصرة لغالب عواجي ٣/ ١٠٠٥

---

(١) انظر: ما كتبه د. صابر طعيمة في كتابه ((الصوفية معتقداً ومسلكاً)) (ص ٢٥٧).

(٢) انظر: النصوص عن هؤلاء في كتاب ((هذه هي الصوفية)) من (ص ٧٣ – ٩٢).

(٣) ((فتح الباري)) (١١/ ٣٤٤).

(٤) هنا مربط الفرس في العقيدة الصوفية فقلما يخلو كتاب من كتبهم عن تقرير هذه العقيدة.

(٥) ((جمهرة الأولياء)) (٢/ ١٠).

(٦) ((لطائف المنن)) (ص ٥٥)

(٧) ((هذه هي الصوفية)) (ص ٨٩)، ينقله عن كتاب ((الكبريت الأحمر)) للشعراني (ص ٦).

(٨) انظر: ((شطحات الصوفية)) (ص٣١)."[١]

٧٩-"وكلما عصى العبد ربه وصغر نفسه وحقرها بمعصية الله طرده الله عز وجل عن حضرته، وأبعده بقدر جنايته، فتحدث الوحشة بينه وبين ربه عز وجل، وبينه وبين عباد الله المؤمنين، فلو حصلت له الدنيا بحذافيرها لم تعوضه هذه الوحشة.

فالواجب على كل مسلم حتى تزكو نفسه أن يستسلم لشرع الله عز رجل، بعد أن يتحقق قلبه بالتوحيد، وأن يكون بين يدي الشارع كالميت بين يدي الغاسل، ألا ترى أن الميت لا تكون له إرادة ولا هوى تخالف إرادة مغسله، بل يقلبه المغسل كيف يشاء، ويقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء، وليس له إلا التسليم، وهذا معنى الإسلام وهو الاستسلام لشرع الله عز وجل.

قال الزهري: من الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم. والشرع كله تزكية لنفوس العباد حتى يصلحوا لمجاورة الله في الجنة، فالتوحيد تزكية: قال الله تعالى: وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ [فصلت: ٦ - ٧]، قال ابن كثير رحمه الله: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله وكذا قال عكرمة. (١) والصلاة تزكية: قال الله تعالى: إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ [العنكبوت: ٤٥].وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدا يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ما تقولون ذلك يبقى من درنه؟ قالوا لا يبقى من درنه شيئا. قال: فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بها الخطايا)) (٢)

والصدقة تزكية: قال الله تعالى: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا [التوبة: ١٠٣]،

والحج تزكية: قال الله تعالى: فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ [البقرة: ١٩٧] فالله عز وجل شرع لنا الشرائع من أجل أن تزكو نفوسنا، وأن تصلح دنيانا وآخرتنا، والله عز وجل أغنى وأعز من أن ينتفع بطاعات العباد، أو أن يتضرر بمعاصيهم كما في الحديث القدسي ((يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني)) (٣). بل العباد أنفسهم يتضررون بمعاصيهم، وهم أنفسهم ينتفعون بطاعاتهم، والله تعالى غني عنهم وعن طاعاتهم قال تعالى: لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا [الحج:٣٧]، ألا ترى أن العباد يذبحون الهدايا والأضاحي ويأكلون لحومها، وهم مع ذلك يتقربون بها إلى الله عز وجل، لأنهم يستجيبون لأمر الله، ويستسلمون لشرعه، فالإيمان والعمل الصالح سبب سعادة الدنيا، أنه سبب سعادة الآخرة قال تعالى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ [النحل: ٩٧] والسعادة سعادة القلوب، والشقاء شقاء القلوب، والقلوب لا تسعد إلا بالله، ولا تطمئن إلا بذكره وطاعته قال تعالى: الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ [الرعد: ٢٨] فلا تسعد بالمال، ولا تسعد بالجاه، ولا تسعد بالشهرة، والتعاسة والشقاء تلاحقان العبد إذا **تعلق القلب** بغير الله حبا ورجاء وخوفا وتوكلا، قال النبي صلى الله عليه وسلم ((تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطى رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش)) (٤).

---

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية ٩٢/٧

(١) ((تفسير القرآن العظيم)) (٤/ ٩٢) دار المعرفة.

(٢) رواه البخاري (٥٢٨) ومسلم (٦٦٧) والدرن: الوسخ.

(٣) رواه مسلم (٢٥٧٧)

(٤) رواه البخاري (٢٨٨٦) تعس: دعاء عليه بالهلاك، القطيفة كساء له خمل والخميصة: ثياب خز (حرير) أو صوف معلمة، شيك: شاكته شوكه: انتقش: خرجت من جسمه.". [1]

٨٠-"خامساً : ومن الأخطاء الشائعة: التفاؤل من المصحف أو التشاؤم فيه ، وذلك بأن يفتح المصحف فيقرأ أول آية من الصفحة فيه ، فإذا قرأ آية فيها خير تفاؤل ، وإذا قرأ آية فيها عذاب أو نحو ذلك شتاءم ، ونقول إن هذا لا ينبغي ، وقد نهى عنه كثير من العلماء .

سادساً : ومن الأخطاء الشائعة : التعلق بالأسباب من دون الله تبارك وتعالى ، فكثير من الناس تعلق بالأسباب في حمايته أو في رزقه ونحو ذلك وغفل عنه ربه تعالى وهذا له أمثلة :

١- التعلق بالأسباب في وقت الخوف الشديد ، والظن بأن هذه الأسباب تحميه ، ومعلوم أن الأخذ بالأسباب أمر جائز ، ولكن التعلق بها من دون الله تبارك وتعالى هو المنهي عنه .

٢- تعلق الموظف بالوظيفة وظنه أنها هي وسيلة الرزق الوحيدة ، وهذا أيضاً تعلق غير صحيح ، بل الوظيفة ما هي إلا وسيلة من الوسائل فقط ، أما طرائق الرزق فكثيرة ومتنوعة .

٣- ظنّ بعض الناس أن تحصينه لبيته أو نحو ذلك يحميه من العدو ، ونقول : إن هذا أيضاً من الأسباب فقط ، فينبغي **تعلق القلب** - مع فعلها - بالله تعالى مسبب الأسباب الذي بيده ملكوت كل شيء .

أما التعلق بالأسباب وحدوها دون الله فهذا من الأمور التي لا تجوز ، وعلى هذا فالتعلق بالأسباب له حالات :

الحالة الأولى : أن ينظر إلى الأسباب الصحيحة التي أوجدها الله تبارك وتعالى في هذه الحياة ، فإذا نظر إليها مع اعتماده في الأصل على الله تبارك وتعالى واعتقاده أن فاعل الأسباب والمسببات هو الله ، وأن مشيئة الله تبارك وتعالى نافذة ، فهذا لا شيء فيه ، فإن الإنسان يفعل ما في وسعه من الأسباب ، فيغلق الباب ، ويحصن البيت ، لكن مع اعتماده وتوكله على الله تبارك وتعالى .

الحالة الثانية : أن يتعلق قلبه بغير الله في أمر لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، مثل ظن البعض أن أصحاب القبور قد يشفون المريض أو يقضون الحاجات أو نحو ذلك ، فهذا شرك أكبر مخرج من الملة .". [2]

(١) موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام - الدرر السنية ٩٦/٧

(٢) أخطاء في العقيدة ص/٢٤

٨١-"وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك، لما فيها من **تعلق القلب** بغير الله تعالى [فتح المجيد: ص٣٦١.].
وقال ابن حجر: "وإنما جعل ذلك شركًا لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعًا أو يدفع ضرًا فكأنهم أشركوه مع الله تعالى" [فتح الباري: ٢١٣/١٠، وانظر: ابن منظور/ لسان العرب: ٥١٣/٤.]. وهي دعوة باطلة لإضاعة الأوقات وتأجيل الحاجات، وصرف للقلوب عن الخالق البارئ إلى مخلوقات لا تضر ولا تنفع.
غير أنه لا يكاد يوجد شذوذ عند الشيعة إلا وفيه من رواياتهم نفسها ما يرد هذا الشذوذ ويبطله، فقد جاء في رواياتهم ما ينقض هذه الدعاوى، وأبلغ ما يكون نقض الخصم لكلامه بنفسه، فقد روت كتب الشيعة أن أبا عبد الله قال: لا طيرة [روضة الكافي: ص١٩٦، وسائل الشيعة: ٢٦٢/١٨.].
وقال: كفارة الطيرة التوكل [روضة الكافي: ص١٩٨، وسائل الشيعة: ٢٦٢/٨.].
وقال أبو الحسن الثاني رضي الله عنه: "من خرج يوم الأربعاء.. خلافًا على أهل الطيرة وقي من كل آفة وعوفي من كل عاهة وقضى الله له حاجته" [من لا يحضره الفقيه: ٩٥/١، الخصال: ٢٧/٢.].
وجاء عندهم أيضًا: "إذا تطيرت فامض" [تحف العقول: ص٥٠، ط:٢.].
وجاء في البحار وغيره "في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الفأل، ويكره الطيرة، وكان عليه السلام يأمر من رأى شيئًا يكرهه، ويتطير منه أن يقول: "اللهم لا يؤتي الخير إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك" [بحار الأنوار: ٢/٩٥-٣، الطبرسي/ مكارم الأخلاق ص٤٠٣.].
فهذا تناقض، والتناقض علامة بطلان المذهب، ولكن مبدأ التقية، ومخالفة العامة يعطل الاستفادة من هذه النصوص وأمثالها، ولذلك تلحظ أن شيخهم الحر العاملي حمل حديثهم الذي يقول "بأن يوم الاثنين" يوم سفر وطلب على التقية.
الفصل الثالث
عقيدتهم في أسماء الله وصفاته
للشيعة في هذا الفصل أربع ضلالات:
الضلالة الأولى: ضلالة الغلو في الإثبات (وما يسمى بالتجسيم).". (١)

٨٢-"وتشتملُ أيضاً على الإنكار على علماء نجد في تحذيرِهم من الغلُوِّ في رسول الله *، ويُفرِّق بين الغُلُوّ والإطراء، فيَمنعُ الإطراءَ ويُجيزُ الغلُوَّ، قال: ((ولو قلتُم كما قال رسول الله *: (لاتطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم) لكان كلاماً مقبولاً، ولكان ذلك نصيحةً غاليةً.
أمَّا الحبُّ الذي هو **تعلُّق القلب** بالمحبوب على وجه الاستئناس بقُربِه والاستيحاش من بُعده، فلا يكون الغلوُّ فيه . عندما يكون المحبوب رسول الله * . إلاَّ عنواناً على مزيدِ قُربٍ من الله!! وقد علمنا أنَّ الحبَّ في الله من مُستلزمات توحيد الله تعالى، ومهما غلا مُحبُّ رسول الله * في حُبِّه له أو بالَغ، فلن يصِل إلى أَبعد من القَدْر الذي أَمر به رسول الله *!!! إذ قال فيما

(١) أصول مذهب الشعية الإمامية الإثني عشرية ٤٤/٢

اتَّفق عليه الشيخان: (لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من مالِه وولدِه والناس أجمعين)، وفي رواية للبخاري: (ومن نفسه))).

والجواب: على ذلك أن نقول:

أولاً: أمَّا ثناء البوطي على الرفاعي فيصدق على المثنِي والمثنَى عليه قول الشاعر:

ذهب الرِّجال المُقتدَى بفعالِهم

والمنكرون لكلِّ فعل منكرِ

وبقيتُ في خَلْف يُزَكِّي بعضُهم

بعضاً ليدفع معور عن معورِ

ثانياً: إنَّ وصفَ البوطي لنصيحة الرِّفاعيِّ المزعومة بـ (أنَّها تذكرة هادئة، وأنَّها لطيفة في أسلوبها!!) بعيدٌ عن الحقيقة والواقع؛ يتَّضحُ ذلك بالوقوف على بعض الجُمل التي أوردتُها من كلام الرِّفاعيِّ، ففيها الكذب والجفاء.

ثالثاً: وأمَّا موافقتُه للرِّفاعي فيما جاء في أوراقه، فإنَّ كلَّ ما تقدَّم في الردِّ على الرِّفاعي هو ردٌّ على البوطي.

رابعاً: وأمَّا إجماع العصور الثلاثة وما بعدها الذي زعمه البوطي على التبرُّك بآثار النَّبِيِّ * المكانيَّة، كمكان مولدِه وبئر أريس التي سقط فيها خاتَمُه * ونحو ذلك، فلا يتأتَّى له إثبات هذا الإجماع، بل ولا إثبات القول به عن واحدٍ من الصحابة رضي الله عنهم!". (١)

٨٣-"والحج تزكية: قال الله تعالى: (فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ ([البقرة: ١٩٧]

فالله عز وجل شرع لنا الشرائع من أجل أن تزكو نفوسنا، وأن تصلح دنيانا وآخرتنا، والله عز وجل أغنى وأعز من أن ينتفع بطاعات العباد، أو أن يتضرر بمعاصيهم كما في الحديث القدسي ((يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني))(٧). بل العباد أنفسهم يتضررون بمعاصيهم، وهم أنفسهم ينتفعون بطاعاتهم، والله تعالى غني عنهم وعن طاعاتهم قال تعالى:(لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا([الحج: ٣٧]، ألا ترى أن العباد يذبحون الهدايا والأضاحي ويأكلون لحومها، وهم مع ذلك يتقربون بها إلى الله عز وجل، لأنهم يستجيبون لأمر الله، ويستسلمون لشرعه، فالإيمان والعمل الصالح سبب سعادة الدنيا، أنه سبب سعادة الآخرة قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ([النحل: ٩٧] والسعادة سعادة القلوب، والشقاء شقاء القلوب، والقلوب لا تسعد إلا بالله، ولا تطمئن إلا بذكره وطاعته قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ([الرعد: ٢٨] فلا تسعد بالمال، و لا تسعد بالجاه، ولا تسعد بالشهرة، والتعاسة والشقاء تلاحقان العبد إذا **تعلق القلب** بغير الله حبا ورجاء وخوفا وتوكلا، قال النبي صلى الله عليه وسلم((تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة،

---

(١) التحذير من تعظيم الآثار غير المشروعة ص/٢٠

إن أعطى رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش)) (٨) .". (١)

٨٤-" وقال ابن مسروق التوكل الاستسلام لجريان القضاء فى الأحكام

قال سهل التوكل الاسترسال بين يدى الله تعالى

قال أبوعبدالله القرشى التوكل ترك الإيواء إلا إلى الله

قال أبوأيوب التوكل طرح البدن فى العبودية **وتعلق القلب** بالربوبية والطمأنينة إلى الكفاية

قال الجنيد حقيقة التوكل أن يكون لله تعالى كما لم يكن فيكون الله له كما لم يزل

قال أبوسعيد الخراز قامت الكفايات من السيد لأهل مملكته فاستغنوا عن مقامات التوكل عليه ليكفيهم فما أقبح التقاضى بأهل الصفاء جعل التوكل عليه لأجل الكفاية تقاضى القيام بالكفاية

كما قال الشبلى التوكل كدية حسنة

قال سهل كل المقامات لها وجه وقفا غير التوكل فإنه وجه بلا قفا يريد توكل العناية لا توكل الكفاية وهو أن لا يطالبه بالأعواض

وقال بعضهم التوكل سر بين العبد وبين الله

معناه كما قال بعض الكبراء حقيقة التوكل ترك التوكل وهو أن يكون الله لهم حيث كان لهم إذ لم يكونوا موجودين

قال بعض الكبار لإبراهيم الخواص إلى ماذا أدى بك التصوف

فقال إلى التوكل

فقال ويحك بعد أن تسعى فى عمران بطنك

معناه إن توكلك عليه لاجل نفسك احتزاز من مكروه يصيبها ". (٢)

٨٥-"تَذَكَّرُونَ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين كم تعبد قال ستة في الأرض وواحداً في السماء قال فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء... الحديث، رواه الإمام أحمد والترمذي. فهذا يوجب انقطاع **تعلق القلب** بغيره تعالى وإن كان ملكاً أو نبياً فكيف بالمشايخ الأولياء العلماء، أو بالفجار الدجالين الأشقياء، فإن غاية الراجي لهم الداعي منهم المتوكل عليهم أن يقول مرادي يشفعون لي، فقطع سبحانه مادة ذلك كله قطعاً شافياً، فأخبر تعالى في محكم كتابه أنه ما من شفيع إلاَّ من بعد إذنه، ونفى أن يشفع أحد لأحد إلاَّ بإذنه، وأعلن بأن سائر الشفعاء لا يشفعون إلاَّ لمن ارتضى أو هم من خشينه مشفقون وقال يومئذ لا تنفع الشفاعة إلاَّ لمن أذن له الرحمن ورضي له قولاً ولهذا إذا جاء سيد

---

(١) التزكية بين أهل السنة والصوفية ص/٥

(٢) التعرف لمذهب التصوف ص/١٠١

الشفعاء وأفضلهم". (١)

٨٦-"ص -٣١٩- ... بقدر ذلك، وان كان في الظاهر أميراً لهم مدبراً لهم متصرفاً بهم، فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر، فالرجل الذي قد تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه أسيراً لها تحكم فيه وتتصرف بما تريد وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها، وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها، لاسيما إذا علمت بفقره إليها وعشقه لها وأنه لا يعتاض عنها بغيرها، فإنها حينئذ تحتكم فيه حكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه بل أعظم، فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، لأن من استعبد بدنه واسترق وأسر لا يبالي إذا كان قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً بل يمكنه الاحتيال في الخلاص من ذلك، وأما استرقاق القلب واستعباده لغير الله فهو الذل والأسر والاسترقاق المحض ، وما العبودية إلاَّ ما استعبد القلب واسترقه وأسره وهذا هو الذي يترتب عليه الثواب والعقاب، فإن المسلم لو أسره كافر أو استرقه فاجر بغير حق لم يضره ذلك مع قيامه بما يقدر عليه مما أمر به من الواجبات، ولهذا من استعبد بحق فأدى حق الله وحق مواليه فله أجران ولو أكره على الكفر تكلم به وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضره ذلك، وهذا بخلاف ما استعبد قلبه لغير الله فصار رقيقاً له فهذا هو الضار في الدين المنقص عن درجة الموحدين وان كان ملك الناس ظاهر، فالحرية في هذا الباب حرية القلب والعبودية عبوديته، كما أن الغنى غنى القلب، وهذا إذا استعبدت صورة مباحة قلبه فكيف بالمحرمة كالمرأة الأجنبية أو الصبي الأمرد أو الدرهم أو الدينار المحرم فهذا هو العذاب الأليم دنيا ودينا، والعاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقاً بها واستعبدته رقيا لها اجتمع عليه من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلاَّ ربُّ العباد ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى فدوام **تعلق القلب** بها بلا فعلها أشد ضرراً ممن يفعل ذنباً، ثم يقلع عنه ويتوب منه ويزول من قلبه أثره، إذ". (٢)

٨٧-"**تعلق القلب** بالفواحش والظلم والشرك والكذب وابتغاء العلو في الأرض موجب لبقاء عبودية القلب لها ما بقي متعلقاً بها وهو رقيق أيضاً لمن يعينه عليها، وإن كان دونه رتبة والأمور الدنيوية نوعان:
منها ما يحتاج إليه العبد كاحتياجه إلى طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه كما قال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ ويكون المال عنده بهذا النوع يستعمله في حاجته بمنزلة دابته التي يركب عليها وبساطه الذي". (٣)

٨٨-"وأضاف بعضهم شرطاً ثامناً وهو الكفر بالطاغوت ؛ " وهذا شرط عظيم لا يضح قول : لا إله إلا الله بوجوده ، وإن لم يوجد لم يكن من قال لا إله إلا الله معصوم الدم والمال ؛ لأن هذا هو معنى لا إله إلا الله ، فلم ينفعه القول بدون

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق ٧٢/٢
(٢) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق ١١٨/٢
(٣) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق ١١٩/٢

الإتيان بالمعنى الذي دلت عليه من ترك الشرك والبراءة منه ومن فعله ، فإذ أنكر عبادة كل ما يعبد من دون الله وتبرأ منه وعادى من فعل ذلك صار مسلماً معصوم الدم والمال ، وهذا معنى قول الله تعالى : (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم) [البقرة : ٢٥٦]

[بيان أن الكفار يعلمون أن تحقيق التوحيد لا بد فيه من القول والعمل]

والكفارُ الجهَالُ يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو (إفراد الله تعالى) بالتعلقِ (والكفرُ) بما يعبدُ من دون اللهِ ن والبراءة منه فإنه لما قال لهم قولوا لا إله إلا الله ، قالوا : (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجابٌ) [ص : ٥] .

قوله : (والكفارُ الجهالُ يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو (إفرادُ اللهِ تعالى) بالتعلقِ) : أي تعلق القلب به سبحانه؛ فلا يرجى أحد سواه ، ولا يدعى غيره ، ولا تطلب الحوائج إلا منه ن ولا يستعان إلا به (١) .

---

(١) قاله ابن مانع في تعليقه على (كشف الشبهات) .". [1]

٨٩-"ومن قوله في ذلك: ((ولا نشكُّ في أنَّهم يعلمون كما نعلم أنَّ عصورَ السلف الثلاثة مرَّت شاهدة بإجماع على تبرُّك أولئك السلف بالبقايا التي تذكِّرهم برسول الله – صلى الله عليه وسلم –، من دار ولادتِه، وبيت خديجة رضي الله عنها، ودار أبي أيوب الأنصاري التي استقبلته فنزل فيها في أيامه الأولى من هجرتِه إلى المدينة المنورة، وغيرها من الآثار كبئر أَريس، وبئر ذي طوى، ودار الأرقم ... ثم إنَّ الأجيالَ التي جاءت فمرَّت على أعقاب ذلك كانت خيرَ حارسٍ لَها، وشاهد أمين على ذلك الإجماع)).

وتشتملُ أيضاً على اتِّهام المزعوم نُصحهم بـ ((تكفير سواد هذه الأمة بحجَّة كونهم أشاعرة أو ماترديين!)).

وتشتملُ أيضاً على الإنكار على علماء نجد في تحذيرِهم من الغلُوِّ في رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ويُفرِّق بين الغُلُوِّ والإطراء، فيَمنعُ الإطراءَ ويُجيزُ الغلُوَّ، قال: ((ولو قلتُم كما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (لاتطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم) لكان كلاماً مقبولاً، ولكان ذلك نصيحةً غاليةً.

أمَّا الحبُّ الذي هو تعلُّق القلب بالمحبوب على وجه الاستئناس بقُربِه والاستيحاش من بُعده، فلا يكون الغلوُّ فيه . عندما يكون المحبوب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – . إلاَّ عنواناً على مزيدِ قُربٍ من الله!! وقد علمنا أنَّ الحبَّ في الله من مُستلزمات توحيد الله تعالى، ومهما غلا مُحبُّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حُبِّه له أو بالَغ، فلن يصِل إلى أَبعد من القَدْر الذي أَمر به رسول الله – صلى الله عليه وسلم –!!! إذ قال فيما اتَّفق عليه الشيخان: (لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من مالِه وولدِه والناس أجمعين)، وفي رواية للبخاري: (ومن نفسه))).

---

(١) التوضيحات الكاشفات على كشف الشبهات ص/٧٠

والجواب: على ذلك أن نقول:
أولاً: أمَّا ثناء البوطي على الرفاعي فيصدق على المثنِي والمثنَى عليه قول الشاعر:
ذهب الرِّجال المُقتدَى بفعالِهم". [١]

٩٠-"الدليل الخامس : عن أبي سعيد الخُدْري - رضي الله عنه - عن النبي ص قال : « إن الدنيا حُلْوَةٌ خَضِرَة ، وإن الله مُسْتَخلِفُكم فيها ، لينظرَ كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ؛ فإن أولَ فتنةِ بني إسرائيل كانت في النساء » رواه الإمام مسلم (٢٧٤٢) .
قال الشيخ محمد إبراهيم : « ووجه الدلالة أن النبي ص أمر باتقاء النساء ، وهو يقتضي الوجوب ، فكيف يحصل الامتثال مع الاختلاط ؟ هذا لا يجوز » .
الدليل السادس : قول رسول الله ص : « ما تركتُ بعدي فتنةً هي أضَرُّ على الرجال من النساء » (رواه الإمام مسلم : ٢٧٤١) .
قال الشيخ محمد بن إبراهيم : « ووجه الدلالة : أنه وصفهن بأنهن فتنة فكيف يُجمع بين الفاتن والمفتون ؟ هذا لا يجوز » .
الدليل السابع : قول رسول الله ص « خيرُ صفوفِ الرجالِ أوَّلُها وشرُّها آخرُها وخيرُ صفوفِ النساءِ آخرُها وشرُّها أوَّلُها » رواه الإمام مسلم (٤٤٠) .
قال الشيخ محمد بن إبراهيم : « ووجه الدلالة أن الرسول ص شرع للنساء إذا أتَيْن إلى المسجد فإنهن ينفصلن عن الجماعة على حدة ، ثم وصف أول صفوفهن بالشر ، والمؤخر منهن بالخير ، وما ذلك إلا لبُعد المتأخرات عن الرجال عن مخالطتهم ورؤيتهم **وتعلق القلب** بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ، وذمّ أول صفوفهن لحصول عكس ذلك ، ووصف آخر صفوف الرجال بالشر إذا كان معهم نساء في المسجد ؛ لفوات التقدم والقُرْب من الإمام وقربه من النساء اللاتى يشغلن البال ، وربما أفسدن به العبادة وشوشن النية والخشوع .
فإذا كان الشارع توقع حصول ذلك في مواطن العبادة مع أنه لم يحصل اختلاط فحصول ذلك إذا وقع اختلاط من باب أولى فيمنع الاختلاط من باب أولى » (١) .

---

(١) فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم في حكم الاختلاط بين الرجال والنساء .". [٢]

٩١-"وما اغْترّ عباد الأصناح بحجر ولا بشجر وإنما يسمعون أصواتاً ويروْن أشياء وتقضى لهم بعض الحوائج ومِنْ هنا اغتروا وهذا معنى قوله تعالى عن خليله عليه السلام : ﴿ رب إنهن أضلَلْن كثيراً من الناس ﴾ إن مع كل صنم شيطان

---

(١) الرد على الرفاعي والبوطي ص/٨٠
(٢) الرد على اللمع معدل ص/٢٥٥

وظيفته الفتنة وزيادة **تعلق القلب** بغير الإله الحق . ولاشك أن السّدنة وما يرُوّجونه من الباطل عامل كبير لِرَواج بناء القباب على القبور وتعظيمها . وهم دجاجلهم يتأكّلون بالشرك . وكم يُرَوّجون الإعتقاد بمقبور لايملك لنفسه فضلاً عن غيره نفعاً ولاضراً بأنه فعل كذا وحصل بسببه كذا. وكل ذلك ينقسم إلى قسمين : إما من الشيطان للفتنة ولزيادة التعلّق بالميت . أوكذب محض لا أصل له .

إن التعلق بالموتى مهما كانت وجاهتهم ومنزلتهم أعظم صارف لقلب العبد عن ربه الذي خلقه ليكون هذا الذي في قلبه من التعلّق خالصاً له لايُزاحمه فيه مُزاحم لا محمد ولا جبريل ولاجميع الأنبياء والملائكة فضلاً عن غيرهم . وإنما هؤلاء يريد الرب منا أن نزلهم منازلهم التي أنزلهم إياها وأنهم عبيده فنحبهم بحبه ولانرفعهم فوق منازلهم بإخراجهم عن طوْر العبودية إلى الإلهية . هذا أعظم ذنب عُصِيِ الله به وهو الشرك . ثم إنهم أعداء لمن يشركهم مع ربهم ﴿ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ .

إنهم يتبرأون ممن تعبّدهم بالخوف والرجاء وغير ذلك من أنواع العبودية .

أما البدوي فمن يكون ؟ لقد تُرْجِمَ له أقبح سيرة وإنما غلافية من لم يعرف التوحيد الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم. وهو إخلاص تألّه القلوب لوليّها الحق ومالكها . ولايصلح شيء من ذلك إلا له .". (١)

٩٢-"إنّ مثل هذه المحاولة، لا يغني شيئًا عن الشاك في أمرهم، إلاّ الخسارة في العمر. لأنّ الدوسريّ لو كان واثقًا من نفسه لما غادر صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها من أقوال أولئك الثلاثة ونقلها؛ مع أنّها لا تقوم مقام دليل على بِدْعِيَّةِ الرابة إطلاقًا.

وفي الباب الرابع قال الدوسريّ: "إنّ الرابطة من جملة الوسائل الموصلة إلى الحضور في عبادة الله، والوسائل لها حكم المقاصد."

ثم بعد إسهاب وإطناب في امتداح الرابطة أتى بإجابة على سؤال مفروض. وهو قوله:

"فانْ قال الأخ المنكر ـ تاب الله عليه ـ: قد عرفنا على هذا القول، أنّ الرابطة **تعلّق القلب**. وهذا القول يمنعه. والحبّ في الله واجب ومحبّة الصالحين ثابتة؛ لكن من أين لكم أنَّ استحضارَ صورةِ رجلٍ في الذهن ولو كان من الصالحين تحصل به هذه المطالب كلّها، وأنّ استحضاركم بسبب **تعلّق القلب**، وأنّه جائز؟"

"والجواب عن هذا من وجوه: الأوّل قولك:"

"ـ من أين لكم استحضار صورة رجل في الذهن تحصل به هذه المطالب كلّها؟"

"أقول: إنّ هذه المطالب تحصل لنا بما ذكرناه، كما حصلَتْ لك أضدادُها باستغراقك في معبودك الّذي نبّهناك عليه. ولكنّها تعمى القلوب الّتي في الصدور."

هكذا يظهر ما في ضمير الدوسريّ فتتطاير من كلماته شرارات الغضب على كلّ من يتساءل عن رابطته، بإزاء ما في أسلوبه

---

(١) الشناعة على من رد أحاديث الشفاعة ص/٣٣

من مجازفةٍ وتكلّفٍ وعُنجهيةٍ وعجرفة وتمييع. فيجعل من هذه الرسالة لعنةً يتطاول بها إلى كل من يشكّ في علاقة الرابطة بالإسلام، أو ربما تعود عليه الرسالة نفسُها نقمةً من كلّ من يُلقى نظرةً فيها.

***

ومن هذه العُجالات، وُرَيْقَاتٌ عنوانها "تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين" ١٢٧ سوّدها رجل لم يَعْدُ قدره!، يدلّ على ذلك ما تبعثرت على هذه الوريقات من عجمةٍ وهفوةٍ وخلطٍ وهَرْجٍ واضطراب.". (١)

٩٣-"المسالك والحلول لوثنية القبور

الداء والدواء

الشيخ / د . عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاةُ والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فلا يخفى أنَّ الغلو في القبورِ بشتى صورهِ وأنواعهِ قد عمّ وطم في غالبِ البلاد، وتلبَّس بهذه المظاهر الشركية وطرائقها الكثيرُ من الناس، وصارت هذهِ القبورُ مزارات، و(مشاعر) يقصُدها الناس، ويشدُّون إليها الرحال من سائر الأمصار؛ وسدنةُ هذه الأضرحةِ وعلماءُ الضلالةِ يزيّنون الشركَ للعامةِ بشتى أنواع الدعاوى والشبهات، ويأكلون أموالَ الناسِ بالباطل، ويصدون عن سبيل الله تعالى.

إنَّ على المنتسبين للعلمِ والدعوةِ واجباً كبيراً تجاهَ هذا التيارُ الوثني، وفي هذه المقالةِ نُوردُ بعض المسالكِ الرئيسةِ التي تُسهم في حلّ وعلاجِ انحرافات القبوريين وشبهاتهم.

أ- المسلكُ الدعوي: ويتمثلُ هذا المسلكُ من خلال عدة أمور:

١-أن يُعنى العلماءُ والدعاةُ بتقريرِ التوحيد، في تلكَ المجتمعاتِ المولعةِ بتعظيمِ القبورِ والغلو فيها، وأنَّ يجتهدوا في تجليةِ مفهومِ التوحيد، من خلالِ القصصِ القرآني، وضربِ الأمثال، وضرورةَ **تعلقُ القلب** بالله - سبحانه وتعالى - وأنَّ اللهَ عزَّ وجل هو المتفردُ بالنفعِ والضُر، والخلقِ والتدبير، ومن ثَمَّ فهو المألوه المعبود، الذي تألههُ القلوبُ محبةً وإجلالاً، وخشيةً ورجاءاً.

وأن يضمّن هذا التقريرُ بيانَ عجزِ المخلوقين وضعفهم، وأنَّهم لا يملكون لأنفسهم -فضلاً عن غيرهم- نفعاً ولا موتاً، ولا حياةً ولا نشوراً.

وأن يسعى إلى تحبيبِ هذا التوحيدِ إلى الناس، من خلالِ الحديثِ عن فضائلِ التوحيد، وبيانِ ثمراتهِ وآثاره، وأخبارِ الأنبياء - عليهم السلام - والصالحين الذين حققوا التوحيد، كما ينبغي الاهتمامُ بإظهارِ أثرُ التوحيد على الحياةِ العامة.". (٢)

---

(١) الطريقة النقشبندية بين ماضيها وحاضرها ٩٤/١

(٢) المسالك والحلول لوثنية القبور - الداء والدواء ص/١

٩٤-"(التوكل طرح البدن فى العبودية ، **وتعلق القلب** بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر راضيا موافقا للقدر) (١) ، وكذلك من أجود ما ينسب لسهل بن عبد الله (ت:٢٩٣هـ) أنه قال : (من طعن فى الحركة فقد طعن فى السنة ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان ، والتوكل حال النبى – صلى الله عليه وسلم – والكسب سنته ، فمن بقى على حاله فلا يتركن سنته) (٢) .

وهذا مما لاشك فيه باعث لعوام الصوفية فى عصرنا إلى والسعى والعمل والأخذ بالأسباب ، وترك التواكل والنهى عن بقائهم عالة على المجتمع ، ومثله أيضا ما ورد فى قول الحكيم الترمذى (ت:٣٢٠هـ) ، فيمن ترك الطلب والسعى فى الأسباب وتواكل بحجة أن الرزق يطلب العبد كما يطلبه أجله ، وقد ضمن الله الرزق لمخلوقاته : (إن كانوا قعدوا ينبغى لهم أن يقوموا وأن يطلبوا ، تحرزا من الطمع وفساد القلب ، فلا يضيع حق الزوجة والولد ، برغم أن أرزاقهم على الله ، فهذا تارك للسبيل والسنة ، لقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة/٢٣٣] (٣) ، وقال عبد الله بن خفيف الشيرازى (ت:٣٧١هـ) : (التوكل الاكتفاء بضمانه وإسقاط التهمة عن قضائه) (٤) .

—

١. الرسالة القشيرية ٤١٨/١ . ٢. قوت القلوب فى معاملة المحبوب ١٦/٢ .

٣. آداب المريدين للترمذى ص١٦٩،١٦٨ .

٤. طبقات الصوفية ص٤٦٥ ." (١)

٩٥-"التوكل كلام نفيس ، يدل على عمق النظر فى فهم الأصول القرآنية ، حيث سأل عن التوكل ؟ فأجاب : (التوكل طرح البدن فى العبودية ، **وتعلق القلب** بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية ، فإن أعطى شكر ، وإن منع صبر راضيا موافقا للقدر) (١) ، ومثله أيضا ما ينسب لسهل بن عبد الله (ت:٢٩٣هـ) أنه قال : (من طعن فى الحركة ، فقد طعن فى السنة ، ومن طعن فى التوكل فقد طعن فى الإيمان ، والتوكل حال النبى – صلى الله عليه وسلم – ، والكسب سنته ، فمن بقى على حاله فلا يتركن سنته) (٢) .

وينفى الحكيم الترمذى (ت:٣٢٠هـ) عن التوكل ، ما اشتهر عن الصوفية في الماضى والحاضر من التواكل والجبرية ، فقال فيمن ترك الطلب ، والسعى فى الأسباب ، وتواكل بحجة أن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله ، وقد ضمن الله الرزق : (إن كانوا قعدوا ينبغى لهم أن يقوموا وأن يطلبوا ، تحرزا من الطمع وفساد القلب ، فلا يضيع حق الزوجة والولد ، برغم أن أرزاقهم على الله ، فهذا تارك للسبيل والسنة ، لقوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة/٢٣٣]) (٣) ، وربما عبر عبد الله بن خفيف الشيرازى (ت:٣٧١هـ) عن ذلك بقوله : (التوكل الاكتفاء بضمانه وإسقاط التهمة عن قضائه) (٤) .

—

(١) المعجم الصوفى ١٢/٧

١. الرسالة ٤١٨/١ . ٢. قوت القلوب ١٦/٢ .

٣. آداب المريدين وبيان الكسب للحكيم الترمذى ص١٦٨ ، ١٦٩ .

٤. سيرة الشيخ الكبير عبد الله بن خفيف ص٣٢٦ وانظر طبقات الصوفية ص٤٦٥ =

ويظهر أبو طالب المكى (ت:٣٨٦هـ) من خلال استقصائه الشامل للشواهد القرآنية والنبوية التى وردت فى التوكل ، كيف يخطوا الراغبون فى التوكل على الله فى درجات التوكل ، ومراحله على وجه التحديد ، وينصح المريد أن يلتزم بثلاث درجات لا يقلل من شأنها ولا يأخذ بواحدة ويدع الأخرى :". [(١)]

٩٦-"٢. أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد برقم (٢٨٤١) ٥٧/٦ .

٣. أخرجه البخارى فى الموضع السابق (٢٩٤٢) ١٢٩/٦ .

٤. أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق برقم (٣٢٣١) ٣٦٠/٦ .

وأحوالهم (١) ، وأغلب عبارات الصوفية ، تدور حول هذا المعنى ، روى عن الحارث المحاسبى (ت:٢٤٣هـ) ، وقد سئل عن الرجاء ؟ ، فقال : (الطمع فى فضل الله تعالى ورحمته ، وصدق حسن الظن عند نزول الموت) (٢) ، وحكى عن ذى النون المصرى (ت:٢٤٨هـ) أنه كان يدعو ، ويقول : " اللهم إن سعة رحمتك أرجأ لنا من أعمالنا عندنا ، واعتمادنا على عفوك أرجأ عندنا من عقابك لنا " (٣) .

وينسب لأبى محمد الجريرى (ت:٣١١هـ) : (الرجاء طريق الزهاد والخوف سلوك الأبطال) (٤) ، ولأبى على الروذبارى (ت:٣٢٢هـ) : (الخوف والرجاء هما كجناحى الطائر ، إذا استويا استوى الطير ، وتم طيرانه ، وإذا نقض أحدهما وقع فيه النقض ، وإذا ذهبا صار الطائر فى حد الموت) (٥) ، ويروى عن عبد الله بن خفيف الشيرازى (ت:٣٧١هـ) ، أنه قال : (الرجاء استبشار بوجود فضله) (٦) .

---

١. انظر التعريفات للشريف الجرجانى ص١١٤ ، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوى ٨٤/٣ بتصرف .

٢. طبقات الصوفية ص٥٩ .

٣. اللمع ص٩٢ .

٤. طبقات الصوفية ص٢٦٤ .

٥. الرسالة القشيرية ٣٥٧/١ .

٦. السابق ٣٥٧/١ .

وقال أبو القاسم القشيرى (ت:٤٦٥هـ) : (الرجاء تعلق القلب بمحبوب سيحصل فى المستقبل ، وكما أن الخوف يقع فى مستقبل الزمان ، فكذلك الرجاء يحصل لما يؤمل فى الاستقبال ، وبالرجاء عيش القلوب واستقلالها والفرق بين الرجاء وبين

---

(١) المعجم الصوفى ١٢٥/٩

التمنى ، أن التمنى يورث صاحبه الكسل ، ولا يسلك طريق الجهد والجد وبعكسه صاحب الرجاء فالرجاء محمود والتمن معلول) (١) .

وقد قسم الكاشانى الرجاء عند الصوفية إلى عدة أنواع (٢) :". (١)

٩٧-"٢ . الطعن بشخصية الداعية ومكانته: وهو بالنسبة للرسل يتركَّز على بشريَّتهم ومكانتهم الاجتماعية، ﴿إن أنتم إلا بشرٌ مثلُنا﴾ وهذه الشبهة واجَهَ بها كلُّ قوم رسولَهم واعتبروها مانعاً من تصديقه وطلبوا أن يكون الرسول مَلَكاً. وبالنسبة لغير الرسل تارة يكون الطعن والاستهزاء بثقافتهم المحدودة أو بتخلّفهم عن ركب الحضارة أو بانغلاقهم وجمودهم أو بضعف جاههم الاجتماعي والمالي، وقد يصل الأمر ببعض الجهات الدينية الرسمية إلى الطعن بالداعية في كونه ليس ممن يلبس الجُبّة والعِمامة فيعرضون عنه وينكرون عليه الدعوة بحجة أنه ليس شيخاً رسميّاً وكأن الدعوة حِكْر على المتخرِّجين من الكليات الشرعية متناسين قولَ رسول الله صلى الله عليه وسلّم: "بلّغوا عني ولو آية".

٣ . اتهام الدعاة بأنهم يجلبون الشرَّ والأذى: وذلك بادِّعائهم التطيُّر منهم ﴿إنّا تطيّرنا بكم﴾، ولا شك أنهم يستعملون هذا الأسلوب لدفع الدعاة إلى الوراء وللتهرّب من تحمّل المسؤولية التي تحتم عليها مخالفة أهوائهم وهذا ما يزعجهم.

الثاني: سلاح التهديد والرجم والتعذيب. أما سلاح التهديد فهو آخر الأسلحة الكلامية وهو بلا شك سلاح خطير وامتحان كبير للدعاة وخصوصاً إن كانت أسباب القوّة لدى المدعوِّين أقوى. وهو أسلوب يُستعمل عادة عند عجزهم عن الردّ على الدعاة بالحجة والمناقشة . وهو الحاصل في أكثر الأحيان . ويأتي مباشرة بعد هذا التهديدِ الرجمُ والتعذيبُ، ﴿لئن لم تنتهوا لنرجُمَنّكم ولَيَمَسَّنّكم منا عذاب أليم﴾. وهذه الأساليب لم تكن حِكْراً على أصحاب القرية، بل نجدها قد استُعملت قديماً وتُستعمل حديثاً. ولا يخفى كم في هذه الأساليب من أذى نفسي وجسدي يؤكد أن الطريق ليست معبَّدة سهلة، وإنما هي شاقّة تحتِّم على الدعاة الكثير من الصبر والمجاهدة والعمل بحكمة، وقبل كل ذلك قوة يقين بالله عزّ وجلّ وأن يضعوا نصب أعينهم كيف كانت عاقبة المكذِّبين. ولا شك في أن سالك هذه الطريق سيفوز بإحدى الحسنيين: إمّا النصر وإمّا الشهادة، وما أصدق الحديث النبوي الشريف: "ألا إنَّ سلعةَ الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة".

(٣)دروس في الدعوة:

نتابع مع قصة أصحاب القرية لكي نرى ما كان صنيع الرسل؟ وكيف صبروا على مشاقّ الدعوة راسمين لنا معالم نستضيء بها في طريق الدعوة إلى الله عزّ وجلّ؟. فمن هذه المعالم:

أولاً: الإيمان المطلق بالدعوة والإصرار على متابعتها والصبر على أذى الكفّار وعنادهم، وليس هذا فحسب بل أيضاً استحداث طرقٍ وأساليبَ للدعوة وتعزيزُها باستقدام أشخاص آخرين للمساعدة. فلنتدبَّرْ قولَه تعالى: ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذّبوهما فعزَّزنا بثالثٍ فقالوا إنّا إليكم مُرسلَون﴾، فهو يُظهر جلياً أهميةَ التعاون بين الدعاة والتسانُدِ في إنجاح الدعوة وسرعة تنفيذ الأوامر.

---

(١) المعجم الصوفى ٦/١١

ثانياً: ردّ الشبهات على أهلها، وقولُ الحقّ في وجه الظالم (وهذا أفضل الجهاد كما جاء في الحديث)، وعدمُ الخوف في الله لومة لائم، وهذا ظاهر في ردّ الرسلِ الكرامِ على شبهةٍ التطيُّر، فقد أجابوا قومهم لّما عابوا عليهم لزوم الشؤم والطِّيَرَة لهم بما جاء في القرآن: ﴿قالوا طائركم معكم أإن ذُكِّرتم؟ بل أنتم قومٌ مسرفون﴾. قال الإمام ابن كثير في معنى "طائركم معكم": أي لم نَرَ على وجوهكم خيراً في عيشنا.

ثالثاً: عدم الاقتصار على دعوة أناس ذوي جاه وسلطان بل ينبغي إيصال كلمة الحقّ للجميع لأن الداعية لا يدري في أيّ إنسان يَكْمُن الخير، فربما يكون أفقر النّاس مَن بإيمانه ينصر اللهُ سبحانه الدعوةَ، وهذا واضح في هذه القصة بخبر المؤمن المجهول، الغيور الصبور، الذي قال فيه القرآن: ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى ...﴾. وفي التفسير أن هذا الرجل من المغمورين ولكن دفعه إيمانُه إلى دعوة قومه والسعي في ذلك رغم ما سيترتب على هذا الأمر من تعذيب دنيوي قد يؤدي لقتله في سبيل الدعوة. وتلك الفكرة (وهي الاقتصار على دعوة أصحاب النفوذ والسلطان ليتم التغيير عَبْرَهم) يتوهَّم بعض الناس أولويَّتها. ولكنهم نسُوا أن المعيار هو **تعلّق القلب** بالله سبحانه وتعالى والإيمان به عزّ وجلّ، وأن الفضل في الناس وتجاوبَهم ليس بمكانتهم الدنيوية إنّما بتقواهم وحبِّهم لله سبحانه. ولذلك قال عزّ وجلّ في سورة الكهف: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربَّهم بالغَدَاة والعَشِيِّ يُريدون وَجْهَه ولا تعدُ عيناك عنهم تريدُ زينة الحياة الدنيا ولا تُطِع من أغفلنا قَلْبَه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمرُه فُرُطاً﴾. ومع ذلك فإن هداية مثل أولئك الأشخاص هو بلا شك كسبٌ كبير للدعوة الإسلامية.". (١)

٩٨-"إنكم تزعمون أن تعدد الزوجات عيب يخل بمقام النبوة ، وبديهي أن الزنا الصريح أشد عيباً وفظاعة من تعدد الزوجات (على فرض أن الزواج عيب) . وأن الزنا بإمرأة القائد المخلص وقتله للإستيلاء على إمرأته أشد فظاعة ونكراً من الزنا العادي . وأن الزنا بالبنات والمحارم أشد فظاعة وجرماً من الزنا بإمرأة القائد وأن خيانة الله سبحانه وخداعه في أمر الرسالة أشد جرماً من الزنا في ذاته ، وهذه الأمور كلها قد ذكرها كتابكم المقدس صراحةً وألصقها بالأنبياء الكرام الذي عبرعنهم كتابكم المقدس بأنهم أولاد الله الأبكار ! وأنتم مع ذلك تؤمنون بكتابكم المقدس وتؤمنون بأن هؤلاء الأنبياء الذين ارتكبوا هذه الجرائم والموبقات من كبار الأنبياء، وتؤمنون أيضاً أن ارتكاب الانبياء لهذه الخطايا والجرائم ليس فيه اسقاط لنبوتهم .

على أن تعدد الأزواج قد وجد في الأنبياء العظام كإبراهيم وداود ويعقوب وسليمان وغيرهم كما نص بذلك كتابكم المقدس وبالتالي كيف يصح لعاقل منكم قرأ كتابه المقدس أن يعيب ويطعن على محمد صلى الله عليه وسلم الذي جمع بين عدد من النساء ؟!

ألا يعلم المبشرون أن طعنهم على كتاب الله ونبي الله بهذه الحالة هو في الحقيقة طعن على كتابهم المقدس ؟! لأن البداهة تقضي بأن يقول الناس إذا كان تعدد الأزواج عيباً ينافي النبوة فالزنا الصريح والشرك والخيانة التي اثبتها كتابكم المقدس في

(١) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام ١/١١٧

حق نبي الله داود وسليمان الحكيم تنافي النبوة من باب أولى ومع هذا فلا يمكن للمبشرين أن يسقطوا ويطعنوا في نبوة هؤلاء الانبياء ...

أيها السائل الكريم :

لقد درج أعداء الإسلام منذ القديم على التشكيك في نبي الإسلام والطعن في رسالته والنيل من كرامته، ينتحلون الأكاذيب والأباطيل ليشككوا المؤمنين في دينهم، ويبعدوا الناس عن الإيمان برسالته صلى الله عليه وسلم، ولا عجب أن نسمع مثل هذا البهتان والافتراء والتضليل في حق الأنبياء والمرسلين، فتلك سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وصدق الله حيث يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾ [الفرقان: ٣١].

وقبل أن نتحدث عن أمهات المؤمنين الطاهرات وحكمة الزواج بهن نحبّ أن نرد على شبهة سقيمة طالما أثارها كثير من الأعداء من الصليبيين الحاقدين والغربيين المتعصبين.

رددوها كثيرًا ليفسدوا بها العقائد ويطمسوا بها الحقائق ولينالوا من صاحب الرسالة العظمى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه إنهم يقولون: " لقد كان محمد رجلاً شهوانيًا يسير وراء شهواته وملذاته ويمشي مع هواه، لم يكتف بزوجة واحدة أو بأربع كما أوجب على أتباعه، بل عدَّد الزوجات فتزوج عشر نسوة أو يزيد سيرًا مع الشهوة وميلاً مع الهوى".

كما يقولون أيضًا: "فرق كبير وعظيم بين عيسى وبين محمد، فرق بين من يغالب هواه ويجاهد نفسه كعيسى بن مريم وبين من يسير مع هواه ويجري وراء شهواته كمحمد"، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

حقًا إنهم لحاقدون كاذبون فما كان محمد عليه الصلاة والسلام رجلاً شهوانيًا إنما كان نبيًا إنسانيًا تزوج كما يتزوج البشر، ليكون قدوة لهم في سلوك الطريق السوي، وليس هو إلهًا ولا ابن إله كما يعتقد النصارى في نبيهم، إنما هو بشر مثلهم فضَّله الله عليهم بالوحي والرسالة، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].

ولم يكن صلوات الله وسلامه عليه بدعًا من الرسل حتى يخالف سنتهم أو ينقض طريقتهم فالرسل الكرام قد حكى القرآن الكريم عنهم بقول الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]

فعلام إذًا يثيرون هذه الزوابع الهوج في حق خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام؟ ولكن كما يقول القائل:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم

وصدق الله حيث يقول: ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]

رد الشبهة:

إذا نظرنا إلى دعوة النبي عليه السلام، والى الدولة التي أقامها وأسسها، وإلى ما صنعه هذا النبي العظيم في حياته، وإلى هذه الدولة الإسلامية التي امتدت من الصين إلى المغرب، فبعد هذا من الذي يقول إن هذا عمل رجل مشغول، وان الذي شغله المرأة؟ ومن الذي تفرغ لعمل عظيم وبلغ فيه ما بلغ محمد عليه السلام في مسعاه؟ فهل بعد هذا يقال أن النبي عليه السلام

شغلته المرأةُ عن عمله، وأنه كان **متعلق القلب** بالنساء؟ فأي افتراء هذا، وأي إفك وإفساد مثل هذا.". [١]

٩٩-"إنكم تزعمون أن تعدد الزوجات عيب يخل بمقام النبوة ، وبديهي أن الزنا الصريح أشد عيباً وفظاعة من تعدد الزوجات (على فرض أن الزواج عيب) . وأن الزنا بإمرأة القائد المخلص وقتله للإستيلاء على إمرأته أشد فظاعة ونكراً من الزنا العادي . وأن الزنا بالبنات والمحارم أشد فظاعة وجرماً من الزنا بإمرأة القائد وأن خيانة الله سبحانه وخداعه في أمر الرسالة أشد جرماً من الزنا في ذاته ، وهذه الأمور كلها قد ذكرها كتابكم المقدس صراحةً وألصقها بالأنبياء الكرام الذي عبرعنهم كتابكم المقدس بأنهم أولاد الله الأبكار ! وأنتم مع ذلك تؤمنون بكتابكم المقدس وتؤمنون بأن هؤلاء الأنبياء الذين ارتكبوا هذه الجرائم والموبقات من كبار الأنبياء، وتؤمنون أيضاً أن ارتكاب الانبياء لهذه الخطايا والجرائم ليس فيه اسقاط لنبوتهم .

على أن تعدد الأزواج قد وجد في الأنبياء العظام كإبراهيم وداود ويعقوب وسليمان وغيرهم كما نص بذلك كتابكم المقدس وبالتالي كيف يصح لعاقل منكم قرأ كتابه المقدس أن يعيب ويطعن على محمد صلى الله عليه وسلم الذي جمع بين عدد من النساء ؟!

ألا يعلم المبشرون أن طعنهم على كتاب الله ونبي الله بهذه الحالة هو في الحقيقة طعن على كتابهم المقدس ؟! لأن البداهة تقضي بأن يقول الناس إذا كان تعدد الأزواج عيباً ينافي النبوة فالزنا الصريح والشرك والخيانة التي اثبتها كتابكم المقدس في حق نبي الله داود وسليمان الحكيم تنافي النبوة من باب أولى ومع هذا فلا يمكن للمبشرين أن يسقطوا ويطعنوا في نبوة هؤلاء الانبياء ...

أيها السائل الكريم :

لقد درج أعداء الإسلام منذ القديم على التشكيك في نبي الإسلام والطعن في رسالته والنيل من كرامته، ينتحلون الأكاذيب والأباطيل ليشككوا المؤمنين في دينهم، ويبعدوا الناس عن الإيمان برسالته صلى الله عليه وسلم، ولا عجب أن نسمع مثل هذا البهتان والافتراء والتضليل في حق الأنبياء والمرسلين، فتلك سنة الله في خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وصدق الله حيث يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيّ عَدُوّاً مّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبّكَ هَادِياً وَنَصِيراً﴾ [الفرقان: ٣١].

وقبل أن نتحدث عن أمهات المؤمنين الطاهرات وحكمة الزواج بهن نحبّ أن نرد على شبهة سقيمة طالما أثارها كثير من الأعداء من الصليبيين الحاقدين والغربيين المتعصبين.

رددوها كثيرًا ليفسدوا بها العقائد ويطمسوا بها الحقائق ولينالوا من صاحب الرسالة العظمى محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه إنهم يقولون: " لقد كان محمد رجلاً شهوانيًا يسير وراء شهواته وملذاته ويمشي مع هواه، لم يكتف بزوجة واحدة أو بأربع كما أوجب على أتباعه، بل عدَّد الزوجات فتزوج عشر نسوة أو يزيد سيرًا مع الشهوة وميلاً مع الهوى".

كما يقولون أيضًا: "فرق كبير وعظيم بين عيسى وبين محمد، فرق بين من يغالب هواه ويجاهد نفسه كعيسى بن مريم وبين

(١) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام ١٥٤/٩

من يسير مع هواه ويجري وراء شهواته كمحمد"، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].
حقًّا إنهم لحاقدون كاذبون فما كان محمد عليه الصلاة والسلام رجلاً شهوانيًا إنما كان نبيًا إنسانيًا تزوج كما يتزوج البشر، ليكون قدوة لهم في سلوك الطريق السوي، وليس هو إلهًا ولا ابن إله كما يعتقد النصارى في نبيهم، إنما هو بشر مثلهم فضَّله الله عليهم بالوحي والرسالة، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠].
ولم يكن صلوات الله وسلامه عليه بدعًا من الرسل حتى يخالف سنتهم أو ينقض طريقتهم فالرسل الكرام قد حكى القرآن الكريم عنهم بقول الله جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨]
فعلام إذًا يثيرون هذه الزوابع الهوج في حق خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام؟ ولكن كما يقول القائل:
قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم
وصدق الله حيث يقول: ﴿فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]
رد الشبهة:
إذا نظرنا إلى دعوة النبي عليه السلام، والى الدولة التي أقامها وأسسها، وإلى ما صنعه هذا النبي العظيم في حياته، وإلى هذه الدولة الإسلامية التي امتدت من الصين إلى المغرب، فبعد هذا من الذي يقول إن هذا عمل رجل مشغول، وان الذي شغله المرأة؟ ومن الذي تفرغ لعمل عظيم وبلغ فيه ما بلغ محمد عليه السلام في مسعاه؟ فهل بعد هذا يقال أن النبي عليه السلام شغلته المرأةُ عن عمله، وأنه كان **متعلق القلب** بالنساء؟ فأي افتراء هذا، وأي إفك وإفساد مثل هذا.". [1]

١٠٠-"قال الشوكاني: "أي: لا تُلنَّ القول عند مخاطبة الناس كما تفعله المرِيبَات من النساء فإنه يتسبَّب عن ذلك مفسدة عظيمة، وهي قوله: فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ [الأحزاب:٣٢] أي: فجور وشكّ ونفاق"[فتح القدير (٤/٢٧٧)].
٧- تحريم الخلوة بالأجانب وتحريم سفرها بلا محرم:
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم-يخطب يقول: (لا يخلوَنَّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم)، فقام رجل فقال: يا رسول الله، إن امرأتي خرجت حاجةً، وإني اكتُتِبتُ في غزوة كذا وكذا، قال: (انطلق فحج مع امرأتك)[أخرجه البخاري في الحج، باب: حج النساء (١٨٦٢)، ومسلم في الحج (١٣٤١)].
قال ابن حجر: "فيه منع الخلوة بالأجنبية وهو إجماع"[فتح الباري (٤/٩٢)].
قال القاضي عياض: "والمرأة فتنةٌ ممنوعٌ الانفراد بها لما جُبِلت عليه نفوسُ البشر من الشهوة فيهن، وسُلِّط عليهم الشيطانُ بواسطتهن، ولأنهن لحم على وَضَم[الوضم: كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب أو باريّة يوقى به من الأرض. مختار الصحاح (ص٣٠٢)] إلا ما ذُبّ عنه، وعورةٌ مضطرة إلى صيانة وحفظٍ وذِي غيرة يحميها ويصونها، وطبع الله في ذوي

---

(١) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام ٢٠٤/١٠

المحارم من الغيرة على محارمهم والذبِّ عنهن ما يؤمَن عليهن في السفر معهم ما يُخشى"[إكمال المعلم (٤/٤٤٨)].

٨- التحذير من الدخول على النساء لغير المحارم:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-قال: (إياكم والدخول على النساء)، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: (الحمو الموت)[أخرجه البخاري في النكاح، باب: لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والدخول على المغيبة (٥٢٣٢)، ومسلم في الأدب (٢٠٨٣)].

قال القرطبي: "قوله: (الحمو الموت) أي: دخوله على زوجة أخيه يشبه الموتَ في الاستقباح والمفسدة، أي: فهو محرَّم معلوم التحريم، وإنما بالغ في الزجر عن ذلك وشبَّهه بالموت لتسامح الناس في ذلك من جهة الزوج والزوجة لإلفِهم ذلك، حتى كأنه ليس بأجنبيٍّ من المرأة عادة، وخرج هذا مخرج قول العرب: الأسد الموت، والحرب الموت، أي: لقاؤه يفضي إلى الموت، وكذلك دخول الحمو على المرأة يفضي إلى موت الدين، أو إلى موتها بطلاقها عند غيرة الزوج، أو برجمها إن زنت معه"[المفهم (٥/٥٠١)].

٩- الابتعاد عن مخالطة الرجال حتى في أماكن العبادة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أوله)[أخرجه مسلم في الصلاة (٣٤٩)].

قال القرطبي: "فأما الصفُّ الأول من صفوف النساء فإنما كان شرًا من آخرها لما فيه من مقاربة أنفاس الرجال للنساء، فقد يخاف أن تشوّش المرأة على الرجل والرجل على المرأة"[المفهم ()].

قال النووي: "وإنما فضَّل آخرَ صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم وتعلق القلب بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك، وذمَّ أوَّل صفوفهن لعكس ذلك"[شرح صحيح مسلم (٤/١٥٩-١٦٠)].

قال الشيخ ابن باز: "وكان النساء في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-لا يختلطن بالرجال لا في المساجد ولا في الأسواق الاختلاط الذي ينهى عنه المصلحون اليوم ويرشد القرآن والسنة علماءَ الأمة إلى التحذير منه حذرًا من فتنته، بل كان النساء في مسجده -صلى الله عليه وسلم-يصلين خلف الرجال في صفوف متأخرة عن الرجال، وكان يقول صلى الله عليه وسلم: (خير صفوف الرجال أولها وشرُّها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أوله) حذرًا من افتتان آخر صفوف الرجال بأول صفوف النساء، وكان الرجال في عهده -صلى الله عليه وسلم-يؤمرون بالتريُّث في الانصراف حتى يمضي النساء ويخرجن من المسجد لئلا يختلط بهنَّ الرجال في أبواب المساجد مع ما هم عليه جميعًا رجالًا ونساء من الإيمان والتقوى، فكيف بحال مَن بعدهم؟! وكانت النساء يُنهَين أن يتحقَّقن الطريقَ ويُؤمَرن بلزوم حافّات الطريق حذرًا من الاحتكاك بالرجال والفتنة بمماسَّة بعضهم بعضًا عند السير في الطريق"[حكم الاختلاط في التعليم، نشر مجلة البحوث الإسلامية. العدد ١٥/ ١٤٠٦هـ].

١٠- التشديد في خروج المرأة متعطِّرة:

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أيما امرأة استعطرت فمرَّت على قوم

ليجدوا من ريحها فهي زانية)[أخرجه أبو داود في الترجل، باب: في طيب المرأة للخروج (٤١٦٧)، والترمذي في الاستئذان، باب:ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة (٢٩٣٧)، والنسائي في الزينة، باب: ما يكره للنساء من الطيب (٥١٢٦) واللفظ له، قال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني في اية المرام (٨٤)].

قال المباركفوري: "لأنها هيَّجت شهوةَ الرجال بعطرها وحملتهم على النظر إليها، ومن نظر إليها فقد زنى بعينيه، فهي سبب زنا العين، فهي آثمة"[تحفة الأحوذي (٨/٥٨)].

١١- الغيرة على النساء:". [١]

١٠١-"١- أن يُعنى العلماء والدعاة بتقرير التوحيد في تلك المجتمعات المولعة بتعظيم القبور والغلو فيها، وأن يجتهدوا في تجلية مفهوم التوحيد ـ من خلال القصص القرآني وضرب الأمثال ـ وضرورة **تعلق القلب** بالله ـ سبحانه وتعالى ـ، وأن الله ـ عز وجل ـ هو المتفرد بالنفع والضر والخلق والتدبير، ومن ثَمّ فهو المألوه المعبود الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً وخشية ورجاءاً.

وأن يضمّن هذا التقرير بيان عجز المخلوقين وضعفهم، وأنهم لا يملكون لأنفسهم ـ فضلاً عن غيرهم ـ نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

وأن يسعى إلى تحبيب هذا التوحيد إلى الناس من خلال الحديث عن فضائل التوحيد وبيان ثمراته وآثاره، وأخبار الأنبياء ـ عليهم السلام ـ والصالحين الذين حققوا التوحيد، كما ينبغي الاهتمام بإظهار أثر التوحيد على الحياة العامة.

٢- أن تربى الأمة عموماً ـ وهذه المجتمعات المعظمة للقبور خصوصاً ـ على أهمية التسليم لنصوص الكتاب والسنة والتحاكم إليها وانشراح الصدر لها.

يقول سبحانه: ((فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)) [النساء: ٦٥].

وإذا كان طواغيت هذا العصر يفرضون على الناس احترام الشرعية الدولية والإذعان والتسليم لقرارات الأمم المتحدة؛ فإن علينا ـ معشرَ الدعاة إلى الله ـ أن ندعو المسلمين إلى ما أوجبه الله عليهم من التسليم والانقياد لنصوص الوحيين وعدم معارضتها بأي نوع من المعارضات سواءً أكان تقليداً، أو معقولاً، أو ذوقاً، أو سياسة أو غيره؛ فالإيمان مبني على التسليم لله ـ تعالى ـ والإذعان لشرعه(١)". [٢]

١٠٢-"بل وصل الأمر إلى حد (أن الأكراد عظموا شريفاً صالحاً مر عليهم في سفره، ولحبهم فيه أرادوا قتله ليبنوا عليه قبة يتوسلون بها)(٣١).

وهكذا هي في التراث الشعبي، فمن الأمثال الشعبية المصرية: (بعد ما راح المقبرة بقى سكّره) أي: أصبح مرغوباً فيه مثل

---

(١) المفصل في الرد على شبهات أعداء الإسلام ١٤/٢٦٧

(٢) انحرافات القبوريين ... الداء الدواء ص/٢

السكر.. فما الفرق بين الحياة والممات إلا في انفصال (الروح) عن الجسد؟!.

والمسألة في حقيقتها: تعلق القلوب بالضريح وصاحبه والتوجه إليه بمشاعر الإجلال والمهابة..

هكذا يشهد حالهم: (فإن عباد القبور يعطونها من التعظيم والاحترام والخشوع ورقّة القلب والعكوف بالهمة على الموتى ما لا يفعلونه في المساجد، ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريب منه)(٣٢).

ولعل السبب في ذلك أن (غرّهم الشيطان، فقال: بل هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين، وكلما كنتم أشد لها تعظيماً، وأشد فيهم غلوّاً، كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد)(٣٣).

وهذا ما يقرره أحد مشائخ القبوريين، الذي يقول: (إن صاحب هذا القبر شيخنا محمد إلياس يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به)(٣٤).

فكلما توغل القبوري في غيّه كلما حرص على إبراز قوة الارتباط والتعلق بالضريح وشدة تعظيمه وغلوه فيه، وفي ذلك قال ابن الرومي في (شرح المختار): (قد قرر الشيطان في عقول الجهال أن الإقسام على الله بالولي والدعاء به أبلغ في تعظيمه، وأنجح لقضاء حوائجه، فأوقعهم بذلك في الشرك)(٣٥)، وعلى ذلك (فقد يقسم الأعرابي بالله دفعات متوالية على أنه يخشى أن يذكر اسم (شعيب) بالكذب مرة واحدة؛ لأنه (مظهر الأسرار وموضح الخفيّات))(٣٦)، وعندما سئل أحد التجار: لماذا يقسم بصندوق ضريح القرية، ولا يقسم بالله عندما يحاسب زبائنه؟ أجاب: (إنهم هنا لا يرضون بقسم الله، ولا يرضون إلا بقسم صندوق نذور الضريح أو سور الضريح لسيدنا فلان)(٣٧).. فهل هذا إلا للتعظيم والإجلال والرهبة وتعلق القلب بالضريح وصاحبه؟". [1]

١٠٣-"وهكذا هي في تراثهم الشعبي، فيقول المثل الشعبي: (الشيخ البعيد سره باتع)، أي: صاحب الضريح البعيد سره مؤكد مقطوع به، والبعد: مسألة نسبية، فالبعيد بالنسبة إلى هؤلاء قريب لغيرهم، والقريب إليهم الذي لا يرغبونه بعيد عن غيرهم، فما الذي يجعل الضريح البعيد مرغوباً أكثر من غيره؟.. إنه شوق القلب وحنينه الذي يساعد البعد في تولده، وهذا ما يعبرون عنه في مثل آخر يقول: (ابعد حبة (بعض الشيء) تزيد محبة).. فتعلق القلب رغبة ورهبة ومحبة تجعل (آمال وآلام الزائرين لا تمضي إلى أي ضريح بالمصادفة، ولكن شهرة الولي واختصاصه بالشفاعة، والبعد المكاني، لهم تأثير كبير في قصد الزيارة؛ فالضريح الذي نتكبد إليه مشاق السفر يصبح أكثر جذباً ورهبة من ذلك الضريح القريب المتاح زيارته في أي وقت)(٤٢).

وتبقى التساؤلات:

- ما الذي يدفعهم للاعتقاد في الأضرحة أنها قوة قاهرة وسلطة نافذة ـ وإن اعتبروها (واسطة) و(وسيلة)؟

- وما الذي يدفعهم لإسناد ذلك إلى الأرواح، أو ـ بتعبير أدق ـ إلى سرّ غيبي محيّر؟

- وما الذي يدفعهم إلى التوجه بمشاعر قلوبهم نحوها لجلب رضاها أو دفع مضرتها، أو للتمتع بالمسرة والحبور في أنفسهم؟

---

(١) انحرافات القبوريين ... الداء الدواء ص/٥٢

- لماذا تحولت العلاقة بالرمز من ذكرى واحترام إلى تقديس واعتقاد إلى تعلق وانجذاب؟

إن الذي حملهم على كل ذلك وحمل غيرهم على نظيره هو إشباع (التأله) لدى قلوبهم المحرومة من التأله للإله الحق؛ وهذا ما يقرره الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حين يقول: (ومن لم يكن محبّاً مخلصاً لله، عبداً له، قد صار قلبه معبّداً لربه وحده لا شريك له، بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه، ويكون ذليلاً له خاضعاً، وإلا استعبدته الكائنات واستولت على قلبه الشياطين... وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه؛ فالقلب إن لم يكن حنيفاً مقبلاً على الله معرضاً عما سواه، كان مشركاً)(٤٣)." . [١]

١٠٤-"... لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ، فإن آخر مراتب الحب هو " التتيم " وأوله " العلاقة " **لتعلق القلب** بالمحبوب ، ثم " الصبابة " لانصباب القلب إليه ، ثم " الغرام " وهو الحب اللازم للقلب ، ثم " العشق " وآخرها " التتيم " يقال : تيم الله أي : عبد الله ، فالمتيم المعبد لمحبوبه .

... ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له ، كما قد يحب ولده وصديقه ، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله .

... وكل ما أُحب لغير الله فمحبته فاسدة ، وما عُظم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلاً ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (١)، فجنس المحبة تكون لله ورسوله ، كالطاعة فإن الطاعة لله ورسوله) (٢).

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٢٤ .

(٢) الفتاوي (١٠/ ١٤٩-١٥٣) ." . [٢]

١٠٥-" المعيشة أو فى صحة البدن أو فى حفظ النفس أو المال أو العرض أو فى زيادة **تعلق القلب** بالله جل شأنه كما هو مفصل فى الأحكام الشرعية وقد يكون من الأعمال الشرعية وقد يكون من الأعمال مالا يمكن درك حسنه ومن المنهيات مالا يعرف وجه قبحه وهذا النوع لا حسن له إلا الأمر ولا قبح إلا النهى والله أعلم

الرسالة العامة

نريد من الرسالة العامة بعثة الرسل لتبليغ شيء من العقائد والأحكام عن الله خالق الإنسان وموفيه مالا غنى له عنه كما وفى غيره من الكائنات سداد حاجاتها ووفاء وجودها على القدر الذى حدد لها فى رتبة نوعها من الوجود والكلام فى

---

(١) انحرافات القبوريين ... الداء الدواء ص/٥٤

(٢) تزكي الحمد في ميزان أهل السنة والجماعة ص/١٤٤

هذا البحث من وجهين الأول وهو أيسرهما على المتكلم وجه أن الاعتقاد ببعثة الرسل ركن من أركان الإيمان فيجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يعتقد بأن الله أرسل رسلا من البشر مبشرين بثوابه ومنذرين بعقابه قاموا بتبليغ أممهم ما أمرهم بتبليغه من تنزيه لذاته وتبيين لسلطانه القاهر على عباده وتفصيل لأحكامه فى فضائل أعمال وصفات يطالبهم بها وفى مثالب الأفعال وخلائق ينهاهم عنها وأن يعتقد بوجوب تصديقهم فى أنهم يبلغون ذلك عن الله ووجوب الاقتداء بهم فى سيرهم والائتمار بما أمروا به والكف عما نهواعنه وأن يعتقد بأن منهم من أنزل الله عليه كتبا تشتمل على ما أراد أن يبلغوه من الخبر عنه ومن الحدود والأحكام التى علم الخير لعباده فى الوقوف عندها وأن هذه الكتب التى أنزلت عليهم حق وأن يؤمن بأنهم مؤيدون من العناية الإلهية بما لا يعهد للعقول ولا للاستطاعة البشرية وأن هذا الأمر الفائق لمعروف للبشر هو المعجزة الدالة على صدق النبى فى دعواه فمتى ادعى الرسول النبوة واستدل عليها بالمعجزة وجب التصديق برسالته

ومن لوازم ذلك بالضرورة وجوب الاعتقاد بعلو فطرتهم وصحة عقولهم وصدقهم فى أقوالهم وأمانتهم فى تبليغ ما عهد اليهم أن يبلغوه وعصمتهم ". [1]

١٠٦-"قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((العراف اسم للكاهن ، والمنجم ، والرمال ، ونحوهم))(١)

والشَّعْوَذَةُ: خِفَّةٌ في اليد وأَخْذٌ كالسحر يُرَى الشيءَ بغير ما عليه أَصله في رأْي العين ؛ ورجل مُشَعْوِذٌ و مُشَعْوَذٌ . و الشَّعْوَذَةُ : السُّرْعَةُ، وقيل: هي الخفة في كل أَمْرٍ.(٢)

التَّنْجِيمُ : نوعان : الأول : يُسمَّى علم التأثير : وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية ، فهذا باطل ؛ لأنَّه ينافي التوحيد لما فيه من **تعلُّق القلب** بغير الله أولاً، وثانياً لما فيه من دعوى علم المغيبات بحركة النجوم ، وثالثاً لما فيه من فساد العقل ؛ لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان .

و الثاني : علم التسيير : وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات ، فهذا النوع لا بأس به ، بل كثير منه نافع قد حثَّ عليه الشارع ، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني .(٣)

قال الخطابي رحمه الله : ((علم النجوم المنهي عنه هو ما يدل عليه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع ؛ كمجيء الأمطار ، وأما ما يُعلم به أوقات الصلاة ، وجهة القبلة ؛ فغير داخل فيما نُهِي عنه انتهى)).(٤)

---

(١) انظر : مجموع الفتاوي (٩ /٢٢٦) و (٣٥ / ١٧٣)

(٢) اللسان (٣/ ٤٩٥) مادة (شعذ)

(٣) انظر : القول السديد شرح كتاب التوحيد (١٠٩) للسعدي رحمه الله .

(٤) عون المعبود (٨ / ٤٣٢)". [2]

---

(١) رسالة التوحيد لمحمد عبده ص/٤٤

(٢) ظاهرة قنوات السحر والعلاج منها ص/٧

١٠٧-"ثم ذكر بعد ذلك أنه ليس المراد من هذا الاتحاد ما هو معروف في البوذية والمسيحية، وإنما هو بمعنى أنه مجرد ملاحظة روحية، ولكن يبقى عليه أن الملاحظة الروحية لا يقال فيها بالاتحاد، وإنما هي زيادة **تعلق القلب** بخالقها فقط، ومن قال إن ملاحظاته جعلته متحداً مع الله فلا شك في خروجه عن الحق مهما حاول بعد ذلك تغطية معتقده بزخرف القول.

لقد أصبحت وحدة الشهود عند المتصوفة هي أخص مظهر من مظاهر الحياة الصوفية وهي الحال التي يسمونها بالفناء وعين التوحيد وحال الجمع، وهي الاتصال بين العبد وبين ربه عن طريق الشهود الصريح فيما يزعمون. ويصل الإنسان إليها – بزعمهم – بكثرة الذكر حتى يقع الشهود القلبي ثم يستغني عن الذكر بمشاهدة المذكور – حسب تخيلاتهم السقيمة الإلحادية – فاتضح مما سبق أن الفوارق لا تكاد تعرف بين تلك التسميات، فهي داخلة في النهاية كلها في دائرة واحدة هي القول بالحلول مهما تعددت صوره(٢٣٣).

وأما اعتقادهم في الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو ضرب من الخيال والإلحاد، فهم يزعمون:

١- أن الله كان في عماء دون تعيين فأراد أن يتعين في صورة فتعين في صورة محمد صلى الله عليه وسلم، أي أنهم يعتقدون أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الله سبحانه وتعالى ذاتاً وصفةً حيث تعينت فيه الذات الإلهية في صورة مادة كما قرر الكشخانلي ومحمد الدمرداش – والجيلي والبيطار والقاشاني والفوتي وعلي حرازم والشعراني(٢٣٤).

٢- وأن الذي هاجر من مكة إلى المدينة هو الذات الإلهية متجلية في صورة هو محمد صلى الله عليه وسلم كما قرر ابن عربي ذلك في قوله: "اللهم أفض صلة صلواتك وسلامة تسليماتك على أول التعيينات المفاضة من العماء الرباني وأخر التنزلات المضافة إلى النوع الإنساني المهاجر من مكة كان الله ولم يكن معه شيء ثان إلى المدينة... الجمع بين العبودية والربوبية الشامل للإمكانية والوجودية"(٢٣٥).". [1]

١٠٨-"(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق "ليظهره" على الدين كله)

ومثل هذه الغاية الالهية الشريفة لاتتحقق الا باتخاذ الوسائل الشرعية من اعداد القوة والامكانيات، ولذلك قال تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر:

(أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر، وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة: اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة)

ولكن استفراغ الوسع والاستطاعة في اعداد القوة واتخاذ الأسباب والامكانيات لايعني الركون اليها **وتعلق القلب** بها، ولذلك لما قال نبي الله لوط لقومه:

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾

---

(١) فرق معاصرة ١٠٣/٢

علق النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك تعليقاً بليغاً، حيث روى الترمذي وغيره بسند حسن عن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(رحمة الله على لوط، لقد كان يأوي إلى ركن شديد –يعني: الله عز وجل – فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة من قومه)

.

كما ان الاستمتاع بالطيبات مما جاءت الشريعة بتقريره كما قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾.

ولذلك روى الامام مسلم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: (يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) وقال:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)

ويمكن تلخيص هذه الاشكالية عبر تقسيم العلاقة بالممتلكات الدنيوية إلى ثلاثة مراتب رئيسية:". [١]

١٠٩-"إذ لم يفرق بقول منه ينصرها ... بل قوله (كل) يعني كلها نتنه

وإن من صحبوا المختار سائرهم ... نصوا على قبحها ردا على الخونه

حتى الذي صنعوا من قوله حججا ... وحرفوا قصده قد حوربت زَمَنَه

لم يعرفوا عمرا يا ويح نظرتهم ... فكيف يهدون إذ أفهامهم زَمِنَه

هو المداوي صبيغا من ضلالته ... بضرب عرجونة وهو الذي سجنه

قلنا لهم بحديث المصطفى اعتصموا ... فعصمة المرء بالقرآن إن قرنه

لكنهم أعرضوا عن قولنا عجبا ... يستحسنون بأهواء لهم عفنه

كم من حقائق عن أحوالهم ظهرت ... إن رمت تعرفها سل أنفسا فطنه

فقد كشفنا معاني فعلهم ولذا ... **تعلق القلب** بالمأثور واحتضنه

النفس جامحة مثل الحصان فإن ... تتركه يهلك لذا أحكم له رسنه

ما الابتداع سوى أهواء صاحبها فكل مبتدع لا بد متبع ... لأنه مظهر ما النفس مختزنه

وديننا آية أو سنة أبدا ... لها فما خرجت عن كونها وثنه

فذاك موطننا لانرتضي بدلا ... دوما على مثل هذا الروح مئتمنه

فيه الأمان فهلا كنت زائره ... وإن رأى غيرنا في غيره وطنه

لا تحتقر أهل من دانوا بمنهجنا ... حتى تسائل عما فيه من سكنه

في الله حدتهم هذي مزيتهم ... حتى وإن خرجت ألفاظهم خشنه

---

(١) مآلات الخطاب المدني /إبراهيم السكران ص/١٦٦

فالحق غايتهم والصدق رايتهم ... عند التعدي أتبقى النفس متزنه؟

الشرع بالنص لا بالقول تعرفه ... ماذا يروم الفتى بعد الذي أمنه

كم باطل فيه ألفاظ منمقة ... فلن يكون لأقوال الرجال زنه

وكم طوائف هلكى في ضلالتها ... وكم خبيث يرى في عصبة لسنه

فالمحدثات كموج فيه ملتطم ... هذا الزمان عصيب فاجتنب فتنه

أمواجه بالهوى لا بالهوا اضطربت ... يا ويل خائضه هلا درى جننه

فيها الهلاك بغير المصطفى ونجا ... أثارها فئة للدين ممتهنه

أهل الحديث هم الناجون وحدهم يا قبح شانئهم لو فيه من خفر ... من كان متخذا آثاره سفنه

فهل سلا غضبة الجبار مبتدع ... وسط الخضم وإن لاقوا به محنه

ومستحق لهذا من طغى وبغى ... لكان منه لسان السوء قد دفنه

تراه عند لقاء الرعن مبتهجا ... وَيْلُمِّهِ كم رسول الله قد لعنه

فلا تجالس عدوا للحديث فكم ... إذ تلك مهنته بالسوء مرتهنه". (١)

١١٠-"الثانية : **تعلق القلب** بالربوبية أى إفراد الله بالفاعلية وتقدير الأمور .

الثالثة : الطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى شكر وإن منع صبر وذلك هو الرضا والاستسلام لحكم الله (١) .

ويعبر بشر الحافى عن المقوم الثالث بقوله : (يقول أحدهم توكلت على الله وهو يكذب على الله ، لو توكل على الله لرضى بما يفعل الله تعالى به) (٢) .

١- الرسالة حـ ١ ص ٤١٨.

٢- السابق حـ ١ ص ٤١٧.

ولذلك يشترط أوائل الصوفية موافقة الكسب للشريعة حتى يصبح العمل توكلا على الله ، لأن من يلزم نفسه الرضا بأمر الله الكونى لا يخالف بعمله أمره التشريعى ولو خالف أمره التشريعى أولى به ألا يرضى بأمره الكونى ، فمن سلك سبيلا محرما لا يكون متوكلا عند أوائل الصوفية .

سئل ذو النون المصرى عن التوكل ؟

فقال : خلع الأرباب وقطع الأسباب .

فقال السائل : زدنى ؟

فقال : إلقاء النفس فى العبودية وإخراجها من الربوبية (١) .

---

(١) مشروع نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون ص/١٢٣

وهو يقصد بخلع الأرباب عدم توجه القلب واعتماده على الأسباب المخلوقة كفواعل مستقلة تتحكم فى رزقه ، ويقصد بإخراج النفس من الربوبية أى ربوبية ذاتها على غيرها .

ويعنى ذلك الكبر والاغتراز بالنفس وادعاء القدرة الشاملة والاستطاعة الكاملة مع تناسى قدرة الله وفاعليته ، ويكاد يجمع أوائل الصوفية من خلال مروياتهم على أن الاعتماد على الأسباب وسكون القلب إليها شرك خفى ، يقول المكى : (الشرك الخفى هو الاعتماد ــــــ

١- السابق حـ ١ ص ٤١٨ .

على الأسباب) (١) .". (١)

١١١-"الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

فإنه من الملاحظ في زماننا هذا تغليب الرجاء على الخوف مما أدّى إلى إدلال وانبساط ظاهر من كثرة ذكر الحور العين ونحو ذلك من المخلوقات التي هي في ذاتها مخلوقات ، ولم تكن هذه حال الصحابة والسلف بل كانوا يُغلّبون الخوف إلا عند الموت فيُحسنون ظنونهم بالله عز وجل .

والربُّ سبحانه وإن كان عَظّم الجنة المخلوقة فإن التعلق بها وأن تكون هي مبلغ العلم نقص كبير إذْ إنَّ حقيقة التألّه وهو التعبد إنما المراد منه **تعلق القلب** محبة وخوفاً ورجاء بذات المألوه المعبود سبحانه ليس بمخلوقات دونه ، وهذا هو معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لأن المألوه هو الذي يأْلَه القلب محبةً وشوقاً وخوفاً ورجاءً .

يُوضح ذلك أن الرب سبحانه تعبّد عباده بهذه الكلمة وليس من شرطها أن يسكنهم جنة مخلوقة إذا هم أطاعوه حيث قال سبحانه وتعالى في الأثر : (لوْ لَمْ أخلُق جَنَّةً ولا ناراً أَلَمْ أَكُنْ أَهْلاً أَنْ أُعْبَد) (١) .

فهذا يبين حقيقة معنى (لا إله إلا الله) بحيث أنْ تتخيّل أنْ ليس عند معبودك حُوُرٌ وقصورٌ ومآكل ومشارب وما إلى ذلك مما في (الجنة المخلوقة) فكيف تكون محبتك له سبحانه ؟! .

إن الذي خلق الله له عباده هو أن تُفضي محبة قلوبهم وشوقهم إليه لذاته بالقصد الأول ، وإنما يعرف ذلك مَنْ عَرَفَ معنى كلمة التوحيد وما يتصف به الإله الحق سبحانه من صفات الجمال والجلال والكمال ، فتأمل الآن ما ورَد في الحديث الصحيح أن رسول الله (قال عن رؤية أهل الجنة لربهم تعالى : (فَمَا أُعطُوا شَيئاً أحَبّ إليهِمْ مِنَ النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ) (٢) .". (٢)

١١٢-"وهنا يضرب أهلُ العلمِ مثالاً (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى((٤) ، وذلك بما رُوي عما فعلته جارية من جواري هارون الرشيد ؛ فقد كان من عادته أن يُتحف جواريه في الأعياد بهدايا من الجواهر ونحوها ، فكان يأمر بوضع تلك الهدايا في

---

(١) مفهوم القدر والحريةعند أوائل الصوفية ص/١٧٥

(٢) منازل الحور ص/١

مجلس من مجالسه ، ويقول لجواريه : " من أرادت من ذلك شيئاً وأعجبها فلتضع يدها عليه " – أي بحيث يكون لها – ، فوضعت كل جارية يدها على ما أحبت من تلك التُّحَف إلا واحدة منهن فإنها وضعت يدها على رأس هارون ! ، فسألها عما أرادت بهذا الفعل ؟! ، فقالت : " أنت طلبت من كل واحدة منا أن تضع يدها على ما تحب وأنا لاشيء يعدل حبي لأمير المؤمنين ! " ، فأعجبه ذلك منها وصارت أحظى جواريه عنده ! ، فتأمل ذلك ، وهكذا نحن عند الله ! .

ويضرب ابن القيم – رحمه الله – مثلاً آخراً فيقول : (وإذا كان لك أربعة عبيد ؛ أحدهم : يريدك ولا يريد منك بل إرادته مقصورة عليك وعلى مرضاتك .

والثاني : يريد منك ولا يريدك بل إرادته مقصورة على حظوظه منك .

والثالث : يريدك ويريد منك .

والرابع : لا يريدك ولا يريد منك بل هو متعلق القلب ببعض عبيدك فلَهُ يريد ، ومنه يريد ، فإن آثر العبيد عندك وأحبهم إليك وأقربهم منك منزلة والمخصوص من إكرامك وعطائك بما لا يناله العبيد الثلاثة هو الأول ، هكذا نحن عند الله !) انتهى (١) .

فالخوف علينا أن نكون من جنس العبد الثاني ، وياليتنا نسير بدرب العبد الثالث !، أما العبد الأول فلغته لا نعرفها فلا نخوض بالكلام في إرادته وطلبه ، ورحم الله امرءاً عرف قدر نفسه ! .

وحيث إن عمل العبد على حسب شاهده فسوف أكتب هنا شواهد السائر إلى الله والدار الآخرة مما يُبين ويُوضح معنى ما سبق إن شاء الله :". (١)

١١٣–"ثم ذكَر ابن القيم – رحمه الله – ما جاء في الأثر عند الإمام أحمد عن أبي الجلَد أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى – عليه السلام – : (إذا ذكَرتني فاذكرني وأنت تنتفض أعضاؤك وكُن عند ذكري خاشعاً مطمئناً ، وإذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك ، وإذا قمتَ بين يدي فَقُم مقام العبد الحقير الذليل ، وذُمّ نفْسَك فهي أولى بالذم ، وناجني حين تناجيني بقلبٍ وَجِلٍ ولسانٍ صادق !) انتهى (١) .

فتأمل هذا والذي قبله ، وما أنفعه لك مع توفيق الله تعالى .

وإذا كان موسى – عليه الصلاة والسلام – يُؤَدَّب بهذا وهو الكليم الكريم فذلك لأنّ لمعرفةِ الله وعبوديته سبحانه شأنٌ كبيرٌ وعظيمٌ يطَّلِع عليه مَن كان ذلك أكبر همومه وأعظم شؤونه ، أما مَن تَدَيُّنُه على مقتضى المربأ والمنشأ والعادة فهذا لَوْنٌ آخر ! .

وبالجملة فإن مقصود الكتاب ومداره هو أن يحقق العبدُ عبوديته لإلهه الحق سبحانه ، والتي أصلها المحبة ، وذلك بمعرفته والشوق إليه وتعلق القلب والروح به دون أن يغلب على قلبه الشوق والتعلق بمخلوق لم يُخلق ولم تُودَع المحبة في قلبه من أجله ولو كان الحور العين فضلاً عن محبوبات العالَم السفلي من الصُّوَرِ والمال والرياسة ، مع أن هذا لا يعني التقليل من

---

(١) منازل الحور ص/١٨

شأن الحور العين ، وإنما المراد هو المعرفة وإنزال كل شيء منزلته لتجريد المحبة عمَّا يشوب أو يغلب .
والله الموفق ، وله الحمد في الأولى والآخرة ، ونسأله برحمته كما مَنَّ بمعرفة ذلك مقالاً أن يَمُنَّ به حالاً ، فالشأن ليس بمجرد الوصف وإنما الشأن كل الشأن فيما يصل إلى القلوب من هذا النعيم والجنة العاجلة التي قال فيها شيخ الإسلام – رحمه الله – : (في الدنيا جنة مَن لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة) (١) ، وهي جَنَّة معرفته سبحانه ، ومحبته ، والشوق إليه .". (١)

١١٤-"١- أن يُعنى العلماء والدعاة بتقرير التوحيد في تلك المجتمعات المولعة بتعظيم القبور والغلو فيها، وأن يجتهدوا في تجلية مفهوم التوحيد ـ من خلال القصص القرآني وضرب الأمثال ـ وضرورة **تعلق القلب** بالله ـ سبحانه وتعالى ـ، وأن الله ـ عز وجل ـ هو المتفرد بالنفع والضر والخلق والتدبير، ومن ثَمّ فهو المألوه المعبود الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً وخشية ورجاءاً.
وأن يضمّن هذا التقرير بيان عجز المخلوقين وضعفهم، وأنهم لا يملكون لأنفسهم ـ فضلاً عن غيرهم ـ نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.
وأن يسعى إلى تحبيب هذا التوحيد إلى الناس من خلال الحديث عن فضائل التوحيد وبيان ثمراته وآثاره، وأخبار الأنبياء ـ عليهم السلام ـ والصالحين الذين حققوا التوحيد، كما ينبغي الاهتمام بإظهار أثر التوحيد على الحياة العامة.
٢- أن تربى الأمة عموماً ـ وهذه المجتمعات المعظمة للقبور خصوصاً ـ على أهمية التسليم لنصوص الكتاب والسنة والتحاكم إليها وانشراح الصدر لها.
يقول سبحانه: ((فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً)) [النساء: ٦٥].
وإذا كان طواغيت هذا العصر يفرضون على الناس احترام الشرعية الدولية والإذعان والتسليم لقرارات الأمم المتحدة؛ فإن علينا ـ معشرَ الدعاة إلى الله ـ أن ندعو المسلمين إلى ما أوجبه الله عليهم من التسليم والانقياد لنصوص الوحيين وعدم معارضتها بأي نوع من المعارضات سواءً أكان تقليداً، أو معقولاً، أو ذوقاً، أو سياسة أو غيره؛ فالإيمان مبني على التسليم لله ـ تعالى ـ والإذعان لشرعه(١).". (٢)

١١٥-"قال المخالف: (قرأنا في أقوال ابن تيمية السابقة: (شطحات – مُكاشفات – مريد – شيخ ....وأنكر البعض أن يكون عند ابن تيمية هذا الذوق الصوفي، فماذا يقولون بأقوال ابن تيمية في العشق الإلهي حُب – غَرام – عِشق – صَبابة — تَيم)
ثم ساق من كلام ابن تيمية ما نصه : "و العبادة أصل معناها الذل أيضا يقال: طريق معبد إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام،

(١) منازل الحور ص/٥٣
(٢) موسوعة الرد على الصوفية /٢

لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهى تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له، فإن آخر مراتب الحب هوالتتيم وأوله العلاقة **لتعلق القلب** بالمحبوب، ثم الصبابة لا نصباب القلب إليه، ثم الغرام وهو الحب اللازم للقلب، ثم العشق وآخرها التتيم يقال: تيم الله أى عبد الله فالمتيم المعبد لمحبوبه".(١)

ثم قال المخالف: (لم أقرأ في كُتب التصوف مثل هذه المُصطلحات الذوقية ابن تيمية صوفي ذائق).

رد الشبهة

كون هذه الألفاظ وردت في كلام ابن تيمية، فهي لم ترد على هيئة الترغيب والتأيد وأنه صوفي ذائق على حد زعم المخالف، وإنما وردت في سياق التحليل والدراسة تحت منظور الشرع المطهر، فما وافقه قبل وما خالفه نُبذ، وبعضه ورد في الكتاب والسنة كالحب، أما التيم والعشق والصبابة فموجود في كلام العرب قبل ظهور الصوفية عند المسلمين بقرون..

أما الشطح فقد قال ابن تيمية عن أهله: "غاية الصوفية المبتدعين الشطح".(٢)

وقال أيضا: "فنصيحتي لاخواني من المؤمنين الموحدين، أن لا يقرع أبكار قلوبهم كلام المتكلمين، ولا تصغي مسامعهم إلى خرافات المتصوفين، بل الشغل بالمعايش أولى من بطالة المتصوفة، والوقوف مع الظواهر أولى من توغل المنتحلة للكلام، وقد خبرت طريقة الفريقين غاية هؤلاء الشك وغاية هؤلاء الشطح".(٣)

وأما العشق في كلام ابن تيمية فقد جاء في معرض الذم لا المدح حيث قال:

(١) مجموع الفتاوى (١٥٣/١٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٧٢/١٦).

(٣) درء التعارض (٦٦/٨).". [١]

١١٦-"وما اغْترّ عباد الأصناح بحجر ولا بشجر وإنما يسمعون أصواتاً ويروْن أشياء وتقضى لهم بعض الحوائج ومِنْ هنا اغتروا وهذا معنى قوله تعالى عن خليله عليه السلام : ﴿ رب إنهن أضللْن كثيراً من الناس ﴾ إن مع كل صنم شيطان وظيفته الفتنة وزيادة **تعلق القلب** بغير الإله الحق . ولاشك أن السّدنة وما يرُوّجونه من الباطل عامل كبير لِرَواج بناء القباب على القبور وتعظيمها . وهم دجاجلهم يتأكّلون بالشرك . وكم يُرَوّجون الإعتقاد بمقبور لايملك لنفسه فضلاً عن غيره نفعاً ولاضراً بأنه فعل كذا وحصل بسببه كذا. وكل ذلك ينقسم إلى قسمين : إما من الشيطان للفتنة ولزيادة التعلّق بالميت . أوكذب محض لا أصل له .

إن التعلق بالموتى مهما كانت وجاهتهم ومنزلتهم أعظم صارف لقلب العبد عن ربه الذي خلقه ليكون هذا الذي في قلبه من التعلّق خالصاً له لايُزاحمه فيه مُزاحم لا محمد ولا جبريل ولاجميع الأنبياء والملائكة فضلاً عن غيرهم . وإنما هؤلاء يريد الرب منا أن نزلهم منازلهم التي أنزلهم إياها وأنهم عبيده فنحبهم بحبه ولانرفعهم فوق منازلهم بإخراجهم عن طوْر العبودية إلى

(١) موسوعة الرد على الصوفية /٢٨

الإلهية . هذا أعظم ذنب عُصِي الله به وهو الشرك . ثم إنهم أعداء لمن يشركهم مع ربهم ﴿ وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ .

إنهم يتبرأون ممن تعبّدهم بالخوف والرجاء وغير ذلك من أنواع العبودية .

أما البدوي فمن يكون ؟ لقد تُرْجِمَ له أقبح سيرة وإنما غلافية من لم يعرف التوحيد الذي بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم. وهو إخلاص تألّه القلوب لوليّها الحق ومالكها . ولايصلح شيء من ذلك إلا له .". (١)

١١٧-"بل وصل الأمر إلى حد (أن الأكراد عظموا شريفاً صالحاً مر عليهم في سفره، ولحبهم فيه أرادوا قتله ليبنوا عليه قبة يتوسلون بها)(٣١).

وهكذا هي في التراث الشعبي، فمن الأمثال الشعبية المصرية: (بعد ما راح المقبرة بقى سكّره) أي: أصبح مرغوباً فيه مثل السكر.. فما الفرق بين الحياة والممات إلا في انفصال (الروح) عن الجسد؟!.

والمسألة في حقيقتها: تعلق القلوب بالضريح وصاحبه والتوجه إليه بمشاعر الإجلال والمهابة..

هكذا يشهد حالهم: (فإن عباد القبور يعطونها من التعظيم والاحترام والخشوع ورقّة القلب والعكوف بالهمة على الموتى ما لا يفعلونه في المساجد، ولا يحصل لهم فيها نظيره ولا قريب منه)(٣٢).

ولعل السبب في ذلك أن (غرّهم الشيطان، فقال: بل هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين، وكلما كنتم أشد لها تعظيماً، وأشد فيهم غلوّاً، كنتم بقربهم أسعد، ومن أعدائهم أبعد)(٣٣).

وهذا ما يقرره أحد مشائخ القبوريين، الذي يقول: (إن صاحب هذا القبر شيخنا محمد إلياس يوزع النور الذي ينزل من السماء في قبره بين مريديه حسب قوة الارتباط والتعلق به)(٣٤).

فكلما توغل القبوري في غيّه كلما حرص على إبراز قوة الارتباط والتعلق بالضريح وشدة تعظيمه وغلوه فيه، وفي ذلك قال ابن الرومي في (شرح المختار): (قد قرر الشيطان في عقول الجهال أن الإقسام على الله بالولي والدعاء به أبلغ في تعظيمه، وأنجح لقضاء حوائجه، فأوقعهم بذلك في الشرك)(٣٥)، وعلى ذلك (فقد يقسم الأعرابي بالله دفعات متوالية على أنه يخشى أن يذكر اسم (شعيب) بالكذب مرة واحدة؛ لأنه (مظهر الأسرار وموضح الخفيّات))(٣٦)، وعندما سئل أحد التجار: لماذا يقسم بصندوق ضريح القرية، ولا يقسم بالله عندما يحاسب زبائنه؟ أجاب: (إنهم هنا لا يرضون بقسم الله، ولا يرضون إلا بقسم صندوق نذور الضريح أو سور الضريح لسيدنا فلان)(٣٧).. فهل هذا إلا للتعظيم والإجلال والرهبة **وتعلق القلب** بالضريح وصاحبه؟". (٢)

١١٨-"وهكذا هي في تراثهم الشعبي، فيقول المثل الشعبي: (الشيخ البعيد سره باتع)، أي: صاحب الضريح البعيد سره مؤكد مقطوع به، والبعد: مسألة نسبية، فالبعيد بالنسبة إلى هؤلاء قريب لغيرهم، والقريب إليهم الذي لا يرغبونه بعيد

(١) موسوعة الرد على الصوفية /٣٣

(٢) موسوعة الرد على الصوفية /٥٢

عن غيرهم، فما الذي يجعل الضريح البعيد مرغوباً أكثر من غيره؟.. إنه شوق القلب وحنينه الذي يساعد البعد في تولده، وهذا ما يعبرون عنه في مثل آخر يقول: (ابعد حبة (بعض الشيء) تزيد محبة).. **فتعلق القلب** رغبة ورهبة ومحبة تجعل (آمال وآلام الزائرين لا تمضي إلى أي ضريح بالمصادفة، ولكن شهرة الولي واختصاصه بالشفاعة، والبعد المكاني، لهم تأثير كبير في قصد الزيارة؛ فالضريح الذي نتكبد إليه مشاق السفر يصبح أكثر جذباً ورهبة من ذلك الضريح القريب المتاح زيارته في أي وقت)(٤٢).

وتبقى التساؤلات:

– ما الذي يدفعهم للاعتقاد في الأضرحة أنها قوة قاهرة وسلطة نافذة ـ وإن اعتبروها (واسطة) و(وسيلة)؟

– وما الذي يدفعهم لإسناد ذلك إلى الأرواح، أو ـ بتعبير أدق ـ إلى سرّ غيبي محيّر؟

– وما الذي يدفعهم إلى التوجه بمشاعر قلوبهم نحوها لجلب رضاها أو دفع مضرتها، أو للتمتع بالمسرة والحبور في أنفسهم؟

– لماذا تحولت العلاقة بالرمز من ذكرى واحترام إلى تقديس واعتقاد إلى تعلق وانجذاب؟

إن الذي حملهم على كل ذلك وحمل غيرهم على نظيره هو إشباع (التأله) لدى قلوبهم المحرومة من التأله للإله الحق؛ وهذا ما يقرره الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ حين يقول: (ومن لم يكن محبّاً مخلصاً لله، عبداً له، قد صار قلبه معبّداً لربه وحده لا شريك له، بحيث يكون الله أحب إليه من كل ما سواه، ويكون ذليلاً له خاضعاً، وإلا استعبدته الكائنات واستولت على قلبه الشياطين... وهذا أمر ضروري لا حيلة فيه؛ فالقلب إن لم يكن حنيفاً مقبلاً على الله معرضاً عما سواه، كان مشركاً)(٤٣)." (١)

١١٩–"فالله عز وجل شرع لنا الشرائع من أجل أن تزكو نفوسنا، وأن تصلح دنيانا وآخرتنا، والله عز وجل أغنى وأعز من أن ينتفع بطاعات العباد، أو أن يتضرر بمعاصيهم كما في الحديث القدسي ((يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني))(١). بل العباد أنفسهم يتضررون بمعاصيهم، وهم أنفسهم ينتفعون بطاعاتهم، والله تعالى غني عنهم وعن طاعاتهم قال تعالى: ﴿ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا ﴾ [الحج: ٣٧]، ألا ترى أن العباد يذبحون الهدايا والأضاحي ويأكلون لحومها، وهم مع ذلك يتقربون بها إلى الله عز وجل، لأنهم يستجيبون لأمر الله، ويستسلمون لشرعه، فالإيمان والعمل الصالح سبب سعادة الدنيا، أنه سبب سعادة الآخرة قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧] والسعادة سعادة القلوب، والشقاء شقاء القلوب، والقلوب لا تسعد إلا بالله، ولا تطمئن إلا بذكره وطاعته قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] فلا تسعد بالمال، و لا تسعد بالجاه، ولا تسعد بالشهرة، والتعاسة والشقاء تلاحقان العبد إذا **تعلق القلب** بغير الله حبا ورجاء وخوفا وتوكلا، قال النبي صلى الله عليه وسلم((تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم، وعبد الخميصة، إن أعطى رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش)) (٢)

---

(١) موسوعة الرد على الصوفية /٥٤

.

(١) رواه مسلم (١٦ / ١٣٢،١٣٣) البر والصلة، والترمذي (٩/ ٣٠٥) صفة القيامة عن أبي ذر رضي الله عنه
(٢) رواه البخاري(٦/ ٨١) الجهاد، وابن ماجه(٤١٣٥) الزهد . تعس : دعاء عليه بالهلاك، القطيفة كساء له خمل والخميصة: ثياب خز (حرير) أو صوف معلمة، شيك: شاكته شوكه: انتقش: خرجت من جسمه.". [١]

١٢٠-"»فانْ قال الأخ المنكر . تاب الله عليه .: قد عرفنا على هذا القول، أنّ الرابطة **تعلّق القلب**. وهذا القول يمنعه. والحبّ في الله واجب ومحبّة الصالحين ثابتة؛ لكن من أين لكم أنَّ استحضارَ صورةِ رجلٍ في الذهن ولو كان من الصالحين تحصل به هذه المطالب كلّها، وأنّ استحضاركم بسبب **تعلّق القلب**، وأنّه جائز؟«

»والجواب عن هذا من وجوه: الأوّل قولك:«

». من أين لكم استحضار صورة رجل في الذهن تحصل به هذه المطالب كلّها؟«

»أقول: إنّ هذه المطالب تحصل لنا بما ذكرناه، كما حصلَتْ لك أضدادُها باستغراقك في معبودك الّذي نبّهناك عليه. ولكنّها تعمى القلوب الّتي في الصدور.«

هكذا يظهر ما في ضمير الدوسريّ فتتطاير من كلماته شرارات الغضب على كلّ من يتساءل عن رابطته، بإزاء ما في أسلوبه من مجازفةٍ وتكلّفٍ وعُنجهيةٍ وعجرفة وتمييع. فيجعل من هذه الرسالة لعنةً يتطاول بها إلى كل من يشكّ في علاقة الرابطة بالإسلام، أو ربما تعود عليه الرسالة نفسُها نقمةً من كلّ من يُلقى نظرةً فيها.

***

ومن هذه العُجالات، وُرَيْقَاتٌ عنوانها »تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين« هي شبه رسالة منضمّة مع لفيف آخر من أمثالها لنفس الشخص/ طبعت في إسطنبول. وفي نهاية بعض هذه الوريقات أنها كتبت عام ١٢٨٨-١٢٨٩ هـ. سوّدها رجل لم يَعْدُ قدرهعليه السلام، يدلّ على ذلك ما تبعثرت على هذه الوريقات من عجمةٍ وهفوةٍ وخلطٍ وهَرْجٍ واضطراب. تخبّط كاتبها التعيس . سليمان زهدي . وتلجلج فيما قذف على هذه الصحف من كلمات لا تَرَابُطَ بينها ولا نسق، واستهلّ المسكين بالعتاب والنكير على الطاعن في الرابطة. وربما تخيّل خصمًا لا وجود له في الحقيقة. كلُّ ذلك يدلّ على ما ابتليت هذه الطائفة من رعب وفزع وذعر وارتباك. وما استولى عليهم من خوف يتوقعون بسببه في كلّ لحظة أن يداهم المسلمون وهم مستغرقون في رابطتهم!". [٢]

١٢١-"»فانْ قال الأخ المنكر . تاب الله عليه .: قد عرفنا على هذا القول، أنّ الرابطة **تعلّق القلب**. وهذا القول يمنعه. والحبّ في الله واجب ومحبّة الصالحين ثابتة؛ لكن من أين لكم أنَّ استحضارَ صورةِ رجلٍ في الذهن ولو كان من

(١) موسوعة الرد على الصوفية ٧/٢٨
(٢) موسوعة الرد على الصوفية ١٠٦/٦٤

الصالحين تحصل به هذه المطالب كلّها، وأنّ استحضاركم بسبب **تعلّق القلب**، وأنّه جائز؟«

»والجواب عن هذا من وجوه: الأوّل قولك:«

». من أين لكم استحضار صورة رجل في الذهن تحصل به هذه المطالب كلّها؟«

»أقول: إنّ هذه المطالب تحصل لنا بما ذكرناه، كما حصلَتْ لك أضدادُها باستغراقك في معبودك الّذي نبّهناك عليه. ولكنّها تعمى القلوب الّتي في الصدور.«

هكذا يظهر ما في ضمير الدوسريّ فتتطاير من كلماته شرارات الغضب على كلّ من يتساءل عن رابطته، بإزاء ما في أسلوبه من مجازفةٍ وتكلّفٍ وعُنجهيةٍ وعجرفة وتمييع. فيجعل من هذه الرسالة لعنةً يتطاول بها إلى كل من يشكّ في علاقة الرابطة بالإسلام، أو ربما تعود عليه الرسالة نفسُها نقمةً من كلّ من يُلقى نظرةً فيها.

***

ومن هذه العُجالات، وُرَيْقَاتٌ عنوانها »تبصرة الفاصلين عن أصول الواصلين« هي شبه رسالة منضمّة مع لفيف آخر من أمثالها لنفس الشخص/ طبعت في إسطنبول. وفي نهاية بعض هذه الوريقات أنها كتبت عام ١٢٨٨-١٢٨٩ هـ. سوّدها رجل لم يَعُدْ قدرهﷺ، يدلّ على ذلك ما تبعثرت على هذه الوريقات من عجمةٍ وهفوةٍ وخلطٍ وهَرْجٍ واضطراب. تخبّط كاتبها التعيس . سليمان زهدي . وتلجلج فيما قذف على هذه الصحف من كلمات لا تَرَابُطَ بينها ولا نسق، واستهلّ المسكين بالعتاب والنكير على الطاعن في الرابطة. وربما تخيّل خصمًا لا وجود له في الحقيقة. كلُّ ذلك يدلّ على ما ابتليت هذه الطائفة من رعب وفزع وذعر وارتباك. وما استولى عليهم من خوف يتوقعون بسببه في كلّ لحظة أن يداهم المسلمون وهم مستغرقون في رابطتهم!". (١)

١٢٢-"٥٧ ... لا قادر على الاختراع إلا الله فكانوا يقولون سمعنا وأطعنا قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم قل من يرزقكم من السماء والارض أمن يملك السمع والأبصار الآيه إلى غير ذلك من الآيات لكن القوم أهل اللسان العربي فعلموا أنها تهدم عليهم دعاء الأموات والأصنام من الأساس وتكب بناء سؤال الشفاعة من غير الله وصرف الالهية لغيره لأم الرأس فقالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى هؤلاء شفعاؤنا عند الله أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب فتبا لمن كان أبو جهل ورأس الكفر من قريش وغيرهم أعلم منه لا إله إلا الله قال تعالى إنهم كانوا إذا قيل لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون فعرفوا أنها تقتضي ترك عبادة ما سوى الله وإفراد الله بالعبادة وهكذا يقول عباد القبور إذا طلبت منهم إخلاص الدعوة والعبادة لله وحده أنترك سادتنا وشفعاءنا في قضاء حوائجنا فقال لهم نعم وهذا الترك والإخلاص هو الحق كما قال تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين ولا إله إلا الله اشتملت على نفي وإثبات فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى فكل ما سواه من الملائكة والأنبياء فضلا عن غيرهم فليس باله ولا له من العبادة شيء وأثبتت الالهية لله وحده بمعنى أن العبد لا

(١) موسوعة الرد على الصوفية ١٠٦/٦٦

يأله غيره أي لا يقصده بشيء من التأله وهو **تعلق القلب** الذي يوجب قصده بشيء". (١)

١٢٣-"٣٨٤ ... آخره من قول ابن مسعود ش هذا الحديث رواه أيضا ابن ماجه وابن حبان ولفظ أبي داود الطيرة شرك الطيرة شرك ثلاثا قوله الطيرة شرك صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله وقال ابن حمدان في الرعاية تكره الطيرة وكذا قال غير واحد من اصحاب أحمد قال ابن مفلح والأولى القطع بتحريمها ولعل مرادهم بالكراهة التحريم قلت بل الصواب القطع بتحريمها لأنها شرك وكيف يكون الشرك مكروها الكراهة الاصطلاحية فإن كان القائل بكراهتها أراد ذلك فلا ريب في بطلانه قال في شرح السنن وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعا أو يدفع عنهم ضرا إذا عملوا بموجبه فكأنهم شركوه مع الله تعالى قوله وما منا إلا قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري في الحديث إضمار والتقدير وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك انتهى وحاصله وما منا إلا من يعتريه التطير ويسبق الى قلبه الكراهة فيه فحذف ذلك اعتمادا على فهم السامع وقال الخلخالي حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة وهذا نوع من أدب الكلام قوله ولكن الله يذهبه بالتوكل أي ما منا إلا من يقع في قلبه ذلك ولكن لما توكلنا على الله وآمنا به واتبعنا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم واعتقدنا صدقه أذهب الله ذلك عنا وأقر قلوبنا على السنة واتباع الحق قوله وجعل آخره من قول ابن مسعود قال الترمذي سمعت محمد بن اسماعيل يقول كان سليمان بن حرب يقول في هذا وما منا هذا عندي من". (٢)

١٢٤-"كما أن للمدعو المسؤول صفات تليق به، كذلك فإن للداعي والسائل صفات لا تنفكُّ عنه حال سؤاله منها التذلل والانكسار للمدعو بالقلب واللسان والجوارح، ومنها خفض الجناح، والرغبة والرهبة إليه، ومنها رجاؤه، **وتعلّق القلب** به، وجعل الهمّة عليه، ومنها التوكل عليه، وجماع هذه الخصال يُنتج العبودية التي لا تجوز إلاّ لله. وأنت لو تفطّنتَ لهذه الخصال التي تقوم بالداعي والخصال التي يتميز بها المدعو حسب اعتقاد الدّاعي والتي أقلها ما ذكرناه علمتَ لِمَ سمّى الله الدعاء عبادة، وجعله أفضل العبادة، ومخ العبادة، وأشرف العبادة، وأكرم شيء على الله؟ . ومن أجل بعض هذه الخصال التي يتلبّس بها الدّاعي والسائل -حال دعائه وسؤاله- حَرُم في دين الإسلام سؤال الناس أموالهم التي يقدرون عليها وما ذلك إلاّ لأجل خصال السائل التي أقلها التذلل والهوان الذي لا يليق بمؤمن وقد ذمّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم المسألةَ ونهى عنها وحذّر منها أشدّ التحذير، من ذلك قوله: (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم).متفق عليه. وقال: (من سأل الناس تكثُّراً فإنما يسأل جمراً، فليستقلّ أو ليستكثر). رواه مسلم. وفي صحيح مسلم أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم لقبيصة: (يا قبيصة إن المسألة لا تحل) الحديث.(١)

---

(١) اعلم أن سؤال الناس بالغيب والاستغاثة بهم مع أنه شرك فهو نوع من الشحاذة والاستجداء والمناسبة بينهما واضحة

---

(١) موسوعة الرد على الصوفية ٤٧/١١٢

(٢) موسوعة الرد على الصوفية ٣٧٤/١١٢

فالحاجة والفقر لكل شيء يُشتكى إلى الله ومن أطرف ما وقفت عليه من المناسبة والعلاقة بين الاستغاثة بغير الله وسؤال الناس أموالهم أي الشحاذة وضرْب الأخير مثلاً على الأول ما ورد في خاتمة كتاب شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق يعني النبي صلى الله عليه وسلم لمؤلفه يوسف بن إسماعيل النبهاني(مات سنة ١٣٥٠هـ) فإنه بعد كتابة هذا الكتاب رأى النبي صلى الله عليه وسلم كما يقول وهذه الرؤيا في الحقيقة تنسف كتابه من أساسه وضُربت له مثلاً= =لكنه لم يفقهها وسأذكر رؤيته بتمامها ثم تأويلي لها قال النبهاني في خاتمة كتابه المذكور صـ٥٦١: "رأيته صلى الله عليه وسلم في منامي سحر ليلة الاثنين الثالث من جمادى الأولى سنة١٣٢١هـ وكأني جالس في مجلسه الشريف وأني من جماعته، فجاء ناس يسألونه عن أمورهم وهو يجيبهم صلى الله عليه وسلم. فأجاب واحداً منهم عن مطلوبه. ثم أراد أن يجيب الثاني وهو يريد أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشحاذة: أي سؤال الناس لأنه هو شحاذ وكان جالساً في جانبي، فاستفهم صلى الله عليه وسلم منه عن مسألته أهي عن الشحاذة؟ فقال الرجل نعم فقبل أن يجيبه مد يده الشريفة صلى الله عليه وسلم إلى حصير كان جالساً عليها فقطع منها خيطاً، وفهمت أنا مراده من ذلك فهماً يقينياً كأني كان لي علم بذلك، وهو أن مراده من قطع الخيط أن يعدّ عليه عيوب الشحاذة ويعقد عند ذكر كل عيب عقدة لكثرتها ولعلمي بذلك أردت أن أبين للرجل مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك الخيط حين اشتغل بقطعه عن جواب السؤال ثم لم أبين له ذلك تأدباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل أن يشرح له عليه الصلاة والسلام تلك العيوب انتبهت من النوم"إهـ قلت: هذا مَثَلٌ ضُربَ للمؤلف لم يفقهه، فالمؤلف من الذين يسألون البشر ويستغيثون بهم من دون الله أي من الشحّاذين وما وضع كتابه إلا لتقرير هذا الشأن والحث عليه فالرؤيا بينت أن الشيخ منهم لأنه كان في جانب الشحاذ أي على طريقته ومذهبه فبينتْ الرؤيا أن ذلك قبيح إذ لّما كان سؤال الناس أموالهم قبيحاً ومذموماً فسؤالهم بالغيب أقبح سيما إذا كانوا أمواتاً ولكن المؤلف لم يفهم الرؤيا وكذلك قطْعه صلوات الله عليه في هذه الرؤيا من الحصير فيه إشارة قوية إلى أن هذه الاستغاثات التي يلهج بها المؤلف وأشباهه من الفتن المضلة والبدع والأهواء التي إنْ أُشربها القلب صار مُجَخِّياً كالكوز كما قال عليه الصلاة والسلام: " تُعرض الفتن على القلوب عرضَ الحصير عوداً عوداً، فأيّ قلبٍ أُشربها نُكتتْ فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا، لاتضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربدًّاَ كالكوز مُجَخِّياً، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه" رواه مسلم. ودلّت الرؤيا أن المؤلف من أهل الأهواء وأنه ربما بيَّن له بعضُ أتباع النبي صلى الله عليه وسلم عيوب الاستغاثة بغير الله فهمّ أن يذعن للحق ولكنه أبى تأدباً مع النبي صلى الله عليه وسلم بزعمه وإنما هو متبع لهواه وبيّنتْ الرؤيا أنه لم يستطيع تخليص= =نفسه من هذا الهوى مع أنه عرف عيوب الاستغاثة بغير الله حتى همّ أن يبين للناس خطر الشرك الذي يدعو إليه فلم يفعل حتى انتبه يعني حتى مات لأن الناس إذا ماتوا انتبهوا كما ورد في بعض الأقوال. علماً أن النبهاني هذا لم يأت في كتابه إلا بشبهات وضلالات نعم نقل عن بعض المتأخرين أشعاراً فيها الاستغاثة والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يأت بحرف واحد عن القرون الأولى لا شعراً ولا نثراً يؤيد ما ذهب إليه مع حرصه على جمع كل ما يخص الموضوع مع سعة اطلاعه ففي هذا أكبر دليل على أن هذه التوسلات والاستغاثات التي راجت عند المتأخرين وأنكرها العلماء الربانيون كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره لم تكن معهودة عند السلف المتقدمين ولهذا لم يوفق النبهاني إطلاقاً في العثور على شيء منها، وأنى له ذلك والمنصوص

عليه عند القوم تحريم التوسل إلاّ بأسماء الله وصفاته والتوسل بالإيمان والأعمال الصالحة المخلصة لله. فمن الثابت عن أبي حنيفة رحمه الله تحريم التوسل بحق النبي صلى الله عليه وسلم أو جاهه وهذا محل اتفاق بين أئمة الحنيفة الثلاثة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن لا اختلاف بينهم كما هو ثابت في متون الحنفية كالدر المختار وغيره. ومن العجيب أن الشيوخ المقلِّدين الجامدين لا يسمحون لأحد بمخالفة أئمة المذهب في مسائل فقهية حتى لو كانت مخالفة للسنة وإذا بهم يخالفون الأئمة في مسائل هي من العقيدة مثل هذه المسألة مدَّعين لأنفسهم الاجتهاد مع أنهم في غيرها جامدون ويحرمون الخروج على أقوال الأئمة بل ربما يعدُّون الخروج من المذهب كالخروج من الإسلام. ولهذا لا تجد هؤلاء الشيوخ يذكرون هذا الأمر للناس إطلاقاً ولا يعرفوهم بأن تحريم التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم كما هو دارج الآن إنما هو قول أئمة الحنفية على الأقل بل تجدهم يشنعون على المخالف وينبزونه بالوهابي وأنه لا يعترف بجاه النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك من افتراءاتهم حتى استقر عند العوام في بعض البلدان أن هذا الأمر لا ينكره إلا المسمّون بالوهابيين فيلزمهم أن يعدُّوا أئمة الحنفية أبا حنيفة وصاحبيه وهابية إذاً وأنهم لا يحبون النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم لا يجيزون التوسل بحقه أو جاهه كما يفتري الضالون ويبهتون مخالفهم. ويتجلّى للناظر في كتاب النبهاني دعوته إلى الشرك الصريح بل إنكاره الاستغاثة بالله وحده وإنه لا بد له من واسطة حتى يجيبه الله تعالى الرب عن ذلك علواً كبيراً وسأضرب مثلاً واحداً من كتابه على ما أقول مما لا يُتصور وقوعه من مسلم موحد؛ نقل في كتابه صـ٤٤٧حكاية عن سيده محمد الحنفي قال: يُحكى أن سيدي= =محمداً الحنفي قدس الله سره فرش سجادته على البحر، وقال لمريده قل: يا حنفي وامش فمشى المريد خلفه فخطر له لم تقول يا حنفي هلا قلت يا ألله؟ فلما قالها غرق فأمسك الشيخ بيده وقال له: أنت الحنفي تعرفه فكيف بالله؟ فإذا عرفت الله فقل يا ألله فقال النبهاني معقباً على القصة: يشير إلى أن الوسائط لا بد منها، فالوسائط ينادُون من مكان قريب فيُجابون، والمريد من مكان بعيد فلا يُجاب فلهذا قيل لولا الواسطة لذهب الموسوط انتهى كلام النبهاني. فتأمل -هداك الله- هذا الشرك الصريح وسوء الظن بالله من هذا القبيح فإذا قال يا ألله واستعان به وحده غرق وإذا استعان بغيره مشى على الماء أيّ باطل هذا؟ فبدل أن يربط هذا المريد بربه ويعرفه بصفاته الجليلة ويجعله يحسن الظن بالله وأنه رؤوف بعبده رحيم سواءً كان مريداً أو أميراً وأنه قريبٌ مجيب(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)(وقال ربكم ادعوني استجب لكم)(أليس الله بكافٍ عبده) إذا به يوسوس له بأن ربه بعيد لا يردُّ عليه حتى يستغيث بغيره ويستعين بسواه ثم قارن بين هذا التعليم والاعتقاد الفاسد وبين تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لمريده ابن عباس: (يا غلام إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله) لم يقل له كما قال ذاك الشيخ المشرك: إذا استعنت فاستعن بي وإذا استغثت فاستغث بي حاشاه صلوات الله عليه بل ربط الغلام بربه وأرشده إلى الاستعانة بخالقه وهذا شأن الرسل جميعاً صلوات الله عليهم يربطون الناس ببارئهم(اعبدوا الله مالكم من إله غيره) دون وسائط كما يفتري الصوفية المنحرفون المشركون فهم بهذه القصص الملفَّقة والكرامات المكذوبة يريدون أن يجعلوا الشرك راسخاً في قلوب المريدين ليعبدوهم من دون الله ولا حول ولا

قوة إلا بالله.". [١]

١٢٥-"فهل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصد ما ذهب إليه زعماء الصوفية؟ والجواب سيكون بالنفي قطعاً. وقد أجاب العلماء عن معنى هذا الحديث بعدة أجوبة ذكرها كلها ابن حجر رحمه الله، ومنها أن معناه أن العبد يحب طاعة الله ويؤثر خدمته ومحبته، وأنه لا يستعمل هذه الجوارح إلا وفق ما شرعه الله له فلا يستعملها إلا في ما أحبه الله ويبعدها عن كل ما يغضب الله تعالى(( ) فتح الباري ١١/ ٣٤٤.)، لا أن الله يحل في تلك الجوارح، والرسول صلى الله عليه وسلم لعظم وأجل من أن يتصور ربه على هذه الصفات.

وتلك المعاني الباطلة لمعنى الحديث موضحة في جمهرة الأولياء للمنوفي فيه مقال تحت عنوان "دور الكمال" ذكر فيه أن الصوفية قد تطورت فشاركت في أبحاث كثيرة فقهية وفلسفية إلى أن قال: "وقد خطى الجنيد في هذا السبيل الخطوات الأولى الفاصلة فانتقل من حال الفناء التي قال بها البسطامي إلى فكرة الاتحاد، وذهب إلى أن المتصوف قد يصل إلى درجة يتحد فيها الروح اتحاداً تاماً بخالقها عن طريق الشهود" (( ) انظر: ١/ ٢٧٥.).

ثم ذكر بعد ذلك أنه ليس المراد من هذا الاتحاد ما هو معروف في البوذية والمسيحية، وإنما هو بمعنى أنه مجرد ملاحظة روحية، ولكن يبقى عليه أن الملاحظة الروحية لا يقال فيها بالاتحاد، وإنما هي زيادة **تعلق القلب** بخالقها فقط، ومن قال إن ملاحظاته جعلته متحداً مع الله فلا شك في خروجه عن الحق مهما حاول بعد ذلك تغطية معتقده بزخرف القول.". [٢]

١٢٦-"كما أن للمدعو المسؤول صفات تليق به، كذلك فإن للداعي والسائل صفات لا تنفكُّ عنه حال سؤاله منها التذلل والانكسار للمدعو بالقلب واللسان والجوارح، ومنها خفض الجناح، والرغبة والرهبة إليه، ومنها رجاؤه، **وتعلّق القلب** به، وجعل الهمّة عليه، ومنها التوكل عليه، وجماع هذه الخصال يُنتج العبودية التي لا تجوز إلاّ لله. وأنت لو تفطّنتَ لهذه الخصال التي تقوم بالداعي والخصال التي يتميز بها المدعو حسب اعتقاد الدّاعي والتي أقلها ما ذكرناه علمتَ لِمَ سمّى الله الدعاء عبادة، وجعله أفضل العبادة، ومخ العبادة، وأشرف العبادة، وأكرم شيء على الله؟ . ومن أجل بعض هذه الخصال التي يتلبّس بها الدّاعي والسائل -حال دعائه وسؤاله- حَرُم في دين الإسلام سؤال الناس أموالهم التي يقدرون عليها وما ذلك إلاّ لأجل خصال السائل التي أقلها التذلل والهوان الذي لا يليق بمؤمن وقد ذمّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم المسألةَ ونهى عنها وحذّر منها أشدّ التحذير، من ذلك قوله: (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم).متفق عليه. وقال: (من سأل الناس تكثُّراً فإنما يسأل جمراً، فليستقلّ أو ليستكثر). رواه مسلم. وفي صحيح مسلم أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم لقبيصة: (يا قبيصة إن المسألة لا تحل) الحديث.(١)

---

(١) اعلم أن سؤال الناس بالغيب والاستغاثة بهم مع أنه شرك فهو نوع من الشحاذة والاستجداء والمناسبة بينهما واضحة

---

(١) موسوعة الرد على الصوفية ٢٨٩/١١٦

(٢) موسوعة الرد على الصوفية ١٠٨/١٦١

فالحاجة والفقر لكل شيء يُشتكى إلى الله ومن أطرف ما وقفت عليه من المناسبة والعلاقة بين الاستغاثة بغير الله وسؤال الناس أموالهم أي الشحاذة وضرْب الأخير مثلاً على الأول ما ورد في خاتمة كتاب شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق يعني النبي صلى الله عليه وسلم لمؤلفه يوسف بن إسماعيل النبهاني(مات سنة ١٣٥٠هـ) فإنه بعد كتابة هذا الكتاب رأى النبي صلى الله عليه وسلم كما يقول وهذه الرؤيا في الحقيقة تنسف كتابه من أساسه وضُربت له مثلاً= =لكنه لم يفقهها وسأذكر رؤيته بتمامها ثم تأويلي لها قال النبهاني في خاتمة كتابه المذكور ص٥٦١: "رأيته صلى الله عليه وسلم في منامي سحر ليلة الاثنين الثالث من جمادى الأولى سنة١٣٢١هـ وكأني جالس في مجلسه الشريف وأني من جماعته، فجاء ناس يسألونه عن أمورهم وهو يجيبهم صلى الله عليه وسلم. فأجاب واحداً منهم عن مطلوبه. ثم أراد أن يجيب الثاني وهو يريد أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الشحاذة: أي سؤال الناس لأنه هو شحاذ وكان جالساً في جانبي، فاستفهم صلى الله عليه وسلم منه عن مسألته أهي عن الشحاذة؟ فقال الرجل نعم فقبل أن يجيبه مد يده الشريفة صلى الله عليه وسلم إلى حصير كان جالساً عليها فقطع منها خيطاً، وفهمت أنا مراده من ذلك فهماً يقينياً كأني كان لي علم بذلك، وهو أن مراده من قطع الخيط أن يعدّ عليه عيوب الشحاذة ويعقد عند ذكر كل عيب عقدة لكثرتها ولعلمي بذلك أردت أن أبين للرجل مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك الخيط حين اشتغل بقطعه عن جواب السؤال ثم لم أبين له ذلك تأدباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل أن يشرح له عليه الصلاة والسلام تلك العيوب انتبهت من النوم"إهـ قلت: هذا مَثَلٌ ضُربَ للمؤلف لم يفقهه، فالمؤلف من الذين يسألون البشر ويستغيثون بهم من دون الله أي من الشحّاذين وما وضع كتابه إلا لتقرير هذا الشأن والحث عليه فالرؤيا بينت أن الشيخ منهم لأنه كان في جانب الشحاذ أي على طريقته ومذهبه فبينتْ الرؤيا أن ذلك قبيح إذ لّما كان سؤال الناس أموالهم قبيحاً ومذموماً فسؤالهم بالغيب أقبح سيما إذا كانوا أمواتاً ولكن المؤلف لم يفهم الرؤيا وكذلك قطْعه صلوات الله عليه في هذه الرؤيا من الحصير فيه إشارة قوية إلى أن هذه الاستغاثات التي يلهج بها المؤلف وأشباهه من الفتن المضلة والبدع والأهواء التي إنْ أُشربها القلب صار مُجَخِّياً كالكوز كما قال عليه الصلاة والسلام: " تُعرض الفتن على القلوب عرضَ الحصير عوداً عوداً، فأيّ قلبٍ أُشربها نُكتتْ فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتى يصير القلب أبيض مثل الصفا، لاتضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربدّاً كالكوز مُجَخِّياً، لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه" رواه مسلم. ودلّت الرؤيا أن المؤلف من أهل الأهواء وأنه ربما بيَّن له بعضُ أتباع النبي صلى الله عليه وسلم عيوب الاستغاثة بغير الله فهمّ أن يذعن للحق ولكنه أبى تأدباً مع النبي صلى الله عليه وسلم بزعمه وإنما هو متبع لهواه وبيّنتْ الرؤيا أنه لم يستطيع تخليص= =نفسه من هذا الهوى مع أنه عرف عيوب الاستغاثة بغير الله حتى همّ أن يبين للناس خطر الشرك الذي يدعو إليه فلم يفعل حتى انتبه يعني حتى مات لأن الناس إذا ماتوا انتبهوا كما ورد في بعض الأقوال. علماً أن النبهاني هذا لم يأت في كتابه إلا بشبهات وضلالات نعم نقل عن بعض المتأخرين أشعاراً فيها الاستغاثة والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يأت بحرف واحد عن القرون الأولى لا شعراً ولا نثراً يؤيد ما ذهب إليه مع حرصه على جمع كل ما يخص الموضوع مع سعة اطلاعه ففي هذا أكبر دليل على أن هذه التوسلات والاستغاثات التي راجت عند المتأخرين وأنكرها العلماء الربانيون كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره لم تكن معهودة عند السلف المتقدمين ولهذا لم يوفق النبهاني إطلاقاً في العثور على شيء منها، وأنى له ذلك والمنصوص

عليه عند القوم تحريم التوسل إلاّ بأسماء الله وصفاته والتوسل بالإيمان والأعمال الصالحة المخلصة لله. فمن الثابت عن أبي حنيفة رحمه الله تحريم التوسل بحق النبي صلى الله عليه وسلم أو جاهه وهذا محل اتفاق بين أئمة الحنيفة الثلاثة أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد بن الحسن لا اختلاف بينهم كما هو ثابت في متون الحنفية كالدر المختار وغيره. ومن العجيب أن الشيوخ المقلِّدين الجامدين لا يسمحون لأحد بمخالفة أئمة المذهب في مسائل فقهية حتى لو كانت مخالفة للسنة وإذا بهم يخالفون الأئمة في مسائل هي من العقيدة مثل هذه المسألة مدَّعين لأنفسهم الاجتهاد مع أنهم في غيرها جامدون ويحرمون الخروج على أقوال الأئمة بل ربما يعدُّون الخروج من المذهب كالخروج من الإسلام. ولهذا لا تجد هؤلاء الشيوخ يذكرون هذا الأمر للناس إطلاقاً ولا يعرفوهم بأن تحريم التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم كما هو دارج الآن إنما هو قول أئمة الحنفية على الأقل بل تجدهم يشنعون على المخالف وينبزونه بالوهابي وأنه لا يعترف بجاه النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك من افتراءاتهم حتى استقر عند العوام في بعض البلدان أن هذا الأمر لا ينكره إلا المسمّون بالوهابيين فيلزمهم أن يعدُّوا أئمة الحنفية أبا حنيفة وصاحبيه وهابية إذاً وأنهم لا يحبون النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم لا يجيزون التوسل بحقه أو جاهه كما يفتري الضالون ويبهتون مخالفهم. ويتجلّى للناظر في كتاب النبهاني دعوته إلى الشرك الصريح بل إنكاره الاستغاثة بالله وحده وإنه لا بد له من واسطة حتى يجيبه الله تعالى الرب عن ذلك علواً كبيراً وسأضرب مثلاً واحداً من كتابه على ما أقول مما لا يُتصور وقوعه من مسلم موحد؛ نقل في كتابه ص٤٤٧ حكاية عن سيده محمد الحنفي قال: يُحكى أن سيدي= =محمداً الحنفي قدس الله سره فرش سجادته على البحر، وقال لمريده قل: يا حنفي وامش فمشى المريد خلفه فخطر له لم تقول يا حنفي هلا قلت يا ألله؟ فلما قالها غرق فأمسك الشيخ بيده وقال له: أنت الحنفي تعرفه فكيف بالله؟ فإذا عرفت الله فقل يا ألله فقال النبهاني معقباً على القصة: يشير إلى أن الوسائط لا بد منها، فالوسائط ينادُون من مكان قريب فيُجابون، والمريد من مكان بعيد فلا يُجاب فلهذا قيل لولا الواسطة لذهب الموسوط انتهى كلام النبهاني. فتأمل -هداك الله- هذا الشرك الصريح وسوء الظن بالله من هذا القبيح فإذا قال يا ألله واستعان به وحده غرق وإذا استعان بغيره مشى على الماء أيّ باطل هذا؟ فبدل أن يربط هذا المريد بربه ويعرفه بصفاته الجليلة ويجعله يحسن الظن بالله وأنه رؤوف بعبده رحيم سواءً كان مريداً أو أميراً وأنه قريبٌ مجيب(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)(وقال ربكم ادعوني استجب لكم)(أليس الله بكافٍ عبده) إذا به يوسوس له بأن ربه بعيد لا يردُّ عليه حتى يستغيث بغيره ويستعين بسواه ثم قارن بين هذا التعليم والاعتقاد الفاسد وبين تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لمريده ابن عباس: (يا غلام إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله) لم يقل له كما قال ذاك الشيخ المشرك: إذا استعنت فاستعن بي وإذا استغثت فاستغث بي حاشاه صلوات الله عليه بل ربط الغلام بربه وأرشده إلى الاستعانة بخالقه وهذا شأن الرسل جميعاً صلوات الله عليهم يربطون الناس ببارئهم(اعبدوا الله مالكم من إله غيره) دون وسائط كما يفتري الصوفية المنحرفون المشركون فهم بهذه القصص الملفَّقة والكرامات المكذوبة يريدون أن يجعلوا الشرك راسخاً في قلوب المريدين ليعبدوهم من دون الله ولا حول ولا

قوة إلا بالله.". (١)

١٢٧-"/وكذلك العبادة والطاعة، إذا قيل في المطاع المعبود : إن هذا يحب طاعته وعبادته، فإن محبته ذلك تبع لمحبته، وإلا فمن لا يحب لا يحب طاعته وعبادته، ومن كان لا يعمل لغيره إلا لعوض يناله منه أو لدفع عقوبة فإنه يكون معاوضًا له أو مفتديًا منه لا يكون محبًا له . ولا يقال إن هذا يحبه ويفسر ذلك بمحبة طاعته وعبادته، فإن محبة المقصود وإن استلزمت محبة الوسيلة أو غير محبة الوسيلة، فإن ذلك يقتضى أن يعبر بلفظين : محبة العوض والسلامة عن محبة العمل . أما محبة الله فلا تعلق لها بمجرد محبة العوض، ألا ترى أن من استأجر أجيرًا بعوض لا يقال : إن الأجير يحبه بمجرد ذلك . بل قد يستأجر الرجل من لا يحبه بحال بل من يبغضه، وكذلك من افتدى نفسه بعمل من عذاب معذب لا يقال : إنه يحبه بل يكون مبغضًا له . فعلم أن ما وصف الله به عباده المؤمنين من أنهم يحبونه يمتنع ألا يكون معناه إلا مجرد محبة العمل الذي ينالون به بعض الأغراض المخلوقة من غير أن يكون ربهم محبوبًا أصلا .

وأيضًا، فلفظ العبادة متضمن للمحبة مع الذل كما تقدم؛ ولهذا كانت محبة القلب للبشر على طبقات :

أحدها : العلاقة : وهو **تعلق القلب** بالمحبوب، ثم الصبابة : وهو انصباب القلب إليه، ثم الغرام : وهو الحب اللازم، ثم العشق وآخر / المراتب هو التتيم : وهو التعبد للمحبوب، والمتيم المعبود، وتيم الله عبد الله فإن المحب يبقى ذاكرًا معبدًا مذللًا لمحبوبه .

وأيضًا، فاسم الإنابة إليه يقتضى المحبة أيضًا، وما أشبه ذلك من الأسماء، كما تقدم .". (٢)

١٢٨-"وقد نعته الله بالعبودية في أكمل أحواله فقال في الإسراء : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ [الإسراء : ١] ، وقال في الإيحاء : ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ [النجم : ١٠] ، وقال في الدعوة : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [الجن : ١٩] ، وقال في التحدي : ﴿ وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ [البقرة : ٢٣] ، فالدين كله داخل في العبادة .

وقد ثبت في الصحيح : أن جبريل لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام قال : (أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً) . قال : فما الإيمان ؟ قال : (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، وتؤمن بالقدرخيره وشره) . قال : فما الإحسان ؟ قال (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك (. ثم قال : في آخر الحديث :) هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم) فجعل هذا كله من الدين .

والدين يتضمن معنى الخضوع والذل . يقال : دنته فدان، أي : ذللته فذل، ويقال : يدين الله، ويدين لله أي : يعبد الله ويطيعه ويخضع له، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له .

---

(١) موسوعة الرد على الصوفية ١٥٤/١٧٥

(٢) موسوعة الرد على الصوفية ٦٨/١٨٤

/والعبادة أصل معناها : الذل ـ أيضًا ـ يقال : طريق معبد إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام .
لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له، فإن آخر مراتب الحب هو التتيم، وأوله العلاقة **لتعلق القلب** بالمحبوب، ثم الصبابة لانصباب القلب إليه، ثم الغرام وهو الحب اللازم للقلب، ثم العشق وآخرها التتيم يقال : تيم الله، أي : عبد الله، فالمتيم المعبد لمحبوبه .". [1]

١٢٩-"فالحرية حرية القلب، والعبودية عبودية القلب، كما أن الغنى غنى النفس، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس) ، وهذا لعمري إذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة، فأما من استعبد قلبه صورة محرمة، امرأة أو صبي، فهذا هو العذاب الذي لا يدان فيه . وهؤلاء من أعظم الناس عذابًا وأقلهم ثوابًا، فإن العاشق لصورة إذا بقى قلبه متعلقًا بها، مستعبدًا لها اجتمع له من / أنواع الشر والفساد، ما لا يحصيه إلا رب العباد، ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى، فدوام **تعلق القلب** بها بلا فعل الفاحشة أشد ضررًا عليه، ممن يفعل ذنبًا ثم يتوب منه ويزول أثره من قلبه، وهؤلاء يشبهون بالسكارى والمجانين . كما قيل :
سكران سكر هوى وسكر مدامة ** ومتى إفاقة من به سكران
وقيل :
قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم ** العشق أعظم مما بالمجانين
العشق لا يستفيق الدهر صاحبه ** وإنما يصرع المجنون في الحين
ومن أعظم أسباب هذا البلاء : إعراض القلب عن الله، فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله، والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أطيب، والإنسان لا يترك محبوبًا إلا بمحبوب آخر يكون أحب إليه منه، أو خوفًا من مكروه، فالحب الفاسد إنما ينصرف القلب عنه بالحب الصالح، أو بالخوف من الضرر .
/قال ـ تعالى ـ في حق يوسف : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف : ٤٢] . فالله يصرف عن عبده ما يسوؤه من الميل إلى الصور والتعلق بها، ويصرف عنه الفحشاء بإخلاصه لله .". [2]

١٣٠-"وهذه الحقيقة، التي دعا إليها القرآن، وقام بها أهل تحقيق الإيمان، والكمل من أهل العرفان . ونبينا صلى الله عليه وسلم إمام هؤلاء وأكملهم؛ ولهذا لما عرج به إلى السموات، وعاين ما هنالك من الآيات وأوحى إليه ما أوحى من أنواع المناجاة أصبح فيهم وهو لم يتغير حاله، ولاظهر عليه ذلك، بخلاف ما كان يظهر على موسى من التغشي ـ صلى الله عليهم وسلم أجمعين .
/وأما النوع الثالث : مماقد يسمى فناء ـ فهو أن يشهد أن لا موجود إلا الله، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق، فلا فرق بين الرب والعبد، فهذا فناء أهل الضلال والإلحاد الواقعين في الحلول والاتحاد .

---

(١) موسوعة الرد على الصوفية ١٣٨/١٨٤

(٢) موسوعة الرد على الصوفية ١٧٣/١٨٤

والمشائخ المستقيمون إذا قال أحدهم : ما أرى غير الله، أولا أنظر إلى غير الله، ونحو ذلك، فمرادهم بذلك ما أرى ربا غيره، ولا خالقًا غيره، ولا مدبرًا غيره، ولا إلها غيره، ولا أنظر إلى غيره محبة له، أو خوفًا منه، أو رجاء له، فإن العين تنظر إلى ما يتعلق به القلب، فمن أحب شيئًا، أو رجاه أو خافه التفت إليه، وإذا لم يكن في القلب محبة له، ولا رجاء له، ولا خوف منه، ولا بغض له، ولا غير ذلك من **تعلق القلب** له لم يقصد القلب أن يلتفت إليه، ولا أن ينظر إليه ولا أن يراه وإن رآه اتفاقًا، رؤية مجردة كان كما لو رأى حائطًا، ونحوه مما ليس في قلبه تعلق به .". (١)

١٣١-"الثانية : **تعلق القلب** بالربوبية أى إفراد الله بالفاعلية وتقدير الأمور .

الثالثة : الطمأنينة إلى الكفاية فإن أعطى شكر وإن منع صبر وذلك هو الرضا والاستسلام لحكم الله (١) .

ويعبر بشر الحافي عن المقوم الثالث بقوله : (يقول أحدهم توكلت على الله وهو يكذب على الله ، لو توكل على الله لرضى بما يفعل الله تعالى به) (٢) .

١- الرسالة حـ ١ ص ٤١٨.

٢- السابق حـ ١ ص ٤١٧.

ولذلك يشترط أوائل الصوفية موافقة الكسب للشريعة حتى يصبح العمل توكلا على الله ، لأن من يلزم نفسه الرضا بأمر الله الكونى لا يخالف بعمله أمره التشريعي ولو خالف أمره التشريعى أولى به ألا يرضى بأمره الكونى ، فمن سلك سبيلا محرما لا يكون متوكلا عند أوائل الصوفية .

سئل ذو النون المصرى عن التوكل ؟

فقال : خلع الأرباب وقطع الأسباب .

فقال السائل : زدنى ؟

فقال : إلقاء النفس فى العبودية وإخراجها من الربوبية (١) .

وهو يقصد بخلع الأرباب عدم توجه القلب واعتماده على الأسباب المخلوقة كفواعل مستقلة تتحكم فى رزقه ، ويقصد بإخراج النفس من الربوبية أى ربوبية ذاتها على غيرها .

ويعنى ذلك الكبر والاغترار بالنفس وادعاء القدرة الشاملة والاستطاعة الكاملة مع تناسى قدرة الله وفاعليته ، ويكاد يجمع أوائل الصوفية من خلال مروياتهم على أن الاعتماد على الأسباب وسكون القلب إليها شرك خفى ، يقول المكى : (الشرك الخفى هو الاعتماد ـــــ

١- السابق حـ ١ ص ٤١٨ .

---

(١) موسوعة الرد على الصوفية ١٨٤/٢٠٤

على الأسباب) (١) .". [١]

١٣٢-"رابعاً : ومن آثار الاختلاط كذلك : فقدان الراحة النفسية ، والسعادة القلبية : وفي المقابل تنتشر الأمراض النفسية بين الفتيان والفتيات ..وبين الفتيات أكثر خاصة إذا كانت الفتاة غير جميلة ..تقول فتاة أمريكية تبلغ من العمر خمسة عشر عاماً : إنها تحب مدرسة الفتيات فقط التي تدرس فيها. وتضيف قائلة : كنا نشعر بالخوف عندما كان معنا أولاد... كان علينا أن نرتدي ملابس جميلة ونظهر أنيقات... إننا نشعر بالراحة أكثر الآن بوجودنا في محيط كله بنات..ونشرت مجلة الأحد اللبنانية رسالة من أنثى افتتحتها واختتمتها بهذه العبارة : (ليتني لم أكن أنثى) وقالت خلال سطورها : ..إنني مضطرة لمسايرة بنات جنسي ، ولأكسب إعجاب الرجال ، أن أطلي وجهي بالأحمر والأبيض والأسود ، وإذا ما كنت في مجتمع رجالي حاولت أن أتقمص الشخصية التي تروقهم ،فأنا حينا رصينة هادئة ، وطوراً لعوب مغناج ، وآونة أخرى ساذجة غريرة ، وفي أحيان كثيرة أتصنع الهبل كل ذلك في سبيل أن أحوز إعجاب كل طائفة من الرجال.ولذا أعجز عن تخطيط شخصيتي أو فهم نفسيتي ، ليتني لم أكن أنثى ..إذن لانطلقت في هذا العالم الواسع أمشي على هواي وألبس على هواي وأتحدث على هواي) أفليس هذا الذي تعترف به هذه الفتاة العصرية من حيرة وضياع هو نتيجة طبيعية لخروج المرأة عن فطرتها وانصرافها عن وظيفتها ، واهتمامها بغشيان مجتمعات الرجال ، وإنشاء صداقات معهم للظفر بإعجاب كل واحد منهم ، على اختلاف الأهواء والأمزجة في نفوس الرجال ؟!! هذه أيها الأخوة بعض آثار الاختلاط ..والسؤال بعد هذا العرض ..هل يحتاج العقلاء إلى أدلة لتحريم الاختلاط بعد أن عرفوا بعض آثاره الفتاكة ..لقد زرنا في جولتنا هذه .. دولاً غربية ..وأخرى إسلامية ..ووجدنا أن الاختلاط سبب لهم هذه الآثار القاتلة ..ولم يحصدوا منه سوى الضياع والانحلال .. فهل نحتاج الآن إلى الاستدلال بحرمة الاختلاط من الأدلة الشرعية ..فضلاً أن نظن أن الشريعة لن تحرم أمراً هذه بعض أضراره وأخطاره ..بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم

الخطبة الثانية

أيها المسلمون :

لقد توافرت النصوص الشرعية في الحرص على تباعد الرجال عن النساء درءً للفتنة ..فقد جاءت الأدلة الشرعية بالأمر بقرار المرأة في بيتها وألا تخرج إلا لحاجة ولو كانت الشريعة ترغب في كثرة لقاء الرجال بالنساء لما جاء الأمر بقرارها في بيتها ..كما جاءت الشريعة بالنهي عن الدخول على النساء كقول صلى الله عليه وسلم : (إياكم والدخول على النساء) ولو كانت الشريعة ترغب في كثرة اللقاء بينهما لما جاء النهي عن الدخول على النساء ..ولماذا لم تُلزم الشريعةُ المرأةَ ما يلزم الرجل من الواجبات الاجتماعية ،فعلى سبيل المثال : أجمع العلماء على أن صلاة الجمعة لا تجب على المرأة ، ولا يجب عليها الجهاد في سبيل الله ، وأسقط عنها الشرع النفقة ..وكل هذه الأعمال تحتاج إلى الخروج من المنزل وكثرة احتكاكها بالرجال ..وهذا يبين حرص الشريعة على بعد الجنسين عن بعضهما وقد جاء أيها المسلمون الأمر بتخصيص باب خاص

---

(١) موسوعة الرد على الصوفية ٢١/١٩٨

للنساء في المسجد ، فيا ترى لماذا أمر صلى الله عليه وسلم بذلك ، فلو كان r يرغب في كثرة احتكاك الطرفين بعضهما ببعض لما أمر بذلك وجعلهما يخرجان من باب واحد ..ثم أيها المؤمنون لماذا جاءت الأدلة بالأمر بغض البصر ..فيا ترى.. كيف يغض بصره من كان يعمل في مكتب فيه موظفة ؟ أو في مستشفى فيه طبيبة أو ممرضة ؟ ولماذا فضلت الشريعة صلاة المرأة في بيتها على صلاة الجماعة بل تفضيل صلاتها في بيتها على صلاتها في مسجد رسول ا صلى الله عليه وسلم مع أن الصلاة فيه مضاعفة !! وكيف نجمع بين نفسين تميل بعضهما إلى بعض ؟!! و صلى الله عليه وسلم يقول : (ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء) . ويا ترى ما الداعي لأن يأمر صلى الله عليه وسلم أن يتريث الرجال في الانصراف من المسجد حتى تخرج النساء ..و لو كان الأمر مستويا في الشريعة هل كان يأمر صلى الله عليه وسلم بأن يتريث الرجال لتنصرف النساء ؟!! ولو كان الاختلاط سائغاً ..لماذا جعل خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها وخير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها ..ألا يدل ذلك على تأكيد الشريعة انفصال الرجال عن النساء ؟!! يقول الإمام النووي رحمه الله : (وإنما فضل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم **وتعلق القلب** بهم ثم رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك وذم أول صفوفهن لعكس ذلك والله أعلم) .
أيها المؤمنون :". [١]

١٣٣-"وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى : ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ(١٩)يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ ٢٦٥وقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾٢٦٦وذم المستكبرين عنها بقوله : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ٢٦٧ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾٢٦٨وقال ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ ٢٦٩الآيات ولما قال الشيطان ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال الله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ ٢٧٠.

وقال في وصف الملائكة بذلك : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ(٢٦)لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾٢٧١. وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا(٨٨)لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا(٨٩)تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا(٩٠)أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا(٩١)وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا(٩٢)إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا(٩٣)لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا(٩٤)وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ ٢٧٢.

وقال تعالى عن المسيح . الذي ادعيت فيه الإلهية والنبوة ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ٢٧٣، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ص١٦٧/

عبد فقولوا : عبد الله ورسوله)٢٧٤.

وقد نعته الله " بالعبودية " في أكمل أحواله فقال في الإسراء : سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾٢٧٥قال في الإيحاء : ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾٢٧٦. وقال في الدعوة : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ ٢٧٧. وقال في التحدي : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ ٢٧٨. فالدين كله داخل في العبادة

.

وقد ثبت في الصحيح ٢٧٩أن جبريل لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام قال : " أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً " . قال : فما الإيمان ؟ قال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره " . قال : فما الإحسان ؟ قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ثم قال في آخر الحديث " هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم " فجعل هذا كله من الدين .

" والدين " يتضمن معنى الخضوع والذل . يقال : دنته فدان أي : ذللته فذل ويقال يدين الله ، ويدين الله أي : يعبد الله ويطيعه ويخشع له ، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له .

و" العبادة " أصل معناها الذل أيضاً ، يقال طريق معبد إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام .

لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ، فإن آخر مراتب الحب هو " التتيم " وأوله " العلاقة " لتعلق القلب بالمحبوب ، ثم " الصبابة " لانصباب القلب إليه ، ثم " الغرام " وهو الحب اللازم للقلب ، ثم " العشق " وآخرها " التتيم " يقال : تيم الله أي : عبد الله ، فالمتيم المعبد لمحبوبه .

ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له ، كما قد يحب ولده وصديقه ، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله .". (١)

١٣٤-"ثم تناول محمد قطب-حفظه الله-هذه القضية بشيء من التفصيل في العديد من كتبه مثل:الإنسان بين المادية والإسلام،ودراسات في النفس الإنسانية،ومنهج التربية الإسلامية،وفي النفس والمجتمع،وغيرها من الكتب.ثم تتابع بعد ذلك علماء النفس وعلماء الاجتماع وعلماء الاقتصاد ممن يتبنى الإسلام عقيدة ومنهجاً بإيضاح هذه القضية(٤٤).

المطلب الثالث : فلسفة التربية في المذهب الإسلامي

يمكننا أن نقول بأن فلسفة التربية في المذهب الإسلامي تقوم على الأسس التالية: الأساس الأول : تغذية الفردية في الإنسان

.

الأساس الثاني : تغذية الجماعية في الإنسان .

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ١٧٨/٣٤

الأساس الثالث : التوفيق بين الفردية والجماعية في الإنسان .

الأساس الأول : تغذية الفردية في الإنسان :

إنَّ الاهتمام بالجانب الفردي في الإنسان ، والعناية به ، يثمر ثمرات عديدة منها :

١-عدم تعلق القلب بغير الله تعالى ، وإخلاص العبادة له .

فإن الفرد الذي لا يربي نفسه على الاستغناء عن المخلوقين ، والزهد عما في أيديهم من أموال ومناصب ومتع الدنيا ، فإن قلبه يتعلق بهم تعلقاً قد يصل به إلى الشرك بالله ، وقد يصل به إلى الذلة والمهانة لهم ، وقد يناله العذاب منهم من جرَّاء ذلك .

٢-الثبات على دين الله تعالى ، والقدرة على مواجهة المصاعب والمشاق .

إن الفرد الذي ربى جانب الفردية فيه ، لديه من الاستعدادات والقدرات ما يجعله يثبت عند المحن والشدائد ، بخلاف الذي أسلم قيادة نفسه للجماعة ، تفكر له ، وتعتني به، فإنه بمجرد انفراده عنها يضيع وينحرف .

٣-مضاعفة النشاط والجهد .

لأنه يعلم أن المحاسبة على الأعمال يوم القيامة فردية ، وأن جهده في الدنيا يحقق مصلحة نفسه ، ويحقق ذاتيته .

٤-تحرير العقل والإرادة من اعتداء الآخرين عليهما .

إن الذي ربى نفسه على أن يفكِّر لها ، وينظر فيما يصلحها ، ويسير وفق ذلك ، بالضوابط الشرعية ، فإنه يصعب على الآخرين السيطرة عليه بأهوائهم ، ولذلك تجده سرعان ما ينجو من انحرافات الجماعات ، ويتحرر من استبداد الطغاة ، ويدافع عن نفسه، ويجهر بالحق ، ويشارك بالرأي ، ولا يسلم نفسه لتقاد بغير شرع الله .

ولَمَّا كان لتنمية الجانب الفردي هذه الفوائد العديدة وغيرها كثير ، فقد حرص الإسلام على تغذية هذا الجانب من نواحي متعددة منها :

١- ربط القلب البشري بالله تعالى(٤٥):

ويكون ذلك بتعريف الفرد بنعم الله تعالى عليه ، وتعريفه بأسماء الله وصفاته وأفعاله ومنها : سعة علم الله ، وسعة قدرته ، وعظيم إبداعه ، وأن الخير بيده ، والشر بيده ، والحياة والموت بيده ، وأن المخلوقين لا يملكون له نفعاً ولا ضراً ، ولا موتاً ولا حياة ، وأن المالك لذلك كله هو الله .

هذا التعلق القلبي بالله ، يجعل الشخص يشعر بوجوده المستقل ، ويشعر بالقوة النفسية ، والتحرر من عبادة العباد .

٢- إشعاره بالمسئولية عن أعماله(٤٦).

كما قال تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) . وقال تعالى :(لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً). (مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى) .

فإذا تربى الإنسان على هذا الشعور ، فإنه ولا شك سيدفعه للعمل من أجل مصلحة نفسه ونفعها في الدنيا والآخرة ، وسيقوم بمحاسبتها ومراقبتها ، حتى تحقق له ما يرجو من الأهداف .

٣-دعوته إلى الاعتزاز بنفسه ، والبعد بها عن سفاسف الأمور(٤٧).

قال تعالى : (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ). وقا صلى الله عليه وسلم : "لا يحقر أحدكم نفسه" . قالوا : يا رسول الله ، وكيف يحقر أحدنا نفسه ، قال : يرى أمراً لله عليه فيه مقال ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله عز وجل له يوم القيامة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس ، فيقول : فإياي كنت أحق أن تخشى" .

٤-تحذيره من متابعة الجماعة دون فهم ووعي(٤٨).

قال تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ) .

وقا صلى الله عليه وسلم : " لا تكونوا إمَّعة ، تقولون : إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطِّنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا " .

٥-حثه على أداء كثير من العبادات بمفرده ، وحثه على الإسرار بها:

مثل : قيام الليل ، وصيام النوافل ، والصدقات ، والنصيحة الفردية لآحاد الناس ، وغير ذلك .

الأساس الثاني : تغذية الجماعية في الإنسان

إن اهتمام الإنسان بجانب الجماعية له ثمرات عديدة منها(٤٩):

١-التعاون على البر والتقوى ، ومقاومة الظلم والعدوان .

٢-تجديد النشاط والهمة .

٣-اكتشاف عيوب النفس ، والقيام بإصلاحها ، وخاصة العيوب التي لا تظهر إلا من خلال حياة الإنسان في الجماعة : كالأنانية والكبر ، والعجلة والغضب ، ..

٤-أداء العبادات التي تتطلب أداؤها وجود الجماعة ، كالصلوات المفروضة ، والجهاد وغيرهما ."[١]

١٣٥-"جعل الإسلام دعوته تبدأ من توحيد الله سبحانه وتعالى والإيمان به والإقرار أنه إله الكون وخالق الوجود وجعل الهدف الأول بل والأخير للرسالات السماوية جميعاً هو إقرار هذه القضية العظيمة من قضايات الدين قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ وقال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وذلك دين القيمة﴾ وجعل الله سبحانه وتعالى الهدف الأول من وجود الإنسان على هذه الأرض هو أن يعبد الله سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ وبهذا جعل الدين الإسلامي هدف الإنسان على الأرض أن يعرف ربه سبحانه وتعالى ويوحده، ويعبده وحده لا شريك له. وقد أبان الله هذه القضية وأظهرها ودلل عليها بكل دليل حتى لا يترك فيها شكاً ولا ريباً لأحد فأقام سبحانه وتعالى من آياته العظيمة في خلق السموات والأرض والناس ما يرشد العباد إلى خالقهم العظيم، ويدلهم على ربهم القدير سبحانه الذي أحسن كل شيء

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٤٢/٣٩٨

خلقه وأمرهم أن يتفكروا في خلق السموات والأرض، وفي خلق أنفسهم، وتعهد سبحانه أن يرى العباد من آياته في الآفاق ما يحملهم حملاً على هذه القضية كما قال سبحانه وتعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾.

والأدلة الكونية المشاهدة ليست هي الأدلة الوحيدة التي نصبها الله للدلالة عليه، بل إن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل مبشرين ومنذرين ومؤيدين من قبله سبحانه وتعالى بالأدلة والبراهين العظيمة على وحدانية الله سبحانه وتعالى، وأنه خالق الكون، رب العالمين المستحق وحده للعباد. ولقد أتى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بوصف تفصيلي بليغ لأسماء الله صفاته حتى يعظم الرب سبحانه أكمل تعظيم ويعبد على الوجه الأمثل. وهكذا أصبحت الأدلة السمعية التي جاءت بها الرسل مكملة ومتممة للأدلة البصرية العقلية التي نصبها الله سبحانه في هذا الكون الفسيح وليس هذا فقط بل جعل الله سبحانه وتعالى شريعة الإسلام وعباداته جميعاً دالة على الله داعية للتوحيد حتى يصبح المسلم في كل عمل من أعماله موحداً ذاكراً لهذه الحقيقة العظيمة والصلاة والصيام والزكاة والحج شرعت جميعها لتعرف الله وتدل عليه وتشعر المؤمن بقربه سبحانه وتعالى من عباده واطلاعه عليهم ولذلك اشترط فيها جميعاً إخلاص النية لله سبحانه **وتعلق القلب** أثناء فعلها بالله، وشغل اللسان وقت فعلها بذكر الله والدلالة عليه فإذا عرفنا أن المسلم يمارس الصلاة خمس مرات في كل يوم وليلة وجوباً علمنا تبعاً لذلك أن المسلم لا بد وأن يظل ليله ونهاره ذاكراً لربه منيباً إليه داعياً له، وهذا كله ليظل بعيد تماماً عن الإلحاد بالله والكفر به.

وهكذا أصبح الإسلام منهجاً وطريقاً للتوحيد والصلة الدائمة بالله سبحانه وتعالى والبعد الدائم عن الإلحاد بل عن كل ما يقطع صلة العبد بربه سبحانه وتعالى.

٢- العناية بالتربية الخلقية:

جعل الإسلام الهدف الدنيوي الأرضي لرسالته هو إقامة العدل في الأرض وإسعاد الإنسان عليها، ولذلك وجه الإسلام وجوه الداخلين فيه إلى العمل لخير الناس ولذلك أوجب على المسلمين جميعاً الدعوة إليه كما قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ أي لتكونوا جميعاً أمة داعية إلى الخير، وقال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾ وفي سبيل دعوة الناس إلى الخير والهداية أمر الله المؤمنين بالصبر في ذلك وتحمل الأذى حتى لا ينفر الناس من هذا الدين واتخاذ الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى سبيلاً ومنهجاً، وهكذا امتلأت قلوب المسلمين بمحبة الخير للناس ورغبة هدايتهم وإنقاذهم ظلمات الشرك والكفر والإلحاد إلى نور الهداية والإسلام.

وأمر الإسلام أتباعه أيضاً بالعدل والإحسان مع كل الناس حتى مع المشركين والكافرين، والصبر على أذاهم إن كان في هذا خيراً ومصلحة، ورد إساءتهم والانتصار منهم عن العدوان فقط كما قال تعالى: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ وأمر سبحانه بالعدل مع الكافرين حتى مع ظلمهم وكراهيتنا لهم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى

واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾ وهكذا فالإسلام رسالة هداية ورحمة للناس جميعاً كما قال سبحانه وتعالى لنبي الإسلام نبي الرحمة ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾.". (١)

١٣٦-"وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى : ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ(١٩)يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾([٧٢])وقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾([٧٣])وذم المستكبرين عنها بقوله : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾([٧٤])ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾([٧٥])وقال ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ ([٧٦])الآيات ولما قال الشيطان ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال الله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾([٧٧]).

وقال في وصف الملائكة بذلك : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ(٢٦)لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾([٧٨]). وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا(٨٨)لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا(٨٩)تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا(٩٠)أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا(٩١)وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا(٩٢)إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إلا ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا(٩٣)لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا(٩٤)وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ ([٧٩]).

وقال تعالى عن المسيح ـ الذي ادعيت فيه الإلهية والنبوة ﴿ إِنْ هُوَ إلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ([٨٠])، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله))([٨١]).

وقد نعته الله " بالعبودية " في أكمل أحواله فقال في الإسراء : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا﴾([٨٢])قال في الإيحاء:﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾([٨٣]). وقال في الدعوة :﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾([٨٤]). وقال في التحدي :﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ ([٨٥]). فالدين كله داخل في العبادة .

وقد ثبت في الصحيح ([٨٦])أن جبريل لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام قال : " أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً". قال : فما الإيمان ؟ قال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره " . قال : فما الإحسان ؟ قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ثم قال في آخر الحديث " هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم " فجعل هذا كله من الدين .

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٤٥/١٦٣

" والدين " يتضمن معنى الخضوع والذل . يقال : دنته فدان أي : ذللته فذل ويقال يدين الله ، ويدين لله أي : يعبد الله ويطيعه ويخشع له ، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له .

و" العبادة " أصل معناها الذل أيضاً ، يقال طريق معبد إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام .

لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ، فإن آخر مراتب الحب هو " التتيم " وأوله " العلاقة " **لتعلق القلب** بالمحبوب ، ثم " الصبابة " لانصباب القلب إليه ، ثم " الغرام " وهو الحب اللازم للقلب ، ثم " العشق " وآخرها " التتيم " يقال : تيم الله أي : عبد الله ، فالمتيم المعبد لمحبوبه .

ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له ، كما قد يحب ولده وصديقه ، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله .". (١)

١٣٧-"...وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى : ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ(١٩)يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ﴾(١)وقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾(٢)وذم المستكبرين عنها بقوله : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٣)ونعت صفوة خلقه بالعبودية له فقال تعالى : ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾(٤)وقال ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ (٥)الآيات ولما قال الشيطان ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال الله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾(٦).

...وقال في وصف الملائكة بذلك : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ(٢٦)لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ إلى قوله ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾(٧). وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا(٨٨)لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا(٨٩)تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا(٩٠)أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا(٩١)وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا(٩٢)إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا ءَاتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا(٩٣)لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا(٩٤)وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (٨).

وقال تعالى عن المسيح . الذي ادعيت فيه الإلهية والنبوة ﴿ إِنْ هُوَ إِلا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٩)، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : ((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله))(١٠).

...وقد نعته الله " بالعبودية " في أكمل أحواله فقال في الإسراء : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا﴾(١١)قال في الإيحاء:﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾(١٢). وقال في الدعوة :﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٥١/٤٣٨

لِبَدًا﴾(١٣). وقال في التحدي :﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ (١٤). فالدين كله داخل في العبادة .

...وقد ثبت في الصحيح (١٥)أن جبريل لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة أعرابي وسأله عن الإسلام قال : " أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً". قال : فما الإيمان ؟ قال : " أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره " . قال : فما الإحسان ؟ قال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " ثم قال في آخر الحديث " هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم " فجعل هذا كله من الدين .

..." والدين " يتضمن معنى الخضوع والذل . يقال : دنته فدان أي : ذللته فذل ويقال يدين الله ، ويدين لله أي : يعبد الله ويطيعه ويخشع له ، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له .

...و" العبادة " أصل معناها الذل أيضاً ، يقال طريق معبد إذا كان مذللاً قد وطئته الأقدام .

...لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ، فإن آخر مراتب الحب هو " التتيم " وأوله " العلاقة " لتعلق القلب بالمحبوب ، ثم " الصبابة " لانصباب القلب إليه ، ثم " الغرام " وهو الحب اللازم للقلب ، ثم " العشق " وآخرها " التتيم " يقال : تيم الله أي : عبد الله ، فالمتيم المعبد لمحبوبه .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية ٢٠ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ٢٠٦

(٣) سورة غافر ، الآية ٦٠ .

(٤) سورة الأنسان ، الآية ٦

(٥) سورة الفرقان ، الآية ٦٣

(٦) سورة الحجر ، الآيتان ، ٣٩، ٤٠ .

(٧) سورة الحجر ، الآية ٤٢ .

(٨) سورة مريم ، الآيات ٨٨- ٩٥

(٩) سورة الزخرف ، الآية : ٥٩ .

(١٠) أخرجه البخاري ومسلم .

(١١) سورة الإسراء ، الآية ، ١.

(١٢) سورة النجم ، الآية : ١٠ .

(١٣) سورة الجن ، الآية : ١٩ .

(١٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٣ .

(١٥) أخرجه البخاري ومسلم .
...ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له ، كما قد يحب ولده وصديقه ، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله تعالى ، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء ، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله .". (١)

١٣٨-"﴿وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس : ٧٨]
الشجن الأخير
عزيزي القارئ..صدقني ليس المقام مقام تحليلات فكرية باردة، ولا موضع استمتاع باسترسالات ذهنية تقدم على طبق مجاور لفنجان قهوة، لا يا صاحبي..كم أتمنى أن تشعر أن الأمر جلل، وأن ثمة ما يستدعي الجدية في النظر للموضوع.
يتبرم البعض ويتنمر فوق حواجبه عبوس الضجر حين يتمتم له العاملون للإسلام بمفصلية هذا الموضوع، وحدة الخيارات المطروحة فيه، وأن الرأي فيه مخوف مشرف إما على حافة الهاوية أو سلم النجاة، ويرمي هذا الطرح بأنه لون من النياحة والتباكي بلا جنازة أصلاً، أو على كثيب توهموه لحداً.
هذا "القرآن" ليس مجرد مخزون معرفي أو تراتيل طقوسية بل هو رسالة إلهية تحمل "قضية" هي فوق كل قضية، حتى قطعت بها أواصر موصولة، وسلت لها سيوف مغمدة، وسقطت لها عروش شامخة، وصعد بها رويعي الغنم مرتقى صعباً.
كم هو مؤلم أن يصبح الإبداع اليوم -في نظر كثير من المثقفين- هو أن لا تكثر من القرآن والسنة في كتاباتك، وأن لا تنير مقالاتك بذكر الله سبحانه وتعالى وبركة آياته وهدايتها، وإنما الإبداع هو الاستعراض بحشو مقالاتك بذكر فلان وفلان من الأسماء الفرانكفونية الرنانة، ومن هو دون الله من كلام المخلوقين، فتستبشر لك الوجوه وتحتفي بك النفوس.
بالله عليك تأمل في نفرة كثير من غلاة المدنية من النصوص الدينية وابتهاجهم بذكر الأعلام الغربية وقارنها بقوله تعالى في سورة الزمر:
﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾
ويقول سبحانه في سورة الحج:
﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾
الحقيقة أن "الصدود عن الوحي" والتبرم به مؤشر خطير على أن ثمة "شعبة نفاق" خفية في القلب تستدعي المبادرة إلى تنظيفه قبل أن يفوت الأوان، كما قال تعالى:
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]
فالمصدرية الفكرية لون مما يجب إفراد الله فيه بالحكم، وإفراد الله بالحكم والطاعة أس العبودية والخضوع، وتدبر كيف حكى الله لنا حال الكفار في تعظيمهم من هو دون الله والشغف بذكره والتبرم بذكر الله، وقل في نفسك: ألا ما أشبه الليلة

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٥٢/٣١٢

بالبارحة.

وفي ختام هذه الورقة النقدية يهمني كثيراً أن أؤكد مجدداً وبشكل خاص على أن هدف هذه الورقة ليس التزهيد في شأن اعداد القوة واتخاذ الامكانيات الحديثة، ولا تحريم الطيبات والرفاه.

وانما الباعث الجوهري على كتابة هذه الورقة تنامي الخلل في ترتيب الأولويات عند قطاع واسع من المثقفين بما ترتب عليه تضييع كثير من حقائق الوحي والاساءة لمشروع النهضة ذاته، حتى صارت العلوم المدنية هي الغاية والعلوم الالهية مجرد وسيلة تابعة لها، مع أن حقائق القرآن جاءت بعكس ذلك تماماً وجعلت العلوم الالهية هي الأصل وغيرها تابع خادم لها.

فهذه الفقرات السابقة لم يكن الهدف منها اسقاط قيمة المدنية أو الغاء أهمية الحضارة أو ترسيخ حالة الاستهلاك والتبعية في مجتمعاتنا المسلمة، وانما كانت مجرد مساهمة في اعادة ترتيب أولويات المثقف المسلم، وكشف تصورنا الاسلامي "المختلف" لمفهوم الحضارة والمدنية والتقدم والنهضة والتحديث، بهدف اعادة الاعتبار وكشف أولوية التزكية وشرف العلوم الالهية الموروثة عن خاتم الرسل، وحاجتنا اليها أولاً ثم حاجة العالم المعاصر اليها ثانياً.

أما استفراغ الوسع والاستطاعة في اعداد القوة واتخاذ الوسائل والامكانيات فهذا واجب شرعي محكم لاخلاف فيه، فالمسلمون اليوم بحاجة ماسة الى الامكانيات الحديثة لابلاغ الرسالة الاسلامية ولتحقيق الغاية الالهية الشريفة التي ذكرها الله في ثلاثة مواضع من كتابه في سورة التوبة والفتح والصف وهي قوله تعالى: (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق "ليظهره" على الدين كله)

ومثل هذه الغاية الالهية الشريفة لاتتحقق الا باتخاذ الوسائل الشرعية من اعداد القوة والامكانيات، ولذلك قال تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال : ٦٠].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر:

(أن رسول ا صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر، وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة: اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة)

ولكن استفراغ الوسع والاستطاعة في اعداد القوة واتخاذ الأسباب والامكانيات لايعني الركون اليها **وتعلق القلب** بها، ولذلك لما قال نبي الله لوط لقومه:

﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾". [(١)]

١٣٩-"٥. وفضلا عن انكشاف محاسن المرأة ، فإنها ستضطر للحديث مع الرجال عند محطات الوقود أو عندما تتعطل سيارتها في الطريق أو في ورش صيانة السيارات ، أو في الحجز إذا نُقلت إليه بسبب المخالفات المرورية ، وحُجزت المدة القانونية وراء القضبان ، بينما المرأة اللازمة بيتها قد كفاها الله ذلك كله ، والمعصوم من عصمه الله عز وجل .

وقد رتب أحد الشعراء مراحل الغواية بقوله :

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ١٨٠/٥٧

نظرة فابتسامة فسلام *** فكلام فموعد فلقاء

ولو تأملنا أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لوجدنا فيها نهي المرأة عن الاختلاط بالرجال في أماكن الصلاة ، فما سواها من الأماكن من باب أولى وأحرى ؟ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول ا صلى الله عليه وسلم : " خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها ، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها "(٥) .

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث : وإنما فُضِّل آخر صفوف النساء الحاضرات مع الرجال لبعدهن من مخالطة الرجال ورؤيتهم **وتعلق القلب** بهم عند رؤية حركاتهم وسماع كلامهم ونحو ذلك ، وذُم أول صفوفهن لعكس ذلك . انتهى .

وعن حمزة بن أبي أسيد الأنصاري عن أبيه ، أنه سمع رسول ا صلى الله عليه وسلم يقول وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق فقال رسول ا صلى الله عليه وسلم للنساء : استأخرن ! فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق (٦) . عليكن بحافات الطريق . فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به (٧) .

وعن هند بنت الحارث أن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كان رسول ا صلى الله عليه وسلم إذا سلم قام النساء حين يقضي تسليمه ومكث يسيرا قبل أن يقوم .

قال ابن شهاب : فأرى ، والله أعلم ، أن مكثه لكي ينفذ (أي يخرج) النساء قبل أن يدركهن من انصرف من القوم (٨).

وعن ابن عمر قال : قال رسول ا صلى الله عليه وسلم : لو تركنا هذا الباب للنساء . قال نافع : فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات (٩).

٦. إن اعتياد المرأة للخروج من المنزل سينشأ منه تدريجياً عدم اكتراث الزوج من خروج زوجته وتطبُّعه على ذلك ، لأن وجود السيارة مدعاة لكثرة الخروج كما أسلفنا ، وسيسأم الزوج من سؤال امرأته كلما خرجت أين خرجت ، وعند حصول عدم الاكتراث من الزوج فلا تسأل عن انفتاح أبواب الشر أمام المرأة .

٧. إن قيادة المرأة للسيارة ينشأ عنه غالبا اعتماد الرجل على زوجته في قضاء حاجيات البيت ؛ كتوصيل الأولاد إلى المدرسة وشراء الأغراض المنزلية ونحو ذلك ، بل ربما تطلب منها الأمر السفر إلى المدن المجاورة لاستكمال شراء الحاجيات الغير متوفرة في بلدها ، كما هو مشاهد في بعض المجتمعات ، وفي هذا من إرهاق المرأة بالواجبات المنزلية وتحميلها واجبات غيرها ما لا يخفى .

وهنا قد يقول قائل : إن المرأة في بيتها مدبرة لشؤون حياتها الزوجية ، ألا يستدعي هذا السماح لها بقيادة السيارة لقضاء حاجياتها المنزلية من الخارج ؟

فالجواب : إن هذا الاقتضاء غير صحيح ، فإن المرأة إن كانت ذات زوج ؛ فزوجها مسؤول عن تأمين حاجيات المنزل ، مباشرة ، أو عن طريق خادم يقوم بتلبية طلبات المنزل من خارجه ، قال تعالى ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ﴾ ، وإن لم تكن ذات زوج فأقاربها وجيرانها مسؤولون عن ذلك .

٨. أن في اعتماد الرجال على النساء في قضاء حاجيات البيت ضرر على الرجال أنفسهم ، من جهة أن في ذلك إذابة لشخصياتهم أمام الأولاد وأمام المرأة أيضا ، وعدم هيبتهم لهم ، ونقص الغَيرة والرجولة ، فينعدم جانب القدوة في البيت ،

إذ رب البيت ليس عنده صلابة وقوامة ، بخلاف ما لو كان الرجل هو القائم على شئون البيت الداخلية والخارجية ، فإنه سيكون له مكانة وهيبة ، وسينعكس ذلك إيجابيا على الانضباط في البيت ، والشعور بوجود الأب وعظيم مكانته ، والله المستعان .

٩. إن قيادة المرأة للسيارة وما يلحق ذلك من كثرة الخروج من المنزل يترتب عليه أيضا تفريط في حق البيت والأولاد بقدر ما تخرج ربته منه ، وبالتالي فلن يشعر الأولاد بأن لوالدتهم كبير دور أو عظيم مكانة بينهم ، لا سيما والتربية والحضانة أضحت في بيوت كثير من الموظفات من مهمات الخدم ، الذين غالبهم من الأعاجم الذين لا يحسنون تربية الأولاد ، وربما كانوا من النصارى أو الوثنيين ! فكيف إذا كان الخروج لغير حاجة ؟ فهنا تكون المصائب الثلاث :

الأولى : أن الأب لا يقوم بشؤون بيته ، والثانية أن الأم لا تقوم بشؤون منزلها ، والثالثة أن الأولاد بيد الخدم ، ومن ثم فلا تسأل عن حال البيت . والحق أن لزوم البيت هو الأولى لربته ، وأن العناية بشئون البيت هو الوظيفة الأساسية للمرأة المسلمة .". (١)

١٤٠-"وفي العام الأخير من حياته أصر على تأدية مناسك الحج على الرغم من كبر سنه ورقة عظمه ، وبدأ يجهز نفسه للرحلة على غير عادته في السنوات الماضية ، وكان يردد بين الحين والآخر : " اللهم أحسن خاتمتي ووقفني لأداء مناسك الحج مع إخواني المسلمين " .

واقترب موسم الحج ، وودع الشيخ عائلته وداعاً لم يعهدوه منه قبل ذلك ، وطلب منهم الدعاء له بحسن الخاتمة ، وقال : " قد لا أراكم مرة أخرى " ، وكرر هذا القول مراراً ..

وفي صعيد عرفات ، جلس الشيخ على كرسيه مستقبلاً القبلة ، ورافعاً يديه إلى السماء داعياً الله عز وجل بحسن الخاتمة ، والنصر للمسلمين ، وتوحيد شملهم . .

يقول ابنه الذي كان يرافقه ، لقد كان والدي جالساً على كرسيه أثناء الدعاء ، وفي الساعة السادسة وعشرين دقيقة عصراً ، وقبل أن ينفر الحجيج إلى مزدلفة ، اقتربت منه لكي آخذه إلى الحافلة المعدة لنقلنا إلى مزدلفة ، فإذا به قد فارق الحياة على تلك الحال ، في صعيد عرفات الطيب ، فقد استجاب الله دعاءه ، وختم له بخاتمة السعادة إن شاء الله تعالى .. فهنيئاً له هذه الخاتمة الطيبة .

(فصل) في أسباب سوء الخاتمة (أعاذنا اللهُ منها)

اعلم أيها الموفق – إن شاء الله – أن سوء الخاتمة لا يكون لمن صلح ظاهره وباطنه مع الله ، وصدق في أقواله وأفعاله ؛ فإن هذا لم يُسمع به ، وإنما يقع سوء الخاتمة لمن فسد باطنه اعتقاداً ، وظاهره عملاً ، ولمن له جرأة على الكبائر ، وإقدام على الجرائم ، فربما غلب ذلك عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة النصوح .

ثم اعلم أن لسوء الخاتمة أسباباً كثيرة من أهمها ما يلي :

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٥٨/٢٧٦

أولاً : الشرك بالله عز وجل .. وحقيقته **تعلق القلب** بغير الله حباً وخوفاً ورجاءً ودعاءً وتوكلاً وإنابةً ... الخ .
ثانياً : الابتداع في الدين ... وهو اختراع ما لم يأذن به الله ولا رسول صلى الله عليه وسلم فأهل البدع لا يوفقون لحسن الخاتمة ، لا سيما من قامت عليه الحجة فأصر على بدعته ، نعوذ بالله من الخذلان .
ثالثاً : الإصرار على المعاصي تهاوناً بها واستصغاراً لشأنها لا سيما الكبائر فإنها تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له فيجتمع عليه مع ضعف الإيمان فيقع في سوء الخاتمة .
رابعاً الاستهزاء بالدين وأهله من العلماء والدعاة والصالحين ، وبسط الأيدي والألسن إليهم بالسوء والأذى .
خامساً : الغفلة عن الله والأمن من مكره . قال تعالى " (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون " [الأعراف : ٩٩] .
سادساً : الظلم .. فالظلم مرتعه وخيم ، والظلمة من أولى الناس بسوء الخاتمة عياذاً بالله . قال تعالى : (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) [الأنعام : ١٤٤] .
سابعاً : مصاحبة الأشرار ، قال تعالى (يوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتى ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني) [الفرقان : ٢٧- ٢٩] .
ثامناً : العُجب .. وحقيقته إعجاب العامل بعمله مع احتقار أعمال الآخرين والتعالي عليهم ، وهو داء يخاف منه على الصالحين ، وبه تحبط الأعمال وتقع سوء الخاتمة .
هذه بعض الأسباب الموقعة في سوء الخاتمة ، وهي أصول الشر ومنابته ، فينبغي لكل عاقل موفق أن يحذرها ويتجنبها حذراً من سوء الخاتمة .

(فصل)

في علامات حسن الخاتمة

علامات حسن الخاتمة كثيرة ، أذكر منها :
١ . النطق بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله) عند الموت .قا صلى الله عليه وسلم : " من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة " (٤٢)
٢ . الموت ليلة الجمعة ، أو نهارها ، قا صلى الله عليه وسلم : " ما من مسلم يموت يوم الجمعة ، أو ليلة الجمعة ، إلا وقاه الله تعالى فتنة القبرة " (٤٣) .
٣ . الموت بعرق الجبين ، قا صلى الله عليه وسلم : " المؤمن يموت بعرق الجبين " (٤٤)
٤ . الموت بمرض من الأمراض الوبائية مع الصبر والاحتساب ، كالطاعون والسل وذات الجنب ونحو ذلك .
٥ . موت المرأة في نفاسها سبب ولدها ، قا صلى الله عليه وسلم : " والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة يجرها ولدها بسرره إلى الجنة " (٤٥) .
٦ . الرائحة الطيبة الزكية ، وهي رائحة تنبعث من جسد الميت بعد موته يجدها من حوله ، وهي كثيراً ما تنبعث من أجساد الشهداء ، لا سيما شهداء المعارك .

٧. الثناء الحسن بعد الموت ، وقد مر صلى الله عليه وسلم بجنازة ، فأثنوا عليها خيراً ، فقال رسولُ ا صلى الله عليه وسلم : " وجبت " (أي الجنة) ، ثم قال : " أنتم شهداء الله في الأرض " (٤٦)

٨. رؤية ما يسر النفس عند خروج الروح ، كمن يرى طيوراً بيضاء جميلة وبساتين خضراء ومناظر خلابة لا يراها من حوله ، وقد حصل هذا لبعض الصالحين فكانوا يصفون ما يرونه لحظة احتضارهم وهم في سعادة غامرة ، والذين من حولهم في غاية الدهشة والذهول

==============". (١)

١٤١-"الثامن : أن من مقاصد الشريعة المعلومة بالأدلة سد أبواب انصراف القلوب لغير الله تعالى ومنع تعلقها بغيره، فلا يرجى إلا الله ولا يتعلق إلا به ولا يتوكل إلا عليه، وهذه المعلقات لابد أن تنصرف شعبة من **تعلق القلب** لها حتى وإن كانت من القرآن، فسداً لذريعة انصراف القلوب وتعلقها بغير الله تعالى نقول بمنع التمائم من القرآن .

التاسع : أن المتقرر في القواعد أن كل فعل توفر سببه على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يفعله فالمشروع تركه، والقرآن كان موجوداً في عهده - صلى الله عليه وسلم - وكانت تعتريهم الأدواء ولم يثبت أنه - صلى الله عليه وسلم - اتخذ شيئاً من ذلك أو أمر به أو أقر على فعله، مع توفر الأسباب والدواعي، فلما كانت الأسباب متوفرة والموانع منفية ولم يثبت فعله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فهذا يدل على أن المشروع تركه وهذا واضح .". (٢)

١٤٢-"وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إسْرَائِيلَ ﴾ . وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ : ﴿ لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا : عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ﴾ . وَقَدْ نَعَتَهُ اللَّهُ " بِالْعُبُودِيَّةِ " فِي أَكْمَلِ أَحْوَالِهِ فَقَالَ فِي الْإِسْرَاءِ : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ وَقَالَ فِي الْإِيحَاءِ : ﴿ فَأَوْحَى إلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ وَقَالَ فِي الدَّعْوَةِ : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ وَقَالَ فِي التَّحَدِّي : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ فَالدِّينُ كُلُّهُ دَاخِلٌ فِي الْعِبَادَةِ . وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ : ﴿ أَنَّ جِبْرِيلَ لَمَّا جَاءَ إلَى النَّبِيِّ فِي صُورَةِ أَعْرَابِيٍّ وَسَأَلَهُ عَنْ الْإِسْلَامِ قَالَ : أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إنْ اسْتَطَعْت إلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ : فَمَا الْإِيمَانُ ؟ قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاَللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ قَالَ : فَمَا الْإِحْسَانُ ؟ قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّك تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاك ﴾ ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ : ﴿ هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ ﴾ فَجَعَلَ هَذَا كُلَّهُ مِنْ الدِّينِ . " وَالدِّينُ " يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْخُضُوعِ وَالذُّلِّ . يُقَالُ : دِنْته فَدَانَ ، أَيْ : ذَلَّلْتُهُ فَذَلَّ ، وَيُقَالُ يَدِينُ اللَّهَ ؛ وَيَدِينُ لِلَّهِ أَيْ : يَعْبُدُ اللَّهَ وَيُطِيعُهُ وَيَخْضَعُ لَهُ ، فَدِينُ اللَّهِ عِبَادَتُهُ وَطَاعَتُهُ وَالْخُضُوعُ لَهُ . " وَالْعِبَادَةُ " أَصْلُ مَعْنَاهَا الذُّلُّ ، أَيْضًا ، يُقَالُ : طَرِيقٌ مُعَبَّدٌ إذَا كَانَ مُذَلَّلًا ، قَدْ وَطِئَتْهُ الْأَقْدَامُ . لَكِنَّ الْعِبَادَةَ الْمَأْمُورَ بِهَا تَتَضَمَّنُ مَعْنَى الذُّلِّ وَمَعْنَى الْحُبِّ ، فَهِيَ تَتَضَمَّنُ غَايَةَ الذُّلِّ لِلَّهِ بِغَايَةِ الْمَحَبَّةِ لَهُ ، فَإِنَّ

---

(١) موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة ١ - ٢٩ ٨٨/٦٨

(٢) نصر الشرعة بقمع البدعة رسالة في شرح قاعدة: (كل إحداث في الدين فهو رد) ١٠٥/٢

آخِرَ مَرَاتِبِ الْحُبِّ هُوَ التَّتَيُّمُ ، وَأَوَّلُهُ " الْعَلَاقَةُ " لِتَعَلُّقِ الْقَلْبِ بِالْمَحْبُوبِ ، ثُمَّ " الصَّبَابَةُ " لِانْصِبَابِ الْقَلْبِ إلَيْهِ ، ثُمَّ " الْغَرَامُ " وَهُوَ الْحُبُّ اللَّازِمُ لِلْقَلْبِ ثُمَّ " الْعِشْقُ " وَآخِرُهَا التَّتَيُّمُ " يُقَالُ : تَيْمُ اللَّهِ أَيْ : عَبْدُ اللَّهِ . فَالْمُتَيَّمُ الْمُعَبَّدُ لِمَحْبُوبِهِ . وَمَنْ خَضَعَ لِإِنْسَانٍ مَعَ بُغْضِهِ لَهُ لَا يَكُونُ عَابِدًا لَهُ ، وَلَوْ أَحَبَّ شَيْئًا وَلَمْ يَخْضَعْ لَهُ لَمْ يَكُنْ عَابِدًا لَهُ ، كَمَا قَدْ يُحِبُّ وَلَدَهُ وَصَدِيقَهُ ، وَلِهَذَا لَا يَكْفِي أَحَدُهُمَا فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اللهُ أَحَبَّ إلَى الْعَبْدِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ أَعْظَمَ عِنْدَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، بَلْ لَا يَسْتَحِقُّ الْمَحَبَّةَ وَالذُّلَّ التَّامَّ إلَّا اللَّهُ . وَكُلُّ مَا أُحِبَّ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَحَبَّتُهُ فَاسِدَةٌ ، وَمَا عُظِّمَ بِغَيْرِ أَمْرِ اللَّهِ كَانَ تَعْظِيمُهُ بَاطِلًا ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ إنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ . فَجِنْسُ الْمَحَبَّةِ تَكُونُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، كَالطَّاعَةِ ؛ فَإِنَّ الطَّاعَةَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْإِرْضَاءَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ : ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾ وَالْإِيتَاءَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ . وَأَمَّا " الْعِبَادَةُ " وَمَا يُنَاسِبُهَا مِنْ التَّوَكُّلِ ؛ وَالْخَوْفِ ؛ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَلَا يَكُونُ إلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾ إلَى قَوْلِهِ : ﴿ فَإِنْ". (١)

١٤٣-"قَوِيَتْ عُبُودِيَّتُهُ لَهُ وَحُرِّيَّتُهُ مِمَّا سِوَاهُ ؛ فَكَمَا أَنَّ طَمَعَهُ فِي الْمَخْلُوقِ يُوجِبُ عُبُودِيَّتَهُ لَهُ فَيَأْسُهُ مِنْهُ يُوجِبُ غِنَى قَلْبِهِ عَنْهُ . كَمَا قِيلَ : اسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْت تَكُنْ نَظِيرَهُ ، وَافْضُلْ عَلَى مَنْ شِئْت تَكُنْ أَمِيرَهُ ؛ وَاحْتَجْ إلَى مَنْ شِئْت تَكُنْ أَسِيرَهُ . فَكَذَلِكَ طَمَعُ الْعَبْدِ فِي رَبِّهِ وَرَجَاؤُهُ لَهُ يُوجِبُ عُبُودِيَّتَهُ لَهُ : وَإِعْرَاضُ قَلْبِهِ عَنْ الطَّلَبِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ وَالرَّجَاءِ لَهُ يُوجِبُ انْصِرَافَ قَلْبِهِ عَنْ الْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ ؛ لَا سِيَّمَا مَنْ كَانَ يَرْجُو الْمَخْلُوقَ وَلَا يَرْجُو الْخَالِقَ ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ قَلْبُهُ مُعْتَمِدًا إمَّا عَلَى رِئَاسَتِهِ وَجُنُودِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَمَمَالِيكِهِ ؛ وَإِمَّا عَلَى أَهْلِهِ وَأَصْدِقَائِهِ ؛ وَإِمَّا عَلَى أَمْوَالِهِ وَذَخَائِرِهِ ؛ وَإِمَّا عَلَى سَادَاتِهِ وَكُبَرَائِهِ ؛ كَمَالِكِهِ وَمِلْكِهِ ؛ وَشَيْخِهِ وَمَخْدُومِهِ وَغَيْرِهِمْ ؛ مِمَّنْ هُوَ قَدْ مَاتَ أَوْ يَمُوتُ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾ . وَكُلُّ مَنْ عَلَّقَ قَلْبَهُ بِالْمَخْلُوقَاتِ أَنْ يَنْصُرُوهُ ، أَوْ يَرْزُقُوهُ ، أَوْ أَنْ يَهْدُوهُ خَضَعَ قَلْبُهُ لَهُمْ ؛ وَصَارَ فِيهِ مِنْ الْعُبُودِيَّةِ لَهُمْ بِقَدْرِ ذَلِكَ ؛ وَإِنْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ أَمِيرًا لَهُمْ مُدَبِّرًا لَهُمْ مُتَصَرِّفًا بِهِمْ ؛ فَالْعَاقِلُ يَنْظُرُ إلَى الْحَقَائِقِ لَا إلَى الظَّوَاهِرِ ؛ فَالرَّجُلُ إذَا تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِامْرَأَةٍ وَلَوْ كَانَتْ مُبَاحَةً لَهُ يَبْقَى قَلْبُهُ أَسِيرًا لَهَا تَحْكُمُ فِيهِ وَتَتَصَرَّفُ بِمَا تُرِيدُ ؛ وَهُوَ فِي الظَّاهِرِ سَيِّدُهَا لِأَنَّهُ زَوْجُهَا . وَفِي الْحَقِيقَةِ هُوَ أَسِيرُهَا وَمَمْلُوكُهَا لَا سِيَّمَا إذَا دَرَتْ بِفَقْرِهِ إلَيْهَا ، وَعِشْقِهِ لَهَا ؛ وَأَنَّهُ لَا يَعْتَاضُ عَنْهَا بِغَيْرِهَا ؛ فَإِنَّهَا حِينَئِذٍ تَحْكُمُ فِيهِ بِحُكْمِ السَّيِّدِ الْقَاهِرِ الظَّالِمِ فِي عَبْدِهِ الْمَقْهُورِ ؛ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْخَلَاصَ مِنْهُ بَلْ أَعْظَمُ . فَإِنَّ أَسْرَ الْقَلْبِ أَعْظَمُ مِنْ أَسْرِ الْبَدَنِ ، وَاسْتِعْبَادَ الْقَلْبِ أَعْظَمُ مِنْ اسْتِعْبَادِ الْبَدَنِ ، فَإِنَّ مَنْ اسْتَعْبَدَ بَدَنَهُ وَاسْتَرَقَّ لَا يُبَالِي إذَا كَانَ قَلْبُهُ مُسْتَرِيحًا مِنْ ذَلِكَ مُطْمَئِنًّا ، بَلْ يُمْكِنُهُ الِاحْتِيَالُ فِي الْخَلَاصِ ، وَأَمَّا إذَا كَانَ الْقَلْبُ الَّذِي هُوَ الْمِلْكُ رَقِيقًا مُسْتَعْبَدًا مُتَيَّمًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَهَذَا هُوَ الذُّلُّ وَالْأَسْرُ الْمَحْضُ ، وَالْعُبُودِيَّةُ لِمَا اسْتَعْبَدَ الْقَلْبُ . وَعُبُودِيَّةُ الْقَلْبِ وَأَسْرُهُ هِيَ الَّتِي يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ ، فَإِنَّ الْمُسْلِمَ لَوْ أَسَرَهُ كَافِرٌ ؛ أَوْ اسْتَرَقَّهُ فَاجِرٌ بِغَيْرِ حَقٍّ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ إذَا كَانَ قَائِمًا بِمَا يَقْدِرُ

(١) هل تخلى الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟ ص/١٥٦

عَلَيْهِ مِنْ الْوَاجِبَاتِ ، وَمَنْ اسْتَعْبَدَ بِحَقٍّ إذَا أَدَّى حَقَّ اللَّهِ وَحَقَّ مَوَالِيهِ لَهُ أَجْرَانِ ، وَلَوْ أُكْرِهَ عَلَى التَّكَلُّمِ بِالْكُفْرِ فَتَكَلَّمَ بِهِ وَقَلْبُهُ مُطَمْئِنٌ بِالْإِيمَانِ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ وَأَمَّا مَنْ اسْتَعْبَدَ قَلْبَهُ فَصَارَ عَبْدًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَهَذَا يَضُرُّهُ ذَلِكَ ، وَلَوْ كَانَ فِي الظَّاهِرِ مَلِكَ النَّاسِ . فَالْحُرِّيَّةُ حُرِّيَّةُ الْقَلْبِ ، وَالْعُبُودِيَّةُ عُبُودِيَّةُ الْقَلْبِ ، كَمَا أَنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ ، قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ ، وَإِنَّمَا الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ ﴾ . وَهَذَا لَعَمْرِي إذَا كَانَ قَدْ اسْتَعْبَدَ قَلْبَهُ صُورَةٌ مُبَاحَةٌ ، فَأَمَّا مَنْ اسْتَعْبَدَ قَلْبَهُ صُورَةٌ مُحَرَّمَةٌ : امْرَأَةٌ أَوْ صَبِيٌّ ، فَهَذَا هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي لَا يُدَانُ فِيهِ . وَهَؤُلَاءِ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ عَذَابًا وَأَقَلِّهِمْ ثَوَابًا ، فَإِنَّ الْعَاشِقَ لِصُورَةٍ إذَا بَقِيَ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقًا بِهَا ، مُسْتَعْبَدًا لَهُ اجْتَمَعَ لَهُ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ مَا لَا يُحْصِيهِ إلَّا رَبُّ الْعِبَادِ ، وَلَوْ سَلِمَ مِنْ فِعْلِ الْفَاحِشَةِ الْكُبْرَى ، فَدَوَامُ **تَعَلُّقِ الْقَلْبِ** بِهَا بِلَا فِعْلِ الْفَاحِشَةِ أَشَدُّ ضَرَرًا عَلَيْهِ ، مِمَّنْ يَفْعَلُ ذَنْبًا ثُمَّ يَتُوبُ مِنْهُ وَيَزُولُ أَثَرُهُ مِنْ قَلْبِهِ ،". (١)

١٤٤-"وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّالِثُ : مِمَّا قَدْ يُسَمَّى فَنَاءً : فَهُوَ أَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا مَوْجُودَ إلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ وُجُودَ الْخَالِقِ هُوَ وُجُودُ الْمَخْلُوقِ ، فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الرَّبِّ وَالْعَبْدِ فَهَذَا فَنَاءُ أَهْلِ الضَّلَالِ وَالْإِلْحَادِ الْوَاقِعِينَ فِي الْحُلُولِ وَالِاتِّحَادِ . وَالْمَشَايِخُ الْمُسْتَقِيمُونَ إذَا قَالَ أَحَدُهُمْ : مَا أَرَى غَيْرَ اللَّهِ ، أَوْ لَا أَنْظُرُ إلَى غَيْرِ اللَّهِ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ فَمُرَادُهُمْ بِذَلِكَ مَا أَرَى رَبًّا غَيْرَهُ ، وَلَا خَالِقًا غَيْرَهُ وَلَا مُدَبِّرًا غَيْرَهُ ، وَلَا إلَهًا غَيْرَهُ وَلَا أَنْظُرُ إلَى غَيْرِهِ مَحَبَّةً لَهُ أَوْ خَوْفًا مِنْهُ أَوْ رَجَاءً لَهُ ، فَإِنَّ الْعَيْنَ تَنْظُرُ إلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْقَلْبُ ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَوْ رَجَاهُ أَوْ خَافَهُ الْتَفَتَ إلَيْهِ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِي الْقَلْبِ مَحَبَّةٌ لَهُ وَلَا رَجَاءٌ لَهُ وَلَا خَوْفٌ مِنْهُ وَلَا بُغْضٌ لَهُ وَلَا غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ **تَعَلُّقِ الْقَلْبِ** لَهُ لَمْ يَقْصِدْ الْقَلْبُ أَنْ يَلْتَفِتَ إلَيْهِ وَلَا أَنْ يَنْظُرَ إلَيْهِ وَلَا أَنْ يَرَاهُ وَإِنْ رَآهُ اتِّفَاقًا رُؤْيَةً مُجَرَّدَةً كَانَ كَمَا لَوْ رَأَى حَائِطًا وَنَحْوَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ تَعَلُّقٌ بِهِ . وَالْمَشَايِخُ الصَّالِحُونَ - رضي الله عنهم - يَذْكُرُونَ شَيْئًا مِنْ تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ وَتَحْقِيقِ إخْلَاصِ الدِّينِ كُلِّهِ بِحَيْثُ لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُلْتَفِتًا إلَى غَيْرِ اللَّهِ وَلَا نَاظِرًا إلَى مَا سِوَاهُ : لَا حُبًّا لَهُ ، وَلَا خَوْفًا مِنْهُ ، وَلَا رَجَاءً لَهُ بَلْ يَكُونُ الْقَلْبُ فَارِغًا مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ خَالِيًا مِنْهَا لَا يَنْظُرُ إلَيْهَا إلَّا بِنُورِ اللَّهِ ، فَبِالْحَقِّ يَسْمَعُ وَبِالْحَقِّ يُبْصِرُ وَبِالْحَقِّ يَبْطِشُ وَبِالْحَقِّ يَمْشِي ، فَيُحِبُّ مِنْهَا مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ ، وَيَبْغُضُ مِنْهَا مَا يَبْغُضُهُ اللَّهُ ، وَيُوَالِي مِنْهَا مَا وَالَاهُ اللَّهُ ، وَيُعَادِي مِنْهَا مَا عَادَاهُ اللَّهُ ، وَيَخَافُ اللَّهَ فِيهَا وَلَا يَخَافُهَا فِي اللَّهِ ، وَيَرْجُو اللَّهَ فِيهَا وَلَا يَرْجُوهَا فِي اللَّهِ ، فَهَذَا هُوَ الْقَلْبُ السَّلِيمُ الْحَنِيفُ الْمُوَحِّدُ الْمُسْلِمُ الْمُؤْمِنُ الْعَارِفُ الْمُحَقِّقُ الْمُوَحِّدُ بِمَعْرِفَةِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ ، وَبِحَقِيقَتِهِمْ وَتَوْحِيدِهِمْ . وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّالِثُ : وَهُوَ الْفَنَاءُ فِي الْمَوْجُودِ : فَهُوَ تَحْقِيقُ آلِ فِرْعَوْنَ وَمَعْرِفَتُهُمْ وَتَوْحِيدُهُمْ كَالْقَرَامِطَةِ وَأَمْثَالِهِمْ . وَهَذَا النَّوْعُ الَّذِي عَلَيْهِ اتِّبَاعُ الْأَنْبِيَاءِ هُوَ " الْفَنَاءُ الْمَحْمُودُ " الَّذِي يَكُونُ صَاحِبُهُ بِهِ مِمَّنْ أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ ، وَحِزْبِهِ الْمُفْلِحِينَ ، وَجُنْدِهِ الْغَالِبِينَ . وَلَيْسَ مُرَادُ الْمَشَايِخِ وَالصَّالِحِينَ بِهَذَا الْقَوْلِ أَنَّ الَّذِي أَرَاهُ بِعَيْنِي مِنْ الْمَخْلُوقَاتِ هُوَ رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَقُولُهُ إلَّا مَنْ هُوَ فِي غَايَةِ الضَّلَالِ وَالْفَسَادِ ؟ إمَّا فَسَادُ الْعَقْلِ ؛ وَإِمَّا فَسَادُ الِاعْتِقَادِ . فَهُوَ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الْجُنُونِ وَالْإِلْحَادِ . وَكُلُّ الْمَشَايِخِ الَّذِينَ يُقْتَدَى بِهِمْ فِي الدِّينِ مُتَّفِقُونَ عَلَى مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ وَأَئِمَّتُهَا مِنْ أَنَّ الْخَالِقَ سُبْحَانَهُ مُبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقَاتِ ، وَلَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَأَنَّهُ يَجِبُ إفْرَادُ الْقَدِيمِ عَنْ الْحَادِثِ ؛

---

(١) هل تخلى الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟ ص/١٧١

وَتَمْيِيزُ الْخَالِقِ عَنْ الْمَخْلُوقِ . وَهَذَا فِي كَلَامِهِمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُمْكِنَ ذِكْرُهُ هُنَا . وَهُمْ قَدْ تَكَلَّمُوا عَلَى مَا يَعْرِضُ لِلْقُلُوبِ مِنْ الْأَمْرَاضِ وَالشُّبُهَاتِ ؛ وَأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ يَشْهَدُ وُجُودَ الْمَخْلُوقَاتِ فَيَظُنُّهُ خَالِقَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ لِعَدَمِ التَّمْيِيزِ وَالْفُرْقَانِ فِي قَلْبِهِ : بِمَنْزِلَةِ مَنْ رَأَى شُعَاعَ الشَّمْسِ فَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الشَّمْسُ الَّتِي فِي السَّمَاءِ . وَهُمْ قَدْ يَتَكَلَّمُونَ فِي " الْفَرْقِ وَالْجَمْعِ " وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مِنْ الْعِبَارَاتِ الْمُتْلِفَةِ نَظِيرُ مَا دَخَلَ فِي الْفَنَاءِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إذَا شَهِدَ التَّفْرِقَةَ وَالْكَثْرَةَ فِي الْمَخْلُوقَاتِ يَبْقَى قَلْبُهُ مُتَعَلِّقًا بِهَا ،". (١)

١٤٥-"الغاية في حاجات الذات الحسية من مأكل ومشرب ومسكن ومركب .. الخ ، ومع أن
الترف قائم على الغنى ومبني عليه إلا أنه ليس بلازم له ، فكم من غني وهو بخيل، يعيش هو وأهله عيشة البؤساء والمعوزين ، وكم من فقير حرص على توفير النعم
وتحصيل ملذات الحياة وشهواتها من أي سبيل ! !
موقف الإسلام من الترف :
ورد ذكر الترف في القرآن الكريم في ثمانية مواضع كلها في موضع الذم له والتحذير منه ، كما ورد العديد من الأحاديث النبوية التي ينهى بعضها عن الترف جملة وتحذر من تعلُّق القلب به ، وغلو الإنسان في الانغماس في متع الحياة وملذاتها، وبعضها الآخر ينهى عن مظهر من مظاهر الترف ، ويحث على تركه والانصراف عنه إلى ما هو خير في الدارين .
فمن الآيات : قوله (تعالى) : وإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً الإسراء : ١٦] ، وقوله (تعالى) : حَتَّى إذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إذَا هُمْ يَجْأَرُونَ [المؤمنون : ٦٤] ، وقوله (سبحانه) : وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إنَّا وجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ [الزخرف : ٢٣]
.

ومن الأحاديث ما رواه عمرو بن عوف أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال (فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم) [٣] ، وما رواه عبد الله بن عمرو أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : (كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة) [٤] .
ودعوة الإسلام إلى ترك الترف ، ومحاربته له ، لا تعني ترك النعم والملذات، وإنما المراد الاقتصاد في الإنفاق وعدم تعلق القلب بها والركون إليها ، وإلا فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- الذي حذر من الترف وأحوال المترفين قد قال : (إن الله جميل يحب الجمال ، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس) [٥] وقال -صلى الله عليه وسلم- لوالد أبي الأحوص : (فإذا آتاك الله
مالاً فليُرَ أثر نعمة الله عليك وكرامته) [٦] ، وقد كان من دعائه -صلى الله عليه وسلم- : (اللهم أصلح لي دنياي التي

(١) هل تخلى الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟ ص/١٨٩

فيها معاشي ، وأصلح لي آخرتي التي فيها معادي) [٧] .
وأما قوله –صلى الله عليه وسلم– لأصحابه عندما ذكروا عنده الدنيا : (ألا تسمعون ، ألا تسمعون : إن البذاذة من الإيمان ، إن البذاذة من الإيمان !) [٨] ، فالمراد به : التواضع في اللباس وترك التبجح به [٩] ، وعدم غلو الشخص في الاهتمام بمظهره حتى يشار إليه بالبنان .
مظاهرات الترف :
للترف مظاهر كثير ، من أبرزها ما يلي :
* الإفراط في تناول الطعام والشراب وتوفير متطلبات النفس مما لذ وطاب ، مما جعل الجم الغفير من الناس – دعاة وغيرهم – يعانون بسبب ذلك من السمنة وكثيرٍ من الأمراض الناشئة عن التخمة .
* جعل المال في الملابس الراقية ، والاكتفاء بلبس الجديد والفاخر ، حتى كثرت بسبب ذلك الملابس غير المستخدمة في المنازل ، وتكدست مع وجود تنوع في الاستعمال حسب تعدد فصول العام ، واختلاف أوقات اليوم ، ويبرز الترف في هذا الجانب لدى النساء .
* صرف الأموال الكثيرة في السيارات والحرص على ضخامتها وتعددها حسب أحجامها وأنواعها ، وتسليم بعضها لمراهقين يستخدمونها – غالباً – في غير ما وضعت له .
* صرف الأموال الضخمة في بناء المنازل والدور ، والتباهي في إعدادها وتصاميمها البديعة في الشكل الخارجي والداخلي ، مع الحرص على تعدد مواقعها فبعضها للشتاء والآخر للصيف ، وبعضها للسكن وبعضها للنزهة ، ومع الحرص على سعتها وكثرة غرفها ووجود ملحقات لها ووفرة وسائل الترفيه فيها مع أن الذي يكفي الإنسان من ذلك الشيء القليل .
* نعومة الأجساد وطراوتها وترهل الأطراف ونعومتها والتهاون أثناء أداء الأعمال مما أدى إلى أمراض حديثة ولدتها هذه الظواهر .
* الاستكثار من وسائل الزينة والاعتناء الزائد بالنفس ، والإفراط في التدهن والتطيب والترجيل للشعر ، ونحو ذلك من أمور الناس حتى إن بعضهم ليزيد إنفاقه على زينته وبعض مظاهر الترف الأخرى على دخله ، مما يضطره إلى الاقتراض أو إلى تعاطي أمور أخرى لا تحمد عقباها .
* جعل المال في الفرش الوثيرة والأواني الفاخرة والمتاع الراقي ، أو الإكثار من ذلك – وإن لم يكن الشيء غالي الثمن – كثرة تقصر معها أيام العمر وتأبى أن تتسع للعبد لكي ينتفع بها ويستخدمها .
* عدم قيام الإنسان بحاجاته الذاتية والاجتماعية التي يتمكن من القيام بها والمجيء بالخدم رجالاً ونساء ، لكي يقوموا بذلك من غير حاجة وإنما رغبة منه في ترفيه نفسه وتقديم الراحة لأهله وأولاده ، وحباً منه في التفاخر والتباهي والظهور بمظهر المتميز أمام بقية أفراد المجتمع .". (١)

(١) هل تخلى الله عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم؟ ص/٢٦٩

"ذلك بقوله: " إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ".

وبيّن له أيضاً: أن تحقيق التوحيد لا يحصل إلا **بتعلق القلب** بالله، وكمال التوكل عليه، وعدم الالتفات إلى غيره، واليأس من جميع الخلق، وقطع الطمع في حصول النفع أو دفع الضر منهم، فقال: " واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك، ما نفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ".

والسر في ذلك أن من كمل اعتقاده بأن كل ما يرجوه من خير في الدنيا والآخرة فهو بيد الله وحده، وكل ما يخافه من الشر في الدنيا والآخرة فلا يقع إلا بأمر الله وحده، فإنه عندئذ يكمل تعلُّق قلبه بربه، ويتوكل عليه، ولا يقصد إلا هو بالسؤال والاستعانة وسائر العبادات.

ثم بعد ذلك نبهه إلى أمر آخر لا يستقيم الأمر الثاني –تحقيق التوحيد بكمال **تعلق القلب** بالله والتوكل عليه– إلا به، هذا الأمر هو الإيمان بالقدر.

قال ابن رجب –رحمه الله–: "واعلم أن مدار جميع هذه الوصية على هذا الأصل، وما ذكر قبله وبعده فهو متفرع عليه، وراجع إليه، فإن العبد إذا علم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير أو شر، ونفع وضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، عَلِم حينئذٍ أن الله وحده هو الضار النافع، المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل، وإفراده بالطاعة، وحفظ حدوده، ... فمن يعلم أنه." (١)

"لا ينفع ولا يضر، ولا يعطي ولا يمنع غير الله أوجب له ذلك إفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال، والتضرع والدعاء، وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعاً، وأن يتقي سخطه ولو كان فيه سخط الخلق جميعاً ... "١.

فالإيمان بالقدر باعث على التوكل، **وتعلق القلب** بالله، والتوكل على الله، وكمال **تعلق القلب** به هو أساس التوحيد، والتوحيد بإخلاص العبادة لله، وصدق الالتجاء إليه هو أساس العبودية، والركن الأهم في طريق الولاية.

ومن ذلك ما تضمنته قصة أصحاب الغار من أهمية إخلاص العبادة في استجلاب ولاية الله، ومعونته ونصره لعباده عند الشدائد، هذه القصة رواها عبد الله بن عمر٢ –رضي الله عنهما– قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم:

---

١ جامع العلوم والحكم ص١٨٣.

٢ الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب الهاشمي، القرشي، أسلم وهو صغير وهاجر مع أبيه، وهو ممن بايع تحت الشجرة، وأحد فقهاء الصحابة توفي سنة ٧٣هـ.

انظر: سير أعلام النبلاء ٢٠٣/٣، وتهذيب التهذيب ٣٢٨/٥.." (٢)

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٢٤٣/١

(٢) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٢٤٤/١

"ويطفئ نار الشهوة ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١، ٢٠٢] .

أما الذين كفروا فإن الله يتخلى عنهم ويخذلهم، فتتلقفهم طواغيت الجن والإنس يتلاعبون بعقولهم وقلوبهم، ويركسونهم في الباطل، ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٢] .

قال الشيخ محمد رشيد رضا[1] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة:٢٥٧] .

"أي لا سلطان على نفوسهم إلا لتلك المعبودات الباطلة، السائقة إلى الطغيان، فإذا كان الطاغوت من الأحياء الناطقة، ورأى أن عابديه قد لاح لهم شعاع من نور الحق الذي ينبههم إلى فساد ما هم فيه، بادر إلى إطفائه، بل إلى صرفهم عنه بما يلقيه من حُجب الشبهات، وأستار زخارف الأقوال التي تقبل منه لأجل الاعتقاد أو بنفس الاعتقاد[2]، وإذا

---

١ محمد رشيد علي رضا القلموني –البغدادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة المنار، نشأ في القلمون من أعمال طرابلس الشام، ثم رحل إلى مصر سنة١٣١٥هـ، ألف: الوحي المحمدي، وتفسير القرآن وغيرها، توفي سنة ١٣٥٤هـ.
انظر: الأعلام ٦/١٢٦، ومعجم المؤلفين ٩/٣١٠.

٢ ليس بين قوله:"لأجل الاعتقاد" أو "بنفس الاعتقاد" فرق كبير، والذي يظهر لي –والله أعلم– أن مراده بقوله:"لأجل الاعتقاد" أي من أجل اعتقادهم بصحة ما يدعيه هذا الطاغوت من استحقاقه للعبادة بأي شكل من أشكالها، وما يتبع ذلك من محبته وتعلق القلب به، فإنهم يقبلون ما يقوله.
وقوله:"بنفس الاعتقاد" أي أنهم يعتقدون فيه العصمة، وأنه لا ينطق إلا بالحق–وكثيراً ما يدعي الطواغيت ذلك– فهذا الاعتقاد يجعلهم يقبلون ما يقوله، ويسلمون به.." (١)

"فهذه العاطفة الفاسدة –حب الشهوات– إذا قامت في القلب، فإن صاحبها يتهاوى في نوادي الفساد، ويقوده شياطين الإنس والجن كيفما أرادوا، ويلبسون عليه دينه.. وقد يستخدمونه لأغراضهم في نشر الأفكار المنحرفة، والمبادئ الملحدة، فكم استخدموا النساء الساقطات ومن تشبه بهن في هذا الغرض، وما ذاك إلا لأنهن حبائل الشيطان، ومعاقل الفساد، فهن أعظم طعم استعمله المفسدون وأقدمه.

فإذا وجدت الفتنة وتيسرت أسبابها ودُعي إليها، ووافقت فتنة في القلب، كان التجاوب إليها سريعاً، بين ذلك ربنا بقوله: ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ [الأحزاب:٣٢] .

ولا سبيل إلى استئصال هذا الداء إلا بالإيمان بالله، والعمل الصالح الذي يوجب ولاية الله ورحمته، فيخلص برحمته القلب من دائه، كما سيأتي إن شاء الله.

ومن العواطف الفاسدة: شهوة شرب الخمر والمسكرات والمخدرات.

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ١/٢٥٩

إن شرب الخمر والمخدر كغيره من المعاصي، قد يزاولها الإنسان دون **تعلق القلب**، بل حتى دون أي شهوة في أول الأمر، كأن يشرب مجاملة لرفاقه، أو بدافع الاستطلاع، لكن سرعان ما يألف القلب هذه القاذورات مع تكرار التعاطي حتى يحبها ويتعلق بها، فتقوم في قلبه عاطفة." (١)

"للمال، **وتعلق القلب** به، والحرص الشديد على جمعه، والمحافظة عليه، فيصبح القلب عابداً للمال متوكلاً عليه، فلا يهون عليه إنفاقه. وقد جعل الله أسباباً لإزالة هذا الداء من القلب، هذه الأسباب تتمثل في بعض شعب الإيمان التي لها أثر عظيم في تطهير القلب من هذا المرض المفسد.

وأول هذه الأسباب هو التوحيد، فإذا كان الحرص والشح والبخل ناتجاً عن سوء الظن بالله، وضعف التوكل عليه، وعدم الثقة بوعده بالخلف للمنفقين، وقلة إيمانه بالقدر وأن الرزق مقسوم لكل حي، إذا كان كذلك فإن تقوية الإيمان بدراسة التوحيد وانقياد القلب له كفيلة باجتثاث هذا الداء من أصوله.

وسوء الظن بالله -كما تقدم- ناتج عن جهل أو ضلال في معاني صفات الله التي تدل عليها أسماؤه تبارك وتعالى، وطرد هذا الظن يكون بدراسة توحيد الأسماء والصفات وفق نهج السلف الصالح واستشعار القلب لها.

وفي هذا المجال إذا استشعر القلب معاني أسماء الله: الرزاق، والكريم، والمنعم، ونحوها، وإدراك القلب معاني الآيات التي تدل على أن الرزق بيد الله وحده لا يزيده حرص حريص، ولا يؤخره حقد حاسد. كقوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢] .." (٢)

"وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨] .

ونحوها، فهذه المعرفة بأسماء الله، ومدلول آياته، مع ما يشاهده من آثار رحمته من نزول المطر، وحياة الأرض بمختلف الأصناف من الثمار، وأنواع الحيوان الذي سخره الله لأهل الأرض رزقاً لهم، وكيف هيأ للمخلوقات الضعيفة أرزاقها ... ، كل ذلك يوجب للقلب محبة الله، وحسن الظن **وتعلق القلب** به، والركون إليه. وكذلك إذا وقر في القلب ثقة وتصديق بوعد الله للمتصدقين بالخلف والنماء كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩] . فإن ذلك كله يكسر حدة الحرص على المال، ويصرف القلب عن التعلق به، كما يجلب للقلب حسن الظن بالله والثقة بما عنده.

ومن جهة أخرى فإن نمو التوكل على الله يصرف القلب عن التوكل والتعلق بالمال، وذلك أن الإنسان إنما يحرص على المال رجاء نفعه واتقاء الشر به، وإذا قوي يقينه على ربه باستشعار آيات التوحيد التي أفاضت في تقرير هذا المعنى، وأن الإيمان هو السلم والعروة الوثقى للحصول على ولاية الله، ومعيته في الدنيا والآخرة، وأن كل خير يأمله في الدنيا والآخرة، وكل شر يحاذره إنما هو بيد الله، والسبب إلى ذلك هو قوة الصلة به والتوكل عليه.." (٣)

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٣٩٩/١

(٢) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٤٠٢/١

(٣) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٤٠٣/١

"مدبر عليم حكيم خبير، فيزول عنه كابوس الخوف والقلق من المستقبل والمجهول الذي ينخر قلوب الكافرين الجاهلين بربهم، ومثال ذلك، ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل:٦٠] . لو أن ركاباً في سفينة تجري في البحر علموا أن قائد السفينة عاقل حليم ماهر عالم بأحوال البحار وأمواجه، له خبرة في معرفة الطريق والجهات، فإن هذا العلم يوجب لهم أمناً واطمئناناً وثقة به، بخلاف ما لو أدركوا أنه طائش أو جاهل بالقيادة أو بأحوال البحر، فإن ذلك يوجب لهم خوفاً وقلقاً يزيد كلما زاد علمهم بالأخطار.

ومن ذلك أن استشعار القلب لصفات معينة كالتي تدل عليها أسماء الله "الرحمن، الرحيم، المنعم، اللطيف، المنان، الودود، الكريم، الجواد، الغفور، العفو، التواب"، ونحوها.

وبعض الأخبار الواردة عن الله من أن الله واسع المغفرة، وأن يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء، وأن رحمة الله قريب من المحسنين، وأن رحمته وسعت كل شيء، وشهود القلب لآثار هذه الصفات في الكون: كنزول المطر، وتجدد النعم وحصول البركات، والهداية، والأمن ... ونحوها، كل ذلك يوجب للقلب أثراً معيناً يتمثل في محبة المنعم ورجائه سبحانه، **وتعلق القلب** به، وتوكله عليه؛ وذلك يوجد فيه قدراً عظيماً من الطمأنينة؛ كما أن فقه القلب لمدلول تلك الصفات يجعله يحبها، ويتخلق بتلك المعاني." (١)

"فالتوكل على الله ثمرة من ثمرات معرفة الله، **وتعلق القلب** بموجب أسمائه وصفاته تبارك وتعالى.

فيتوكل على الله في مغفرة الذنوب وصرف شؤمها وعقوباتها عنه استشعاراً لأسمائه: "الغفار، والتواب، والعفو، والرؤوف، والرحيم".

وفي حصول الرزق والإحسان يتعلق قلبه بأسمائه: "الفتاح، والوهاب، والرزاق، والمعطي، والمحسن".

ويتعلق بأسمائه: "المعز، المذل، الحافظ، الرافع، المانع" في حفظه ونصره على عدوه، وفي إذلال أعداء دينه وخفضهم، ومنع أسباب النصر عنهم.

وللتوكل تعلق عام بجميع الأسماء الحسنى، وكلما كان بالله أعرف، كان توكله عليه أقوى١.

وإذا تبين أن التوكل على الله وثقة العبد واطمئنانه إلى ربه ومليكه ومدبره يمثل حصناً يحمي الله به العبد، فيكون راسخ الإيمان قوياً ثابتاً عند الابتلاء وفي مجابهة الفتن والمغريات التي تستهدف زعزعة دينه ... إذا تبين ذلك، فإن القلق الناتج عن عدم التوكل على الله عند من قام في قلبه مرض الريب والنفاق، يكون دافعاً إلى موالاة غير المسلمين والركون إليهم والتعاون معهم على نشر الفكر الخبيث والتخطيط والمكر

---

١ انظر: مدارج السالكين ٢/ ٢٣٠ بتصرف.." (٢)

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٢/٤٧٧

(٢) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٢/٤٩٨

"توكل عليه وأناب إليه"١.

فبعد أن نهاه الله عن طاعة الكافرين والمنافقين، أمره باتباع الوحي النازل من العليم الحكيم الخبير، ففيه النور والهداية والرشاد. وأرشده للتوكل عليه وحده، وتفويض الأمور إليه، **وتعلق القلب** به في التسديد والتوفيق لما فيه صلاح الدين والدنيا، وفي ذلك إشارة إلى عدم **تعلق القلب** أو رجاء الهداية من أعداء الله مهما كان عندهم من العلم، أو أظهروا من النصح فلا يولون ولا يستشارون، بل يحذرون ويجتنبون.

وقد بيّن الله العلة من النهي عن طاعة الكافرين والمنافقين، وهي كونهم يضمرون الشر لأهل الإسلام ويخططون لإخراجهم من دينهم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٠٠] .

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٩] .

وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ

---

١ تفسير القرآن العظيم ط الشعب ٦/٣٧٦.." (١)

"وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، لا إطراؤه والغلو فيه ورفعه عن منزلته التي أنزله الله عز وجل بدعائه والاستغاثة به فقد قال صلى الله عليه وسلم: «الدعاء هو العبادة» وقال عليه الصلاة والسلام «إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل» وأن الاستغاثة به - فضلا عن غيره من الأولياء وأصحاب المشاهد - شرك بالله تعالى، والتعلق بغير الله تعالى في جلب خير أو دفع شر، استقلالاً أو توسيطاً: شرك [أي وأن **تعلق القلب** بالأولياء أو الجن بالتوكل عليهم والالتجاء إليهم ومراقبة روحانياتهم بأنواع من النسك في قضاء الحاجات وتفريج الكربات شرك بالله تعالى سواء كان ذلك باسم الطلسمات أو التوسلات كل ذلك شرك وضلال ما أنزل الله الكتاب ولا أرسل الرسول إلا لإبطالها وإبادة جذورها وتطهير القلوب منها فلا حول ولا قوة إلا بالله] (١) ونعتقد أن الملائكة وكتب الله حق، والنبيين حق، والبعث بعد الموت حق، والجنة حق، والنار حق، ونؤمن

---

(١) زيادة من الناشر السابق.." (٢)

"قال تعالى: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (١) .

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللهُ﴾ يقول: مصائبهم عند الله ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ٢/٦٣٧

(٢) أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع محمد بن عبد الوهاب ص/٤٠

.

وقال ابن جريج عن ابن عباس قال: " ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهُ﴾ أي: من قبل الله" (٢) .

وعن ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الطيرة شرك الطيرة شرك ثلاثًا" (٣) .

وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك، لما فيها من **تعلق القلب** بغير الله تعالى (٤) .

وقال ابن حجر: "وإنما جعل ذلك شركًا لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعًا أو يدفع ضرًا فكأنهم أشركوه مع الله تعالى" (٥) .

وهي دعوة باطلة لإضاعة الأوقات وتأجيل الحاجات، وصرف للقلوب عن الخالق البارئ إلى مخلوقات لا تضر ولا تنفع.

غير أنه لا يكاد يوجد شذوذ عند الشيعة إلا وفيه من رواياتهم نفسها ما يرد هذا الشذوذ ويبطله، فقد جاء في رواياتهم ما ينقض هذه الدعاوى، وأبلغ ما يكون نقض الخصم لكلامه بنفسه، فقد روت كتب الشيعة أن أبا عبد الله قال: لا

---

(١) الأعراف، آية: ١٣١

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٥٧/٢

(٣) رواه أبو داود في الطب، باب في الطيرة: ٢٣٠/٤ رقم (٣٩١٠) ، والترمذي في السير، باب ما جاء في الطيرة: ١٦٠/٤-١٦١، رقم (١٦١٤) ، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة: ١١٧٠/٢، رقم (٣٥٣٨) ، ورواه ابن حبان في صحيحه "موارد الظمآن" رقم (١٤٢٧)

(٤) فتح المجيد: ص٣٦١

(٥) فتح الباري: ٢١٣/١٠، وانظر: ابن منظور/ لسان العرب: ٥١٣/٤." [1]

"نسجها الجهال المنجمون حول مقارنة المخلوقات العلوية بعضها مع بعض على إحداث شيء أو منع شيء، أو إعطاء سعادة أو إصابة بنحس، بل لله الأمر جميعا، وكان العرب في الجاهلية يرون أن القمر إذا كان في الدبران فإن السفر في تلك الليلة مشئوم١ وهذا وهم وتطير، والتطير من الشرك لما فيه من **تعلق القلب** بغير الله تعالى، ولاعتقادهم أن التطير يجلب لهم نفعا أو يدفع عنهم ضرا إذا عملوا بموجبه، فكأنهم أشركوه مع الله تعالى٢.

ومن المعلوم أن الشمس والقمر، والنجوم مخلوقات مربوبة لا تتصرف بنفسها وإنما يصرفها الله كيف يشاء فمن الخطأ البين والوهم التعلق بالخيالات التي لا حقيقة لها، واعتقاد أن هذه المخلوقات لها تصرف في الكون، وأن اتصال بعضها مع بعض يوجب سعادة أو شقاوة. وهذا ما كان عليه العرب في الجاهلية، ولما جاء الإسلام أبطله صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث، كما أبطله السلف الصالح رحمهم الله تعالى كما مر في الأثر السابق عن عمر بن عبد العزيز حين قال لمزاحم- لما تطير -: إنا لا نخرج بشمس ولا بقمر، ولكنا نخرج بالله الواحد القهار.

---

١ انظر ما كتبه ابن القيم في بيان كراهية المنجمين للسفر والقمر في العقرب، ص٢١٦، مفتاح دار السعادة، وانظر كذلك

---

(١) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد – ناصر القفاري ٥٢٣/٢

الأزمنة والأمكنة ص٢٣٤.

٢ انظر تيسير العزيز الحميد ص٤٣٨.." (١)

"(١) فإن هذه الآيات تقطع **تعلق القلب** بغير الله بأربعة أمور هي: الأول: أن هؤلاء الشركاء لا يملكون مثقال ذرة مع الله، والذي لا يملك مثقال ذرة لا ينفع ولا يضر، ولا يستحق أن يكون إلها أو مشاركا لله، والله هو الذي يملكهم ويتصرف فيهم وحده.

الثاني: أنهم لا يملكون شيئا من السماوات والأرض، وليس لهم مثقال ذرة من مشاركة فيهما.

الثالث: ليس لله معين من خلقه، بل هو الذي يعينهم على ما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم لكمال غناه عنهم، واضطرارهم إليهم.

الرابع: أن هؤلاء الشركاء لا يملكون أن يشفعوا عند الله لأتباعهم، ولا يؤذن لهم فيها، ولا يأذن - سبحانه - إلا لأوليائه أن يشفعوا، ولا يشفع الأولياء إلا لمن رضي الله قوله وعمله واعتقاده (٢) .

---

(١) سورة سبأ، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٢) انظر: قرة عيون الموحدين، تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن - رحمه الله -، ص: ١٠٠.." (٢)

"وقوله تعالى:" حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ*لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (المؤمنون، آية: ٩٩ . ١٠٠).

وفي المبحث الثاني: كان الحديث عن الموت وحقيقته وأهمية تذكره في حياة الإنسان، للابتعاد عن المعاصي، وتليين القلب القاسي وتهوين المصائب، فمن أكثر من ذكر الموت قل فرحه، وقل حسده واستعد للرحيل.

قال الشاعر:

مشيناها خطا كتبت علينا ... ومن كتبت عليه خطا مشاها

وأرزاق لنا متفرقات ... فمن لم تأته منا أتاها

ومن كتبت منيته بأرض ... فليس يموت في أرض سواها

وقال آخر:

هب الدنيا تساق إليك عفوا ... أليس مصير ذاك إلى انتقال

وما دنياك إلا مثل فيء ... أظلك ثم آذن بالزوال

ويجد القاريء الكريم بيان الحكمة من الموت وأن ساعة الموت أخطر لحظة في عمر الإنسان، فتزداد حسرة الميت ومصيبته وفجيعته حين يكون منكراً للحياة الآخرة، أو مغرور بمسلكه المضاد لدين الله، أو القائم على البدع والخرافات التي أبعدته

---

(١) الآثار الواردة عن عمر بن عبد العزيز في العقيدة حياة بن محمد بن جبريل ٢٦٠/١

(٢) الإسلام أصوله ومبادئه محمد بن عبد الله بن صالح السحيم ٢٢/٢

عن الإيمان الصحيح والطريق السوي الموافق للكتاب والسنة.

وأشرت إلى أسباب حسن الخاتمة، كأقامة التوحيد لله عز وجل، والاستقامة، والتقوى، والصدق، والتوبة والدعاء، وقصر الأمل والتفكر في حقارة الدنيا والإكثار من ذكر الموت، وغلبة الرجاء وحسن الظن بالله، والبعد عن أسباب سوء الخاتمة، كما بينت أسباب سوء الخاتمة كالشك والجحود، والتعبد بالبدع وتسويف التوبة وعدم الاستقامة، **وتعلق القلب** بغير الله وسوء الظن بالله، والإصرار على الذنوب والمعاصي ونسيان الآخرة وعدم ذكر الموت والظلم.." [١]

"١٠. البعد ان أسباب سوء الخاتمة: فإن من أسباب حُسن الخاتمة، الخوف من سوء الخاتمة والبعد عن أسبابها وهي، فساد المعتقد والانغماس في البدع، النفاق ومخالفة الباطن للظاهر، التسويف بالتوبة، طول الأمل وحب الدنيا، **تعلق القلب** بغير الله، إلف المعاصي والإصرار عليها، الانتحار واليأس من رحمة الله، مصاحبة أهل الفساد، عدم الاستقامة على الطاعة (١).

رابعاً: من علامات حسن الخاتمة:

علامات حسن الخاتمة التي جاءت في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير منها، من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، الموت برشح الجبين، الموت يوم الجمعة، القتل في سبيل الله، الموت غازياً في سبيل الله، الموت بالطاعون، الموت بداء البطن، الموت بالغرق، الموت بالهدم، الموت في سبيل الدفاع عن المال والدين والنفس، موت المرأة في نفاسها بسبب ولدها، الموت مرابطاً في سبيل الله، الموت على عمل صالح، وقد قام الدكتور محمد حيدر بجمعها ودراستها في رسالته المقدمة لنيل رسالة الدكتوراة بجامعة أم درمان المسماة (أحاديث حياة البرزخ في كتب التسعة جمعاً وتخريجاً ودراسة). من أراد التوسع فليرجع إليها.

خامساً: من أسباب سوء الخاتمة:

أسباب سوء الخاتمة كثيرة، نذكر منها على الإجمال:

والشك والجحود والتعبد بالبدع، تسويف التوبة، عدم الاستقامة على الطاعة، طول الأمل، حب الدنيا، صحبة الأشرار، مخالفة الباطن الظاهر، **تعلق القلب** بغير الله، سوء الظن بالله، الإصرار على الذنوب والمعاصي، نسيان الآخرة وعدم ذكر الموت، الظلم (٢).

وقد تحدث العلماء عن علامات سوء الخاتمة وذكروا منها: الأمن من مكر الله عز وجل كأن بعضهم آتاهم الله ميثاقاً أن لا يعذبهم والغفلة عن ذكر الله عز وجل، والنفاق والرياء وحب السمعة وغير ذلك من العلامات (٣).

---

(١) رحلة إلى الدار الآخرة ص٥٤.

---

(١) الإيمان باليوم الآخر علي محمد الصلابي ص/٦

(٢) رحلة إلى الدار الآخرة صـ٧٩ ـ ٩٦.

(٣) سكب العبرات (١/ ١١٤).." [1]

"٧. الدعاء: ولا ينبغي أبداً أن يغفل المسلم عن الدعاء، فالدعاء من أعظم أسباب النجاة في الدنيا والآخرة، سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول في التشهد: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت، وحدك لا شريك لك المنان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار، فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه: تدرون بما دعا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: والذي نفسه بيده، لقد دعا الله باسمه العظيم وفي رواية (الأعظم) الذي إذا دعُي به أجاب وإذا سئل به أعطى (١)، فعلينا أن نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وبإسمه الأعظم أن ينجينا من عذاب القبر، ونحن موقنون بالإجابة (٢)، كما أن الدعاء للميت من أسباب التثبيت، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل (٣).

٨. تجنب أسباب عذاب القبر: ومن أسباب النجاة من عذاب القبر أن يتجنب العبد كل الأسباب التي تؤدي إلى عذاب القبر، مثل النميمة وعدم الأستتار والتنزه من البول، والكذب وهجر القرآن وعدم العمل به، وأكل الربا والوقوع في الزنا ... الخ، فكل هذه الأشياء من أسباب عذاب القبر فعلينا أن نتجنبها لننجو جميعاً من عذاب القبر، وكذلك علينا أن نتجنب الأسباب التي تؤدي إلى سوء الخاتمة، من الشك والجحود وفساد المعتقد والنفاق وحب المعاصي والإصرار عليها **وتعلق القلب** بغير الله والانتحار والعدول عن الاستقامة وحب الدنيا وطول الأمل (٤) وغير ذلك من الأسباب.

---

(١) رحلة إلى الدار الآخرة صـ٢٠٥، أخرجه الحاكم وصححه.

(٢) المصدر صـ٢٠٥.

(٣) سنن أبي داود رقم ٣٢٢١، صححه الألباني.

(٤) رحلة إلى الدار الآخرة صـ٣٠٣.." [2]

"والخمر مغطية للعقل، وهي محرمة شرعاً وعقلاً، وقد عدّ الإمام أبو حنيفة – رحمه الله – (١) تحريم التغطية إلى السماع (٢) ....

---

(١) في (ظ) و (ن): (قدس الله روحه).

(٢) يحسن أن أذكر في هذا المقام كلام المؤلف ابن العطار – رحمه الله – حول مسألة السماع في رسالة له مخطوطة تقع في ثلاث ورقات مصورة ضمن مجموع من [١١ – ١٣] في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي بعنوان (رسالة في السماع)،

---

(١) الإيمان باليوم الآخر علي محمد الصلابي ص/٤٧

(٢) الإيمان باليوم الآخر علي محمد الصلابي ص/٧٨

وهي جواب عن سؤال ورد إليه من بعض المسلمين يسألونه عن قوم يدّعون الفقر، ويحضرون السماع، وينشدون فيه وفي غيره أشعاراً بذكر الخمر ونحوها، ويظهرون شيئاً من الأفراح والسرور والملاهي، وينشدون أشعاراً فيها شيء من عقائد الحلولية والاتحادية، فقال – رحمه الله – في الورقة (١٢): (أما الفقراء الذين يدّعون الفقر، فإن كان لهم شاهد من كتاب أو سنة في باطن، وهو عدم **تعلق القلب** بشيء من الموجودات سوى الله، أو في ظاهر، وهو تعلق بفعل المأمورات واجتناب المنهيات، فهم صادقون في دعواهم، وإلا فهم كذّابون دجالون يجب على كل أحد مجانبتهم، واستتابتهم.

وأما حضور السماع، فإن كان سماع القرآن، أو الحديث، أو العلم، أو الشعر الذي فيه تزهيد وحكمة، ونحوها من غير آلة طرب، ولا ملاهٍ، ولا لعب، ولا رقص، ولا شغب، ولا (كلمة غير واضحة) اجتماع محرم، فهم مصيبون، وإلا فهم مخطئون تجب عليهم التوبة بشروطها، والرجوع إلى التواب، واتباع أولي الألباب.

وأما إنشادهم فيه وفي غيره الأشعار المذكورة، وتشبههم المنالات (هكذا كتبت) الرحمانية بالأمور الشيطانية، فهذا عين الكفر إن كانوا عالمين بذلك وبمعناه، وإلا فهم عصاة مرتكبون الكبائر، يجب عليهم الإقلاع عن ذلك، والندم، والعزم على عدم العود إليه، مخلصين لله تعالى فيه، وناهيك بهم ضلالة في ألفاظهم ومعانيهم، حيث إنهم شبهوا ما يزعمون أنه من تنزيلات الحق عليهم بالخمور المحرمة، والآفات النجسة، وأماكنها المجتنبة، وقوامها القذرين الموصوفين بالنجس، ووصفهم ذلك بالخمرة القديمة التي شربها الأنبياء والأولياء يقتضي كفرهم وزندقتهم، بل إن اعتقدوا حقيقة قولهم، فهم أشد كفراً من اليهود والنصارى.

وأما ذكر الأفراح والسرور والملاهي المباحات فلا بأس بها قصداً لراحات النفوس؛ إذا كانت مجردة عن غيرها، وان كان أمراً محظوراً كالدف والشبابة معاً =." (١)

"أمَّا الحبُّ الذي هو **تعلُّق القلب** بالمحبوب على وجه الاستئناس بقُربِه والاستيحاش من بُعده، فلا يكون الغلوُّ فيه . عندما يكون المحبوب رسول الله صلى الله عليه وسلم . إلاَّ عنواناً على مزيدِ قُربٍ من الله!! وقد علمنا أنَّ الحبَّ في الله من مُستلزمات توحيد الله تعالى، ومهما غلا مُحبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حُبِّه له أو بالَغ، فلن يصِلِ إلى أَبعد من القَدْر الذي أَمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم!!! إذ قال فيما اتَّفق عليه الشيخان: "لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من مالِه وولدِه والناس أجمعين"، وفي رواية للبخاري: "ومن نفسه" ".

والجواب: على ذلك أن نقول:

أولاً: أمَّا ثناء البوطي على الرفاعي فيصدق على المثنِي والمثنَى عليه قول الشاعر:." (٢)

"وَقَالَ ابْن مَسْرُوق التَّوَكُّل الاستسلام لجَرَيَان الْقَضَاء فى الْأَحْكَام

قَالَ سهل التَّوَكُّل الاسترسال بَين يدى الله تَعَالَى

قَالَ أبوعبد الله القرشى التَّوَكُّل ترك الإيواء إِلَّا إِلَى الله

---

(١) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ابن العطار ص/٣١٦

(٢) التحذير من تعظيم الآثار غير المشروعة عبد المحسن العباد ص/٤٢

قَالَ أبوأيوب التَّوَكُّل طرح الْبدن فِي الْعُبُودِيَّة **وَتعلق الْقلب** بالربوبية والطمأنينة إِلَى الْكِفَايَة

قَالَ الْجُنَيْد حَقِيقَة التَّوَكُّل أَن يكون لله تَعَالَى كَمَا لم يكن فَيكون الله لَهُ كَمَا لم يزل

قَالَ أبوسعيد الخراز قَامَت الكفايات من السَّيِّد لأهل مُمْلكَته فاستغنوا عَن مقامات التَّوَكُّل عَلَيْهِ ليكفيهم فَمَا أقبح التقاضى بِأَهْل الصفاء جعل التَّوَكُّل عَلَيْهِ لأجل الْكِفَايَة تقاضى الْقيام بالكفاية

كَمَا قَالَ الشبلى التَّوَكُّل كدية حَسَنَة

قَالَ سهل كل المقامات لَهَا وَجه وَقفا غير التَّوَكُّل فَإِنَّهُ وَجه بِلَا قفا يُرِيد توكل الْعِنَايَة لَا توكل الْكِفَايَة وَهُوَ أَن لَا يُطَالِبهُ بالأعواض

وَقَالَ بَعضهم التَّوَكُّل سر بَين العَبْد وَبَين الله

مَعْنَاهُ كَمَا قَالَ بعض الكبراء حَقِيقَة التَّوَكُّل ترك التَّوَكُّل وَهُوَ أَن يكون الله لَهُم حَيْثُ كَانَ لَهُم إِذْ لم يَكُونُوا موجودين

قَالَ بعض الْكِبَار لإِبْرَاهِيم الْخَواص إِلَى مَاذَا أدّى بك التصوف

فَقَالَ إِلَى التَّوَكُّل

فَقَالَ وَيحك بعد أَن تسْعَى فِي عمرَان بَطْنك

مَعْنَاهُ إِن توكلك عَلَيْهِ لاجل نَفسك احتزاز من مَكْرُوه يُصِيبهَا." (١)

". . . . .

ـــــQقلوبهم بها جدا أكثر من تعلقهم بالطب ونحوه، فالعرب في الجاهلية - وهكذا هو حال أكثر الناس - لهم تعلق بالرقية، فالقلب يتعلق بالراقي، ويتعلق بالرقية؛ وهذا ينافي كمال التوكل على الله - جل جلاله - وأما ما جاء في بعض الروايات أنهم «الذين لا يرقون» فهذا غلط؛ وهو لفظ شاذ، لأن الراقي محسن إلى غيره، والصواب ما جاء في هذه الرواية من أنهم «الذين لا يسترقون» يعني: الذين لا يطلبون الرقية؛ وذلك لأن طالب الرقية يكون في قلبه ميل إلى هذا الذي رقاه وإلى الرقية، ونوع توكل، أو نوع استرواح لهذا الذي يرقي أو للرقية.

ثم قال: «ولا يكتوون» : والكي مكروه في أصله؛ لأن فيه تعذيبا بالنار، مع أنه مأذون به شرعا، لكن فيه كراهة. والعرب تعتقد أن الكي يحدث المقصود دائما؛ فلهذا تتعلق قلوبهم بالكي. فصار **تعلق القلب** بهذا الكي من جهة أنه سبب يؤثر دائما، ومعلوم أن الكي يؤثر - بإذن الله جل وعلا -: إذا اجتمعت الأسباب، وانتفت الموانع. فالنفي لأجل أن في الكي بخصوصه ما يتعلق الناس به من أجله.

ثم قال: «ولا يتطيرون» : والطيرة شيء يعرض على القلب من جراء شيء يحدث أمامه؛ فيجعله يقدم على أمر، أو يحجم عنه، وهذه صفة من لم يكن التوكل في قلبه عظيما.

---

(١) التعرف لمذهب أهل التصوف أبو بكر الكلاباذي ص/١٠١

ثم قال بعدها: «وعلى ربهم يتوكلون» : وهي جامعة للصفات السابقة. وهذه الصفات ليس المقصود منها أن الذين حققوا التوحيد لا يباشرون الأسباب، كما فهمه بعضهم، وأن الكمال ألا يباشر سببا البتة، أو ألا يتداوى." [1]

". . . . .

ـــــــQالبتة! وهذا غلط؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم رُقي: (١) ولأنه – عليه الصلاة والسلام – تداوى وأمر بالتداوي (٢) وأمر أيضا بعض الصحابة بأن يكتوي (٣) ونحو ذلك فليس في الحديث أن أولئك لا يباشرون الأسباب مطلقا، أو لا يباشرون أسباب الدواء، وإنما فيه ذكر لهذه الثلاث بخصوصها، لأنه يكثر **تعلق القلب** والتفاته إلى الراقي، أو إلى الكي، أو الكاوي، أو إلى التطير، ففيها إنقاص من مقام التوكل. أما التداوي: فهو مشروع، وهو: إما واجب، أو مستحب، وقد يكون في بعض الأحوال مباحا، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام» (٤) فالمقصود من هذا: أن التداوي ليس خارما لتحقيق التوحيد ولكن الذي هو من صفة أهل تحقيق التوحيد أنهم لا يسترقون بخصوص الرقية، ولا يكتوون بخصوص الكي، ولا يتطيرون، وأما ما عدا ذلك مما أذن به، فلا يدخل فيما يختص به أهل تحقيق التوحيد.

والأظهر عندي أن قوله في هذا الحديث «لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون» أنه مخصوص بهذه الثلاثة.

قال: «فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: " أنت منهم " ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: " سبقك بها عكاشة» : هذا فيه دليل على

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٨٦) والترمذي (٩٧٢) .

(٢) أخرجه أحمد (٤ / ٢٧٨) والترمذي (٢٠٣٩) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٨٠) ، (٥٦٨١) .

(٤) أخرجه أبو داود (٣٨٧٤) والترمذي (٢٠٤٥) .." [2]

". . . . .

ـــــــQعما ذكرت بقوله: من أثبت سببا – يعني: ادّعى أنه يُحدِث المسبَّب، أو يُحْدِث النتيجة – لم يجعله الله سببا، لا شرعا، ولا قدرا: فقد أشرك، يعني الشرك الأصغر.

هذه القاعدة صحيحة – في الجملة – لكن قد يُشْكِل دخول بعض الأمثلة فيها، لكن المقصود من هذا الباب: إثبات أن الأسباب لا بد أن تكون إما من جهة الشرع، وإما من جهة التجربة الظاهرة، مثل: دواء الطبيب بالنار، ومثل: الانتفاع ببعض الأسباب التي فيها الانتفاع ظاهر، كأن تتدفأ بالنار أو تتبرد بالماء أو نحو ذلك، فهذه أسباب ظاهرة بَيِّنَةُ الأثر، فتحصَّل من هذا: أن **تعلّق القلب** بشيء لرفع البلاء، أو دفعه لم يجعله الشارع سببا، ولم يأذن به، يكون نوع شرك، وهذا

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/٣٩

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/٤٠

مراد الشيخ بهذا الباب؛ فإن لبس الخيط والحلقة من الشرك الأصغر.

وهنا تنبيه: وهو أن كل أصناف الشرك الأصغر قد تكون شركا أكبر بحسب حال من فعلها: فالأصل: أن لبس الحلقة أو الخيط. وتعليق التمائم، والحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت، ونحو ذلك من الأعمال، أو الاعتقادات، أو الأقوال الأصل فيها: أنها من الشرك الأصغر، لكن قد تكون شركا أكبر بحسب حال صاحبها، يعني: إن اعتقد في الحلقة والخيط مثلا أنها تؤثر بنفسها: فهذا شرك أكبر، وإذا اعتقد أنها ليست سببا لكن تؤثر بنفسها وتدفع الضرر بنفسها، فتدفع المرض بنفسها، وتدفع العين بنفسها، أو ترفع المرض بنفسها، أو ترفع العين بنفسها. فإذا اعتقد أنها ليست أسبابا بل هي مؤثرة بنفسها: فقد وقع في الشرك الأكبر؛ لأنه جعل التصرف في." (١)

". . . . .

ـــــــQهذا الكون لأشياء مع الله - جل وعلا -، ومعلوم أن هذا من أفراد الربوبية، فيكون ذلك شركا في الربوبية فعماد هذا الباب على **تعلّق القلب** بهذه الأشياء: كالحلقة، والخيط، ونحوهما؛ لدفع ما يسوؤه، أو لرفع ما حل به من مصائب.

ثم ساق الشيخ - رحمه الله - بعد ذلك قول الله - جل وعلا -: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ [الزمر: ٣٨] [الزمر: ٣٨] . قوله - جل وعلا - في هذه الآية من سورة الزمر: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٣٨] قال بعض أهل العلم: إن (الفاء) إذا جاءت بعد همزة الاستفهام، فإنها تكون عاطفة على جملة محذوفة يدل عليها السياق، وهذه الآية أولها ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ﴾ [الزمر: ٣٨] يعني: قل: أتقرون بأن الذي خلق السماوات والأرض هو الله وحده، ومع ذلك تدعون غيره؛ وتتوجهون لغيره؟! أتقرون بذلك، وتفعلون هذه الأشياء؟ أو يكون التقدير: أتقرون بأن الله هو الواحد في ربوبيته، وأنه هو الذي خلق السماوات والأرض وحده؟؟ إذا أقررتم هذه الأشياء التي تتوجهون لها من دون الله، هل هي قادرة على دفع المضار عنكم؟ أو هل تجلب لكم رحمة من دون الله؟؟!! فعلى هذا: تكون (الفاء) هنا ترتيبية؛ رتبت ما بعدها على ما قبلها، وهذا هو المقصود هنا من هذا الاحتجاج؛ لأن." (٢)

". . . . .

ـــــــQالموضع، فهذا: شرك أكبر، وهذا هو الذي كان يصنعه أهل الجاهلية؛ ولهذا، فإن فعلهم يشمل ثلاثة أشياء - كما سبق -:

١ - التعظيم، أي تعظيم العبادة، وهذا لا يجوز إلا لله، فتعظيمهم بهذه الصورة، واعتقاد أنهم يتوسطون لهم: هو نوع من عبادتهم، وشرك جلي.

٢ - أنهم عكفوا عندها ولازموها، والعكوف والملازمة نوع عبادة، فإذا عكف ولازم تقربا، ورجاء، ورغبة، ورهبة، ومحبة، فهذا نوع من العبادة.

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/٩٤

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/٩٥

٣ – التبرك.

وإذًا فيكون الشرك الأكبر: ما ضم هذه الثلاثة. وإذا تأملت ما يصنعه عباد القبور والخرافيون في الأزمنة المتأخرة وفي زماننا هذا: وجدت أنهم يصنعون مثل ما كان المشركون الأولون يصنعون عند اللات، وعند العزى، وعند ذات أنواط، ويعتقدون في القبر، بل يعتقدون في الحديد الذي يُسيَّج به القبر، فترى الناس في البلاد التي يفشو فيها الشرك يعتقدون في الحائط الذي على القبر، أو في الشباك الحديدي الذي يحيط بالقبر، فإذا تمسحوا به فكأنهم تمسحوا بالمقبور، واتصلت روحهم به، واعتقدوا أنه سيتوسط لهم؛ لأنهم عظموه، فهذا شرك أكبر بالله – جل وعلا –؛ لأن فعلهم هذا: راجع إلى **تعلق القلب** في جلب النفع، وفي دفع الضر بغير الله – جل وعلا – وجعْله وسيلة إلى الله – جل وعلا – كفعل الأولين الذين قال الله فيهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]

وأما الحال الأخرى التي نبهتك في أول المقام عليها، فكمن يجعل بعض التمسحات أسبابا: مثل ما ترى من بعض الجهلة ممن يأتي إلى الحرم، ويتمسح." (١)

". . . . .

ـــــــQوعبادة النسك – وهو الذبح – هما لله – جل وعلا – وحده. وقوله تعالى: قُلْ إِنَّ و (إِنَّ) من المؤكدات، ومجيء التأكيد في الجمل الخبرية يفيد: أن من خوطب بذلك مُنكِر لهذا الأمر، أو مُنَزَّل مَنْزِلَةَ المُنكِر له، ولهذا يكون الاستدلال بهذه الآية على التوحيد من جهة أنها خوطب بها من ينكر أن الصلاة لله وحده استحقاقا، وأن الذبح لله وحده استحقاقا – هم المشركون – فدل على أن هذه الآية في التوحيد وأن الذبح يجب أن يكون لله – جل وعلا – وأن الذبح لغيره مخالف لما يستحقه الرب – جل وعلا –.

والنسك في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢] هو: الذبح أو النحر، يعني: التقرب بالدم، والتقرب بالدم لله – جل وعلا –: عبادة عظيمة؛ لأن الذبائح، أو المنحورات من الإبل أو البقر، أو الغنم، أو الضأن، مما تعظم في نفوس أهلها، ونحرها تقربا إلى الله – جل وعلا – والصدقة بها عبادة عظيمة، فيها إراقة الدم لله، وفيها **تعلق القلب** بحسن الثواب من الله – جل وعلا –، وفيها حسن الظن بالله تبارك وتعالى، وفيها التخلص من الشح، والرغب فيما عند الله سبحانه، بإزهاق نفس عزيزة عند أهلها؛ ولهذا كان النحر، والذبح عبادة من العبادات العظيمة التي يحبها الله – جل وعلا –.

وقد دلت هذه الآية على أن النحر والصلاة عبادتان؛ لأنه جعل النسيكة لله، والله – جل وعلا – له من أعمال خلقه العبادات فدل قوله (وَنُسُكِي) على أن النسك عبادة من العبادات، وأنه مُستحَق لله – جل وعلا –.

واللام – هنا – في قوله: ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] متعلّقة بمحذوف خبر (إن) في قوله ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ [الأنعام: ١٦٢] وهي تفيد الاستحقاق، واللام في اللغة." (٢)

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/١٣٤

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/١٤٣

". . . . .

ـــــــQ" ولا طيرة ": مؤثرة أصلا، وإنما ذلك راجع إلى قضاء الله وقدره.

قوله: «ويعجبني الفأل " قالوا: وما الفأل؟ قال: " الكلمة الطيبة» (١) كان -عليه الصلاة والسلام- يحب الفأل وفسره بأنه الكلمة الطيبة؛ لأن الكلمة الطيبة إذا سمعها فتفاءل بها، وأنه سيحصل له كذا وكذا من الخيرات، يكون من باب حسن الظن بالله- جل وعلا-، فالفأل حسن ظن بالله، والتشاؤم سوء ظن بالله- جل وعلا-؛ ولهذا كان الفأل ممدوحا ومحمودا، والشؤم مذموما.

ومعلوم أن العبد مأمور بأن يحسن الظن بالرب- جل وعلا- ولهذا كان -عليه الصلاة والسلام- يتفاءل، وكل ذلك من تعظيم الله – جل وعلا- وحسن الظن به **وتعلق القلب** به، وأنه لا يفعل للعبد إلا ما هو أصلح له.

" ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: «ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: " أحسنها الفأل» . الطيرة: يعني التأثر بالكلمة؛ لأننا ذكرنا أن الطيرة عامة تشمل الأقوال والأعمال التي تحصل أمام العبد، فإذا كان ثم تطير فإن أحسنه الفأل، يعني: أن يقع في قلبه أنه سيحصل له كذا وكذا من جراء كلمة سمعها، أو من جراء فعل حصل له. وأحسن ذلك الفأل وغيره مذموم، وإنما كان الفأل محمودا وممدوحا ومأذونا به؛ لما ذكرنا من أنه إذا تطير متفائلا فإنه محسن الظن بالله- جل وعلا- لأن التفاؤل يشرح الصدر، ويؤنس العبد، ويذهب الضيق الذي يوحيه الشيطان ويسببه في قلب

---

(١) أخرجه البخاري في (٥٧٧٦) ومسلم (٢٢٢٤) .." [1]

". . . . .

ـــــــQسؤال: ما حكم من يضع آية الكرسي في السيارة، أو يضع مجسما فيه أدعية، كأدعية ركوب السيارة، وأدعية السفر وغيرها من الأدعية؟

الجواب: إن هذا فيه تفصيل: فإن كان وضع هذه الأشياء ليحفظها، ويتذكر قراءتها، فهذا جائز، كمن يضع المصحف أمام السيارة، أو يضعه معه؛ فإذا صارت عنده فرصة هو أو من معه أن يقرأ فيه قرأ، فهذا جائز لا بأس به، لكن إن علقها لأجل أن تدفع عنه الآفات، فهذا يدخل في مسألة: حكم تعليق التمائم من القرآن، وقد عرفنا أن ذلك لا يجوز على الصحيح، بل يحرم.

سؤال: ما حكم من يوصي أحدا بالبحث عن راق يرقي له دون أن يطلب الرقية من الراقي بنفسه، هل هذا يدخل في الذين يسترقون؟

الجواب: إن قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب أنهم: «هم الذين لا يسترقون» (١) معناه: لا يطلبون الرقية، وفهم جواب السؤال يتبع فهم التعليل، ذلك أن أولئك كانوا لا

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/٣٤٠

يسترقون، يعني لا يطلبون الرقية، لأجل ما قام في قلوبهم من الاستغناء بالله، وعدم الحاجة إلى الخلق، ولم تتعلق قلوبهم بالخلق في رفع ما حل بهم، وكما ذكرت لك فإن مدار العلة على **تعلق القلب** بالراقي، أو بالرقية في رفع ما بالمرقي من أذى، أو في دفع ما قد يتوقع من السوء، وعليه فيكون الحالان

---

(١) تقدم.." (١)

"..................................

ـــــــQالأسفل من النار» (١) فقوله عليه الصلاة والسلام: " لولا أنا " هذا فيه ذكر لعمله - عليه الصلاة والسلام - وافترق عن قول القائل: لولا فلان لحصل كذا، من جهتين: الجهة الأولى: أن ذلك القائل هو الذي حصلت له النعمة، أو اندفعت عنه النقمة، والنبي - صلى الله عليه وسلم - هنا - يخبر عن صنيعه بعمه، وأن عمه اندفعت عنه بعض النقمة، فذلك النهي في المتحدث الذي تعلق قلبه بالذي نفعه أو دفع عنه الضر، وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لولا أنا " فهو إخبار عن نفعه لغيره، فليس فيه **تعلق القلب**، في اندفاع النقمة، أو حصول النعمة بغير الله - جل وعلا -، هذا وجه، فتكون العلة التي من أجلها نهي عن قول: لولا كذا، لما فيها من نسبة النعمة إلى غير الله، من جهة **تعلق القلب** بذلك الذي حصل له النعمة، وهذا غير وارد في قول النبي عليه الصلاة والسلام: «لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» ؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام - ليس هو الذي حصلت له النعمة، وإنما هو مخبر عن فعله لعمه.

الوجه الثاني في ذلك: أن النبي - عليه الصلاة والسلام - قد بين أن نفعه لعمه من جهة الشفاعة، فهو يشفع لعمه حتى يكون في ضحضاح من نار، فقوله: «لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» يعني: لولا شفاعتي. ومعلوم بنصوص الشرع أنه عليه الصلاة والسلام يكرم بالشفاعة، ويعطى الشفاعة، فهو سائل؛ وهو سبب من الأسباب، والمتفضل حقيقة: هو الله - جل وعلا،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٨٥) و (٦٥٦٤) ومسلم (٣٦٠) .." (٢)

"الْمَعيشَة أَو فِي صِحَة الْبدن أَو فِي حفظ النَّفس أَو المَال أَو الْعرض أَو فِي زِيَادَة **تعلق الْقلب** بِاللَّه جلّ شَأْنه كَمَا هُوَ مفصل فِي الْأَحْكَام الشَّرْعِيَّة وَقد يكون من الْأَعْمَال الشَّرْعِيَّة وَقد يكون من الْأَعْمَال مَالا يُمكن دَرك حسنه وَمن المنهيات مَالا يعرف وَجه قبحه وَهَذَا النَّوْع لَا حسن لَهُ إِلَّا الْأَمر وَلَا قبح إِلَّا النهي وَالله أعلم

الرسَالَة الْعَامَّة

نُرِيد من الرسَالَة الْعَامَّة بعثة الرُّسُل لتبليغ شيء من العقائد وَالْأَحْكَام عَن الله خَالق الْإِنْسَان وموفيه مَالا غنى لَهُ عَنهُ كَمَا

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/٥٩٧

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/٦٢٧

وفى غيره من الكائنات سداد حاجاتها ووفاء وجودها على الْقدر الذى حدد لَهَا فى رُتْبَة نوعها من الْوُجُود وَالْكَلَام فى هَذَا الْبَحْث من وَجْهَيْن الأول وَهُوَ أيسرهما على الْمُتَكَلّم وجه أَن الِاعْتِقَاد ببعثة الرُّسُل ركن من أَرْكَان الْإِيمَان فَيجب على كل مُؤمن ومؤمنة أَن يعْتَقد بِأَن الله أرسل رسلًا من الْبشر مبشرين بثوابه ومنذرين بعقابه قَامُوا بتبليغ أممهم مَا أَمرهم بتبليغه من تَنْزِيه لذاته وتبيين لسلطانه القاهر على عباده وتفصيل لأحكامه فى فَضَائِل أَعمال وصفات يطالبهم بهَا وفى مثالب الْأَفْعَال وخلائق ينهاهم عَنْهَا وَأَن يعْتَقد بِوُجُوب تصديقهم فى أَنهم يبلغون ذَلِك عَن الله وَوُجُوب الِاقْتِدَاء بهم فى سيرهم والائتمار بِمَا أمروا بِهِ والكف عَمَّا نهواعنه وَأَن يعْتَقد بِأَن مِنْهُم من أنزل الله عَلَيْهِ كتبا تشْتَمل على مَا أَرَادَ أَن يبلغوه من الْخَبَر عَنهُ وَمن الْحُدُود وَالْأَحْكَام الَّتِي علم الْخَيْر لِعِبَادِهِ فى الْوُقُوف عِنْدهَا وَأَن هَذِه الْكتب الَّتِي أنزلت عَلَيْهِم حق وَأَن يُؤمن بِأَنَّهُم مؤيدون من الْعِنَايَة الإلهية بِمَا لَا يعْهَد للعقول وَلَا للاستطاعة البشرية وَأَن هَذَا الْأَمر الْفَائِق لمعروف للبشر هُوَ المعجزة الدَّالَّة على صدق النبى فى دَعْوَاهُ فَمَتَى ادّعى الرَّسُول النُّبُوَّة وَاسْتدلَّ عَلَيْهَا بالمعجزة وَجب التَّصْدِيق برسالته

وَمن لَوَازِم ذَلِك بِالضَّرُورَةِ وجوب الِاعْتِقَاد بعلو فطرتهم وَصِحَّة عُقُولهمْ وَصدقهمْ فى أَقْوَالهم وأمانتهم فى تَبْلِيغ مَا عهد اليهم أَن يبلغوه وعصمتهم." (١)

"- الفَائِدَةُ الثَّالِثَةُ) أَنْوَاعُ السِّحْرِ: (١)

قَالَ العَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ (عُمْدَةُ القَارِي): (٢)

(وذَكَرَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الرَّازِي أَنْوَاعَ السِّحْرِ ثَمَانِيَةً:

١) سِحْرُ الكَلْدَانِيِّيْنَ الَّذِيْنَ كَانُوا يَعْبُدُوْنَ الكَوَاكِبَ السَّبْعَةَ الْمُتَحَيِّرَةَ - وَهِيَ السَّيَّارَةُ - وَكَانُوا يَعْتَقِدُوْنَ أَنَّهَا مُدَبِّرَةٌ لِلعَالَمِ، وَأَنَّهَا تَأْتِي بِالخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَهُمُ الَّذِيْنَ بَعَثَ اللهُ إِبْرَاهِيْمَ الخَلِيْلَ مُبْطِلًا لِمَقَالَتِهِم وَرَدًّا لِمَذَاهِبِهِم.

٢) سِحْرُ أَصْحَابِ الأَوْهَامِ وَالنُّفُوْسِ القَوِيَّةِ.

٣) الاسْتِعَانَةُ بِالأَرْوَاحِ الأَرْضِيَّةِ - وَهُمُ الجِنُّ - خِلَافًا لِلفَلَاسِفَةِ وَالْمُعْتَزِلَةِ، وَهُم عَلَى قِسْمَيْنِ: مُؤْمِنُوْنَ، وَكُفَّارٌ - وَهُمُ الشَّيَاطِيْنُ -.

وَهَذَا النَّوعُ يَحْصُلُ بِأَعْمَالٍ مِنَ الرُّقَى وَالدَّخَنِ، وَهَذَا النَّوْعُ الْمُسَمَّى بِالعَزَائِمِ وَعَمَلِ تَسْخِيْرٍ.

٤) التَّخَيُّلَاتُ وَالأَخْذُ بِالعُيُوْنِ وَالشَّعْبَذَةُ، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِيْنَ أَنَّ سِحْرَ السَّحَرَةِ بَيْنَ يَدِي فِرْعَوْنَ إِنَّمَا كَانَ مِنْ بَابِ الشَّعْبَذَةِ. (٣)

٥) الأَعْمَالُ العَجِيْبَةُ الَّتِيْ تَظْهَرُ مِنْ تَرْكِيْبِ الآلَاتِ الْمُرَكَّبَةِ.

٦) الاسْتِعَانَةُ بِخَوَاصِ الأَدْوِيَةِ؛ يَعْنِي فِي الأَطْعِمَةِ وَالدِّهَانَاتِ.

٧) **تَعَلُّقُ القَلْبِ**، وَهُوَ أَنْ يدَّعِي السَّاحِرُ أَنَّهُ عَرَفَ الاسْمَ الأَعْظَمَ، وَأَنَّ الجِنَّ يُطِيْعُوْنَهُ وَيَنْقَادُوْنَ لَهُ فِي أَكْثَرِ الأُمُوْرِ.

٨) السَّعيُ بِالنَّمِيْمَةِ بِالتَّصْرِيْفِ مِنْ وُجُوْهٍ خَفِيَّةٍ لَطِيْفَةٍ، وَذَلِكَ شَائِعٌ فِي النَّاسِ.

وَإِنَّمَا أُدْخِلَ كَثِيْرٌ مِنْ هَذِهِ الأَنْوَاعِ الْمَذْكُوْرَةِ فِي فَنِّ السِّحْرِ لِلَطَافَةِ مَدَارِكِهَا، لِأَنَّ السِّحْرَ فِي اللُّغَةِ: عِبَارَةٌ عَمَّا لَطُفَ وَخَفِيَ

---

(١) التوحيد لمحمد عبده محمد عبده ص/٤٤

سَبَبُهُ، ولِهَذَا جَاءَ فِي الحَدِيْثِ (إنَّ مِنَ البيَانِ لَسِحْرًا)، وَسُمِّيَ السُّحُوْرَ لِكَونِهِ يَقَعُ خَفِيًّا آخِرَ اللَّيْلِ).

---

(١) أَشْهَرُهَا أَرْبَعٌ – تَسْهِيْلًا لِلتَّدَبُّرِ وَالتَّمْيِيْزِ–:

أ) عُقَدٌ وَرُقَى: وَهِيَ قِرَاءَاتٌ وَطَلَاسِمٌ يَتَوَصَّلُ بِهَا السَّاحِرُ إِلَى اسْتِخْدَامِ الشَّيَاطِيْنِ فِيْمَا يُرِيْدُ بِهِ ضَرَرَ المَسْحُوْرِ، لَكِنْ قَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّيْنَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾ (البَقَرَة:١٠٢).

ب) خِفَّةُ اليَدِّ: وَهَذِهِ يُحْسِنُوْنَهَا بِالتَّدَرُّبِ عَلَى المُسَارَعَةِ بِفِعْلِ الأَشْيَاءِ، كَإِخْرَاجِ المُخْبُوءِ مِنْ حَيْثُ لَا يُشْعَرُ بِهِ، أَوِ اكْتِسَابِ المَهَارَةِ فِي أَدَاءِ أَعْمَالٍ يَعْسُرُ عَلَى النَّاسِ فِعْلُهَا.

ج) سِحْرُ العُيُوْنِ: وَهَذَا كَثِيْرٌ عِنْدَ الدَّجَّالِيْنَ، فَهُوَ لَا يُدْخِلُ السَّيْفَ – مَثَلًا – فِي جَسَدِهِ، لَكِنَّهُ يَسْحَرُ عُيُوْنَ المُشَاهِدِيْنَ وَيُمَرِّرُ السَّيْفَ عَلَى جَانِبِهِ، وَيَرَاهُ النَّاسُ المَسْحُوْرُوْنَ مَرَّ فِي وَسَطِهِ، وَبَعْضُهُ يَكُوْنُ مِنَ القِسْمِ السَّابِقِ.

د) اسْتِعْمَالُ المَوَادِّ الكِيْمَاوِيَّةِ: وَهَذِهِ يُحْسِنُهَا مَنْ يُجِيْدُ تَرْكِيْبَ المَوَادِّ بَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ؛ فَتَنْتُجُ مَادَّةٌ تَمْنَعُ تَأْثِيْرَ بَعْضِ المَوَادِّ، مِثْلَ مَا كَانَتْ تَصْنَعُ الطَّائِفَةُ الصُّوْفِيَّةُ الرِّفَاعِيَّةُ مِنْ إِيْهَامِ النَّاسِ أَنَّهُم لَا تُؤَثِّرُ بِهِمُ النَّارُ. وَالحَقِيْقَةُ أَنَّهُم يَدْهَنُوْنَ جُلُوْدَهُم بِبَعْضِ المَوَادِّ الَّتِيْ تَمْنَعُ تَأْثِيْرَ النَّارِ فِيْهِم! وَقَدْ تَحَدَّاهُم شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي أَنْ يَغْتَسِلُوا بِالمَاءِ السَّاخِنِ قَبْلَ دُخُوْلِهِمُ النَّارَ؛ فَرَفَضُوا ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَشَفَ حِيْلَتَهُم.

أَوْ أَنْ يَأْتِيَ السَّاحِرُ بِحَمَامَةٍ فَيَخْنِقَهَا أَمَامَ المُشَاهِدِيْنَ ثُمَّ يَضْرِبَهَا بِيَدِهِ فَتَقُوْمَ وَتَطِيْرَ! وَالحَقِيْقَةُ: أَنَّهُ كَانَ فِي يَدِهِ بِنْجٌ! فَأَشَمَّهَا إِيَّاهُ وأَوْهَمَهُم أَنَّهُ خَنَقَهَا فَمَاتَتْ، ثُمَّ لَمَّا ضَرَبَهَا أَفَاقَتْ مِنَ البِنْجِ! وَغَيْرُ ذَلِكَ كَثِيْرٌ مِمَّا يَفْعَلُهُ السَّحَرَةُ وَالمُشَعْوِذُوْنَ.

(٢) عُمْدَةُ القَارِي (٦١/ ١٤)، وَقَدْ اخْتَصَرَهَا رَحِمَهُ اللهُ مِنَ الأَصْلِ، ونَقَلْتُهَا عَنْهُ لِكَونِهَا مُخْتَصَرَةً دَرْءًا لِلإِطَالَةِ.

(٣) قَالَ فِي تَاجِ العَرُوْسِ (٤٢٦/ ٩): (الشَّعْوَذَةُ: السُّرْعَةُ. وَقِيْلَ: هِيَ الخِفَّةُ فِي كُلِّ أَمْرٍ).

وَقَالَ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي التَّفْسِيْرِ (٤٤/ ٢): (وَالشَّعْوَذِيُّ: البَرِيْد – لِخِفَّةِ سَيْرِهِ –). وَسَيَأْتِي مَعَنَا رَدُّ قَوْلِ مَنْ قَالَ إِنَّ سِحْرَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ كَانَ مِنْ بَابِ الشَّعْبَذَةِ لَا الحَقِيْقَةِ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ.." (١)

"الشَّرْحُ

- مُنَاسَبَةُ البَابِ لِمَا قَبْلَهُ مِنَ الأَبْوَابِ المُتَعَلِّقَةِ بِالسِّحْرِ هُوَ أَنَّ التَّطَيُّرَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِهِ بِنَصِّ الحَدِيْثِ. (١)
- وَحَقِيْقَتُهُ: التَّشَاؤُمُ أَوِ التَّفَاؤُلُ بِحَرَكَةِ الطَّيْرِ مِنَ السَّوَانِحِ وَالبَوَارِحِ أَوِ النَّطِيْحِ أَوِ القَعِيْدِ، أَوْ بِغَيْرِ الطَّيْرِ مِنَ الحَوَادِثِ. (٢)
- التَّطَيُّرُ يُنَافِي كَمَالَ التَّوْحِيْدِ الوَاجِبِ؛ لِأَنَّه شِرْكٌ أَصْغَرٌ. وَسَبَبُ كَوْنِهِ شِرْكًا هُوَ مِنْ أَوْجُهٍ:

١) مُنَافَاتُهُ لِلتَّوَكُّلِ؛ **لِتَعَلُّقِ القَلْبِ** بِهِ دُوْنَ اللهِ تَعَالَى، وَسَبَقَ الكَلَامُ فِي بَابِ (مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيْدَ دَخَلَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ) عَنْ عَلَاقَةِ التَّوَكُّلِ بِتَرْكِ الطِّيَرَةِ. (٣)

٢) اعْتِقَادُ سَبَبِ النَّفْعِ أَوِ الضُّرِ فِي الطَّائِرِ وَنَحْوِهِ؛ حَيْثُ لَمْ يَجْعَلْهُ الشَّرْعُ سَبَبًا. (٤)

٣) رَجْمٌ بِالغَيْبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُوْنَ أَيَّانَ يُبْعَثُوْنَ﴾

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ٢٠٧/١

(النَّمل:٦٥).

- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوْسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ﴾ (الأَعْرَاف:١٣١) (٥)، قَالَ ابْنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ﴾ يَقُوْلُ: مَصَائِبُهُم عِنْدَ اللهِ وَمِنْ قِبَلِه). (٦)

- قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيْمٌ، قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُوْنَ﴾ (يس:١٩)، فَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ أَيْ: مَرْدُوْدٌ عَلَيْكُم، وَقَالَ قَتَادَةُ: أَيْ: أَعْمَالُكُم مَعَكُم.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُوْنَ﴾ (٧) أَيْ: مِنْ أَجْلِ أَنَّا ذَكَّرْنَاكُم وَأَمَرْنَاكُم بِتَوْحِيْدِ اللهِ وَإِخْلَاصِ العِبَادَةِ لَهُ؛ قَابَلْتُمُونَا بِهَذَا الكَلَامِ وَتَوَعَدْتُمُوْنَا وَتَهَدَّدْتُمُوْنَا! بَلْ أَنْتُم قَوْمٌ مُسْرِفُوْنَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: أَيْ: إِنْ ذَكَّرْنَاكُم بِاللهِ تَطَيَّرْتُم بِنَا؛ بَلْ أَنْتُم قَوْمٌ مُسْرِفُوْنَ. (٨)

---

(١) أَيْ: حَدِيْثِ قَبِيْصَةَ مَرْفُوْعًا (إِنَّ العِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطِّيَرَةَ مِنَ الجِبْتِ). ضَعِيْفٌ. أَبُو دَاوُدَ (٣٩٠٧). وَقَدْ سَبَقَ الكَلَامُ عَلَيْهِ.

(٢) قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ (فَتْحُ البَارِي) (٢١٣/ ١٠): (وَكَانُوا يَتَيَمَّنُوْنَ بِالسَّانِحِ وَيَتَشَاءَمُوْنَ بِالبَارِحِ، لِأَنَّهُ لَا يُمْكِن رَمْيُهُ إِلَّا بِأَنْ يَنْحَرِف إِلَيْهِ، ... ، وَقَدْ كَانَ بَعْضُ عُقَلَاء الجَاهِلِيَّة يُنْكِر التَّطَيُّر وَيَتَمَدَّح بِتَرْكِهِ.

قَالَ شَاعِرٌ مِنْهُمْ: (لَعُمْرُكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ بِالحَصَى ... وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللهُ صَانِعُ)).

(٣) لَكِنْ لَوْ اعْتَقَدَ هَذَا المُتَشَائِمُ المُتَطَيِّرُ أَنَّ هَذَا فَاعِلٌ بِنَفْسِهِ دُوْنَ اللهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ الشِّرْكَ الأَكْبَرَ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ مَعَ اللهِ شَرِيْكًا فِي الخَلْقِ وَالإِيْجَادِ.

(٤) وَسَيَأْتِي الكَلَامُ عَلَى هَذِهِ القَاعِدَةِ فِي بَابِ الاسْتِسْقَاءِ بِالأَنْوَاءِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

(٥) المُرَادُ بِالحَسَنَةِ هُنَا: الخَصْبُ وَالأَرْزَاقُ وَنُزُوْلُ الأَمْطَارِ.

(٦) تَفْسِيْرُ ابْنِ كَثِيْرٍ (٤٦١/ ٣) بِتَصَرُّفٍ يَسِيْرٍ.

(٧) قَالَ الشَّيْخُ ابْنُ عُثَيْمِيْن رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ (القَوْلُ المُفِيْدُ) (٥٦٢/ ١): (وَقَوْلُهُ ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُوْنَ﴾ يَنْبَغِي أَنْ تَقِفَ عَلَى قَوْلِهِ ﴿ذُكِّرْتُمْ﴾ لِأَنَّهَا جُمْلَةٌ شَرْطِيَّةٌ، وَجَوَابُ الشَّرْطِ مَحْذُوْفٌ تَقْدِيْرُهُ: أَئِنْ ذُكِّرْتُم تَطَيَّرْتُم! وَعَلَى هَذَا فَلَا تَصِلْهَا بِمَا بَعْدَهَا.

(٨) تَفْسِيْرُ ابْنِ كَثِيْرٍ (٥٧٠/ ٦).." (١)

"فيه مسائل:

الأولى "تفسير الرقى والتمائم" أي الرقى هي التي تسمى العزائم، والتمائم شيء يعلقونه يزعمون أنه يدفع العين.

الثانية "تفسير التولة" أي ما يصنعون يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته وهو ضرب من السحر.

---

(١) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ٢٥٠/١

الثالثة "أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء" أي كما دل عليه حديث ابن مسعود لما فيه من **تعلق القلب** على غير الله إلا ما دل الدليل على جوازه ولم يعلق العبد قلبه عليه كما رخص في الرقى ما لم تكن شركا.

الرابعة "أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك" أي ليس مما نهي عنه إذا اجتمعت شروطه وهي أن يكون بأسماء الله وصفاته وأن يكون باللسان العربي وما يعرف معناه وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بنفسها بل بتقدير الله كما ذكره الشارح عن السيوطي.

الخامسة "أن التميمة إذا كانت من القرآن فقد اختلف العلماء هل هي من ذلك أم لا" أي هل هي مما نهي عنه أم لا والراجح أنها داخلة في المنهي عنه لأمور ثلاثة: عموم النهي ولا مخصص، وكون المعلق لها يمتهنها بدخول الخلاء وهي عليه، وكون ذلك وسيلة إلى تعليق ما ليس من القرآن كما أشار إلى ذلك في الشرح.

السادسة "أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك" أي مما نهي عنه لكونه أمر بقطعه وتوعد من تقلده.

السابعة "الوعيد الشديد على من تعلق وترا" أي لقوله: "أو تقلد وترا" إلى أن قال: "فإن محمدا بريء منه".." (١)

"الكونيات وهو علم معرفة صفة الربوبية الأول، وعلم معرفة صفة الألوهية الثاني، وهو كشف التكليفات، فالتحقيق بالأمر والنهي والمحبة والخوف والرجاء يكون عن كشف علم الألوهية، والتحقيق بالتوكل والتفويض والتسليم يكون بعد كشف علم الربوبية، وهو علم التدبير الساري في الأكوان كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ فإذا تحقق بهذا المشهد ووفقه الله تعالى لذلك بحيث لا يحجبه مشهد الربوبية عن مشهد الألوهية فهو السعيد في العبودية، فإن هذين المشهدين عليهما مدار الدين، فإن جميع مشاهد الرحمة واللطف والكرم والجمال داخل في مشهد الألوهية، وجميع مشاهد العظمة والكبرياء والملك والقهر والجلال داخل في مشهد الربوبية، ولهذا قيل إن هذه الآية جمعت سر القرآن، بل سائر الكتب الإلهية كلها ترجع إليه وتدور عليها، أعني إياك نعبد وإياك نستعين، لأن أولها اقتضى عبادته بالأمر والنهي والمحبة والخوف والرجاء الذي لازمه الدعاء والإنابة والرغبة والرهبة والتوكل، وآخرها اقتضى عبادته بالتفويض والتسليم وترك الاختيار، وجميع العبوديات داخلة في ذلك، فلا يدعى بما لا يقدر عيه إلاَّ الله غيره، ولا يرجى فيه إلاَّ هو، ولا يستغاث إلا به، لأنه لا حول وهي الحركة والتحول من حال إلى حال، ولا قوة على ذلك الحول إلاَّ بالله، سواء ذلك الحول والقوة الموجودة في السماء والأرض والآدميين والملائكة والجن وسائر الدواب وغيرها: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ وقال تعالى: ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين كم تعبد قال ستة في الأرض وواحداً في السماء قال فمن الذي تعد لرغبتك ورهبتك قال الذي في السماء ... الحديث، رواه الإمام أحمد والترمذي. فهذا يوجب انقطاع **تعلق القلب** بغيره تعالى وإن كان ملكاً أو نبياً فكيف بالمشايخ الأولياء العلماء، أو بالفجار الدجالين الأشقياء، فإن غاية الراجي لهم الداعي منهم المتوكل عليهم أن يقول مرادي يشفعون لي، فقطع سبحانه مادة ذلك كله قطعاً شافياً، فأخبر تعالى في محكم كتابه أنه ما من شفيع إلاَّ من

(١) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد عبد الله الدويش ص/٦٦

بعد إذنه، ونفى أن يشفع أحد لأحد إلاَّ بإذنه، وأعلن بأن سائر الشفعاء لا يشفعون إلاَّ لمن ارتضى أو هم من خشينه مشفقون وقال يومئذ لا تنفع الشفاعة إلاَّ لمن أذن له الرحمن ورضي له قولاً ولهذا إذا جاء سيد الشفعاء وأفضلهم." (١)

"بقدر ذلك، وان كان في الظاهر أميراً لهم مدبراً لهم متصرفاً بهم، فالعاقل ينظر إلى الحقائق لا إلى الظواهر، فالرجل الذي قد تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه أسيراً لها تحكم فيه وتتصرف بما تريد وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها، وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها، لاسيما إذا علمت بفقره إليها وعشقه لها وأنه لا يعتاض عنها بغيرها، فإنها حينئذ تحتكم فيه حكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه بل أعظم، فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، لأن من استعبد بدنه واسترق وأسر لا يبالي إذا كان قلبه مستريحاً من ذلك مطمئناً بل يمكنه الاحتيال في الخلاص من ذلك، وأما استرقاق القلب واستعباده لغير الله فهو الذل والأسر والاسترقاق المحض، وما العبودية إلاَّ ما استعبد القلب واسترقه وأسره وهذا هو الذي يترتب عليه الثواب والعقاب، فإن المسلم لو أسره كافر أو استرقه فاجر بغير حق لم يضره ذلك مع قيامه بما يقدر عليه مما أمر به من الواجبات، ولهذا من استعبد بحق فأدى حق الله وحق مواليه فله أجران ولو أكره على الكفر تكلم به وقلبه مطمئن بالإيمان لم يضره ذلك، وهذا بخلاف ما استعبد قلبه لغير الله فصار رقيقاً له فهذا هو الضار في الدين المنقص عن درجة الموحدين وان كان ملك الناس ظاهر، فالحرية في هذا الباب حرية القلب والعبودية عبوديته، كما أن الغنى غنى القلب، وهذا إذا استعبدت صورة مباحة قلبه فكيف بالمحرمة كالمرأة الأجنبية أو الصبي الأمرد أو الدرهم أو الدينار المحرم فهذا هو العذاب الأليم دنيا ودينا، والعاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقاً بها واستعبدته رقيا لها اجتمع عليه من أنواع الشر والفساد ما لا يحصيه إلاَّ ربُّ العباد ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى فدوام تعلق القلب بها بلا فعلها أشد ضرراً ممن يفعل ذنباً، ثم يقلع عنه ويتوب منه ويزول من قلبه أثره، إذ تعلق القلب بالفواحش والظلم والشرك والكذب وابتغاء العلو في الأرض موجب لبقاء عبودية القلب لها ما بقي متعلقاً بها وهو رقيق أيضاً لمن يعينه عليها، وإن كان دونه رتبة والأمور الدنيوية نوعان:

منها ما يحتاج إليه العبد كاحتياجه إلى طعامه وشرابه ومسكنه ومنكحه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه كما قال تعالى: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ ويكون المال عنده بهذا النوع يستعمله في حاجته بمنزلة دابته التي يركب عليها وبساطه الذي." (٢)

"من تتمة المتن:

عن ابن عباس – رضي الله عنهما– قال: " حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. قالها إبراهيم –عليه السلام– حين ألقي في النار. وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ". رواه البخاري والنسائي١.

ملاحظة: التوكل: هو اعتماد القلب على الله إيمانا بكفايته سبحانه لعبده، وللتوكل على غير الله ثلاثة أقسام:

---

(١) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٢٩٥

(٢) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٣١٩

أحدها: أن يتوكل على مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق: وهذا شرك أكبر.

وثانيها: أن يتوكل على المخلوق فيما يقدر عليه مع **تعلق القلب** به في جلب المنفعة ودفع المضرة: وهذا شرك أصغر.

وثالثها: أن يعتمد على المخلوق فيما يقدر عليه بدون أن **يتعلق القلب** به في جلب المنفعة ودفع المضرة: فهذا جائز كالاعتماد على شخص في بيع أو غيره. والتوكل نصف الدين ونصفه الآخر الإنابة، والتوكل لا ينافيه فعل الأسباب، بل فعل الأسباب علامة على صحة الإيمان.

١ رواه البخاري (الفتح ٨/ ٤٥٦٣) في التفسير، باب ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ . والنسائي في الكبرى (٦/ ٣١٦) .." (١)

"اعْتقد أَنه حق، وَتعلق قلبه بذلك، وَحصل فِي نَفْسِهِ نَوْعٌ مِنَ الرُّعْبِ وَالْمَخَافَةِ، وَإِذَا حَصَلَ الْخَوْفُ ضَعُفَتِ الْقُوَى الْحَسَّاسَةُ، فَحِينَئِذٍ يَتَمَكَّنُ السَّاحِرُ مِنْ أَنْ يَفْعَلَ مَا يَشَاءُ.

قَالَ الرَّازِيُّ: وَإِنَّ مَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ وَعَرَفَ أَحْوَالَ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلِمَ أَنَّ **لِتَعَلُّقِ الْقَلْبِ** أَثَرًا عَظِيمًا فِي تَنْفِيذِ الْأَعْمَالِ وَإِخْفَاءِ الْأَسْرَارِ.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ بَعْدَ أَنْ نَقَلَ هَذَا النَّوْعَ مِنَ السِحْرِ عَنِ الرَّازِيِّ: هَذَا النَّمَطُ يُقَالُ لَهُ التَّنْبَلَةُ، وَإِنَّمَا يُرَوَّجُ عَلَى ضُعَفَاءِ الْعُقُولِ مِنْ بَنِي آدَمَ. وَفِي عِلْمِ الْفِرَاسَةِ مَا يُرْشِدُ إِلَى مَعْرِفَةِ كَامِلِ الْعَقْلِ مِنْ نَاقِصِهِ. فَإِذَا كَانَ النَّبيل حَاذِقًا فِي عِلْمِ الْفِرَاسَةِ عَرَفَ مَنْ يَنْقَادُ لَهُ مِنَ النَّاسِ مِنْ غَيْرِهِ.

النَّوْعُ الثَّامِنُ مِنْ أَنْوَاعِ السِّحْرِ: السَّعْيُ بِالنَّمِيمَةِ وَالتَّضْرِيبُ مِنْ وُجُوهٍ لَطِيفَةٍ خَفِيَّةٍ وَذَلِكَ شَائِعٌ فِي النَّاسِ اهـ.

وَالتَّضْرِيبُ بَيْنَ الْقَوْمِ: إِغْرَاءُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ.

وَقَالَ ابْنُ كثير رَحمَه الله بَعْدَ أَنْ نَقَلَ هَذَا النَّوْعَ الْأَخِيرَ عَنِ الرَّازِيِّ قُلْتُ: النَّمِيمَةُ عَلَى قِسْمَيْنِ: تَارَةً تَكُونُ عَلَى وَجْهِ التَّحْرِيش بَيْنَ النَّاسِ، وَتَفْرِيقِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ. فَهَذَا حَرَامٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. فَأَمَّا إِنْ كَانَتْ عَلَى وَجْهِ الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَائْتِلَافِ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ «لَيْسَ الْكَذَّابُ مَنْ يُنَمِّ خَيْرًا» (١) أَوْ يَكُونُ عَلَى وَجْهِ التَّخْذِيلِ وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ جُمُوعِ الْكَفَرَةِ، فَهَذَا أَمْرٌ مَطْلُوبٌ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ «الْحَرْبُ خدعة» (٢) ، وكما فعل

---

(١) - أخرجه البُخَارِيّ (٢/٩٥٨) (٢٥٤٦) ، وَمُسلم (٤/٢٠١١) (٢٠٦٥) من حَدِيث أم كُلْثُوم بنت عقبَة –رَضِي الله عَنْهَا – مَرْفُوعا: [لَيْسَ الْكذَّاب الَّذِي يصلح بَين النَّاس فينمي خيرا أَو يَقُول خيرا] ، وَاللَّفْظ للْبُخَارِيّ.

(٢) - أخرجه البُخَارِيّ (٣/١١٠٢) (٢٨٦٦) ، وَمُسْلِمٌ (٣/١٣٦١) (١٧٣٩) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - .." (٢)

---

(١) الجديد في شرح كتاب التوحيد محمد بن عبد العزيز القرعاوي ص/٣٠٥

(٢) الجموع البهية للعقيدة السلفية أبو المنذر المنياوي ١/٢٩٤

"من الغلُوِّ في رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويُفرِّق بين الغُلُوِّ والإطراء، فيَمنعُ الإطراءَ ويُجيزُ الغلُوَّ، قال: "ولو قلتُم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لاتطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم" لكان كلاماً مقبولاً، ولكان ذلك نصيحةً غاليةً.

أمَّا الحبُّ الذي هو تعلُّق القلب بالمحبوب على وجه الاستئناس بقُربِه والاستيحاش من بُعده، فلا يكون الغلوُّ فيه عندما يكون المحبوب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلاَّ عنواناً على مزيدِ قُربٍ من الله!! وقد علمنا أنَّ الحبَّ في الله من مُستلزمات توحيد الله تعالى، ومهما غلا مُحبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حُبِّه له أو بالَغ، فلن يصِل إلى أَبعد من القَدْر الذي أَمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم!!! إذ قال فيما اتَّفق عليه الشيخان: "لا يؤمن أحدُكم حتى أكون أحبَّ إليه من مالِه وولدِه والناس أجمعين"، وفي رواية للبخاري: "ومن نفسه".

والجواب: على ذلك أن نقول:

أولاً: أمَّا ثناء البوطي على الرفاعي فيصدق على المثنِي والمثنَى عليه قول الشاعر:." (١)

"٦. "وكونه النافع الضار المعطي المانع".

فمن اتصف بهذه الصفات فهو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه، وهذا دليل عظيم على وجوب إفراد الله بالعبادة.

قال رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ١.

قال: "هذا من أعظم الأدلة على أن الله وحده المستحق للعبادة، فإنه النافع الضار المعطي المانع الذي إذا مس بضر كفقر ومرض ونحوها فلا كاشف له إلا هو؛ لأن الخلق لو اجتمعوا على أن يضروا أحداً لم يقدروا على شيء من ضرره إذا لم يرده"٢.

هذا وإن هناك عدة أمور إذا تأملها الإنسان وتبصر فيها هدته إلى أن الله هو المعبود بحق ولا معبود بحق سواه. أجملها الشيخ ابن سعدي في تسعة أمور ذكرها عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ٣.

قال: "العلم لا بد فيه من إقرار القلب ومعرفته بمعنى ما طلب منه علمه وتمامه أن يعمل بمقتضاه.

وهذا العلم الذي أمر الله به وهو العلم بتوحيد الله فرض عين على كل إنسان لا يسقط عن أحد كائنا من كان، بل كل مضطر إلى ذلك.

والطريق إلى العلم بأنه لا إله إلا الله أمور:

أحدها: بل أعظمها تدبر أسمائه وصفاته الدالة على كماله وعظمته وجلاله فإنها توجب بذل الجهد في التأله والتعبد للرب الكامل الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنه تعالى المنفرد بالخلق والتدبير فيعلم بذلك أنه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنه المنفرد بالنعم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية فإن ذلك يوجب تعلق القلب به ومحبته والتأله له وحده

---

(١) الرد على الرفاعي والبوطي في كذبهما على أهل السنة ودعوتهما إلى البدع والضلال عبد المحسن العباد ص/١٤٢

لا شريك له.

الرابع: ما نراه ونسمعه من الثواب لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر والنعم العاجلة ومن عقوبته لأعدائه المشركين به فإن هذا داع إلى العلم بأنه تعالى وحده المستحق للعبادة كلها.

---

١ سورة يونس/ الآية ١٠٧.

٢ التفسير ٣/٣٩٧.

٣ سورة محمد/ الآية ١٩.." (١)

"ثم شرع رحمه الله في ذكر تفاصيل ثمرات الإيمان وفوائده وإليك ملخصها:

فمن ثمرات الإيمان وفوائده:

(١) أنه سبب رضا الله الذي هو أكبر شيء.

(٢) أن ثواب الآخرة ودخول الجنة والتنعم بنعيمها، والنجاة من النار وعقابها إنما يكون بالإيمان.

(٣) أن الله يدفع ويدافع عن الذين آمنوا شرور الدنيا والآخرة.

(٤) أن الله وعد المؤمنين القائمين بالإيمان حقيقة بالنصر والتأييد.

(٥) أن الهداية من الله للعلم والعمل ولمعرفة الحق وسلوكه هي بحسب الإيمان والقيام بحقوقه.

(٦) أن الإيمان يدعو إلى الزيادة من علومه وأعماله الظاهرة والباطنة.

(٧) أن المؤمنين بالله وبكماله وعظمته وكبريائه ومجده أعظم الناس يقيناً وطمأنينة وتوكلاً على الله وثقة به.

(٨) أنه لا يمكن العبد أن يقوم بالإخلاص لله ولعباد الله ونصيحتهم على وجه الكمال إلا بالإيمان.

(٩) أن المعاملات بين الخلق لا تتم وتقوم إلا على الصدق والنصح وعدم الغش ولا يقوم بذلك حقيقة إلا المؤمنون.

(١٠) أن الإيمان أكبر عون على تحمل المشقات، والقيام بأعباء الطاعات وترك الفواحش التي في النفوس داع قوي إلى فعلها، فلا تتم هذه الأمور إلا بقوة الإيمان.

(١١) أن العبد لا بد أن يصاب بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات والإيمان أكبر عون على تحمل هذه المصائب.

(١٢) أن الإيمان يوجب للعبد قوة التوكل على الله لعلمه وإيمانه أن الأمور كلها راجعة إلى الله ومندرجة في قضائه وقدره.

(١٣) أن الإيمان يشجع العبد ويزيد الشجاع شجاعة فإن لاعتماده على الله العزيز الحكيم ولقوة رجائه وطمعه فيما عنده تهون عليه المشقات ويقدم على المخاوف واثقاً بربه راجياً له راهباً من نزوله من عينه لخوفه من المخلوقين.

(١٤) أن الإيمان هو السبب الأعظم **لتعلق القلب** بالله في جميع مطالب الدينية والدنيوية.

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/١٥٦

(١٥) أن الإيمان يدعو إلى حسن الخلق مع جميع طبقات الناس، وإذا ضعف الإيمان أو نقص أو انحرف، أثر ذلك في أخلاق العبد انحرافا بحسب بعده عن الإيمان.." (١)

"والتفرد بالضر والنفع والعطاء والمنع ونفوذ المشيئة، وكمال القوة وتدبير أمر الخليقة أخص باسم "الرب" وصفات الإحسان والجود والبر والحنان، والمنة والرأفة واللطف أخص باسم "الرحمن""١ اهـ.

وكلام الحافظ ابن القيم غني عن التعليق لوضوحه في بيان العلاقة أو النسبة بين الربوبية والإلهية. وقال رحمه الله في موضع آخر في كتابه مدارج السالكين: "إن توحيد الربوبية باب لتوحيد الإلهية، فإن أول ما **يتعلق القلب** بتوحيد الربوبية ثم يرتقي إلى توحيد الإلهية كما يدعو الله عباده في كتابه بهذا النوع من التوحيد إلى النوع الآخر، ويحتج به عليهم، ويقررهم به ثم يخبر أنهم ينقضونه بشركهم به في الإلهية، وفي هذا المشهد يتحقق مقام: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ، يقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ "٢.

هذا، وإن توحيد الربوبية محل إجماع البشر، ولا فرق بين مؤمنهم وكافرهم، بل كلهم يؤمنون بربوبيته، وإن أشرك من أشرك في عبادته.

وأما الصراخ المنكر والقول الهجين الذي سمعته الدنيا لأول مرة في الآونة الأخيرة٣، والذي ينادي بكل وقاحة، بإنكار وجود الله تعالى مكابرة، وأنه ليس هو الذي خلق هذا الكون، وأن الدين إنما يقصد به تخدير الشعوب إلى آخر تلك المغالطة، فإنها تهدف إلى تضليل متعمد إذ لا مستند له من العقل والفطرة السلمية بله الشرع، ولا أرى مناقشته هنا.

وهل يناقش من ينكر وجود الشمس وهي طالعة؟!! وكيف ينكر وجود الخالق من هو مخلوق له وآية من آياته؟!!

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

---

١ مدارج الساكين ١/٣٢.

٢ سورة الزخرف آية: ٨٧، وانظر مدارج السالكين ١/٤١١.

٣ هذا الكلام يعني بالنسبة للعصر الحديث، فلا يَرِدُ موقف الدهرية الذين أخبر عنهم القرآن حيث كانوا يقولون: نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر. ومن كانوا في معناهم مثل الطبيعيين القائلين في تفسير الوجود "المادة والصدفة" ويعتبر موقف الماركسيين جديداً بهذا الاعتبار أي باعتبار هذا العصر.." (٢)

"تُخْبِرُونَنَا (١) فلا نَدْرِي، فما بالُ هؤلاء الذين يَبْقرونَ (٢) بُيُوتَنَا، ويسرِقُون أعْلاقَنَا (٣) قال: أولئِك الفساق (٤) –أجَلْ– لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إلا أربعةٌ أحدهم شيخ كبير لو شَرِبَ المَاءَ البَارِدَ لما وَجَدَ بَرْدَهُ (٥). رواه البخاري (٦) من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن زيد بن وهب، عن حُذيفة في تفسير قولِه تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢].

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في تو ضيح العقيدة عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٢٩٧

(٢) الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه محمد أمان الجامي ص/٨٠

فدلَّ ذلك على أن الفسقَ في اللغة، هو التمردُ والتكبر، والأنَفَة من قبول الحق، والتعمد للباطل، وذلك لا يتناولُ المتأوِّلَ المتديّنَ المتواضِعَ المتخَشِّعَ الذي يَغْلِبُ على الظن صدقه، أقصى ما في الباب أن هذا السؤال غيرُ راجح ولا ظاهر، لكنه محتمل، إما مساوٍ، وإما مرجوح، وعليك إبطالُ ذلك، ورفعُ الاحتمال بدليلٍ قاطع، لأنَّك ادَّعَيْتَ أن المسألة قطعية، ومنعت المنازعةَ فيها.

الإشكال الثالث: أنَّ المتأوِّلين كانوا غيرَ موجودين في ذلك الزمان، وما كان غيرَ موجودٍ لم يسبق الفهمُ إلى إرادته، وما لم يسبق الفهمُ إلى إرادته لندوره، وقلةِ حضوره في الذهن، فقد اختلف العلماءُ هل يتناولُه العمومُ مع وجوده، ومع صريحِ العموم؟ كيف، وهو في مسألتنا غيرُ

---

(١) زاد الإسماعيلي في روايته: " عن أشياء ".

(٢) بالباء الموحدة والقاف من " البقر " وهو الشق، قال الخطابي: أي ينقبون، قال: والبقر أكثر ما يكون في الشجر والخشب، وقال ابن الجوزي: معناه: يفتحون، يقال: بقرت الشيء: إذا فتحته، ويقال: ينقرون بالنون بدل الباء.

(٣) جمع علق: وهو الشيء النفيس، سمي بذلك لتعلق القلب به، والمعنى يسرقون نفائس أموالنا.

(٤) أي: الذين يبقرون ويسرقون: لا الكفار والمنافقون.

(٥) أي: لذهاب شهوته، وفساد معدته، فلا يفرق بين الألوان والطعوم.

(٦) برقم (٤٦٥٨) في التفسير، وأخرجه النسائي في التفسير من الكبرى كما في " تحفة الأشراف " ٣/ ٣٣، ونسبة الحافظ في " الفتح " ٨/ ٣٢٣ لابن مردويه.." [(١)]

"فيه مسائل:

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه على النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلي في المقبرة.

الثامنة: تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه صلى الله عليه وسلم في البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

[التعليق:]

---

(١) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير ٢/١٦٧

باب: ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب، رأى نصوصا كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوي التوحيد وينميه ويغذيه، من الحث على الإنابة إلى الله وانحصار **تعلق القلب** بالله رغبة ورهبة، وقوة الطمع في فضله وإحسانه والسعي لتحصيل ذلك، وإلى التحرر من رق المخلوقين وعدم التعلق بهم بوجه من الوجوه، أو الغلو في أحد منهم، والقيام التام بالأعمال الظاهرة والباطنة، وتكميلها وخصوصا حث النصوص على روح العبودية وهو الإخلاص التام لله وحده.

ثم في مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين، ونهى عن التشبه بالمشركين؛ لأنه يدعو إلى الميل إليهم.." (١)

"[التعليق:]

باب: ما جاء في التنجيم

التنجيم نوعان:

نوع يسمى علم التأثير: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية، فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفرد به، أو تصديق لمن ادعى ذلك، وهذا ينافي التوحيد لما فيه من هذه الدعوى الباطلة، ولما فيه من **تعلق القلب** بغير الله، ولما فيه من فساد العقل لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان.

النوع الثاني: علم التسيير: وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات، فهذا النوع لا بأس به، بل كثير منه نافع قد حث عليه الشارع، إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات، أو إلى الاهتداء به في الجهات. فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه، وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني.." (٢)

"قبورا، وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم» . رواه في المختارة.

فيه مسائل: الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، ومع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه على النافلة في البيت.

السابعة: لأنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة.

الثامنة: تعليل ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد، فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

التاسعة: كونه صلى الله عليه وسلم البرزخ تعرض أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه.

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط النفائس عبد الرحمن السعدي ص/٨٦

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط النفائس عبد الرحمن السعدي ص/١٠٨

باب

ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب رأى نصوصا كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوي التوحيد وينميه ويغذيه، من الحث على الإنابة إلى الله وانحصاره في **تعلق القلب** بالله رغبة ورهبة، وقوة الطمع في فضله وإحسانه والسعي لتحصيل ذلك، وإلى التحرر من رق المخلوقين وعدم التعلق بهم بوجه من الوجوه، أو الغلو في أحد منهم، والقيام التام بالأعمال الظاهرة والباطنة وتكميلها وخصوصا حث النصوص على روح العبودية وهو الإخلاص التام لله وحده.

ثم في مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين، ونهى عن التشبه بالمشركين لأنه يدعو إلى الميل إليهم.

ونهى عن أقوال وأفعال يخشى أن يتوصل بها إلى الشرك كل ذلك حماية للتوحيد.

ونهى عن كل سبب يوصل إلى الشرك، وذلك رحمة بالمؤمنين ليتحققوا بالقيام بما خلقوا له من عبودية الله الظاهرة والباطنة وتكميلها، لتكمل لهم السعادة والفلاح.

وشواهد هذه الأمور كثيرة معروفة.." (١)

"وكره قتادة تعلم منازل القمر، ولم يرخص ابن عيينة فيه، ذكره حرب عنهما.

ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: مدمن الخمر، وقاطع الرحم، ومصدق بالسحر» . رواه أحمد وابن حبان في صحيحه.

فيه مسائل: الأولى: الحكمة في خلق النجوم.

الثانية: الرد على من زعم غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف في تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر، ولو عرف أنه باطل.

باب ما جاء في التنجيم التنجيم نوعان: نوع يسمى علم التأثير: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية، فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفرد به، أو تصديق لمن ادعى ذلك، وهذا ينافي التوحيد لما فيه من هذه الدعوى الباطلة، ولما فيه من **تعلق القلب** بغير الله، ولما فيه من فساد العقل، لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان.

النوع الثاني: علم التسيير: وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات، فهذا النوع لا بأس به، بل كثير منه نافع قد حث عليه الشارع، إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات، أو إلى الاهتداء به في الجهات.

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط الوزارة عبد الرحمن السعدي ص/٩٩

فيجب التفريق بين ما نهى عنه الشارع وحرمه وبين ما أباحه أو استحبه أو أوجبه، فالأول هو المنافي للتوحيد دون الثاني.." (١)

"عن أنس؛ أن رسول الله (قال: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين (أخرجاه (١) .

النبي (الآن يا عمر) (٢) ، فقد ازدادت محبة عمر (للنبي) ؛ وأقره النبي (على أن الحب قد يتغير.

وربما تسمع عن شخص كلاما وأنت تحبه فتكرهه، ثم يتبين لك أن هذا الكلام كذب؛ فتعود محبتك إياه.

قوله في حديث أنس: "لا يؤمن": هذا نفي الإيمان، ونفي الإيمان تارة يراد به نفي الكمال الواجب، وتارة يراد به نفي الوجود؛ أي: نفي الأصل. والمنفي في هذا الحديث هو كمال الإيمان الواجب؛ إلا إذا خلا القلب من محبة الرسول (إطلاقا؛ فلا شك أن هذا نفي لأصل الإيمان.

قوله: "من ولده": يشمل الذكر والأنثى، وبدأ بمحبة الولد؛ لأن **تعلق القلب** به أشد من تعلقه بأبيه غالبا.

قوله: "ووالده": يشمل أباه، وجده وإن علا، وأمه، وجدته وإن علت.

قوله: "والناس أجمعين": يشمل إخوته وأعمامه وأبناءهم وأصحابه ونفسه؛ لأنه من الناس؛ فلا يتم الإيمان حتى يكون الرسول أحب إليه من جميع المخلوقين.

وإذا كان هذا في محبة رسول الله (؛ فكيف بمحبة الله تعالى؟!!

---

(١) أخرجه البخاري في (الأيمان، باب كيف كانت يمين النبي (/٤/٢١٦) من حديث عمر (.

(٢) أخرجه البخاري في (الإيمان، باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان/١/٢٢) ، ومسلم في (الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل/١/٦٧) .." (٢)

"المطلب الثاني: أركان "لا إله إلا الله

"لا إله إلا الله" لها نوعان من الأركان؛ نوع لفظي، ونوع معنوي.

أما النوع اللفظي: وهو ما تضمنه لفظ الشهادة "لا إله إلا الله": فركناه نفي وإثبات؛ "لا إله": نفي، "وإلا الله": إثبات.

وأما النوع المعنوي، وهو ما تضمنه معنى الشهادة "لا معبود بحق إلا الله": فركناه نفي وإثبات أيضا؛ ف "لا معبود بحق": نفي، و"إلا الله": إثبات.

يقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين: فلا إله إلا الله" اشتملت على نفي وإثبات؛ فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى؛ فكل ما سواه من الملائكة، والأنبياء، فضلا عن غيرهم؛ فليس بإله، ولا له من العبادة شيء. وأثبتت الإلهية لله

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط الوزارة عبد الرحمن السعدي ص/١٢١

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ٢/٥٠

وحده؛ بمعنى أن العبد لا يأله غيره؛ أي لا يقصده بشيء من التأله؛ وهو **تعلق القلب** الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة؛ كالدعاء، والذبح، والنذر، وغير ذلك١.

فالنفي إذا: نفي الإلهية واستحقاق العبادة عن كل ما سوى الله عز وجل.

والإثبات: إثبات الإلهية واستحقاق العبادة عن كل ما سو الله عز وجل.

والإثبات: إثبات الإلهية واستحقاق العبادة لله عز وجل وحده، لا شريك له٢.

وهو معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣] .

---

١ الشهادتان: معناهما، وما تستلزمه كل منهما للشيخ ابن جبرين ص٢٢. وانظر الدين الخالص لصديق حسن خان ١/ ١٨٩.

٢ انظر أعلام السنة المنشورة للشيخ حافظ الحكمي ص٣٩." [(١)]

"النوع الثاني: التمائم المختلف فيها وهي التي جمعت الشروط التالية ١

١- أن تكون بشيء من القرآن الكريم، أو بالأدعية الصحيحة.

٢- أن تكون بلغة عربية مفهومة، أو بلغة أخرى يفهم معناها.

٣- أن تكون خالية من الطلاسم، والشركيات.

٤- أن يكون صاحبها على عقيدة صافية؛ بأنه لا يجلب النفع ولا يدفع الضر إلا الله.

حكم هذا النوع من التمائم:

هذا النوع من التمائم قد اختلف العلماء في حكمه، فرأى بعضهم جوازه، وبعضهم تحريمه. يقول الإمام أحمد: "التعليق كله يكره، والرقى ما كان من القرآن، فلا بأس به"٢.

أدلة من قال بتحريم هذا النوع ٣:

١- عموم النهي الوارد في التمائم، دون تخصيص نوع منها؛ فقد جاء المنع من تعليق التمائم دون تفصيل. ولو كان تعليق التمائم مشروعا، لبينه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بين الرقية وأذن فيها بقوله: "لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك"٤.

٢- إن القول بجواز تعليق التمائم المختلف فيها قد يعطل سنة الرقية المتفق عليها.

٣- إن القول بتعليق التمائم متردد بين الجواز والتحريم. وما كان كذلك فالأولى اجتنابه درءا للمفاسد، واتقاء للشبهات.

٤- تعليق التمائم وسيلة مفضية إلى الشرك؛ فقد يعتقد معلقها أنه لولا التمائم لحصل له كذا وكذا فيحصل فيها **تعلق القلب**، فيفضي إلى اعتقاد أنها مؤثرة بذاتها. وهذا شرك. وسد الذرائع واجب، ودفع المفاسد مقدم على جلب المصالح٥.

---

(١) المفيد في مهمات التوحيد عبد القادر عطا صوفي ص/٦٨

١ انظر أحكام الرقى والتمائم للدكتور فهد السحيمي ص٢٤٣، ٢٥٣.
٢ مسائل الإمام أحمد برواية الكوسج ٢/ ١٦٩.
٣ انظر التمائم في ميزان العقيدة للدكتور علي العلياني ص٤٦-٥٠.
٤ تقدم تخريج هذا الحديث ص١٣٨، ح"١".
٥ انظر معارج القبول للشيخ حافظ الحكمي ١/ ٣٨٢.." (١)

"الفصل السابع

صور الموالاة ومظاهرها

إن جمع صور الموالاة ومظاهرها في فصل مستقل أمر له أهميته في مثل هذا البحث، وذلك حتى يكون القارئ على بينة من الأمور والقضايا التي تمسها قضية الولاء والبراء.

وأحب أن أنبه في هذا المقام على أنني لم ألزم نفسي بتتبع الحكم الشرعي في كل صورة من هذه الصور، وذلك لصعوبة القطع بالحكم في كل قضية، لأنه - كما يقول أهل العلم - قد يكون القول أو الفعل كفراً ولكن هناك ما يصرفه عن ظاهره فيما بين العبد وبين ربه، ولكن على العموم فهذه الصور تتفاوت من كون فاعلها خارجاً من الملة كمن يحب الكفار لأجل كفرهم إلى الكبيرة من الكبائر كتعظيمهم والثناء عليهم (١) . وذلك أن (مسمى الموالاة يقع على شعب متفاوتة منها ما يوجب الردة كذهاب الإسلام بالكلية، ومنها ما هو دون ذلك من الكبائر والمحرمات) (٢) . وقد حرص الدين الإسلامي على إخلاص العبادة (وهي الطاعة والانقياد) لله وحده والبراءة من كل متبوع أو مرغوب، أو مرهوب، **وتعلق القلب** بربه في الخشية والخوف والرجاء والعون والنصرة، لأن (كل من علق قلبه بالمخلوقين أن ينصروه أو يرزقوه أو يهدوه: خضع قلبه لهم، وصار فيه من العبودية لهم بقدر ذلك.. ومعلوم أن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن فإن من استعبد بدنه واسترق وأسر لا

---

(١) الدرر السنية (٧/ ٢٠١) والهدية الثمينة للشيخ عبد الله السليمان بن حميد (ص١٧) .
(٢) الرسائل المفيدة للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ (ص٤٣) .." (٢)

"قضاء حوائجنا؟! فيقال لهم: نعم وهذا الترك والإخلاص هو الحق، كما قال تعالى: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١. ف: " لا إله إلا الله " اشتملت على نفي وإثبات، فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى، فكل ما سواه من الملائكة والأنبياء فضلاً عن غيرهم، فليس بإله، ولا له من العبادة شيء، وأثبتت الإلهية لله وحده، بمعنى أن العبد لا يأله غيره، أي: لا يقصده بشيء من التأله وهو **تعلق القلب** الذي يوجب قصده بشيء من أنواع العبادة، كالدعاء والذبح والنذر وغير ذلك

---

(١) المفيد في مهمات التوحيد عبد القادر عطا صوفي ص/١٤٣
(٢) الولاء والبراء في الإسلام محمد بن سعيد القحطاني ص/٢٣١

وبالجملة فلا يأله إلا الله، أي: لا يعبد إلا هو، فمن قال هذه الكلمة عارفًا لمعناها، عاملاً بمقتضاها، من نفي الشرك وإثبات الوحدانية لله مع الاعتقاد الجازم لما تضمنته من ذلك والعمل به، فهذا هو المسلم حقًا، فإن عمل به ظاهرًا من غير اعتقاد، فهو المنافق، وإن عمل بخلافها من الشرك، فهو الكافر ولو قالها، ألا ترى أن المنافقين يعملون بها ظاهرًا وهم ﴿فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ ، [النّساء، من الآية: ١٤٥] ، واليهود يقولونها وهم على ما هم عليه من الشرك والكفر، فلم تنفعهم، وكذلك من ارتد عن الإسلام بإنكار شيء من لوازمها وحقوقها، فإنها لا تنفعه، ولو قالها مائة ألف، فكذلك من يقولها ممن يصرف أنواع العبادة لغير الله، كعباد القبور والأصنام، فلا تنفعهم ولا يدخلون في الحديث الذي جاء في فضلها، وما أشبهه من الأحاديث.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله: " وحده لا شريك له "، تنبيهًا على أن الإنسان قد يقولها وهو مشرك، كاليهود والمنافقين وعباد القبور، لما رأوا أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا قومه إلى قول: " لا إله إلا الله "، ظنوا أنه إنما دعاهم إلى النطق بها فقط، وهذا جهل عظيم، وهو عليه السلام إنما دعاهم إليها ليقولوها ويعملوا بمعناها، ويتركوا عبادة غير الله، ولهذا قالوا: ﴿أَإِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ ٢. وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً﴾ ٣. فلهذا أبوا عن النطق بها، وإلا فلو قالوها

---

١ سورة الصافات آية: ٣٧.

٢ سورة الصافات آية: ٣٦.

٣ سورة ص آية: ٥.." (١)

"المؤمنين بل كثير من المشركين يعلمون ذلك، والعمل هو ثقة القلب بالله وفراغه من كل ما سواه، وهذا عزيز ويختص به خواص المؤمنين، وهو داخل في هذه الكلمة، لأن فيها التبرؤ من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته والإقرار بقدرته على كل شيء، وبعجز العبد عن كل شيء إلا ما أقدره عليه ربه، وهذا نهاية توحيد الربوبية الذي يثمر التوكل وتوحيد العبادة.

[الطيرة شرك]

قال: وعن ابن مسعود مرفوعًا: "الطيرة شرك الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل" ١. رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ش: هذا الحديث رواه أيضًا ابن ماجة وابن حبان ولفظ أبي داود: "الطيرة شرك الطيرة شرك ثلاثًا" ٢.

قوله: "الطيرة شرك"، صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله. وقال ابن حمدان في "الرعاية": تكره الطيرة، وكذا قال غير واحد من أصحاب أحمد. قال ابن مفلح: والأولى القطع بتحريمها. ولعل مرادهم بالكراهة التحريم.

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٥٦

قلت: بل الصواب القطع بتحريمها، لأنها شرك وكيف يكون الشرك مكروهًا الكراهة الاصطلاحية؟! فإن كان القائل بكراهتها أراد ذلك فلا ريب في بطلانه. قال في "شرح السنن": وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعًا، أو يدفع عنهم ضرًّا إذا عملوا بموجبه فكأنهم شركوه مع الله تعالى.

قوله: "وما منا إلا ... ". قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري: في الحديث إضمار والتقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك انتهى. وحاصله: وما منا إلا من يعتريه التطير، ويسبق إلى قلبه الكراهة فيه. فحذف ذلك اعتمادًا على فهم السامع. وقال الخلخالي: حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة وهذا نوع من أدب الكلام.

---

١ الترمذي: السير (١٦١٤) ، وأبو داود: الطب (٣٩١٠) ، وابن ماجه: الطب (٣٥٣٨) ، وأحمد (٣٨٩/١، ٤٣٨/١، ٤٤٠/١) .

٢ الترمذي: السير (١٦١٤) ، وأبو داود: الطب (٣٩١٠) ، وابن ماجه: الطب (٣٥٣٨) ، وأحمد (٣٨٩/١، ٤٣٨/١، ٤٤٠/١).." (١)

"عن عمران بن حصين (١)

= أنهم لا يقدرون على ذلك أصلا، وتعترفون بذلك، (أو أرادني برحمة) صحة وعافية وخير: ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ ١ أي أنتم تعلمون أنهم لا يستطيعون شيئا من الأمر، وتعترفون أنهم لا يقدرون على شيء من ذلك، فإذا علمتم أنهم لا يقدرون على ذلك فلم تعلقون عليهم من دون الله، (قل) يا محمد (حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) أي الله كافي من توكل عليه، والتوكل التفويض والاعتماد، فإذا كانت آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضر أراده الله بعبده، أو إمساك رحمة أنزلها على عبده، فيلزمهم بذلك أن يكون الله سبحانه وتعالى هو معبودهم وحده المفوض إليه جميع أمورهم، لزوما لا محيد لهم عنه.

وهذا في القرآن كثير يقيم تعالى الحجة على المشركين بما يبطل شركهم بالله، وتسويتهم غيره به في العبادة، بضرب الأمثال وغير ذلك مما يعلمون به أن ذلك لله وحده، ويقرون به على ما يجحدونه من عبادته وحده، هذا وهم إنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ٢ لا على أنهم يكشفون الضر، ويجيبون دعاء المضطر، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ ٣. قال مقاتل: سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا؛ لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها، وإذا كان ذلك كذلك بطلت عبادتهم الآلهة مع الله، وإذا بطلت فلبس الحلقة والخيط ونحوهما كذلك. والمصنف -رحمه الله- استدل بالآية النازلة في الأكبر على الأصغر، كما استدل بها ابن عباس وحذيفة وغيرهما، وهذه الآية وأمثالها تبطل **تعلق القلب** بغير الله في جلب نفع، أو دفع ضر وأن ذلك لا يكون إلا بالله وحده، وأن جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله، كما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وكذلك لا يصلح شيء من

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٣٧٥

أنواع التعلقات بغير الله عز وجل.

(١) رضي الله عنه ابن عبيد بن خلف الخزاعي صحابي ابن صحابي أسلم عام خيبر، وغزا عدة غزوات، وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح، وقال الطبراني: =

---

١ سورة الزمر آية: ٣٨.

٢ سورة الزمر آية: ٣.

٣ سورة النحل آية: ٥٣.." (١)

"ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له (١) "١. وفي رواية: " من تعلق تميمة فقد أشرك " ٢.

= غير الله)) . وفي النهاية: ((التمائم جمع تميمة، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم، يتقون بها العين في زعمهم، فأبطله الإسلام)) اهـ. والتمائم أعم من ذلك، فتكون من عظام، ومن خرز، ومن كتابة، ومن غير ذلك.

---

(١) ودعة بفتح فسكون وتفتح، و "لا ودع" بتخفيف الدال أي لا ترك له ما يحب، أو لا جعله في دعة وسكون، بل حرك عليه كل مؤذ، وهذا دعاء عليه أيضا، معاملة له بنقيض قصده، وكانوا يتلمحون من اسمها الدعة والسكون. قال في النهاية: ((الودعة شيء أبيض يجلب من البحر، يعلق في حلوق الصبيان وغيرهم، وقيل يشبه الصدف يتقون به العين)) . وفيه وعيد شديد لمن فعل ذلك، يفيد أنه محرم، وإذا تقرر أنه محرم فالرواية الثانية بينت أنه من المحرمات الشركية، ومع كونه شركا فقد دعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقيض مقصوده، ورواه أبو يعلى والحاكم وقال: صحيح الإسناد. وأقره الذهبي.

(٢) وذلك " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل عليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وأمسكت عن هذا؟ فقال: "إن عليه تميمة"، فأدخل يده فقطعها فبايعه، وقال: من تعلق تميمة فقد أشرك " ٣. رواه أحمد من حديث عقبة بن عامر. ورواه الحاكم بنحوه، ورواته ثقات. وإنما جعلها صلى الله عليه وسلم شركا؛ لأنه أراد رفع القدر المكتوب، وطلب دفع الأذى من غير الله تعالى الذي هو النافع الضار، والتعلق يكون بالفعل أو بالقلب أو بهما، وإنما كان شركا من جهة **تعلق القلب** على غير الله في جلب نفع أو دفع ضر، فكان شركا من هذه الحيثية. قال الشيخ: من تعلق قلبه بمخلوق فالمخلوق عاجز، وهو من الشرك الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة، وذلك أن يرجو العبد قضاء حاجته من غير ربه =

---

١ أحمد (٤/١٥٤) .

---

(١) حاشية كتاب التوحيد عبد الرحمن بن قاسم ص/٧٥

٢ أحمد (٤/١٥٦) .

٣ أحمد (٤/١٥٦) .." [1]

"باب ما جاء في التطير (١)

---

(١) أي من النهي عنه والوعيد فيه، مصدر تطير يتطير، والطيرة اسم مصدر من تطير طيرة، كما يقال تخير خيرة، ولم يجيء في المصادر على هذه الزنة غيرهما، والتطير التشاؤم بالشيء بما يقع من المرئيات أو المسموعات في قلوب أهل الشرك والعقائد الضعيفة، الذين لا يجعلون توكلهم على الله، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء والعطاس والنجوم وغير ذلك، فكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشرع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع أو دفع ضر، وإنما هو خواطر وحدوس وتخمينات لا أصل لها. قال المدائني: ((سألت رؤبة بن العجاج ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه، قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد)) . اهـ.

ومن العرب من يتشاءم بالبارح، ويتبرك بالسانح وبالعكس، ولم تكن قاطبة تعتقد هذا وتقول به، بل قد جاء عن بعضهم إنكاره ومنه:

وما أنا ممن يزجر الطير همه ... أطار غراب أم تعرض ثعلب

ولا السانحات البارحات عشية ... أمَرَّ سليم القرن أم مَرّ أعضب

وغير ذلك مما هو مشهور عنهم، وفي الصحيح عنه –عليه الصلاة والسلام– حين سئل عنه قال: "ذلك شيء يجده أحدكم فلا يصدنه". وقال: "إذا تطيرت فلا ترجع". ولا يضر إلا من أشفق منه وخاف واعتنى به، فيكون أسرع إليه من السيل إلى منحدره، وتفتح له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه، ويفتح له الشيطان من المناسبات القريبة والبعيدة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه، ولما كان التطير من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب؛ لكونه من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته، ولكونه **يتعلق القلب** به خوفا وطمعا، ولكونه منافيا للتوكل على الله، واعتقاد نفع أو ضر بسبب طائر ونحوه، أفرده المصنف –رحمه الله– بالترجمة، وإن كان من الشرك الأصغر فهو من أقبح الشرك.." [2]

"ولا ترد مسلما (١) ، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت (٢) ، ولا حول ولا قوة إلا بك (٣) " ١.

وعن ابن مسعود مرفوعا: " الطيرة شرك الطيرة شرك (٤) .

---

(١) أي لا ترد المسلم عن شيء قصده لإيمانه أنه لا نافع ولا ضار إلا الله، وإنما ترد المشرك الذي يعتقدها، قال الطيبي: ((تعريض بأن الكافر بخلافه)) .

---

(١) حاشية كتاب التوحيد عبد الرحمن بن قاسم ص/٧٩

(٢) حاشية كتاب التوحيد عبد الرحمن بن قاسم ص/٢١٢

(٢) أي لا تأتي الطيرة بالحسنات، ولا تدفع المكروهات بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات، والحسنات هنا النعم، والسيئات المصائب. كقوله: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ ٢ إلى قوله: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ ٣، ففيه نفي تعليق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد، وفيه التصريح بأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا، فيعد من اعتقدها سفيها مشركا.

(٣) أي ولا تحول ولا انتقال من حال إلى حال، ولا قوة على ذلك إلا بالله وحده لا شريك له، وهذا استعانة به سبحانه على فعل التوكل وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سببا لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها، ومعاملة له بنقيض قصده، وهذا الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات.

(٤) ولفظ أبي داود: " الطيرة شرك الطيرة شرك " ٤ ثلاثا. وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله، ولو لم يكن فيها إلا سوء الظن بالله لكفى بها قبحا. قال في شرح السنن: ((وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن الطيرة تجلب لهم نفعا أو تدفع عنهم ضرا إذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوا مع الله)) .

---

١ أبو داود: الطب (٣٩١٩) .

٢ سورة النساء آية: ٧٨.

٣ سورة النساء آية: ٧٩.

٤ أحمد (٤٢٥/٥) .." (١)

". . . . .

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ١.

النوع الثاني: أن يتوكل على حي حاضر من ملك أو وزير أو مسؤول فيما أقدره الله عليه من زرق أو دفع أذى، وهذا شرك أصغر، بسبب قوة **تعلق القلب** بهذا الإنسان واعتماده عليه. أما إذا اعتقد أن هذا الإنسان سبب، وأن الله تعالى هو الذي أقدره على هذا الشيء وأجراه على يديه فهذا لا بأس به إذا كان لهذا الإنسان أثر صحيح في حصول المراد. لكن كثيراً من الناس قد لا يمر على باله هذا المعنى، ويكاد يعتمد على هذا الإنسان في حصول مراده.

النوع الثالث: الاعتماد على الغير في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه فهذا جائز دل عليه الكتاب والسنة والإجماع. لكن لا يعتمد عليه في حصول ما وكل فيه بل يتوكل على الله سبحانه وتعالى في تيسير أمره الذي يطلبه إما بنفسه أو بنائبه ولهذا لا تقول: توكلت على فلان إنما تقول: وكلت فلاناً،

---

(١) حاشية كتاب التوحيد عبد الرحمن بن قاسم ص/٢١٩

وقد وكل النبي صلى الله عليه وسلم علياً في ذبح بقية بدنه في حجة الوداع٢، ووكل أبا هريرة رضي الله عنه على الصدقة٣، ووكل عروة بن الجعد أن

---

١ سورة الأنفال، الآيات: ٢-٤.

٢ انظر: "تيسير العزيز الحميد": "ص٤٩٧".، وتوكيله صلى الله عليه وسلم علياً أخرجه مسلم من حديث جابر صلى الله عليه وسلم: "رقم١٢١٨".

٣ أخرجه البخاري: "٤/٤٨٧-فتح".." (١)

"المضار، وهذا يقتضي عقلا أن يكون الرب وحده محل محبة العبد ورغبته ورهبته.

٣ - أن التفرد بالربوبية يعني التفرد بالخلق والملك والغنى الذاتي، وأن ما عدا الرب مخلوق مملوك فقير لا يصح عقلا أن يكون محلا لمحبة العبد ورغبته ورجائه، ولا لشيء مما ينشأ عن ذلك من عباداته!! وعلى هذه الاعتبارات وما يجري مجراها جاء هذا النوع من براهين القرآن على صحة التوحيد وبطلان الشرك، فمن تفرد بمعاني الربوبية من خلق وتدبير وملك وعناية وهداية ونفع وضر فهو المستحق عقلا وشرعا للعبادة وحده، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣]، وقال: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦]، وقال: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ......﴾ الآيات [النمل: ٦٠ - ٦٤].

الثاني: الاستدلال بتوحيد الصفات على توحيد العبادة، فإن التفرد بصفات الكمال المطلق يستلزم **تعلق القلب** بالموصوف بها محبة وخوفا ورجاء وتألها في الظاهر والباطن، وهذا البرهان ينتظم جميع ما ورد من صفات الكمال، فكلها أدلة على توحيد العبادة سواء أصرح بذكر لازمها، أو ذكرت مجردة. فمما ذكر مجردا قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:." (٢)

"١ــ إظهار العبودية، والفاقة، والحاجة إلى ما يرجوه العبد من ربه، ويستشرفه من إحسانه، وأنه لا يستغني عن فضله، وإحسانه طرفة عين.

٢ــ أن الرجاء محبوبٌ لله؛ فالله عز وجل يحب من عباده أن يرجوه، ويأملوه، ويسألوه من فضله؛ لأنه الملك الحق الجواد؛ فهو أجود من سئل، وأوسع من أعطى.

وأحب ما إلى الجواد أن يُرجى، ويُؤمل، ويُسأل.

٣ــ التخلص من غضب الله؛ فمن لم يسأل الله يغضب الله عليه، والسائل راجٍ، وطالبٌ.

---

(١) حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول عبد الله الفوزان ص/٨٥

(٢) حقيقة المثل الأعلى وآثاره عيسى السعدي ص/٨٦

٤ــ أن الرجاء حادٍ يحدو بالعبد في سيره إلى الله، ويطيِّبُ له المسير، ويحثه عليه، ويبعثه على ملازمته؛ فلولا الرجاء لما سار أحد؛ فإن الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب، ويزعجه الخوف، ويحدوه الرجاء.

٥ــ أن الرجاء يطرحه على عتبة المحبة؛ فإنه كلما اشتدّ رجاؤه، وحصل له ما يرجوه ازداد حباً لله تعالى وشكراً له، ورضاً به، وعنه.

٦ــ أنه يبعثه على أعلى المقامات، وهو مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية؛ فإنه إذا حصل له مرجوّه كان أدعى لشكره.

٧ــ أنه يوجب له المزيد من معرفة الله، وأسمائه، ومعانيها، والتعلق بها؛ فإن الراجي متعلق بأسمائه الحسنى، متعبدٌ، وداعٍ بها.

٨ــ أن المحبة لا تنفك عن الرجاء؛ فكل واحد منهما يمد الآخر، ويقويه.

٩ــ أن الخوف مستلزم للرجاء، والرجاء مستلزم للخوف؛ فكل راجٍ خائفٌ، وكل خائف راجٍ.

١٠ــ أن العبد إذا تعلق قلبه برجاء ربِّه، فأعطاه ما رجاه كان ذلك ألطفَ موقعاً، وأحلى عند العبد، وأبلغ من حصول ما لم يَرْجُه.

١١ــ أن في الرجاء من الانتظار، والترقب، والتوقع لفضل الله ما يوجب **تعلق القلب** بذكره، ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه، وصفاته، وتنقُّلُ القلب في رياضها الأنيقة، وأخذه بنصيبه من كل اسم، وصفة.

اللهم إنا نسألك حبك، وخوفك، ورجاءك، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد.." (١)

"والسموات، فإنه ليس في أجناس المخلوقات ما يتفاضل بعضه على البعض كبني آدم.

بل إن هذا التفاضل في المحبة يعلمه كل إنسان من نفسه بحسب الحب الذي قام في قلبه لأي محبوب كان، سواء كان حباً لولده أو لامرأته أو لرياسته أو لصديقه أو غير ذلك، فإن حبه لهذه الأشياء على درجات، فالحب أوله علاقة **لتعلق القلب** بالمحبوب، ثم صبابة لانصباب القلب نحوه، ثم غرام للزومه القلب كما يلزم الغريم غريمه، إلى غير ذلك من درجات الحب وهذا أمر يجده الإنسان في نفسه فإنه قد يكون الشيء الواحد يحبه تارة أكثر مما يحبه تارة، فإذا علم تفاضل الناس في حب هذه الأشياء من محبوباتهم، فتفاضلهم في حب الله أعظم.

وقد دل كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على تفاضل الناس فيها قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ ... ﴾ ١.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ٢.

فهاتان الآيتان فيهما دلالة على تفاضل الناس في المحبة، ففي قوله: ﴿أَشَدُّ حُبّاً﴾ في الآية الأولى وقوله: ﴿أَحَبَّ﴾ في الآية الثانية أعظم دلالة على ذلك، لاستخدام أفعل التفضيل فيهما الدال صراحة على

---

(١) رسائل الشيخ الحمد في العقيدة محمد بن إبراهيم الحمد ١٣/٨

١ سورة البقرة الآية: ١٦٥.

٢ سورة التوبة، الآية: ٢٤.." (١)

"قَوْلَ مَنْ قَالَ: الْخُلَّةُ لِإِبْرَاهِيمَ وَالْمَحَبَّةُ لِمُحَمَّدٍ، فَإِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ وَمُحَمَّدٌ حَبِيبُهُ. وَفِي الصَّحِيحِ أَيْضًا: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ خَلِيلٍ مِنْ خُلَّتِهِ» . وَالْمَحَبَّةُ قَدْ ثَبَتَتْ لِغَيْرِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] (آلِ عِمْرَانَ: ١٣٤) . ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦] (آلِ عِمْرَانَ: ٧٦) . ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] (الْبَقَرَةِ: ٢٢٢) .

فَبَطَلَ قَوْلُ مَنْ خَصَّ الْخُلَّةَ بِإِبْرَاهِيمَ وَالْمَحَبَّةَ بِمُحَمَّدٍ، بَلِ الْخُلَّةُ خَاصَّةٌ بِهِمَا، وَالْمَحَبَّةُ عَامَّةٌ. وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمُ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ الَّذِي فِيهِ: «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ، أَلَا وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلَا فَخْرَ» : لَمْ يَثْبُتْ.

[مَرَاتِبُ الْمَحَبَّةِ]

وَالْمَحَبَّةُ مَرَاتِبُ:

أَوَّلُهَا: الْعَلَاقَةُ، وَهِيَ تَعَلُّقُ الْقَلْبِ بِالْمَحْبُوبِ. وَالثَّانِيَةُ: الْإِرَادَةُ، وَهِيَ مَيْلُ الْقَلْبِ إِلَى مَحْبُوبِهِ وَطَلَبُهُ لَهُ. الثَّالِثَةُ: الصَّبَابَةُ، وَهِيَ انْصِبَابُ الْقَلْبِ إِلَيْهِ بِحَيْثُ لَا يَمْلِكُهُ صَاحِبُهُ، كَانْصِبَابِ الْمَاءِ فِي الْحُدُورِ.

الرَّابِعَةُ: الْغَرَامُ، وَهِيَ الْحُبُّ اللَّازِمُ لِلْقَلْبِ، وَمِنْهُ الْغَرِيمُ، لِمُلَازَمَتِهِ، وَمِنْهُ: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] (الْفُرْقَانِ: ٦٥) .." (٢)

"مراتب المحبة وما يوصف الله تعالى به منها

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [والمحبة مراتب: أولها: العلاقة، وهي تعلق القلب بالمحبوب.

الثانية: الإرادة، وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له.

الثالثة: الصبابة، وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه كانصباب الماء في الحدور.

الرابعة: الغرام، وهي الحب اللازم للقلب، ومنه الغريم لملازمته، ومنه: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾ [الفرقان:٦٥] .

الخامسة: المودة والود، وهي صفو المحبة وخالصها ولبها، قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً﴾ [مريم:٩٦] .

السادسة: الشغف، وهي وصول المحبة إلى شغاف القلب.

السابعة: العشق، وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه، ولكن لا يوصف به الرب تعالى ولا العبد في محبة ربه، وإن كان قد أطلقه بعضهم.

واختلف في سبب المنع، فقيل: عدم التوقيف.

وقيل غير ذلك، ولعل امتناع إطلاقه أن العشق محبة مع شهوة.

---

(١) زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/١٤٩

(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط ابن أبي العز ١٦٥/١

الثامنة: التتيم.

وهي بمعنى (التعبد) .

التاسعة: التعبد.

العاشرة: الخلة، وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه.

وقيل في ترتيبها غير ذلك، وهذا الترتيب تقريب حسن لا يعرف حسنه إلا بالتأمل في معانيه.

واعلم أن وصف الله تعالى بالمحبة والخلة هو كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته كسائر صفاته تعالى، وإنما يوصف الله تعالى من هذه الأنواع بالإرادة والود والمحبة والخلة حسبما ورد النص.

وقد اختلف في تحديد المحبة على أقوال نحو ثلاثين قولاً، ولا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء، وخفاء هذه الأشياء الواضحة لا تحتاج إلى تحديد كالماء والهواء والتراب والجوع والشبع ونحو ذلك] .

هذا من جملة كلام أهل السلوك الذين يتكلمون في العبادات القلبية، وقد أشرنا إلى أن ابن القيم رحمه الله قد أشار إلى ذلك في كتبه، في (روضة المحبين) ، وفي (طريق الهجرتين) ، وفي (مدارج السالكين) ، وذكر تعريفات للمحبة، وذكر أيضاً ترتيبات المحبة أو أقسامها، وهي هذه الأقسام العشرة التي أولها العلاقة، ثم الصبابة، إلى آخرها التي هي الخلة، وجعل هو وغيره هذا الترتيب تقريبياً، ومنهم من قدم بعضها على بعض، ولا شك أنها أسماء لأنواع من المحبة، أي: أن منها ما يكثر استعماله ومنها ما لا يكثر، ومنها ما لا يجوز إطلاقه على الله تعالى كالعشق، والصحيح ما علله به من أنه محبة مع شهوة.

والله تعالى يوصف بالمحبة وبالخلة وبالإرادة وبالمودة، يوصف بهذه الأربعة من العشرة، أما البقية فلم ترد، فلا يجوز أن تستعمل في حق الله تعالى، فالصبابة مثلاً والعلاقة والعشق وما أشبهها، هذه مستعملة اصطلاحياً في أنواع من المحبة.

ولا شك أن المحبة أمر قلبي يجده الإنسان من قلبه، حيث يميل إلى المحبوب بعض الميل، ويعرض محبوبه على نفسه أو يواسيه بنفسه، ويكون له من الأثر ذلك الميل، وهناك بعض الأسباب التي استدعت ذلك، وقد تكون أسباباً ظاهرة كإحسان ونحو ذلك؛ فإن القلوب تألف وتحب من أحسن إليها، والله تعالى هو الذي أحسن إلى عباده، وهو الذي خولهم وأعطاهم، فإذا أحبوه كان سبب المحبة هو الإحسان، كما أنك تحب من أحسن إليك.

وقد تكون المحبة لأسباب قاصرة غير متعدية، كأن تحب أي إنسان لصلاحه وإن لم ينلك منه نفع دنيوي، ولكن رأيته صالحاً وتقياً وزاهداً وورعاً وعابداً فأحببته لذلك، وجعلت محبتك له عبادة تؤمل الثواب عليها، حيث إنه يحب الله وأنت تحبه فتحب من يحبه.

وهكذا محبتنا لربنا لا شك أن أعظم أسبابها كونه الذي يملك العباد، وهو الذي يتصرف فيهم، فهذه من أسباب محبتهم له، وأنه هو الذي وعد من أحبه وعبده بالثواب، ومن لم يفعل ذلك توعده بالعقاب، فكان هو أهل المحبة وأهل المودة التي تحبه القلوب وتوده، ويكون لها آثار كما سبقت الإشارة إليه، وأن الذي يحب الله تعالى يطيعه ويعبده، وتظهر آثار ذلك على البدن في كثرة عبادته، وفي نضرة خلقته، وفي تأثره بذلك من كثرة العبادة ونحوها.." (١)

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ١٥/١٣

"عقيدة أهل البدع في الخوف والرجاء

الرجاء: هو **تعلق القلب** برحمة الله.

والخوف: وجل القلب من عذاب الله.

وهنا طائفتان منحرفتان: طائفة المرجئة غلبوا جانب الرجاء، وقالوا: لا تضر الذنوب، ومهما كثرت المعاصي فإنها لا تضر، ما دام أن الإنسان مؤمن، لا يضر عندهم ذنب.

والطائفة الثانية غلبوا جانب الخوف، ويسمون: الوعيدية: وهم الخورج والمعتزلة الذين يخلدون أصحاب الكبائر في النار، ولا يجعلون لهم توبة، ويقولون: إنهم قد لا يوفقون للتوبة، وأنهم لا يخرجون من النار، فهؤلاء غلبوا جانب الخوف.." (١)

"[ثبت له صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلى مراتب المحبة وهي الخلة، كما صح عنه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قَالَ: (إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً) وقَالَ: (ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الرحمن) والحديثان في الصحيح وهما يبطلان قول من قَالَ: الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، فإبراهيم خليل الله ومُحَمَّد حبيبه.

وفي الصحيح أيضاً: (إني أبرأ إِلَى كل خليل من خلته) والمحبة قد ثبتت لغيره، قال تعالى: وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران:١٣٤] ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ [آل عمران: ٧٦] ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة: ٢٢٢] . فبطل قول من خص الخلة بإبراهيم والمحبة بمحمد، بل الخلة خاصة بهما، والمحبة عامة، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما الذي رواه التِّرْمِذِيُ الذي فيه: (إن إبراهيم خليل الله ألا وأنا حبيب الله ولا فخر) لم يثبت.

والمحبة مراتب:

أولها: العَلاقَةُ، وهي **تعلق القلب** بالمحبوب.

والثانية الإرادةُ، وهي ميل القلب إِلَى محبوبه وطلبه له.

الثالثة: الصَبابةُ، وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه، كانصباب الماء في الحدور.

الرابعة: الغَرَامُ، وهي الحب اللازم للقلب ومنه الغريم لملازمته، ومنه: إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً [الفرقان:٦٥] .

الخامسة: المَوَدَّةُ، والود، وهي صفو المحبة وخالصها ولبها، قال تعالى: سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً [مريم: ٩٦] .

السادسة: الشَّغَفُ، وهي وصول المحبة إِلَى شغاف القلب.

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٣/٤٠

السابعة: العِشقُ، وهو الحب المفرط الذي يخاف عَلَى صاحبه منه، ولكن لا يوصف به الرب تَعَالَى ولا العبد في محبة ربه وإن كَانَ قد أطلقه بعضهم، واختلف في سبب المنع، فقيل: عدم التوقيف، وقيل: غير ذلك، ولعل امتناع اطلاقه: أن العشق محبة مع شهوة.." (١)

"ولذلك لما قَالَ الْمُصَنِّفُ هنا: [وإن كَانَ قد أطلقه بعضهم] يقصد الصوفية، ثُمَّ يذكر أن العلماء أو الباحثين اختلفوا في سبب منع اطلاق العشق عَلَى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى منه وإليه، فقيل: لأنه لم يرد وهذا كلام صحيح.

وقيل: غير ذلك، ولعل امتناع إطلاقه أن العشق محبة مع شهوة، ولا تعارض بين السببين؛ لأنه أولاً: لم يرد، وما لم يرد لا نطلقه عَلَى الراجح، والأمر الثاني أيضاً: أن العشق كما بينا لا يكون إلا مع الحب الشهواني الإباحي، فهذه اللفظة مستهجنة ومستقذرة في حق الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فلا يجوز أن تطلق عليه.

التَّتّيم

المرتبة الثامنة: وهو بمعنى التعبد، وكأن محبة المحبوب قد استعبدت هذا المحب حتى صار متيماً وكثيراً ما ترد هذه الكلمة أيضاً في أشعار العرب، وفي أخبار العشاق، فيُقَالُ: متيم بها، أو تيمتني، ومن أشعار الصوفية في مجالسهم: تيموني هيموني، أي جعلوني متيماً **متعلق القلب** ... الخ.

وتَيَّم: معناها عَبَّد، ولذلك يُقَالَ: بنوا تيم الله، وتيم الله قبيلة من أحد أفخاذ قريش التي منها أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فتيم الله معناها: عبد الله، وفلان متيم بالحب أي: مستعبد بالحب وصلت به محبته إِلَى درجة العبودية للمحبوب.

التعبد

المرتبة التاسعة التعبد: ومعناها أن يصل به الحب إِلَى أن يتعبد تعبداً ويقول إنه عبد، كما في البيت المشهور عن عنترة بن شداد:

وأنا يا عبل عبد في الهوى ملك يمناك وفي القرب ابن عم

يعني هو ابن عمها في النسب، ولكنه في الحب عبد، وكثيراً ما يذكر ذلك الشعراء.." (٢)

"إنما يوصف الله تَعَالَى من هذه الأنواع الأربعة فقط: بالإرادة، وبالود، وبالمحبة، وبالخلة فالإرادة قد جاءت في الوحي كما ذكرنا في مبحث الإرادة وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ [النساء: ٢٧] وهي بمعنى: يُحب ذلك، فهذه مرتبة من مراتب المحبة التي هي الإرادة فقد ورد النص بها في حق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ووردت صفة الود إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدّاً [مريم:٩٦] وصفة المحبة: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ [البقرة:٢٢٢] ، وصفة الخلة (إن

---

(١) شرح الطحاوية لسفر الحوالي سفر الحوالي ص/٣٢٨

(٢) شرح الطحاوية لسفر الحوالي سفر الحوالي ص/٣٤٠

الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً) هذه الأربع فقط هي التي يوصف بها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والسِّتُ الباقية لا يوصف بها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهي: الغرام، والصبابة، والعشق، والتتيم، والشغف، والعلاقة.

قَالَ الْمُصنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[وقد اختُلفَ في تحديد المحبة عَلَى أقوال نحو ثلاثين قولاً] والتحديد معناه: التعريف للمحبة، والمتكلمون اختلفوا في ذلك، فمنهم من يقول: **تعلق القلب**، ومنهم من يقول: ميل القلب وإرادته الشيء، ومنهم من يقول غير ذلك، إِلَى أن أتوا بثلاثين تعريفاً.

وكلها لا فائدة فيها؛ لأن توضيح الواضح من المشكلات، والمحبة أوضح من أن نُعرِّفها الطفل الصغير جداً، فلو قلت له: تُحب كذا، فيقول لك: نعم، فهو يعرف معنى المحبة.." (١)

"[المسألة الأولى] :

أنَّ المؤمن في تَعَلُّقِهِ بربه – عز وجل – في عبادته سبحانه بأنواع العبادة القلبية والعملية يرى أنّ الإنعام عليه بأن يكون من أهل الجنة هذا أعظم الإنعام؛ لأنَّ من دخل الجنة قد رضي الله عنه ومَتَّعَهُ بملاذِّها وحبورها وسرورها وأفاض عليه الزيادة وهي رؤية وجه الله الكريم.

ومن أحب تَعَلَّقَ بالمحبوب، وإذا **تَعَلَّقَ القلب** بالمحبوب لم يهدأ له بال ولا يقر له قرار حتى يلقى محبوبه راضياً عنه متمتعاً بلذة النظر إليه ومحادثته وتحيته، كما قال سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣-٤٤] ، فهذا أعلى أنواع التمتع.

والقلب إذا خشع لله – عز وجل – وتلذذ بتلاوة القرآن وبالصلاة، وعلم أنَّ هذه من اللذات الحاضرة التي هي التلاوة والصلاة، فكيف بأعظم اللذات وهو رؤية الرب – عز وجل – وهي الغاية كما ذكر العلماء التي شَمَّرَ إليها الْمُشَمِّرُون، الذين تعلقت قلوبهم بالرب – عز وجل –.." (٢)

"[المسألة الأولى] :

كلمة ("لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ") من أعظم الأذكار التي فيها الإقرار بربوبية الله – عز وجل – وبإلهيته وبأسمائه وصفاته، وفيها الإقرار بتَخَلِّي العبد عن كل حولٍ له وقوة ورؤية لما عنده من الآلات والقُدَرْ إلى ما عند الله وحده.

ففيها الفرار من الله – عز وجل – إليه وحده سبحانه وتعالى، وفيها التَّخَلِّي من رؤية النفس التي أوجبت الهلكة في الدنيا والآخرة على طائفة من الخلق.

فمعنى (لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ) :

(لَا) : هنا نافية للجنس؛ يعني جنس الحول.

---

(١) شرح الطحاوية لسفر الحوالي سفر الحوالي ص/٣٤٤

(٢) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/١٣٣

(حول) : هو إمكان التَّحَوُّلْ من حالٍ إلى حال، وحتى رَفع الكأس إلى فيك، وحتى حركة ثوبك وحركة عمامتك، وحتى حركة عينيك، فإنَّ هذا التحوّل من حالٍ إلى حال في أي شيءٍ تفعله فإنك تنفي جنسه، وتنفي القدرة على هذا التحول، إلا أن يكون بالله – جل جلاله –.

وهذا فيه التبرُّؤْ من الحول والقوة، وأنَّهُ لا يمكنك أن تتخلّى عن الله – عز وجل – طرفة عين، حتى في طرف عينك وفي حركة لسانك وفي حركة أنفاسك فإنَّه لا تَغَيُّر من حالٍ إلى حال ولا قدرة لك على تحول شأنٍ من شؤونك مهما قلّ إلا بالله – عز وجل –.

(وَلَا) : لَا نافية للجنس

(قُوَّةَ) : يعني أنَّكَ تنفي جنس القوة التي بها تُوجَد الأشياء والتي بها تُحَصِّل الأمور، تنفي جنسها أن تكون حاصلة لك استقلالاً، أو حاصلة لك في إحداث الأشياء، وهذا منفي، إلا أن تكون بالله – عز وجل –.

وهذه الكلمة العظيمة فيها:

١– أولاً: توحيد الربوبية:

وهذا حقيقة توحيد الربوبية لله – عز وجل –، فإنَّ الإيقان بأنَّ الله – عز وجل – هو المدبر للأمر ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة:٥] وأنَّهُ – عز وجل – ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩] وأنه – عز وجل – ﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون:٨٨] ، وأنَّهُ ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ﴾ [فاطر:٢] ، وأنَّهُ ما تسقط من ورقة، وأنه ما من شجرة، ولا هبوب ريح، ولا تحرك في وليد ولا في جنين ولا في دمٍ في العروق، ولا في حركة حيوان صَغُرَ أم كَبُرْ، وأنَّ ذلك كلَّه بتدبير الله – عز وجل –، وأنَّ كلماته الكونية – عز وجل – وسعت كل شيء، كما قال – عز وجل – في آخر سورة الكهف ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩] ، يعني الكلمات الكونية لكثرة أوامره – عز وجل – الكونية فيما يحدث في أحوال العباد.

فتَنْظُرْ إلى توحيد الربوبية وتَعْلَمْ أنَّكَ لا فِعْلَ لك ولا حول في أي شيء ولا قوة إلا بالكريم – جل جلاله –.

ومن أعظم ذلك الذي تَتَبَرَأْ فيه من الحول والقوة الهداية وصلاح النفس وصلاح الظاهر وصلاح الباطن، فإنه لا يمكن لعبدٍ يرى نفسه أنَّهُ يفعل ويفعل وأنَّهُ يَقْدِرْ وأن يُوَفَّقَ أبداً؛ بل لا يُوَفَّقَ إلا من تبرأ من الحول والقوة في شأن التكليف وفي شأن الهداية ﴿وَمَن يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء:٩٧] ، سبحانه وتعالى.

٢– ثانياً: توحيد الألوهية:

فيها توحيد الإلهية أيضاً في أنَّهُ إذا كان لا حول ولا قوة إلا بالله وأنَّ المرء والمخلوق لا يمكنُ له أن يفعل إلا بالله وحده دون ما سواه، فلماذا يتعلق قلبه إذاً بغير الله من الآلهة والأنداد والأموات والأولياء والقوى المختلفة في حال البشرية، القوة المادية

أو غيرها؟ لماذا يتعلق قلبه بهذه الأشياء؟

فإنما يكون إذاً **تعلق القلب** بمن يملك الانتقال والنُّقْلَةْ من حالٍ إلى حال ومن يملك القوة.." (١)

"ج/ هذه مسألة كبيرة يضيق عنها المقام؛ لكن المقصود الاجتماع: الإجتماع على الدين، والدعوة تكون إلى الدين الذي أمرنا الله – عز وجل – بالاجتماع عليه، وهو ما نزل به القرآن وصَحَّ عن النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه السلف الصالح، هذا هو الدين كما قال – عز وجل – ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى:١٣] الآية، وكذلك قوله – عز وجل – في سورة آل عمران ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣] ، ﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران:١٠٥] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة وأوضحت لكم هذا مراراً. فالدين الذي يجب الاجتماع عليه هو الدين الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وكان عليه صحابته وكان عليه السلف الصالح، وأمَّا ما أحدثته الأمة من البدع في الاعتقاد أو البدع في العمليات والعبادات، فهذا لاشك أنه ليس الدين الأول هو شيء جديد، ولذلك صار فُرْقَةً وافتراقاً عما كانت عليه الجماعة الأولى، لهذا يجب أن يُحَافَظْ على ما كانت عليه الجماعة الأولى قبل أن تَفْسُدْ وتحدث الفِرْقَةْ والاختلاف، وهذا مما يجب الدعوة إليه بتثبيته، بتثبيت العقيدة في النفوس والدعوة إلى التوحيد والالتزام بالعمل الصالح، ونبذ الخلاف في هذه المسائل بتأصيل الأصول الشرعية في ملازمة الدليل وعدم الذهاب إلى العقليات.

من جهة ثانية الاجتماع والائتلاف يكون بالاجتماع على من ولَّاهُ الله – عز وجل – أمر المسلمين، فهذا الاجتماع مقصود في الشريعة أمَرَ به الله – عز وجل – وأمَرَ به النبي صلى الله عليه وسلم وحض عليه وأبدى فيه وأعاد كما يقول إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب في مسائل الجاهلية حتى غدا عند كثيرين هذا الأصل كأنه لم يكن فيه شيء من حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

فالإجتماع نوعان إجتماع في الدين وإجتماع على ولي الأمر وعدم مخالفته ولزوم طاعته في المعروف، فإذا أمر بالمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

س٥/ يوجد على كثير من السيارات تعليقات وخِرَقْ في مقدمتها ومؤخرتها، وأكثر هذه السيارات تَخُصُّ باكستانيين وأفغان، وتوضع هذه الخرق لدفع العين ولدفع الحوادث. فما توجيهكم للعمل على إزالتها وبالأخص أنَّها في بلد التوحيد؟

ج/ هذه الأشياء التي تُعَلَّقْ ربما تكون من التمائم، وربما لا تكون.

ولهذا ينبغي أن يُتَثَبَتْ من ذلك فإذا ثبت أنها تميمة عُلِّقَتْ مثل خيوط حمر أو أرنب على الزجاجة أو على خلف المقعد الخلفي يوضع رأس حيوان، أو وضع مصحف في الخلف خلف الناس قد أكلته الشمس من كُثُرْ ما أصابه منها وأشباه ذلك هذا ظاهر أنها من التمائم.

فإذا كانت من التمائم وجب مناصحة من هي معه، وإزالتها إن أمكن إزالتها بدون مفسدة.

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٥٧٣

ووجب أيضاً أن يقوم أهل الحسبة الأمر بالمعروف والنهي في هذه المسائل؛ لأنَّ الشرك هو أخبث ما يكون، هو التعلق بغير الله واعتقاد النفع والضر في هذه الخرق والأشرطة والحيوانات، وأنها تدفع العين أو تجلب الخير أو نحو ذلك، هذه من الاعتقادات الفاسدة، والنبي صلى الله عليه وسلم صَحَّ عنه أنَّهُ قال «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» (١) وقال أيضا «من تعلق تميمة فقد أشرك» (٢) و (تَعَلَّقْ) تشمل شيئين:

تشمل التعليق بنفسه **وتَعَلُّقْ القلب**.

فمن عَلَّقَ شيئاً وتَعَلَّقَ قلبه به فقد أشرك.

والقرآن على الصحيح لا يجوز أن يُسْتَخْدَمْ تميمة، لا من جهة وضعه في السيارات للحفظ أو لدفع العين، ولا أيضاً من جهة لبسه كتمثال مثل ما يباع أحيانا لبعض النساء ويُلْبَسْ، هذا كله من جهة التمائم، أو يجعل القرآن في خرقة وتُرْبَطْ أو يُعَلَّقْ هذا كله من حهة التمائم ويجب أن ينهى عن ذلك، وأن لا يتخذ القرآن تميمة لأنه داخل في العموم وصيانةً لهم من استعماله في غير ما شرع الله – عز وجل –.

---

(١) سبق ذكره (٤٧٣)

(٢) المسند (١٧٤٥٨)." [1]

"[السائل] لكنه اعتد اعتماداً كليَّاً على هذا الشيء، فهل يدخل في الإعتقاد؟

[الشيخ] ليس بشرط، فقد يعتمد دون اعتقاد.

[السائل] أنَّ..... إعتقاد بسبب الإعتماد؟

[الشيخ] لا الإعتقاد هو أنَّهُ في قلبه ليس فيه أنَّ الله نافعه ولا، إنما هذا السبب مادِّي، يعتقد في داخله أنَّ المادة هي كل شيء، هذا هو الإعتقاد.

لكن الإعتماد غفل قلبه واعتمد ظاهره.

فلا يُسَوَّى هذا بهذا.

لهذا صار الإعتماد على الأسباب –يعني بالكلية– ما هو بالإعتماد على الأسباب فقط، الإعتماد على الأسباب بالكلية يعني دون اعتماد القلب على الله – عز وجل –، هذا محرم، أو نقول يدخل في نقض التوحيد، شرك أصغر أو شرك خفي، أمَّ الإعتقاد فهذا كفر ظاهر، أن يعتقد أنَّ الأسباب كافية ولا نافع........ الله – جل جلاله –.

مثلاً الطبيب سيعمل لك عملية، يقول خلاص.......... ما جاء في قلبه أنَّه يعظم الإعتماد على الله، فعله....كذا بالطبيعة،...... هذا عمل يعني فاته الأفضل، لكن في قلبه فيه أصل الإعتماد، لكن فيه من اعتمد على السبب في هذا بالذات.

مثلاً جاء وقال: أبد، الطبيب يكفي، ما دام في قلبه أي شيء من التوكل على الله، اعتمد على السبب فقط فهذا يدخل

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٦٥٨

في...... إمَّا محرم أو شرك أصغر أو شرك خفي بحسب الحال.

لكن المسألة الثانية: اعتقد أنَّ هذا السبب كافٍ، يعني قال يكفي الطبيب، هذا كفر إذا اعتقد قلبه، ما فيه أحد يعتقد أنَّ الإعتماد على الأسباب فقط، يعتقد الأسباب فقط ويكون عنده إيمان؟، ما يمكن، المؤمن لازم يكون عنده اعتماد على الله – عز وجل – لكن يعتمد على الأسباب ظاهراً بحسب الحال.

س٦/ ذكر الشيخ سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد أنَّ الخوف الذي يحمل على ترك الواجب وفعل المحرم هذا خوفٌ محرم، والشيخ عبد الرحمن في فتح المجيد قال إنَّه شرك أصغر؟

ايه نعم، وش ظهر لك؟، أنَّه محرم، محرم ما هو بشرك أصغر، وهو توسع، الشرك الأصغر فيه نوع تشريك لأنه ما ترك الأمر والنهي خوفاً، يعني ما هو مصلحة، بس مجرد خوف، إلا أنَّه إيش؟، خاف منهمكخوف، أو قدَّمَ خوفه منهم على خوفه من الله، فيه نوع تشريك، بس الأظهر التعبير بالمحرم.

س٧/ الخوف من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، هذا التعريف لخوف الشرك يصح؟

لا، لا يصح لأنه الخوف الشركي والخوف السري، يعني يُعطي شيء غيبي ما لله – عز وجل – من الخصائص، يعني يؤذي بدون سبب ظاهر.

س٨/ لو قال شخص لولا فلان ما كان كذا، بدون....... مع الله سبحانه وتعالى هل يكون فيه نوع من الشرك الأصغر؟

هذا شرك أصغر، إذا كان أنَّهُ في مقابلة نعمة أو اندفاع نقمة، يعني فيه نعمة حصلت له، قال (لولا فلان ما حصل لي كذا) ، أو اندفع عنه مصيبة فقال (لولا فلان لك يأتيني كذا) هذا هو الشرك الأَصغر.

س٩/ والذي ورد في السنة (لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) وقول عمر لحفصة (لولا أنا لطلَّقكِ رسول الله صلى الله عليه وسلم) ؟

ج/ هل القائل الآن هو المشفع المُتَفَضَّلْ عليه، أو المتفضِّل؟

المُتَفَضِّلْ، وصورتنا التي نتكلم فيها مُتَفَضَّلْ عليه، لأنَّ المُتَفَضَّلْ عليه يتعلَّق قلبه بمن تَفَضَّلَ عليه.

مثلاً لو أقول لك (لولا أنا ما كنت من أهل السنة والجماعة) .... لأنه من المتفضِّل، لكن القلب هنا ما فيه تعلُّق، هنا يدخل بحث آخر كالفخر مثلاً أو يدخل في ضوابط أخرى، لكن الضابط المنهي عنه أن يكون ممن انتفع وليس من النافع، لأنَّ من انتفع تعلَّقَ قلبه بمن أحسن إليه، فالتعلق هذا هو الذي يدخل له التشريك.

أمَّا حديث (لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) هذا لم يدخل من جهتين:

الجهة الأولى: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مُتَفَضِّل، والأحاديث التي فيها النهي إنما هو في المنتفع بالنعمة أو اندفاع النِّقمة.

الجهة الثانية: أنَّ قوله (لولا أنا) يقصد به لولا شفاعتي له، وشفاعته صلى الله عليه وسلم تُقبَلْ ابتداءً أم بفضل الله؟

بفضل الله، يعني شفاعته ما تُقْبَل إلا بإذن الله، فرجع الأمر –ولو لم يذكر ظاهر– إلى الله – عز وجل –.

وكذا قول عمر (لولا أنا لطلَّقكِ رسول الله صلى الله عليه وسلم) لأنَّهُ المُتفضِّل عليها.

ولو قال إنسان (لولا الهوى ما اختلف الناس في هذا) فهذه ما فيها شيء.

فأقرب شيء تنضبط به ما كان في أمرين:

الأول: أن يكون استعمال لولا في تحصيل نعمة أو اندفاع نقمة بسبب من الأسباس، فيعزوه للسبب ولا يذكر الله.
الثاني: أن يكون في ذكره **تَعَلَّقَ القلب** بهذا السبب، إذا حصل تعلق بالسبب حصل الشرك قلباً ولفظاً.
س١٠/ بالنسبة للصلاة خلف الكاهن أو العَرَّاف إذا كان هو إمام مسجد، فهل تصلِّي في بيتك أو تُصَلِّي في المسجد معه؟
لا تصلي في بيتك، تصلي في جماعة أخرى إلَّا إذا اضطررت يعني للصلاة وتخشى من التفريط لأنَّه قصارى الأمر الصلاة خلفه باطلة، ظاهر؟، وفي الصلاة خلفه تقوية له أو تزكية له.." (١)

"وحبيب رب العالمين

يعني نبينا صلى الله عليه وسلم حبيب رب العالمين، بل خليل رب العالمين، لو قال الشيخ الطحاوي: "وخليل رب العالمين" لكان أولى؛ لأن الخلة أكمل من المحبة، ثبت له -عليه الصلاة والسلام- الخلة كما ثبتت لإبراهيم.
قال -عليه الصلاة والسلام-: (إني أبرأ من الله أن يكون لي منكم خليل، إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا) وبالحديث الآخر: (لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكرا خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن) يعني نفسه.
فإذن الخلة ثابتة لنبينا صلى الله عليه وسلم والخلة أعلى مقامات المحبة، أعلى مقامات المحبة، والمحبة ثابتة لغير الخليل قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤) ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢) ﴾.
هذه المحبة ثابتة لهم، لكن الخلة فوق ذلك، والخلة لم تكن إلا لاثنين: لإبراهيم ومحمد -عليهم السلام-، فهما الخليلان.
وأما ما يقوله بعض الناس ويزعمه من أن الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، ويقول: إبراهيم خليل الله، ومحمد حبيب الله. هذا باطل، بل محمد أيضا خليل الله.
ويروى في ذلك حديث رواه الترمذي: (إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر) هذا حديث ضعيف، لا يصح، رواه الترمذي: (إن إبراهيم خليل الله، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر) هذا حديث ضعيف، في سنده ضعيفان: زمعة بن صالح، وسلمة بن وهران، وهما ضعيفان؛ فلا يصح الحديث.
والصواب أن محمدا خليل الله كما أن إبراهيم خليل الله، فقول الشيخ: "هو حبيب الرحمن" يوهم أنه لا يثبت الخلة لمحمد، لو قال: "وخليل الرحمن"، "وخليل رب العالمين" كان أحسن، لو قال الطحاوي بدل "وحبيب رب العالمين": "وخليل رب العالمين" لكان أحسن؛ حتى يثبت الخلة، فالخلة ثابتة لاثنين: لإبراهيم ومحمد -عليهما الصلاة والسلام-.
والخلة هي نهاية المحبة -نهايتها-؛ وذلك لأن المحبة مراتب، المحبة لها مراتب، ولها درجات ومراتب:
أول مراتب المحبة العلاقة، وهي **تعلق القلب** بالمحب، ثمة علاقة **تعلق القلب** بالمحب.
المرتبة الثانية: إرادة، وهي إدارة المحبوب وطلبه له، إرادة المحب للمحبوب وطلبه له.

---

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ = إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل صالح آل الشيخ ص/٧٢٥

المرتبة الثالثة: الصبابة، وهي انصباب القلب إلى المحب، بحيث لا يملكه كانصباب الماء إلى الحجور.

الرابع: الغرام، وهو الحب الملازم للقلب، سمي غراما لملازته له، ومنه الغريم، سمي غريما لملازمته لغريمة صاحب الدَّين إذا لقي المدين لزمه، ومنه قوله تعالى في جهنم: ﴿إِن عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) ﴾ يعني ملازما.

المرتبة الخامسة: المودة والود، وهو صفو المحبة وخالصها ولبها، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) ﴾ .

المرتبة السادسة: الشغف، وهو الحب الذي وصل إلى شغاف القلب، وهو غلافه، وهي الجلدة التي دون الحجاب.

المرتبة السابعة: العشق، وهو الحب المفرط الذي يخشى على صاحبه، وهذا لا يوصف به الرب، هذه المرتبة لا يوصف بها الرب، ولا يوصف العبد بها في محبته لربه؛ لأنه لم يرد، ولعل الحكمة في ذلك أنها محبة مع شهوة.

الثامن: التتيم، وهو التعبد، ومنه تيم الله أي عبد الله، يقال: تيمة الحب. أي عبّده وذلله.

التاسع: التعبد، وهو غاية الذل مع غاية المحبة، يقال: طريق معبد إذا وطئته الأقدام، غاية الذل مع غاية المحبة، ومحبة العبودية خاصة بالله، ولا تكون إلا لله، وهي غاية الذل مع غاية الحب، فإذا صرفت لغير الله كانت شركا.

العاشر: الخلة، وهي سميت خلة لأنها لتخللها القلب والروح، تتخلل القلب والروح حتى تصل إلى سويدائك، كما قال الشاعر:

قد تخللت مسلك الروح مني *** ولذا سمي الخليل خليلا

والخلة هي نهاية المحبة وكمالها، ولا يتسع القلب لأكثر من خليل واحد، القلب يمتلئ ما يتسع لأكثر من خليل واحد؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله) يعني نفسه -عليه الصلاة والسلام-.

يعني لو كان في قلبي متسع لكان لأبي بكر، ولكن قلبي امتلأ بخلة الله، فليس فيه متسع، لو كان فيه متسع لكان لأبي بكر، لكن القلب لا يتسع لأكثر من خليل، امتلأ قلبه -عليه الصلاة والسلام- بخلة الله، فلا يتسع لأكثر من واحد.." (١)

"الكفر بالطاغوت من معاني (لا إله إلا الله)

ثم قال رحمه الله: [وهذا معنى (لا إله إلاّ الله)] المشار إليه هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله.

وقوله: [هذا معنى (لا إله إلاّ الله)] كيف يكون هذا معنى (لا إله إلاّ الله) ؟ والجواب: قوله: (لا إله) هذا هو الكفر بالطاغوت؛ لأنه ينفي العبادة عن كل معبود، وقوله: (إلاّ الله) إثبات لجميع أنواع العبادة لله وحده، وهذا هو الإيمان بالله عز وجل، إذاً: قوله: [معنى: (لا إله إلاّ الله)] أي: ما تضمنته هذه الآية من حصول الإيمان، وذلك من ترتيب الاستمساك بالعروة الوثقى على هذين الأمرين: الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله.

ثم قال رحمه الله في ختام هذه الرسالة المباركة: [وَفِي الْحَدِيثِ: (رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله] .

---

(١) شرح الطحاوية للراجحي عبد العزيز الراجحي ص/٧١

وهل هذا الحديث دليل للمسألة السابقة أم لا؟ الحقيقة أن بعض الشرّاح قال: إنه دليل على الإيمان بالله والكفر بالطاغوت وبعضهم قال: إنما أراد المؤلف رحمه الله ختم الرسالة بهذا الحديث؛ لما تضمنه من المعاني العظيمة التي هي بيان رأس الأمر، وبيان ما يقوم به، وبيان ما يبلغ به الغاية.

وعندي أن هذا دليل وبراعة اختتام.

أما الدليل ففي قوله: (رأس الأمر الإسلام) ، والأمر هنا المراد به الدين يعني: رأس الدين الإسلام، والمراد بالإسلام هنا الشهادتان؛ ولذلك جاء في روايةٍ لهذا الحديث: (رأس الأمر شهادة ألا اله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ) ، فالإسلام المراد به هنا الشهادتان، وهو الاستسلام لله عز وجل بالعبودية، أي: إفراد الله جل وعلا بالعبادة وحده دون غيره، وعلى هذا يكون فيه دليل على ما تقدم؛ لأن شهادة ألا إله إلاّ الله هي الإيمان بالله تعالى والكفر بالطاغوت، فيكون فيها دليل لما ذكره رحمه الله في قوله: [افترض اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بالله] .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: (وعموده الصلاة) فهذا فيه بيان مرتبة الصلاة في هذا الدين، وأنها من هذا الدين كالعمود للخيمة، وليس للخيمة قيام بلا عمود، بل لا قيام للفسطاط إلاّ بعمود، فمن لا صلاة له لا إسلام له، هكذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وورد مثل ذلك عن علي بن أبي طالب: (لا حظّ في الإسلام لمن لا صلاة له) ، وكل هذا مما ورد عن الصحابة.

وقال عبد الله بن شقيق رحمه الله –وهو من التابعين-: (لم يكن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلاّ الصلاة) ، فالصلاة شأنها كبير، وأمرها خطير، ويكفي في هذا الوصف قول النبي صلى الله عليه وسلم: (وعموده الصلاة) .

وقال الإمام أحمد رحمه الله: (من أراد أن يعرف قدر الإسلام في قلبه فلينظر إلى قدر الصلاة في قلبه) ، فبقدر ما يكون مع الإنسان من تعظيم الصلاة والاهتمام بها والعناية بها والإقبال عليها والتبكير إليها **وتعلق القلب** بها يكون معه بقدر ذلك من الإسلام، ولذلك كان أول ما يسأل عنه الناس من الأعمال بعد التوحيد مما يتعلق بحقوق الله سبحانه وتعالى الصلاة، فهي أول مسئول عنه، ولذلك ينبغي للإنسان أن يعتني بهذه العبادة الجليلة، وأن يهتم بها، وأن تكون منه على البال دائماً، فهذا هو المعيار والميزان الدقيق، فإذا أردت أن تعرف قدر الإسلام في قلبك فانظر إلى قدر الصلاة في قلبك، وهذا القول عن الإمام أحمد ذُكر في كتاب (تعظيم قدر الصلاة) .

وأما قوله: (وذروة سنامه الجهاد) فذروة الشيء أعلاه، والمراد أعلى شيءٍ في الإسلام هو الجهاد في سبيل الله يعني: الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى واعلم أن الجهاد والصلاة هما العبادتان اللتان تكرر الأمر بهما والثناء على أهلهما في الكتاب والسنة، بل قال شيخ الإسلام رحمه الله: (لم يرد من الأحاديث قدر ما ورد في الصلاة والجهاد حثاً وأمراً وفضلاً) ، وهذا يجعل الإنسان يحرص على أن يكون نصيبه وافراً في الأمرين.." (١)

---

(١) شرح ثلاثة الأصول لخالد المصلح خالد المصلح ١٤/٩

"وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به وسبق دليله.

الثاني: توكل السر بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة، أو دفع مضرة فهذا شرك أكبر؛ لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً في الكون، ولا فر ق بين أن يكون نبياً، أو ولياً، أو طاغوتاً عدوا لله تعالى.

الثالث: التوكل على الغير فيما يتصرف فيه الغير مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط مرتبة المتوكل عنه مثل أن يعتمد عليه في حصول المعاش ونحوه فهذا نوع من الشرك الأصغر لقوة **تعلق القلب** به والإعتماد عليه. أما لو أعتمد عليه على أنه سبب وأن الله تعالى هو الذي قدر ذلك على يده فإن ذلك لا بأس به، إذا كان للمتوكل بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب، والسنة، والإجماع فقد قال يعقوب لبنيه ﴿يَابَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ [سورة يوسف، الآية: ٨٧] ووكل النبي صلى الله عليه وسلم، على الصدقة عمالاً وحفاظاً، ووكل في إثبات الحدود وإقامتها، ووكل علي بن ابي طالب رضي الله عنه في هديه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها، وأن ينحر ما بقى من المئة بعد أن نحر صلى الله عليه وسلم بيده ثلاثاً وستين. وأما الإجماع على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة.." (١)

"أقسام العلو

نعجب من هؤلاء المبتدعة إذ لم يقبلوا نصوص الكتاب والسنة بل أولوها، وقالوا: إن المقصود منها أن العلو للفوقية هنا فوقية المكانة والقدر، بمعنى أن الله في العلو له المكانة، وإلا فإنهم لا يقبلونه، وأهل السنة يقولون: إن العلو ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ١- علو قدر وهي المكانة.

٢- علو قهر وهي الغلبة ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام:١٨] .

٣- علو الذات.

المبتدعة لا يجادلونا في علو القدر ولا في علو القهر، ولكن يجادلونا في علو الذات، ولا يثبتون الله في العلو، أما نحن فنثبت أنواع العلو كلها لله، ونقول: إن لربنا الكمال فيها كلها، ونقول: الله سبحانه وتعالى عالٍ على خلقه علواً يليق بجلاله وعظمته سبحانه وتعالى.

والقول بعلو القدر وعلو المكانة لله تعالى أمر تأنف منه العقول، فإذا جئت إلى شخص مثلاً وقلت له: إنك والله لك منزلة في نفسي أفضل من الحمار والكلب، هل ينبسط أم يغضب؟ قال الشاعر:

ألم ترَ أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

فلو جاء إنسان يوازن بين السيف وبين العصا فإنه قد نقص قيمة السيف، وإذا قيل: إن الله خير من خلقه وأفضل من خلقه فهذا تنقص للرب سبحانه وتعالى؛ لأن هذا الأمر مغروس في الفطر (أن الله سبحانه وتعالى فوق خلقه منزلة وقدراً وقهراً) ومع وجود هذا الأمر وهو أمر فطري نثبته لله، لكن ليس هذا هو مدح للرب سبحانه وتعالى، بل إن المدح أن نثبت له سبحانه وتعالى الكمال المطلق، ومنه إثبات علو الذات له سبحانه وتعالى، وبهذا يبطل كلام هؤلاء في تأويلهم على أن العلو يقصد به علو المكانة أو أن المقصود أن الله خير من خلقه سبحانه وتعالى.

---

(١) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين ابن عثيمين ص/٥٩

انطلقوا إلى النصوص الدالة على الدليل الفطري، عندما قلنا لهم: إن الإنسان إذ يقول: يا الله، يجد قلبه يتعلق بالعلو، قالوا: تعلق القلب بالعلو لأن السماء هي قبلة الدعاء، وهذا الكلام باطل وليس بصحيح لا لغة ولا شرعاً ولا عقلاً، القبلة في اللغة هي ما تستقبل بوجهك، فهل نحن إذا دعونا نرفع أبصارنا إلى السماء؟ لا، بل نهينا عنه: (لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء أو ليخطفن الله أبصارهم) نهينا أن نرفع، ولهذا يسمى ما يقبل به الإنسان قُبل، وخلفه يسمى دُبر، ندعو الناس إذا أرادوا أن يدعوا أن يتوجهوا بوجوههم إلى السماء.

ثم قال العلماء: لم يأتِ دليل على أن هناك قبلتين: قبلة للصلاة وهي إلى الكعبة، وقبلة للدعاء وهي السماء، فهذا لم يرد فيه دليل لا من كتاب ولا من سنة، ولم يقل به أحد من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، وقولنا بهذا يدل على ابتداع هؤلاء القوم، وأنهم جاءوا بأمر محدث.

ثم قال العلماء: إن القبلة تقبل النسخ، فكان الصحابة يستقبلون بيت المقدس سابقاً، ثم صرفوا إلى الكعبة، لكن في توجه الإنسان بقلبه إلى العلو لا يمكن أن يطرأ عليه نسخ؛ لأن هذا شيء مركوز في الفطر، وما كان في فطر الناس مركز لا يحدث فيه النسخ أبداً، مما يدل على بطلان ما جاء به هؤلاء القوم، ويدل على انحرافهم.

واعترضوا على قضية الدليل العقلي، بإنكار بداهته، فجاء المبتدعة يقولون: نحن عقلاء أم مجانين؟ قلنا: أنتم عقلاء، قالوا: نحن إذاً لا نقبل، الدليل العقلي يجب أن يتفق فيه العقلاء كلهم ونحن لا نقبل.

فنحن نقول لهم: إن كان دليلنا العقلي باطلاً فما توردونه من الأدلة في نفي علو الله تعالى أشد بطلاناً، أي: أنتم أكثر عمقاً في الباطل، وإن كان قولنا حقاً وقولكم حقاً، فنحن أكثر تمكناً في الحق منكم، فتميز أهل السنة بقلة الباطل –على فرضه تنزلاً– وبكثرة الحق في هذا الأمر، وما دامت القضية الدليل العقلي أصبح أمراً مشتركاً بيننا وبينكم فإننا نسأل ونقول: فطر الناس معنا أم معكم؟ نقول: مع أهل السنة وليس مع المبتدعة، فزاد أهل السنة بفطر الناس، ثم نسأل فنقول: أدلة الكتاب والسنة معنا أم معكم أيها المبتدعة؟ فـ أهل السنة معهم أدلة مرجحة لدليلهم العقلي (الفطرة وكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) وبهذا ترجح دليلهم العقلي في إثبات علو الله سبحانه وتعالى والإقرار به، وبهذا نعلم أن الله سبحانه وتعالى له العلو بجميع أنواعه: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات سبحانه وتعالى، ولا نتعرض لذلك ولا ننفيه.." [(١)]

"حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه، بل بمنزلة الكنيف الذي يقضي فيها حاجته من غير أن يستعبده (١) ، فيكون هلوعاً، إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً.

٢ – ومنها ما لا يحتاج العبد إليه، فهذا لا ينبغي له أن يعلق قلبه به إذا علق قلبه به صار مستعبداً له، وربما صار معتمداً على غير الله فلا يبقى معه حقيقة العبادة لله ولا حقيقة التوكل عليه، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله وهذا من أحق الناس بقوله صلى الله عليه وسلم "تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة". وهذا هو عبد هذه الأمور فإنه لو طلبها من الله، فإن الله إذا أعطاه إياها رضي وإذا منعه إياها سخط، وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله، ويحب ما أحبه الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله

(١) شرح لامية ابن تيمية عمر العيد ٥/١٤

ورسوله، ويوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله تعالى، وهذا هو الذي استكمل الإيمان كما في الحديث: "من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان" وقال: "أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله". (٢)

وشرح الإمام ابن القيم رحمه الله في مواضع متفرقة كيف أن أعظم أصول المعاصي كلها هو **تعلق القلب** بغير الله، وأن سبب انحراف الناس عن الإيمان انحرافهم عن صحة المعرفة وصحة الإرادة.

ويقول: "إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده تحمل الله سبحانه حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته، وإن أصبح وأمسى والدنيا همه حمّله الله همومها وغمومها وأنكادها، ووكله إلى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم.

فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه في نفع غيره. فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بلي بعبودية المخلوق

---

(١) من بلايا زماننا هذا أن الكنيف أصبح من وسائل استعباد القلوب، كيف لا وعباد الدنيا يصنعون من الذهب الخالص

(٢) العبودية، ص ٨٠- ١٠٣ مقتطفات." [1]

"ومحبته وخدمته. قال تعالى: «وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» (١)

ويقول: "الإنابة هي عكوف القلب على الله عز وجل كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله.

ومن لم يعكف قلبه على الله وحده عكف على التماثيل المتنوعة، كما قال إمام الحنفاء «ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون» فاقتسم هو وقومه حقيقة العكوف، فكان حظ قومه العكوف على التماثيل وكان حظه العكوف على الرب الجليل.

والتماثيل جمع تمثال وهو الصورة الممثلة، **فتعلق القلب** بغير الله واشتغاله به والركون إليه عكوف منه على التماثيل التي قامت بقلبه، وهو نظير العكوف على تماثيل الأصنام.

ولهذا كان شرك عبّاد الأصنام بالعكوف بقلوبهم وهممهم وإرادتهم على تماثيلهم، فإذا كان في القلب تماثيل قد ملكته واستعبدته بحيث يكون عاكفاً عليها فهو نظير عكوف (عباد) (٢) الأصنام عليها، ولهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم عبداً لها ودعا عليه التعس والنكس فقال: "تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش" (٦) .

ويقول: "ومن هنا يتبين انحراف أكثر الناس عن الإيمان لانحرافهم عن صحة المعرفة وصحة الإرادة.

ولا يتم الإيمان إلا بتلقي المعرفة من مشكاة النبوة وتجريد الإرادة عن شوائب الهوى وإرادة الخلق. فيكون علمه مقتبساً من مشكاة الوحي وإرادته لله والدار الآخرة". (٣)

---

(١) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي سفر الحوالي ص/١١٠

(١) ثم قال بعد الآية: " قال سفيان بن عيينة: لا تأتون بمثل مشهور من للعرب إلا جئتكم به من القرآن، فقال له قائل: فأين في القرآن: أعط أخاك تمرة، فإن لم يقبل فأعطه جمرة؟ فقال: في قوله تعالى: ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين. الفوائد ٧٣- ٧٤

(٢) زيادة يقتضيها السياق

(٦) المصدر السابق، ص ٧٦

(٣) .المصدر السابق، ص ٧٦." [١]

"عن عمران بن حصين رضي الله عنه " أن النبي صلي الله عليه وسلم رأى رجلا في يده حلقة من صفر، فقال: ما هذا؟ قال من الواهنة. فقال: انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهنا؛ فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا " ١ رواه أحمد بسند لا بأس به.

وإنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله، لا على أنهم يكشفون الضر، ويجيبون دعاء المضطر، فهم يعلمون أن ذلك لله وحده. كما قال تعالى: ﴿إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُون ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ ٢.

قلت: فهذه الآية وأمثالها تبطل **تعلق القلب** بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وأن ذلك شرك بالله. وفي الآية بيان أن الله تعالى وسم أهل الشرك بدعوة غير الله والرغبة إليه من دون الله. والتوحيد ضد ذلك. وهو أن لا يدعو إلا الله، ولا يرغب إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، وكذا جميع أنواع العبادة لا يصلح منها شيء لغير الله. كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها كما تقدم.

---

١ ابن ماجه: الطب (٣٥٣١) ، وأحمد (٤/٤٤٥) .

٢ سورة النحل آية: ٥٣-٥٤.." [٢]

"وقال السيوطي: " قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي وما يعرف معناه، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى".

قوله: "والتمائم". قال المصنف: "شيء يعلق على الأولاد من العين". وقال الخلخالي: التمائم جمع تميمة، وهي ما يعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين، وهذا منهي عنه؛ لأنه لا دافع إلا الله، ولا يطلب دفع المؤذيات إلا بالله وبأسمائه وصفاته.

فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه. و"الرقى": هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، رخص فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم من العين والحمة

---

(١) ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي سفر الحوالي ص/١١١

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١١٧

قال المصنف: "لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه. منهم ابن مسعود".

اعلم أن العلماء من الصحابة والتابعين فمن بعدهم اختلفوا في جواز تعليق التمائم التي من القرآن وأسماء الله وصفاته، فقالت طائفة: يجوز ذلك، وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص١، وهو ظاهر ما روي عن عائشة. وبه قال أبو جعفر الباقر وأحمد في رواية. وحملوا الحديث على التمائم التي فيها شرك.

وقالت طائفة: لا يجوز ذلك. وبه قال ابن مسعود وابن عباس. وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عكيم، وبه قال جماعة من التابعين، منهم: أصحاب ابن مسعود وأحمد في رواية اختاره كثير من أصحابه، وجزم بها المتأخرون، واحتجوا بهذا الحديث وما في معناه٢.

---

١ الرواية بذلك ضعيفة، ولا تدل على هذا ؛ لأن فيها أن ابن عمرو وكان يحفظه أولاده الكبار. ويكتبه في ألواح ويعلقه في عنق الصغار فالظاهر أنه كان يعلقه في اللوح ليحفظه الصغير لا على أنه تميمة، والتميمة تكتب في ورقة لا في لوح. وبدليل تحفيظه الكبار. وكيفما كان فهو عمل فردي من عبد الله بن عمرو لا يترك به حديث رسول الله، وعمل كبار الصحابة الذين لم يعملوا مثل عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم.

٢ في قرة العيون: والمقصود بيان أن هذه الأمور الشركية وإن خفيت فقد نهى عنها رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه، لكمال علمهم بما دلت عليه لا إله إلا الله من نفي الشرك قليله وكثيره؛ **لتعلق القلب** بغير الله في دفع الضر أو جلب نفع، وقد عمت البلوى بما هو أعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة، فمن عرف هذه الأمور الشركية المذكورة في هذين البابين عرف ما وقع مما هو أعظم من ذلك كما تقدم بيانه، وفيه ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من التحذير من الشرك والتغليظ في إنكاره، وإن كان من الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر.." (١)

"باب: " ما جاء في التطير"

قوله: "باب ما جاء في التطير".

أي من النهي عنه والوعيد فيه، مصدر تَطيّر يتطير، و "الطِيَرة" بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن: اسم مصدر من تطير طيرة، كما يقال تخير خيرة، ولم يجئ في المصادر على هذه الزنة غيرهما، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشارع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع ولا دفع ضر.

قال المدائني: "سألت رؤبة بن العجاج قلت: ما السانح؟ قال: ما ولاك ميامنه. قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره. والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد".

ولما كانت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب لكونها من إلقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته١ ذكرها المصنف

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٢٧

-رحمه الله- في كتاب التوحيد تحذيرا مما ينافي كمال التوحيد الواجب.

وقول الله تعالى: ﴿أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ ٢.

وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ ٣.

قوله: "وقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ الآية" ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ الآية. المعنى: أن آل فرعون كانوا إذا أصابتهم الحسنة -أي الخُصْب والسعة والعافية، كما فسره مجاهد وغيره- قالوا: لنا هذه، أي نحن الجديرون والحقيقون به، ونحن أهله. وإن تصبهم سيئة. أي بلاء وقحط تطيروا بموسى ومن معه، فيقولون: هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا بشؤمهم. فقال الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ . قال ابن عباس: "طائرهم: ما قضى

---

١ وذلك **بتعلق القلب** بها خوفا وطمعا، ومنافاتها للتوكل على الله الذي لا ينفع ولا يضر غيره، واعتقاد النفع والضر في طائر ونحوه لا علم عنده ولا قصد، وإنما تذهب وتجيء في ضرورة معايشها وشئونها. فاعتقاد أن لهذه الحركات ذات اليمين وذات الشمال أثرا في جلب خير أو دفع ضر من سخف العقول وفساد الفطر، وتمكن الخرافات والجهل وعمى القلوب. وهذا اعتقاد المنجمين في النجوم التي سخرها الله تعالى تجري في بروجها ومداراتها المستقر لها، اعتقدوا لها تأثيرا في الكون، وهو اعتقاد الصابئة الذين أرسل الله إليهم إبراهيم عليه السلام.

٢ سورة الأعراف آية: ١٣١.

٣ سورة يس آية: ١٩.." (١)

"عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ ١. ففيه نفي تعليق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد، وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا، ويعد من اعتقدها سفيها مشركا.

قوله: "ولا حول ولا قوة إلا بك" استعانة بالله تعالى على فعل التوكل، وعدم الالتفات إلى الطيرة التي قد تكون سببا لوقوع المكروه عقوبة لفاعلها. وذلك الدعاء إنما يصدر عن حقيقة التوكل الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخيرات ودفع المكروهات.

و"الحول" التحول والانتقال من حال إلى حال. و "القوة" على ذلك بالله وحده لا شريك له. ففيه التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته. وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليل على توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة، وهو توحيد القصد والإرادة، وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله.

قوله: "وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا: " الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل " ٢. رواه أبو داود والترمذي وصححه. وجعل آخره من قول ابن مسعود".

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣٠٥

ورواه ابن ماجه وابن حبان. ولفظ أبي داود: " الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك ثلاثا ". وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك لما فيها من **تعلق القلب** على غير الله تعالى.

قال ابن حمدان: " تكره الطيرة". وكذا قال غيره من أصحاب أحمد.

قال ابن مفلح: " والأولى القطع بتحريمها؛ لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروها الكراهية الاصطلاحية؟ "

قال في شرح السنن: " وإنما جعل الطيرة من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن يُذْهِبُه بالتوكل "٣. رواه أبو داود والترمذي وصححه. وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمرو: " مَنْ رَدَّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك. قالوا: فما كفارة ذلك؟

الطيرة تجلب لهم نفعا أو تدفع عنهم ضرا إذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوا مع الله تعالى".

قوله: "وما منا إلا" قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري: " في الحديث إضمار. التقدير: وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك". اهـ.

---

١ سورة النساء آية: ٧٨-٨٨.

٢ صحيح: أبو داود: كتاب الطب (٣٩١٠) : باب في الطيرة. الترمذي: كتاب السير (١٦١٤) : باب ما جاء في الطيرة وقال: هذا حديث حسن صحيح. ابن ماجة: كتاب الطب (٣٥٣٨) : باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة. ابن حبان (١٤٢٧- موارد) . وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٤٢٩) . وزيادة: "وما منا إلا ... " مدرجة كما نص على ذلك البخاري وغيره. راجع الترغيب والترهيب للمنذري (٤/٦٤) .

٣ الترمذي: السير (١٦١٤) ، وأبو داود: الطب (٣٩١٠) ، وابن ماجه: الطب (٣٥٣٨) ، وأحمد (١/٣٨٩، ١/٤٤٠) ".. (١)

"يستعملها إلا في ما أحبه الله ويبعدها عن كل ما يغضب الله تعالى (١) ، لا أن الله يحل في تلك الجوارح، والرسول صلى الله عليه وسلم لعظم وأجل من أن يتصور ربه على هذه الصفات.

وتلك المعاني الباطلة لمعنى الحديث موضحة في جمهرة الأولياء للمنوفي فيه مقال تحت عنوان "دور الكمال" ذكر فيه أن الصوفية قد تطورت فشاركت في أبحاث كثيرة فقهية وفلسفية إلى أن قال: "وقد خطى الجنيد في هذا السبيل الخطوات الأولى الفاصلة فانتقل من حال الفناء التي قال بها البسطامي إلى فكرة الاتحاد، وذهب إلى أن المتصوف قد يصل إلى درجة يتحد فيها الروح اتحاداً تاماً بخالقها عن طريق الشهود" (٢) .

ثم ذكر بعد ذلك أنه ليس المراد من هذا الاتحاد ما هو معروف في البوذية والمسيحية، وإنما هو بمعنى أنه مجرد ملاحظة روحية، ولكن يبقى عليه أن الملاحظة الروحية لا يقال فيها بالاتحاد، وإنما هي زيادة **تعلق القلب** بخالقها فقط، ومن قال إن ملاحظاته جعلته متحداً مع الله فلا شك في خروجه عن الحق مهما حاول بعد ذلك تغطية معتقده بزخرف القول.

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣١٣

لقد أصبحت وحدة الشهود عند المتصوفة هي أخص مظهر من مظاهر الحياة الصوفية وهي الحال التي يسمونها بالفناء وعين التوحيد وحال الجمع، وهي الاتصال بين العبد وبين ربه عن طريق الشهود الصريح فيما يزعمون. ويصل الإنسان إليها – بزعمهم – بكثرة الذكر حتى يقع الشهود القلبي ثم يستغني عن الذكر بمشاهدة المذكور – حسب تخيلاتهم السقيمة الإلحادية – فاتضح مما سبق أن الفوارق لا تكاد تعرف بين تلك التسميات، فهي داخلة في النهاية كلها في دائرة واحدة هي القول بالحلول مهما تعددت صوره (٣) .

---

(١) فتح الباري ١١/ ٣٤٤.

(٢) انظر: ١/ ٢٧٥.

(٣) انظر: ما كتبه د. صابر طعيمة في كتابه الصوفية معتقداً ومسلكاً ص ٢٥٧.." [1]

"المقطعة أو العجمية أو الصور "عقارب.. حيات".

وتسمى التمائم حروزاً وعللوا ذلك بأن فيها تمام الحفظ والعافية وتمام الحراسة عن المكروهات.

والتمائم: تسمى حجباً أي حروزاً.

والتولة: نوع من السحر من عمل السحرة لتقريب الزوج لزوجته والزوجة لزوجها.

* * *

٤٩: ٨٣ [١ حاشية: شك الراوي هل قال شيخه "قلادة من وتر" أو قال "قلادة" وأطلق ولم يقيد] .

قال الشيخ أثابه الله: وأكثر الرواة ذكرها مقيدة.

* * *

٥٠: ٨٤ [وعن عبد الله بن عُكيم مرفوعاً: "من تعلق شيئاً وُكِل إليه". رواه أحمد والترمذي] .

قال الشيخ أثابه الله: من تعلق ولم يقل من علّق ليعم **تعلّق القلب**. ومن وكله الله إلى مخلوق فقد وكله إلى ضيعة، والله تعالى هو الذي تعلق إليه الآمال لأنه هو مسبب الأسباب.

التعاليق: تعم **التعلق القلبي** والتعلق الحسي.

الأصل أن هذه التعاليق من الشرك الأصغر، لكن إذا اعتقد فيها التأثير وصرف قلبه إليها بالكلية فذلك من الشرك الأكبر.." [2]

"وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا: " من تعلق شيئا وكل إليه " ١ رواه أحمد والترمذي.

التمائم: شيء يعلق على الأولاد من العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن، فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه، ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود رضي الله عنه.

---

(١) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها د. غالب بن علي عواجي ١٠١٠/٣

(٢) فوائد من شرح كتاب التوحيد عبد العزيز السدحان ص/٢٤

الرقى: هي التي تسمى العزائم، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك، فقد رخص فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم من العين والحمى.

والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها، والرجل إلى امرأته.

....

ابن مسعود أن عبد الله رأى في عنقي خيطا فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رقي لي فيه، قالت: فأخذه فقطعه ثم قال: أنتم آل عبد الله الأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: " إن الرقى والتمائم والتولة شرك "، قال المصنف – رحمه الله تعالى –: "لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه، منهم ابن مسعود – رضي الله عنه – ". والمقصود بيان أن هذه الأمور الشركية وإن خفيت فقد نهى عنها رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصحابه لكمال علمهم بما دلت عليه لا إله إلا الله من نفي الشرك قليله وكثيره؛ **لتعلق القلب** بغير الله في دفع ضر أو جلب نفع، وقد عمت البلوى بما هو أعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة، فمن عرف هذه الأمور الشركية المذكورة في هذين البابين عرف ما وقع مما هو أعظم من ذلك كما تقدم بيانه، وفيه ما كان عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم من التحذير من الشرك والتغليظ في إنكاره، وإن كان من الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر، وقد تقدم دليله في الباب قبل هذا.

وقوله: "وعن عبد الله بن عكيم مرفوعا " من تعلق شيئا وكل إليه "رواه أحمد والترمذي " وعبد الله بن عكيم بضم المهملة مصغرا ويكنى أبا معبد الجهني الكوفي. قال

---

١ رواه أحمد في " المسند " ٤/ ٢١١ ، والترمذي رقم (٢٠٧٣) في الطب: باب ما جاء في التعاليق وهو حديث حسن كما قال الألباني في " صحيح الترمذي رقم (١٦٩١) .." [(١)]

"ويعجبني الفأل قالوا: يا رسول الله وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة " ١.

ولأبي داود بسند صحيح عن عروة بن عامر قال: " ذكرت الطيرة عند رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال: أحسنها الفأل، ولا ترد مسلما، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك "٢.

....

يوافقها ويلائمها، والله تعالى جعل في غرائز الناس من الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو ذلك. فإذا سمعت الأسماء أضدادها أوجب لها ضد هذه الحال فأحزنتها، وأثار ذلك لها خوفا وتطيرا وانكماشا وانقباضا عما قصدته وعزمت عليه، فأورث لها ضررا في الدنيا ونقصا في الإيمان ومقارفة للشرك".

---

(١) كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٥٩

قوله: "عن عقبة بن عامر " هكذا وقع في نسخ التوحيد، وصوابه عن عروة بن عامر القرشي كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما. وهو مكي اختلف في نسبه فقال أحمد: عن عروة بن عامر القرشي، وقال غيره الجهني، واختلف في صحبته، فقال الماوردي: له صحبة، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين. وقال المزي: لا صحبة له تصح، قال ابن القيم: أخبر صلي الله عليه وسلم أن الفأل من الطيرة وهو خيرها، فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ففضل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر.

قوله: " ولا ترد مسلما " قال الطيبي: تعريض بأن الكافر بخلافه.

قوله: " اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك "أي لا تأتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع المكروهات بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات. والحسنات هنا: النعم، والسيئات: المصائب، ففيه نفي **تعلق القلب**

---

١ رواه البخاري رقم (٥٧٥٦) في الطب: باب الفأل ورقم (٥٧٧٦) : باب لا عدوى ، ومسلم رقم (٢٢٢٤) في السلام: باب الطيرة والفأل ، وأبو داود رقم (٣٩١٦) في الطب: باب في الطيرة، والترمذي رقم (١٦١٥) في السير: باب ما جاء في الطيرة ، وابن ماجه رقم (٣٥٣٧) في الطب: باب من كان يعجبه الفأل ... إلخ ، وأحمد في"المسند" ٣ / ١١٨ و ١٣٠ و ١٥٤ و١٧٣ و١٧٨ و ٢٧٦.

٢ رواه أبو داود رقم (٣٧١٩) في الطب: باب في الطيرة ، وإسناده ضعيف، وعروة بن عامر قال الحافظ: مختلف في صحبته. وانظر جامع الأصول (٥٨٠١) .." [1]

"وعن ابن مسعود مرفوعا: " الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل "١ رواه أبو داود، والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود.

....

....

بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر، وهذا هو التوحيد وهو دعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا، ويعد من اعتقدها سفيها مشركا.

قوله: " ولا حول ولا قوة إلا بك "، والحول التحول والانتقال من حال إلى حال والقوة على ذلك بالله وحده، ففيه التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته، وهذا هو التوحيد في الربوبية، وهو الدليل على توحيد الإلهية الذي هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة وهو توحيد القصد والإرادة وقد تقدم بيان ذلك بحمد الله.

قوله: "وعن ابن مسعود مرفوعا: " الطيرة شرك. الطيرة شرك وما منا إلا ... ولكن الله يذهبه بالتوكل "، رواه أبو داود والترمذي وصححه، وجعل آخره من قول ابن مسعود " ولفظ أبي داود: "الطيرة شرك " ثلاثا، وهذا صريح في تحريم الطيرة

---

(١) كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٥٠

وأنها من الشرك لما فيها من تعلق القلب بغير الله، قال ابن مفلح: الأولى القطع بتحريمها؛ لأنها شرك، وكيف يكون الشرك مكروها الكراهة الاصطلاحية. قوله: "وما منا إلا " قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذري: في الحديث إضمار التقدير: وما منا إلا وقد وقع في شيء من ذلك. انتهى.

---

١ رواه أبو داود رقم (٣٩١٠) في الطب: باب في الطيرة، والترمذي رقم (١٦١٤) في السير: باب ما جاء في الطيرة، وأحمد ٤٣٨/١ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال. ورواه ابن حبان (١٤٢٧) "موارد"، وابن ماجه رقم (٣٥٣٨) ، قال الحافظ في الفتح ١٨١/١٠: "وما منا إلا" من كلام ابن مسعود –رضي الله عنه – أدرج في الخبر، وقد بينه سليمان بن حرب شيخ البخاري فيما حكاه الترمذي عن البخاري عنه". قال الحافظ: "وإنما جعل ذلك شريكا لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعا أو يدفع خيرا فكأنهم أشركوا مع الله تعالى".

وقوله: "ولكن الله يذهب بالتوكل" إشارة إلى أن من وقع له ذلك، فسلم لله ولم يعبأ بالطيرة أنه لا يؤاخذ بما عرض له من ذلك. انظر: "الأحاديث الصحيحة" رقم (٤٢٠) .

قال الخطابي: "قوله وما منا إلا" معناه إلا من يعتريه التطير". وقال محمد بن إسماعيل البخاري: كان سليمان بن حرب ينكر هذا ويقول: هذا الحرف ليس من قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وكأنه قول ابن مسعود – رضي الله عنه –.." (١)

"الذي إذا سُئِل به أجاب.

٤ – زيادة الإيمان: فكلما علم العبد شيئًا عن الله وصفاته ازداد إيمانه.

٥ – الشعور بالقوة والثبات: لأن العبد يركن إلى القويّ القادر الغالب.

٦ – تعلق القلب بالله: فالذي يعلم أن الرزق من عند الله يطلب منه الرزق، والذي يعلم أن الله جبار يخاف منه، والذي يعلم أن الله عليم يراقبه ... وهكذا.

٧ – الأجر العظيم الذي نحصله من وراء هذه المعرفة: فَتَعَلُّم هذه الأسماء والصفات أشرف ما يُمكن أن يُدرس، وتعلمها وتعليمها خير عمل يُقام به. أ. هـ." (٢)

"وقيل هو الاستبشار بجود وفضل الرب ـ تبارك وتعالى ـ والارتياح لمطالعة كرمه ـ سبحانه ..

وقيل: هو الثقة بجود الرب ـ تعالى ـ١.

وقال الجرجاني: "الرجاء في اللغة: الأمل وفي الاصطلاح تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل"أ. هـ٢.

والذي نستفيده من تعريف الرجاء في اللغة والاصطلاح أن الرجاء هو الأمل في الخير وترقب حصوله وانتظاره ممن يملكه ويقدر على تحقيقه لمن أمله فيه ورجاه منه، ولا يكون ذلك إلا من الله ـ جل وعلا ـ فعلى العبد أن يجعل قلبه معلقاً بالله

---

(١) كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٥١

(٢) ماذا تعرف عن الله أبو ذر القلموني ص/٥٧

خوفاً ورجاءاً فلا يرجو إلا الله ـ تعالى ـ وحده لا شريك له، ولا يجوز للإنسان أن يرجو سواه فيما لا يقدر عليه إلا هو ـ سبحانه وتعالى ـ كما يفعله الذين ينادون الأموات، أو غيرهم رجاء حصول مطالبهم من جهتهم لأن هذا شرك أكبر إذ الرجاء نوع من أنواع العبادات التي لا يستحقها إلا الله ـ جلا وعلا ـ فلا رجاء إلا في الله ـ تعالى ـ وقد دلت سورة "الزمر" على أن الرجاء عبادة، وأنه حق من حقوق الله ـ تعالى ـ على خلقه في آية واحدة منها قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ .

هذه الآية من السورة فيها مقابلة بين العامل بطاعة الله وغيره وبين العالم والجاهل، وهذه الأمور متقرر في العقول تباينها وتفاوتها، فليس المعرض عن طاعة الله والذي يتبع هواه كمن هو مطيع بأفضل العبادات، وهي الصلاة في أفضل الأوقات وهو الليل فوصفه بكثرة العمل وأفضله، ثم وصفه بالخوف والرجاء وذكر ـ تعالى ـ أن متعلق الخوف عذاب الآخرة على ما سلف من الذنوب، وأن متعلق الرجاء رحمة الله، فوصفه بالعمل الظاهر والباطن، فعلى العبد أن يكون في عبادته خائفاً من عقاب الله راجياً لرحمته، ولا بد من الجمع بين الخوف والرجاء في العبادة، وفي الآية رد على من ذم العبادة خوفاً من النار أو رجاء الجنة.

١- مدارج السالكين ٢/٣٥.

٢- كتاب التعريفات ص١٠١.." (١)

"غيره. وأما إذا قوي التوكل على الله والإيمان بقضاء الله وقدره – فقويت النفس على مُباشرة بعض هذه الأسباب، اعتماداً على الله، ورجاءً منه أن لا يحصل به ضرر – ففي هذه الحال مباشرة ذلك، لا سيما إذا كانت مصلحةً عامة أو خاصة" (١).

قال العلامة ابن القيم – رحمه الله –: " التطير هو التشاؤم بمرئي أو مسموع، فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفر وامتنع بها عما عزم عليه، فقد قرع باب الشرك، بل ولجه، وبرئ من التوكل على الله سبحانه، وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله" (٢).

"فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وتوكَّل على الله، قطع هاجسَ الطيرة من قبل استقرارها، وبادر خواطِرَها من قبل استكمالها. قال عكرمة: كنَّا جلوساً عند ابن عباس، فمرَّ طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير، فقال له ابن عباس: لا خير ولا شر. فبادره بالإنكار عليه، لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر. وخرج طاوس مع صاحب له في سفر، فصاح غرابٌ. فقال الرجل: خير، فقال طاوسُ: وأيُّ خير عند هذا؟ لا تصحب (٣) " (٤).

قال – صلى الله عليه وسلم –: (الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك) ثلاثاً (٥).

"وهذا صريح في تحريم الطيرة، وأنها من الشرك؛ لما فيها من **تعلق القلبِ** على غير الله تعالى ...

---

(١) مباحث العقيدة في سورة الزمر ناصر بن علي عائض حسن الشيخ ص/٢٣٠

قال ابن مفلح: والأولى القطعُ بتحريمها؛ لأنها شرك ... وإنما جعل الطيرةَ من الشرك؛ لأنهم كانوا يعتقدون أنَّ الطيرة تجلبُ لهم نفعاً، أو تدفع عنهم ضرّاً إذا عملوا بموجبها، فكأنهم أشركوا مع الله تعالى.

---

(١) فتح المجيد (٣٢٥) وما بعدها.

(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٦).

(٣) أخرجه الطبري عن عكرمة، كما في فتح الباري (١٠/ ٢١٥). وأبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي في المجالسة وجواهر العلم (٣/ ٢٩٧)، برقم (٩٣٧).

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/ ٢٣٥)، ينظر: فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد (ص ٣٤٨).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الطب باب في الطيرة برقم (٣٩١٠)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود برقم (٣٩١٠)، قال الترمذي حديث حسن صحيح.." [1]

---

(١) منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد على المخالفين أحمد بن علي الزاملي ص/٢٤٧